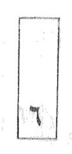
مؤلفات
ثروت أباظة



الغفران
خشوع
ذكريات لا مذكرات
لؤلؤ وأصداف
الحياة لنا
حياة الحياة
من أقاصيص العرب

مؤلفات
ثروت أباظة

٦



- الغفران
- خشوع
- ذكريات لا مذكرات
- لؤلؤ وأصداف
- الحياة لنا
- حياة الحياة
- من أقاصيص العرب

بسم الله الرحمن الرحيم

الغفران

(١)

حين الزمان غرير ، والأيام آفاق عريضة من الابتسامات ، والناس يصدرون عن طيبة خالصة ، والضمائر نقاء صاف ، والحب يختلسه المحبون فيما يحسبون أنهم بنجاء من العيون الرواصد . بينما أمرهم علن مهموس وحديث دائر كلما اجتمع من الأسرة اثنان ..

أحب صابر عبد المعين ابنة خاله وداد الرحمانى .

كان صابر عبد المعين فى المدرسة الثانوية موشكا أن ينال شهادة البكالوريا ، وكانت وداد قد تركت المدارس وبقيت فى البيت ..

وحين نال صابر البكالوريا خفقت بقلب وداد رعشات الأمل ، وتماوجت بين جوانحها ألوان من الفرح شتى تنتمى ــ وإن كثرت إشكالها ــ لأب فرد هو الحب .

وذهب مفيد الرحمانى ليهنىء ابن أخته بالشهادة التى نالها ، وذهبت فى رفقته زوجته ألفت وابنتهما وداد .

واجتمعت الأسرة فى بيت عبد المعين حماد تظلهم من السعادة سحابة حبيبة ، فقد كان ذلك العهد يعيش فى وفرة من المودة والصفاء الذى لا يعرف الحقد أو الحسد أو البغضاء .

وكان ابن الأخت ابنا لخاله أيضا وابن الأخ ابنا لعمه ، وأبنا لكل من فى عمر الأب من الأقارب أو ممن ينتسب الى الأسرة بآصرة نسب أو وشيجة صداقة .

وقال عبد المعين :

ــ يا مفيد قل يا رحمن يا كريم .

وقال مفيد وقد أدرك بحاسته الى أين سيذهب الحديث :

– سبحانه جل شأنه ..

– أنت تعرف أننا ناس من الفلاحين ، من الأرض نعيش وعليها بعد الله اعتمادنا ..

وقال مفيد محاولا التسلل الى جدية الحديث بشيء من الندى :

– كأنى أعرفك اليوم .. لقد تزوجت أختى من عشرين سنة وأعرف تماما كيف تعيش ..

وقال عبد المعين مستجيبا لمحاولة مفيد :

– بل انك تعرف عني ما لا أعرف ، والبركة فى أختك التى لا يبل فى لسانها فولة .. المهم ..

– تعال الى المهم .

– المهم أن صابر لن يدخل المدارس العالية .. أنا أحتاج اليه فى الأرض ، وأنا أريد وداد لصابر .

وامتقع وجه وداد من الفرح وطغت السعادة على وجه ألفت . وقال مفيد بعد هنيهة صمت كان لابد منها :

– ابنى يخطب ابنتى ، وأنت كبير عائلتنا ولك أن تتصرف فيها كيف تشاء ..

– يعنى موافق ..

– كلامك يا عبد المعين أمر فى كل بيتى . فكيف اذا كان فى موضوع يسعدنى كما يسعدك ؟ ..

وقال عبد المعين فى لهجة مفعمة بالسعادة :

– قم يا صابر قبل يد حماك ..

وبفرائص مرتعدة من الفرح قام صابر يقبل يد خاله . ثم قامت أمه تهــانى فقبلت أخاها وقبلت سـلفتها ألفت . ثم التفتت الى وداد وقالت لها :

– أما أنت فتعالى أشبعك من القبل ..

ثم أطلقت زغرودة أعلنت بها الى الجيران والأزمان ، خطبـة وداد الى صـــابر ..

وفى صخب هذه العواطف التقت النظرات من وداد وصابر .. وقالت

العيون ما لم يقله حديث وما لم تستطع القبلات المتبادلة بين الأهل أن تحمل معانيه وما تنوه به زغاريد العالم كله بعظمته وأبعاده .

★★★

كان عبد المعين موفور الثروة ، وكان العثور على بيت أمرا يسيرا ، فما أسرع ما اشترى الأب لابنه بيتا من طابقين بحي الحلمية ، وما أسرع ما جهزت تهاني بيت العرس .. فما مر شهران حتى كانت العروس في حضن زوجها .

وبعد تسعة أشهر كان عبد المعين يحمل الحفيد الأول له من ابنه ..

— بسم الله ما شاء الله ! اللهم اجعل خلقه رضيا وحبب فيه خلقك .. اسمعي يا بنتي يا وداد ! سأقول لك سرا لم أقله لأحد .. كنت أتمنى أن يكون اسمى عبد الكريم أو عبد الغني أو عبد الله .. الشاملة لكل صفاته سبحانه وتعالى ، ولم أكن أتمنى أن يكون اسمى عبد المعين .. سبحانه هو العون ومنه العون ، ولكن العبد لا يحتاج الى العون الا حين يضيق به الأمر وتحوم حوله الشدائد ، فلا تسميا الولد باسمى .

وتبتسم وداد وتقول :

— اسمك بركة يا عمى

— سمياه عبد الغنى ، عسى الله أن يغنيه بالقناعة وهى الغنى الكامل

ويقول صابر :

— فاسمه اذن عبد الغنى على بركة الله .

★★★

ويمر عام وشهران ، وينجب صابر ووداد ابنهما الثاني ويسميه جده عبد الودود .

★★★

ولا ينتظر الجد حتى يرى حفيديه يسعيان في مناحي الحياة ، بل يختاره الله الى جواره وعبد الودود في الخامسة من عمره ..

وما هو الا عام وثلاثة أشهر حتى تلحق به زوجه ، ويحس صابر بفراغ هائل يشمله ويحيط بأيامه . كان شجرة خضراء غضة تعتمد في صعودها على الخبرة من أبيه وعلى الحنان من أمه . وقد كان أبوه عالما

بأصول الزراعة كل العلم ، وكان محبا للناس يدرى كل الدراية كيف يتالف قلوبهم . وكان يعطى من ماله عند ضيق وعند فرج ، فيكسب حب الناس له واجلالهم وتقديرهم . وكان من هؤلاء القلة الذين وهب الله لهم تلك الموهبة الفذة التى تجعلهم كبارا بين قومهم وان لم تعل بهم السن .. هؤلاء الناس الموهوبون ملكة حب الناس ، والقدرة على جعل الناس يحبونهم ويضعونهم بينهم فى مكان الصدارة .

هؤلاء الناس الذين خلقهم الله كبارا فى تصرفاتهم وفى أقوالهم وفى أعمالهم . لا يقربون الدنية ، ويجعلون أيديهم هى العليا ، ويعطون فلا بخل فى العطاء ، وكأنما هى لهؤلاء الناس حق عندهم يردونه الى أصحابه ..

وهكذا يجعلهم عشيرتهم رؤساء لهم وان لم يطلبوا .. وقد لازم صابر أباه عبد المعين حياته جميعا .. وعرف كيف يكون مثله .. وأكرمه الله بأن وهب له ما وهب لأبيه من الكبرياء بغير تكبر .. ومن الحب للناس من غير تعاظم .. يعطى ويلين للناس بالحديث والتراحم والأخوة .. اذا صفت الأخوة برئت من جشع أو طمع أو حقد أو تحاسد .

لم يكن صابر مقبلا على الزراعة اقبال أبيه ، ولكنه كان يعرف كيف يعامل الناس الذين يزرعون فأغدقت عليه الأرض .. وقد ترك له أبوه مائة فدان خالصة من أجود أرض .. مع أموال سائلة تغنيه كل الغناء .

وفى السنوات التى عاشها الجد استطاع أن يرى حفيديه كليهما يبدآن التعليم فى مدارس الروضة الحكومية بالقاهرة ، وكان يقسم وقته بين القاهرة وبين القرية وكذلك كان يفعل صابر . وكان الطفلان يصاحبان الأب والجد الى البلدة كلما ذهبا اليها ، ولم تنقطع هذه العادة الا حين بدأ تعليمهما فى القاهرة . وأحس عبد المعين في فرح أن عبد الغنى ــ ومثله عبد الودود ــ مقبلان كل الاقبال على القرية .. وأن كليهما دائم السؤال عما تنتجه الأرض وعما يساويه هذا الانتاج من مال .. وكان عبد المعين فى صفائه ورضى خلقه يسعد بهذا ، لعل الله أن يضع حب الأرض فى الحفيدين ما دام لم يستطع الابن أن يحب الزراعة .

وحين مضى عبد المعين للقاء ربه كان قرير العين بهذه الخاطرة ، فأبناء الدنيا يرون الخير والشر من ثقب ضيق لا يتيح لهم أن يتعرفوا أين يكمن خيرهم الحق ، وأين يتربص بهم الشر ..

كان صابر فى زهرة الشباب حين صعد أبوه الى جوار ربه ، ولم تستطع أسرته المحبة له الحانية عليه أن تعوضه عما فقد بموت أبيه .. وقد ازداد لوعة بفقدان أمه أيضا .

ولكن الحياة استطاعت أن تشغله بشواغلها ، وما لبثت الأيام أن اجتذبته الى دفاعها .. ولكنه دائما كان يتحسس الجرح الغائر فى حنايا نفسه بموت أبويه ..

وكان الوقت شتاء .. وكانت أسرة صابر كلها فى القرية فقد كان التلاميذ فى اجازة نصف السنة .. كانت الرياح خارج البيت عاصفة .. واجتمعت الأسرة فى حجرة واحدة من الطابق الأعلى من البيت الأنيق الذى كان عبد المعين قد بناه على أحدث طراز من فن ذلك الزمان .. كان البيت يحتوى على أربع غرف فى الطابق الأعلى ، وعلى مثلها فى الطابق الأول ..

أما الطابق الأعلى فكان مخصصا للنوم ، وكان عبد الغنى وعبد الودود ينامان فى غرفة واحدة ، فقد كانا متحابين كل الحب ، متلازمين فى كل لحظة من لحظات حياتهما لا يفرق بينهما الا فصول الدراسة .. وقد أرادت وداد أن تخصص لكل منهما حجرة فأبى كلاهما ذلك .

وكانت هناك غرفة صابر ووداد .. وجعلت وداد غرفة مخصصة للجلوس فيها وقضاء اليوم ، وخصصت الرابعة للطعام ..

أما الطابق الأول فقد كان جميعه لاستقبال الضيوف .

كانت الأسرة جالسة فى غرفة المعيشة وقد أشعلوا موقدا وراحوا يسمرون بما يعن لهم ، وقد سرى الدفء فى أوصالهم ..

وفجأة انقض عليهم صوت عالى الضجيج غلب على صوت الرياح ، فملأهم الذعر وارتمى الطفلان فى حضن أمهما .. وأدرك صابر أن بناء قد تهدم ، فسارع الى عباءته فأحكم لفها حول جسمه واندفع كالسهم خارجا .. ودون أن تدرى ما هى فاعلة ، تخلصت وداد من الطفلين وحذرتهما من الخروج واندفعت الى الخارج وراء زوجها ، وانكمش الطفلان متلاصقين فى كرسى واحد ..

ونزل صابر فوجد رهطا من رجال العزبة قد سبقه الى حظيرة المواشى التى تحطمت أعراقها الخشبية من شدة الرياح وانهار سقفها فأصاب بقرة من ثمان بقرات وجاموسة من ست جواميس .. وراح الرجال يخرجون البهائم من الحظيرة ، وراح بعضهم يقول لصابر :

ــ الحمد لله قدر ولطف ..

وراح هو يردد دون وعى :

ــ الحمد لله .. الحمد لله .. ادفنوا البقرة والجاموسة وضعوا البهائم الأخرى فى حظائركم حتى الصباح ..

والتفت بوحي مفاجيء من ضميره الى حيث كانت وداد ، فرآها فى ملابس البيت واقفة على مبعدة من الرجال فسارع اليها ..

ـ لماذا جئت يا وداد ؟

ـ خفت عليك ..

ـ ارجعى .. أسرعى الى البيت . لقد كنا في حجرة دافئة وخرجت الى هذا البرد القارس بلا معطف عليك .. ارجعى أنت .. الحمد لله .. لم يحدث شيء .. حاجة بسيطة ..

ورجعت وداد ..

وقال الرجال لصابر :

ـ لقد كنت تتوقع هذا ..

ـ نعم ، ولهذا بدأت أبنى الحظيرة الجديدة .. ولكننى كنت أتمنى أن تنتظر هذه حتى أتم بناء الحظيرة الأخرى ..

وقال أحد الرجال :

ـ له فى ذلك حكم .

ـ سبحانه .. كله بأمره .

★★★

ما أهون الخسارة التى منى بها صابر والتى انحصرت فى بهائمه . رجع الى البيت راضيا .. فقد كان من ذلك النوع من الانسان الذى يظل خائفا من المجهول ، حتى اذا وقعت خسارة أو ألم به مكروه حمد الله أنها أقل مما كان ينتظر .. لقد أصبح منذ وفاة أمه وأبيه من ذلك النوع الذى يتوقع من المصائب أفدحها ، ومن الكوارث أشدها عنفا .. حتى اذا وقعت حادثة كهذه التى أصابت بهيمتيه اعتبرها نعمة لا نقمة .. لأنه كان يتوقع من سير الأيام وتقلبها ما لا طاقة له به .. فاذا انكمش هذا التوقع المروع الى فقدان بهيمتين وسقف حظيرة فما أهون الأمر وما أضأله ! .. فقد كان مع هذا القلق من الدنيا متفائلا يقدر أن الأيام اذا عاجت يوما فى طريقها اعتدلت بعد ذلك أياما طوالا ..

مسكين ذلك الانسان ! .. يعيش من دنياه فى هلع دائم .. يتربص باللحظات عالما أنها تتربص به .. وعجيب ذلك الانسان .. يحب الحياة رغم ذلك .. ولو كان عاقلا لكفاه التهديد الدائم الذى يلح على مشاعره

حتى يكرهها ، ويتمنى أن ينتقل الىالأمن السرمدى هنـاك مع الرفرف الخضر والطمأنينة الخالدة .

***

أصبح الصباح فاذا وداد تعانى من حرارة شديدة يتوقد لها جسمها جميعا ، ويتفصد لها جبينها بل كل جارحة فيها وتوشك أن تهذى من وقدة الحمى .. ويسارع صابر الى الطبيب يستدعيه .. انه التهاب رئوى حاد . ويبدأ العلاج وتزداد بها الحمى سعارا . ويأتى طبيب .. وآخر .. ثم آخر .. وتموت وداد .

(٢)

زوج يحب زوجته ولم يحب غيرها طوال حياته .. وهى قد فاضت عليه بالحب خالصا صافيا لا يرنقه كدر ولا ينغصه حرج أو تصرف يضيق به .. ووهبت له البنين ، وتضاعف الحب بين الزوجين بالتقاء قلبيهما حول وليديهما ..

وفجأة وقبل أن تسعى بهما الحياة فى مدارجها .. وقبل أن تمسك بيد طفليها وهما فى خطوات العمر الأولى .. تموت الزوجة فتنزل الطامة بالشاب المؤمن نزول الصاعقة .. وتعصف به أنواء الخوف والذعر من المستقبل . وتصبح نظراته الى أولاده كلها ألم وحذر وحيرة واشفاق .. بعد أن كانت حبا وتعاطفا وحنينا مع قربهما اليه ، وتفانيا حتى لقد كان يتمنى أن يصبح بعضا من كيانهما .. أو يصبحا بعضا من كيانه .. فكيانه اليوم ممزق .. ونظرته الى أبنائه قرق وخوف يطحن ، وحيرة مع المستقبل فى شأنهما ..

كان كل يوم يمر يقترب به من بؤرة الدوامة ، حتى لقد أوشك أن يفقد اتزانه وقدرته على الحياة ..

وفى الهامة ربانية يصحب ابنيه الى حج بيت الله ..

وفى لبيك اللهم لبيك ارتدت اليه نفسـه وعاد الى رشـده وكأنما أجابته أستار الكعبة أن وداد فى ظلال وريقة فى الملكوت الأعلى . وتغلب حبه لها على جزعه لفقدها ، ووجد الأبناء فى حضن أبيهما أمنا بعد فزع . وطمأنينة بعد حيرة وهلع .. وأصبح صابر منذ وقوفه أمام البيت انسانا آخر .. لقد رأى هناك أن الدنيا جميعا ما هى الا طريق الى الخلود عند صاحب النفوس وخالقها وقابضها .. وهكذا عاد الى مصر وقد امتلأت

نفسه بحب العبادة والتفانى فى ذكر الله وفى الزكاة ٠٠ والعجيب من أمره أنه أصبح محبا للزراعة وحريصا على اتقانها ٠٠ مرتئيا أن الله حين يهب انسانا نعمة فانه ينبغى على العبد أن يشكر ما أنعم به الله ، ولا يكون ذلك الا برعاية ما وهبه سبحانه لعبده ٠٠ وكان أول ما صنعه أن بنى مكان الحظيرة التى تهدمت مسجدا غاية فى الفخامة وأسماه مسجد الوداد ، وراح يوزع نفسه بين أرضه وبنيه ، وكان يلجأ الى حماته ألفت هانم أن ترعى ولديه وتمر بهما كلما اضطرته ظروف العمل أن يترك الطفلين ٠ وقد صحب لهما من القرية نبوية البوهى التى توفى عنها زوجها الخفير صالح عوض وهى فى ريعان الشباب ورفضت بعده أن تتزوج ٠٠ ولم تكن نبوية بذات بنين أو بنات فأفرغت حنان الأمومة الربانى على عبد الغنى وعبد الودود ٠٠

وتمشى الحيـاة وهى دائما تمشى لا يقف بهـا شىء ، وانما تشرق شموس الأيام من أجواف الظلمات ، ثم يسقط الليل على النهار فيفنيه ٠ وكما يولد فى كل مطلع شمس يوم جديد ٠ فانه ما يلبث أن يموت بخطوات الظلام الى الشمس ٠٠ وتصبح الحياة كلها حياة وفناء ٠ ومن الحياة يأتى الفناء ، ومن الفناء تختلج الحياة ، وتصبح هكذا سنة الحياة جميعا فى كل لحظة من لحظاتها حياة وفناء ! ومع مولد طفل فى كل لحظة ، تموت حياة فى نفس اللحظة ، وقد يكون الفقيد طفلا أو شابا أو عجوزا ولكنه يموت ٠ وهل ميـلاد طفل الا هدية يقدمها الغيب الى الموت فى موعـده الموقوت ٠٠ لا يستقدمون عنه ولا يستأخرون ٠٠ أو ليس هو مخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى ؟ أو لا يصدق هذا على كل حياة فى الأرض من انسان أو نبات أو حيوان ؟ وتمضى الحياة مهما يكن الميت عزيزا على آله ، ومهما يكن أثيرا عندهم ، ومهما يكن فى ريعان الفتوة وزهوة الشباب ، تمضى الحياة ففى ألفاظ حروفها معنى الموت ، وان كانت جملة الحروف تقول حياة ٠ ولكن هل هناك حياة بغير موت ؟ أو هل هناك موت بغير حياة ؟ حتى يرث الله الأرض وما عليها فتكف الحياة عن لعبتها المتواصلة ويفرض الله الخلود ، ويحيى النفوس التى أنشأها هو أول مرة ، ويكون الحساب عند الحق الذى لا يضيع لديه أجر من أحسن عملا ، وتصبح حروف الحياة وقد فقدت معنى الفناء واكتسبت صفة الخلود ٠ فتلك اذن هى الحياة الحق ، وما هذه التى نحياها الا طريق اليها نقطعه شئنا أو أبينا ٠ وعند نهايته ندرى أضلالا كان سعينا أم كان على هدى ؟ وننطوى فى ظل الجلالة العليا مخبتين آمنين ٠ ولو لم نجد فى رحباته الا الأمن وحده لكان فى ذلك حسبنا غاية الحسب ٠٠ وهل بعد الأمن نعيم ؟ ٠٠

تمر الأيام بحلوها ومرها على الأسرة المبتورة ، ويصبح عبد الغنى فى الثانوية العامة ويصبح عبد الودود فى السنة السابقة لها ، فقد كان

الولدان ينجحان في كل عام في غير تفوق ، وانما هو نجاح متواضع هزيل .. ولكنه نجاح .

وصابر طوال هذه السنوات حريص على فرض الله . وحريص أيضا على القيام بواجباته في الزراعة يكاد لا يزور الا بيت خاله مفيد .

وكانت ألفت هانم تستقبله أحسن استقبال ، فقد كانت تقدر انه أكرم ابنتها غاية الاكرام ، ولم يحبس عنها كرمه طول حياتها ..

وكان كثيرا ما يجد في بيت ألفت أختها رحيمة .. قد أنس اليها ووجد فيها سيدة طيبة النفس لا خبث فيها ولا دخل . تكثر من الحديث عن سجية مواتية ، وتذكر خاصة شئونها وكأنها أمورا عامة ينبغي ان تذاع على جميع الناس . حتى العلاقات الحميمة بينها وبين زوجها لا تخفي منها شيئا .. بل انها حتى لا تخفي شيئا من فقر ابنتها هند وزوجها حامد .. وكانت تروى عن حامد لا تخفي من أسرار عمله شيئا ، وكان صابر يجد في رواياتها ايناسا ومتعة ..

ـ ترى الأني وجيد .. خلا بي البيت بعد وداد ؟ ولكنني من ذكر الله في شعور عميق الفيض .. انني أسبح في الملكوت الأعلى غنيا عن العالمين .. ما أحقر الانســان مهما يرتفع بروحه الى عليين في أسمى رحاب ، يظل بجسمه بل وبتفكيره أيضا عبد الأرض التي ما يزال يعيش عليها . يحتاج الانسان في الأرض الى الانسان دائما .. ما دام يعيش حياة الأرض فهو في حاجة الى الانسان .. والا فما هذه السعادة التي تغمرني وأنا أستمع الى رحيمة ؟ وما هذا الجدل الذي يعتريني .. وأنا أسمعها تروى عن ربو زوجها ، وعن فقرها مذ زواج ابنتها ، وعن خيبته أيضا وكيف أنه لا يعرف شيئا في الدنيا الا المدرسة والتلاميذ .

في يوم من بعد الظهيرة صحب طفليه الى بيت جدتهما .. وكانا قد أصبحا شابين . وكانت جدتهما كثيرا ما تشكو اليه تقصيرهما في زيارتها ، فاضطر أن يشدد عليهما النكير ليصحباه اليها والى جدهما مفيد ، وواجهته في البيت سحابة سوداء من الحزن والأسى يعرف ملامحها ، وان كان لم يدر في يومه هذا سببها .

وسأل وجاء الجواب :

ـ حامد زوج هند

ـ ماله ؟

ـ أصابته نوبة قلبية خطيرة .

ـ وأين هو الآن ؟

ـ فى البيت ٠٠ رفض الطبيب أن ينقله الى المستشفى فأية حركة خطرة عليه ٠٠

ـ لا حول ولا قوة الا بالله ٠٠ كم عمره ؟

ـ فى الخامسة والأربعين تقريبا ٠٠

ـ أتريدان الذهاب اليه ؟

ـ أنا أريد أن أذهب ومفيد يرفض ٠٠

ـ يابنى الطبيب مانع الزيارة ٠٠ وأنا أعلم فى هذه الحالات أن الزيارة خطرة ، فما ذهابنا ؟

ـ يا أخى أذهب الى أختى وابنتها ولا أدخل اليه ٠٠ الطبيب مانع زيارة المريض لا زوجة المريض ولا حماته ٠٠

ـ وحين نذهب أليس من الطبيعى أن يقدموا لنا قهوة واكرامية ، ونشغل البيت جميعا عن المريض الذى يحتاج الى كل عناية ؟

ـ يا مفيد الله يهديك ٠٠ ليس من المحتم أن تقدم لى أختى أو ابنة أختى اكرامية ٠

وأخيرا تكلم صابر :

ـ أنت محق يا عمى ، ولكن من وجهة نظر أخرى أرى ألا نتركهم وحدهم ، وقد يحتاج الأمر الى من يعينهم فى هذه الفترة الحرجة ٠

وقالت ألفت :

ـ قل له يابنى ٠

وقال مفيد :

ـ أترى ذلك يا صابر ؟

ـ أعتقد ذلك ٠

ـ هل معك سيارتك ؟

ـ نعم ٠٠ هيا بنا ٠

والتفت الى ولديه وطلب اليهما أن يعودا الى البيت ٠٠

وفى بيت حامد رأى صابر مصدر الوجوم الحزين الذى لقيه فى بيت حميه ٠٠ مسكينة هند ! الهلع والحيرة والخوف والأمل والاضطراب والجهد المستميت للسيطرة على نفسها ، حتى تظل متماسكة لتراعى المريض وترعى شأنه ٠ ورأى محياها يكسوه ذلك الشعور بالوحدة القاتلة ٠ أعلم أنهـا

لا ولد لديها ولا ابنة ·· ولكن لها أبوها داود أفندى الدمراوى ·· ولها أمها ·· هيهات ! الأم مهما تكن خفيفة الظل كثيرة الحديث الا أن وجودها عند الشدائد يصبح كالعدم · والأب مشغول نهاره بالمدرسة التى يعمل بها مدرسا ، وليله بتلاميذ الدروس الخصوصية الذين يصيب منهم مالا قليلا يعينه على الحيـاة ، وعلى شراء أدوية الربو الذى أصيب به منـذ سـنوات ·

لا عجب اذن أن تصبح هند وحيدة ·

وكغريق لقف طوق النجاة !

ـ الحمد لله أنكم جئتم ·· هل سيارتك معك يا صابر ؟

ـ نعـم ·

ـ هذا دواء كتبه الدكتور لحامد ولم نجد له أثرا فى الصـيدليات القريبة ·

ـ لحظات وأكون عندك بالدواء ·· كيف حاله ؟

ـ ربنـــا يسـتر ·

وراح صابر يمر بالصيدليات فى اصرار واخلاص ولم يجد الدواء الا بعد قرابة ساعتين · ولم يدر لماذا خامره هذا الشعور بالسعادة حين وجده ·· ان صلته بحامد صلة غير حميمة ، وربما تكون لقاءاته بهند كثيرة حين يلقاها فى بيت حميه · ولكنه كان كلما لقيها يحس أنها تحمل ألما دفينا عميقا فى الأغوار البعيدة من نفسها ·· ترى ما سر هذا الألم ؟ ·· مسكينة هند انها لا تجد أحدا تفضى له بأحزانها فأمها مشغولة بالحديث عن الاستماع وأبوها مشغول بالحياة عن الحياة ·· والابنة تطوى نفسها على هذا الألم لا يدرى مأتاه وان كان واثقا منه ··

رقيقة الملامح هى جميلة غاية الجمال لو أن الاشراق تلألأ فى ثامات وجهها لأصبحت قمة من الحسن لا تدنو اليها قمة ·· يعرفها منذ كانت طفلة ولكنها لم تكن تزور خالتها كثيرا فهى أكبر من وداد ·· وكانت قليلة الزيارة بعـد الزواج · وحين ماتت زوجته أصبحت رؤيته لها بالصدفة ولكنه لسبب لا يدريه كان يشعر نحوها بنوع من العاطفة يعجز عن وصفه· ليس حبا ·· فهو لا يتصور أن يحب سيدة متزوجة ·· والعاطفة عنده مهما تكن جياشة الا أنها خاضعة للعقل بالسليقة يقمعها قبل أن تشتط ويردها دون التمادى قبل أن يصل الأمر بها الى الثورة ··

وصل صابر بالدواء ·· فطالعه ذلك الصراخ الذى يعلن به نساء مصر عن الموت ·· وسارع بالصعود ووضع الدواء الذى لم يصبح ذا فائدة على منضدة بجانب الباب ·· وضعه فى خفية وعلى استحياء وكأنه يقوم بعمل مخجل ·· وذهب الى خاله مفيد :

ـ خالى اذهب انت الى البيت واترك الأمر لى ··

وكأنما كان مفيد ينتظر اشارة تبعده عن هذا الكرب العظيم ··

وتولى صابر الأمر وظل ملازما لهند حتى تمت كل الطقوس التى تعود الناس أن يقوموا بها بعد الوفاة ·

وبعد أن مرت الأيام الثلاثة التى تتقاطر فيها السيدات الى بيت العزاء تحرى أن ينفرد بهند :

ـ ماذا أنت صانعة ؟ ··

ـ لا شىء ·· أحسب أننى سأعود الى بيت أبى ··

ـ طبعا ولكنك هناك كيف ستعيشين ؟ ··

ـ على أبى أن يقوم بشأنى ··

ـ أعلم ذاك أيضا فهذا واجبه ولكن ····

ـ أعرف كل ما وراء لكن ·

ـ حامد لم يترك لك شيئا طبعا ··

ـ من أين ؟ أنت تعلم أنه كان مدرسا فى اول حياته ، وكان المرتب لا يكاد يفى بمطالبنا ··

ـ اسمعى يا هند ! ربما لم تتح لنا الأيام أن نلتقى كثيرا ، ولكننى أعرف عنك من والدتك كل شىء ·· ولك أن تتأكدى أنك ستجدين فى بيت أبيك كل ما تحتاجين اليه ··

ـ كيف عرفت ذاك ؟ ··

ـ أنت ابنة خالة وداد ·· وفى مكان الخالة لأولادى ·· وتأكدى أننى لو لم أكن واثقا مما أقوله لما قلته ··

ـ أكاد أفهم ولكن لا أريد أن أفهم ·· لأننى اذا فهمت ربما تأخذنى العزة ، وربما فعلت ما لا ينبغى لى أن أفعل ··

ـ اذن يحسن بك ألا تفهمى ·· كل ما عليك أن تطمئنى ·

وذهب من فوره الى بيت داود الدمراوى ·· وكما توقع لم يجد الأب هناك ووجد الأم ·· وعاجلته رحيمة :

ـ هل سيارتك معك ؟ أريد أن أذهب لهند وآتى بها ··

ـ ستذهبين وستأتين بها ، فقط انتظرى قليلا لنتحدث ·· فلى أيام لم أحدثك ·

ـ أرأيت يا صابر ما أصابنا ·· مصيبة كبيرة يابنى يا صابر ·· البنت ما زالت صغيرة ·· وكالقمر ·· تصبح أرمل وهى فى هذه السن ! وماذا ستفعل ·· وكيف ؟ ··

وقاطعها صابر فى حزم :

ـ يا خالتى رحيمة أسكتى ··

وفوجئت رحيمة يرتسم على محياها وجوم ذاهل ، وأكمل هو :

ـ للمرة الأولى وربما الأخيرة أريدك أن تسمعى بدلا من أن تتكلمى ·· وللمرة الأولى وربما الأخيرة سأتكلم انا ··

وظلت على ذهولها وأكمل هو منتهزا فرصة صمتها :

ـ عم داود ليس صغيرا فى السن والمرض بجهده ، وما يكسبه من الدروس الخصوصية لا يكاد يفى بثمن أدويته ·· وأنا أعلم أنكم فى ضائقة وأن وجود هند معكم سيزيد هذه الضائقة احكاما ·· أمسكى هذا المبلغ ·· سأقدم اليك كل شهر مثله ، بشرط واحد ألا تعرف خالتى ألفت شيئا ، ولا تعرف هند شيئا ، ولا يعرف عم داود أيضا شيئا ·· واذا احتجت الى أكثر منه أثناء الشهر ما عليك الا أن تطلبى منى ·· فأنا أعرف أنك تعتبريننى مثل ابنك ، وسيظل هذا الأمر سرا بيننا الى أن يقضى الله أمرا كان مفعولا ··

وازداد ذهول رحيمة وحاولت أن تفتح فمها ، ولكنه عاجلها :

ـ ولا كلمـــة ··

وأخيرا قالت بلسان غير ثابت وبدموع جارية :

ـ يابنى لأول مرة لا أجد شيئا أقوله ·· الا كلمة واحدة سأقولها وأصمت : وسع الله عليك وأكرمك فى نفسك وفى أبنائك !

ـ هيا بنا ·

ـ هيـــا ·

★★★

(٣)

في ذكاء شـديد كان صابر يحـرص غاية الحـرص على أن يترك عبد الغنى وعبد الودود فى القرية ويذهب هو الى القاهرة ، ويترك لهما حرية التصرف وهو يرقبهما من بعيد يجيز ما يجيز من تصرفاتهما ويرفض ما يرفض دون أن يشعر واحدا منهما أنه يرفض تصرفه ٠٠ بل هو يعالج الأمر فى كياسة وتلطف حتى لا يحرج صاحب الرأى أمام أهل البلدة ٠٠

وفى يوم من هذه الأيام التى انفرد فيها الشابان الصغيران بالأمر لغياب والدهما ، قصد الى عبد الغنى ناظر الزراعة هنداوى فراج ومعه سعدان الدهموشى مقاول تطهير المصارف وقال هنداوى :

ـ هل ترك البك معك حق سعدان يا عبد الغنى بك ؟

ـ نعـم ٠٠

ـ لقد انتهى من تطهير المصارف ٠٠

ـ لقد مررت عليها ورأيتها ؟ ٠٠

ـ مصرفا مصرفا ٠٠

ـ وهل تظن أنى أصدقك ؟ ٠٠

ـ ان لم أكن محل ثقة ما استخدمنى جدك ، وما أبقى على أبوك ٠٠

ـ نعم ٠٠ نعم ٠٠ أعرف هذا الموال ٠٠ ولكننى غير أبى وجدى ٠٠

ـ بالتأكيد يا عبد الغنى بك ، أنت غير أبيك وجدك ٠٠

وتدخل عبد الودود فى الحديث محتدا :

ـ ماذا تقصد بهذا يا عم هنداوى ؟

ـ لم يعد هناك داع لكلمة عم هذه ٠٠ فانك أنت وعبد الغنى بك نسيتما أيام كنت أحملكما على كتفى ونسرح فى الغيط ، ونشوى الذرة وتأكلانه ٠٠

ـ وهل معنى هذا أن تأكلنا ؟ ٠٠

ـ أنا يا عبد الودود آكلكم ؟!

ـ عبد الودود هكذا بلا حياء ٠٠

ـ لقد كبر الرجل يا عبد الودود ولم يعد يفهم ٠٠

ـ جاد خيرك يا عبد الغنى أنت وأخوك ٠٠ سلام عليكم ٠٠

وانتتر عبد الغنى غاضبا :

ـ سلام عليكم الى أين ؟

ـ الى بيتى ولكم أب أرد عليه ٠٠ ان كان هذا يعجبه يكون لنا كلام آخـر ٠

ـ ألا يعجبك أنت ؟ ٠٠

ـ لا يعجبنى٠٠ولا يعجب أحدا يعرف معنى احترام الصغير للكبير٠٠ سلام عليكم ٠٠

ـ وفلوس سعدان ؟

ـ سعدان عندك والمصارف عندك ، افعل ما تريد ٠٠

وصاح سعدان :

ـ انتظر يا عم هنداوى خذنى معك ٠٠ ان الله الغنى عن الفلوس ان كنت سآخذها من البهوات ٠٠ خذنى معك ٠٠

وخرج الاثنان وقال عبد الغنى :

ـ أرأيت أن أبى يدير الأرض بضعف شديد ٠٠ وهذا الرجل والذين يساعدونه يأكلون أبى أكلا ٠٠

ـ انه ليس له عمل الا عبادة الله ٠٠ أما الأرض فهو لا يهتم بهـا ويتركها لهؤلاء اللصوص ٠٠

ـ لو تركها لنا لجعلنا دخلنا من الأرض عشرة أضعاف انتاجها الآن٠٠

ـ على كل حال أين ستذهب الأرض انها لنا آخر الأمر ٠

ـ مت يا حمار ٠٠ ان أبى ما زال صغيرا ٠٠ هل سننتظر حتى تصبح الأرض ملكنا ؟

ـ ويلك ماذا تريد أن تفعل ؟!

ـ لا ٠٠ ليس الى هذا الحد ٠٠ وانما علينا أن نراقب نحن الأرض ونحاول ابعاد اللصـــوص عنها ، ونطلب الى أبينا أن ينشغل هو بالعبادة والتفرغ للفروض والسنن ٠٠

ـ وهل يقبل ؟

ـ نسايسه .

ـ واذا رفض ؟

ـ نسكت بعض الوقت ثم نعاود الكرة

★★★

(٤)

مر أكثر من عام على موت حامد ، والمرتب الذى فرضه صابر على نفسه لم ينقطع يوما عن يد رحيمة .. وكان صابر يتحرى أن يذهب الى بيت داود أفندى فى الأوقات التى يكون واثقا فيها أنه سيجد داود خارج المنزل ، وأن حماته ليست فى زيارة لأختها ..

وكان يدخل فتستقبله رحيمة ومعها هند .. وفى ذكاء متفق عليه تقوم هند لتعد له القهوة ويسلم هو الظرف الى رحيمة .. وحين تعود هند بالقهوة يبدأ الحديث واغلبه طبعا للست رحيمة ولكن الحديث الطويل الطريف الضاحك لم يستطع أن يمنع نظـرات أن تلتقى خلجات زجهين وابتسامات شفاه مختلسة أن تتشابك فى حوار عالمى طويل ، ربما كان جديدا على صابر وربما كان جديدا على هند ولكنه باليقين والقطع ليس جديدا على البشرية منذ أكل آدم تفاحة حواء .. وان يكن صابر قد تزوج وداد بعد حب ، الا أنه كان يصارحها بحبه ، وما كان فى حاجة أن يختلس النظرة أو الخلجة أو الابتسامة ..

وان تكن هند قد تزوجت من حامد .. فانها لم تكن تدرى ما الحب معه . فقد تزوجها لأنه تعرف الى أبيها فى المدرسة . وعرف أن لديه ابنة جميلة من الزملاء .

وكان صابر يحرص ألا يجعل زيارته مرة كل شهر ، مدعيا أنه ينبغى أن يزور فى الشهر مرات حتى لا تعرف هند أنه يقدم اليها معونة .. ويحاول صابر فى جهد جهيد أن يخفى عن نفسه أنه يحب . ويحاول أن يرفض هذا الحب مدعيا أنه ينبغى ألا يتزوج بعد أن فقد زوجه وهواه .. ويحاول أن يقنع نفسه بأن هند هى أيضا ربما ترفض الزواج بعـد فقد زوجهـــا ..

وتتماع الحجج التى يسوقها لنفسه والتى يتوهمها لهند .. ويفرض الحب نفسه وتفرض البشرية نفسها .. فعندها لا فارق بين عابد وغير

عابد ، فكلهم عند مطالبها بشر ، وكلهم .. وكلهم .. عليهم أن يخضعوا لبشريتهم ولهم أن يختاروا طريق الخضوع .. منهم من يختاره فى خفاء عن عيون الناس وفى معصية لشرائع السماء ، ومنهم من يختاره فى عربدة بوهيمية .. ومنهم من يختـــاره بالطريق المشروع فى نزاهـة وشرف ووضوح ..

ذهب صابر فى ذلك اليوم الى بيت داود .. واستقبلته رحيمة وعلى ملامحها معالج جد غريبة على وجهها .. واستقبلته هند وفى محياها وجوم لم يره على محياها منذ شهور ..

وذهبت هند الى القهوة المزعومة ، وسارعت رحيمة تقول :

- ياسى صابر .. هند جاءها عريس ..

ونزل عليه الخبر فى مفاجأة وعجب ، وفكر قليلا ثم ما لبثت نفسه أن عادت الى رشدها . وما العجب أن أفكارك وتخيلاتك لا تستطيع أن تفرض نفسها على الناس ، وما دمت أنت لم تتقدم فأى عجيبة أن يتقدم غيرك . وما دامت رحيمة تنهى اليه خبر العريس وما دامت هند واجمة ..

- انى أخطب اليك هنــد وأبانى داود أفنــدى ، ومستعد للزواج فــورا ..

وانبسط ما كان معقدا على وجه رحيمة :

- هل أنت جاد !

- وهل فى هذا هزل ؟

- وأختى .. أتظنها توافق ؟ ..

- من المؤكد أنها ستوافق .. فأى أم لولدى خير من هند ؟

- نعم .. ستوافق على بركة الله .

ودخلت هند بالقهوة وعاجلتها أمها :

- ارجعى بالقهوة وهات الشربات لعريسك ..

وابتسمت هنـد وأطرقت فى خجل لا صنعة فيه ، وعادت لتأتى بالشربات ..

الآن سار الأمر فى طريقه الصحيح ..

(٥)

قال لولديه :

ــ انى سأتزوج ٠

وقال عبد الغنى :

ــ ألم نكبر على الزواج ؟ ٠٠

ــ من تقصد بالكبر ٠٠ أتقصدنى أم تقصد نفسك وأخاك ؟

ــ أقصد الجميع ٠

ــ أما عنى فكثيرون تزوجوا لأول مرة وهم فى مثل سنى ٠ أما عنكما فلو كنت تزوجت وأنتما صغيران لقيل لكما أتى لكما بامرأة أب تعذبكما ٠٠ فاذا انتظرت حتى تصبحا شابين يستطيع كل منكما أن يقوم بشأن نفسه قلت انكما كبرتما ٠٠ وقال عبد الودود :

ــ والخلاصـــة ؟ ٠٠

ــ الخلاصة أننى سأتزوج وضميرى مستريح ٠٠ والخلاصة يا قليل الأدب أن على الانسان فى هذه الحياة أن يرضى ربه ويرضى ضميره ويتوكل على الله ٠٠ ومن يرض بعد ذلك فليرض ، ومن يغضب فليغضب ٠٠ اغربا عن وجهى ٠

وفى استخذاء خرج الابنـــان حتى اذا آمنا العيـون والآذان قال عبد الغنى :

ــ فليتزوج ألف مرة المهم ألا يأتى لنـا بأبناء يشاركوننا فى الأرض والثروة ٠

وقال عبد الودود :

ــ ما دام سيتزوج ، فالطبيعى أن يأتى بأولاد ٠

ــ طيب فليأت هو بهم وسترى ماذا أنا فاعل ٠٠

ــ وماذا يمكن أن تفعل ؟

ــ كل شيء بأوانه ٠

ــ ألا أعرف ؟

ــ وهل سيعرف الا أنت ٠٠ سترى ٠٠

★★★

تزوج صابر بهند ·· وحين دخل بها طالعته مفاجأة عجب لها كل العجب ·

ـ كيف ذاك ؟

ـ وماذا كان يمكن أ نأفعل ؟ ··

ـ لقد عشت معه ست سنوات ·

ـ هذا حظى ···

ـ لماذا لم تقولى لأمك ؟

ـ أمى لا وقت عندها أن تسمع شيئا ، وخاصة اذا كانت الأخبار التى ستسمعها غير سعيدة ··

ـ أتعنين أنه لم يقترب منك ··

ـ رحمة الله عليه ، قبلنى يوم الدخلة وأفضى الى بالحقيقة ··

ـ ولماذا قبلت ؟

ـ خجلت ·

ـ أى سنوات عشتها !!

ـ قلت فى نفسى هذا حظى المقسوم ، وعلى أن أحتمل ··

ـ وهو كيف قبل ؟

ـ كان يريد أن يبدو أمام الناس رجلا ··

ـ على حسابك ؟

ـ المهم أنه أمام الناس زوج ·

ـ ومن أجل هذا يفرض عليك رهبنة ، الله يعلم الى متى كانت ستظل مفروضة عليك ·

ـ رحمه الله !

ـ ولكنك حزنت لأجله ·· نعم حزنت ·· أنا أعرف الحزن حين أراه ··

ـ عشرة لا تهون ·· ومات صغيرا ··

ـ ولكنه كان قد فرض عليك الظلم ·

ـ كان يحسن معاملتى ··

ـ هل بشر هذا الذى أراه فيك ·· أم نوع من الملائكية لا تعرفه البشرية ؟!

ـ بل انسانة ٠

ـ فى أعلى مراتب الانسانية ٠

ـ لا تبـــالغ ٠٠

ـ بل انى مقصر فى الوصف ٠

ـ أكنت تعرفين أنه مريض ؟

ـ لقد مرض ومات فى ثمان وأربعين ساعة ، كان قبلها فى أتم صحة وعافية ٠٠ بل اننى لا أذكر أنه مرض مرضا يستحق أن يطلب من أجله اجازة طوال سنوات زواجنا ٠٠

ـ كم تعذبت !

ـ وحدى ولا يدرى أحد ٠

ـ كنت أرى فى عينيك أسى ووحدة وألما دفينا ٠٠

ـ ولكن أمى لم تر من ذلك شيئا ٠

ـ أمك هذه شخصية فريدة فى نوعها ٠

ـ لو رأيت كم كانت تلح على أن أذهب الى الأطباء ليعرفوا السبب فى عدم انجابى لدهشت ٠٠

ـ وماذا كنت تقولين لها ؟ ٠٠

ـ أقول لها الله هو الرازق اتركيها على الله ٠٠ وطبعا لم أذهب الى طبيب ٠٠

ـ وهى ألم يدهشها اصرارك على الرفض ؟

ـ كانت تفرغ دهشتها بأن تروى أمرى للناس وتجعل من حكايتى موضوع حديثها ٠

ـ نعم أنت محقة ٠٠ طالما سمعته منها ٠٠

ـ وكانت تأتى الى بالوصفات والأحجبة ٠٠

ـ وتعتقد أنها قامت بواجبها ٠٠

ـ هكذا هى ٠٠

ـ أنت عظيمة يا هند ٠

ـ لعل الله أن يكرمنى بك ٠

ـ أعدك أنك لن ترى منى الا ما يرضيك ٠٠

– وأنا أعرف صدقك عندما تعد .. بل أنت صادق في كل ما تقول أو تفعل ..

– ان الصدق عبء ثقيل .. أعانني الله عليه ! ..

– سيعينك ان شاء الله.

– الآن عرفت أنني أثير عند ربي .. فان الانسان يكون في قمة السعادة اذا وهبه الله زوجة صالحة .. وها هو ذا سبحانه يهب لي زوجتين صالحتين .

– رحم الله وداد ! .. كانت صالحة .

– وأنت صالحة وصابرة ، وفيك ملائكية لا أعرف أن احـدا من النساء تقاربك فيها ..

– أنت تبـالغ ..

– أكرمك الله كما أكرمت زوجك الأول وكما سترت عليه ..

– سيكرمني بك ان شاء الله .

***

(٦)

التحق عبد الغني بكلية الزراعة ولحق به عبد الودود في العام التالي . وبعد أن كان سيرهما في الدراسة من ذلك النوع المتوسط الذي لا نبوغ فيه ولا نكوص ، فكلاهما لم يسقط ولكن نجاحهما دائما كان نجاحا غير مرموق .. اذا بهما كلاهما ينبغان في الزراعة نبوغا يدعو الى دهشة من يراقبهما .. وأدرك الأب من هذا النبوغ المفاجيء ، ومن شواهد أخرى كثيرة أنهما يتعجلان التحكم في الأرض تحكما كاملا . وان كان كل الآباء يسعدون بأن يصبح أبناؤهم نبغاء .. فان شيئا كالغصة كان يقمع الفرح في نفس صابر .. فما أحب اليه أن تكون الأرض عزيزة عند ابنيه .. ولكن ما أشد كراهيته أن تصبح الأرض هي العزيز الوحيد عند ولديه ، فقد كان المال عنده وسيلة ليعيش كريما على نفسه وعلى أسرته وعلى الناس . ولم يكن المال عنده في يوم من الأيام غاية في ذاته ..

وباقتراب صابر من رحاب الله أصبح ذا نفس شفافة ترى ما لا يراه

سائر الناس ، وبنوع من الروحانية التى لا يعرف البشر ماتاها كان يحس بمواطن الخطر المتخفى وراء أستار الطمأنينة والبشريات ..

★★★

كان الأخوان لا يفترقان الا اذا ذهب كل منهما الى محاضرته ، ثم هما متلازمان فى الكلية وفى البيت وفى القرية .

★★★

بعد شهرين من زواج صابر بهند بدأت أعراض الحمل .. وجاء الطفل فى موعده المقدور مشرقا اشراقة لم يعهدها صابر فى ولديه ..

ــ ماذا سنسميه ؟

ــ كنت أرجــو أن يكون لابنى أخت ، أستحضر أســـماء البنات لا البنين ..

ــ أغضبت أن جئت لك بولد ثالث ؟ ..

ــ أيغضب أحد من مجىء ولد ؟ فكيف بمؤمن بالله ايمانى .. وكيف اذا كان الغلام بهذا الاشراق ؟ .. ان النور يبهر من ينظر الى مهده ..

ــ فماذا نسميه ؟

ــ أرى أنك تضمرين له اسما ..

ــ كان يدرس لى فى المدرسة شيخ طاهر وضىء السمت والضمير كنت أشعر بالسعادة كلما رأيته ، وكنت أحرص دائما أن أقبل يده فى كل صباح .. وكان أملى أن يهب الله لى غلاما وأسميه باسمه ..

ــ صديق اذن ؟

ــ أتعرفه ؟

ــ طالما ذكرته لى ونحن نسمر .. هل نسيت ؟

ــ كانت أحاديث عابرة .

ــ اسمعى ! لقد كنت أنوى أن أسميه صديق ، ولكننى أردتك أنت أن تسميه .. فقد خشيت فى نفسى أن يكون حبك للشيخ من قبيل التبرك والاعجاب فقط ، وليس لدرجة أن تسمى ابنك الأول على اسمه ..

ـ هذا أملى ٠

ـ وليكن صديقا على بركة الله ٠٠

★★★

وقال عبد الغنى :

ـ اذن فقد أنجب الشيخ الزاهد ٠

وقال عبد الودود :

ـ أليس من الطبيعى أن تلد الزوجة لزوجها ؟ ٠٠

ـ أنت غبى ٠

ـ أى غباء فى أن يتزوج اثنان فتلد الزوجة ٠٠ أو لم تكن تعلم أنها ستنجب منذ عرفت أنها حامل ؟ ٠٠

ـ كنت أعرف طبعا ، وكم صليت ورجوت الله ألا تكمل حملها ٠٠

ـ وأى سر فيك يجعل دعاءك عند الله مجابا ؟

ـ وها هو ذا لم يستجب ، ولكنك أيضا غبى ما تزال ٠٠

ـ أنا موافق ، فقط أخبرنى فيم غبائى ؟

ـ ألا تدرى أن هذا الولد سيجعل ميراثنا ينقص بمقدار الثلث ، غير نصيب الثمن الذى ستحظى به هند هانم اذا عاشت بعد أبى ٠٠

ـ أمن أجل هذا ترانى غبيا ؟ ٠٠

ـ طبعـــا ٠

ـ ولكن النتيجة التى وصلت اليها لا تحتاج الى أى ذكاء ، فما دام قد أنجب فلابد أن يرث ابنه ٠٠

ـ هذا اذا عاش الابن ٠٠

ـ وفزع عبد الودود فزعا شديدا ٠

ـ ماذا تقول ؟!

ـ ألم تسمع ؟

ـ فقط أتعجب ٠

ـ الموت حق ؟

ـ على كل البشر .. ماذا الذى جعلك واثقا أننا سنعيش بعد موت أبينـا ؟ ..

ـ سنة الحياة ..

ـ وهل سارت الحياة دائما على هذه السنة ؟ .

ـ الاستثناء لا يقاس عليه ..

ـ ألم تقدر أننا قد نرث ثم لا يكون لنا بنين أو بنات ، فيرث صديق كل ما نملك ؟ انه أصغر منـا بسنوات طويلة .. انه ولد ونحن فى الجامعة فمن طبيعة سنة الحياة أن نموت قبله ..

ـ من الذى يشكل الحياة ؟

ـ الميلاد والموت لا يشكلهما الا الله .

ـ أما الميلاد فنعمة .. أما الموت ..

ـ أتريد أن تشارك الله فى ملكوته ؟ ..

ـ أدافع عن حقي .

ـ ولكنه حق صديق أيضا .

ـ من قال له يأتى ونحن فى هذه السن ؟

ـ اذن لو كنت تكبرنا بعشر سنوات لقتلتنى ؟!

ـ الأمر مختلف .. لقد تعودت وجودك واستقر فى ذهنى أن ليس لأبينا وارث الا أنا وأنت ..

ـ ولكن الأمر تغير .

ـ نغيره مرة أخرى .

ـ كيف ؟

ـ سترى ..

★★★

حرص صابر أن يبقى صديق فى غرفة نومه منذ مولده .. وأمر هند أمرا صارما ألا تفارقه لحظة..ألم أقل لك انه قريب من الساحة الربانية ؟..

(٧)

بلغ صديق الخامسة من عمره ، وكان قريبا كل القرب من أبيه يكاد لا يتركه لحظة من حياته · بل انه كان يصحبه كلما خرج لزيارة أصدقائه ·· ودون أن يدرى جعل صديق لا يعرف ساحة اللعب التى يهفو اليها الأطفال · فهو أغلب وقته مع أصدقاء أبيه فى مجالس الكبار ·

ولكنه طفل ·· وللطفل رغبته العارمة فى اللهو والمرح ·· وأدركت هند ما يصبو اليه طفلها ··

ــ يا صابر ألا تترك صديق يلعب مع الأطفال ··

ــ هل شكا اليك ؟

ــ هو لا يحتاج الى الشكوى ·

ــ سيدخل المدرسة هذا العام ·

ــ وهذا العن ·· ينتقل من الجلوس الى الكبار ليجلس الى الدرس والمــــدرس ··

ــ افعلى ما شئت ··

ــ اتركه لى قليلا ·

ــ ما ترين ·

وحاولت هند أن تنشىء له علاقات مع أطفال من سنه ·· وبدأ صديق يعرف لهو الطفولة ·· ولكن لم يكد ·· فما أسرع ما لقفته المدرسة ·· وبدأ ينتظم فيها ··

ويشاء بارىء النفوس أن تكون صحبة صابر لصديق نعمة له أى نعمة ·· فقد وجد صديق نفسه فى المدرسة متقدما يستمتع بالدرس الذى يضيق به جميع الأطفال ، ووجد نفسه فى فناء المدرسة محبوبا من اخوان ملعبه يجدون فيه وقار لا يتسنى لأحد منهم · ودون أن يشعر هو أو يشعر زملاؤه أصبح زعيم الأطفال وقبلتهم ·· كلمته بينهم مسموعة مستجابة ·· فلا خلاف ينشب الا قضى عليه صديق · وزاده بينهم مكانة تفوقه المذهل فى الدراسة ، وكان مجرد سماعه للدرس يجعله يحفظه وكأنه قرأه عشرات المــرات ·

ومرت سنة دراسية وانتقل بيت صابر الى القرية ·· وما ان يستقر بهم المقام حتى يقول عبد الغنى لأبيه وهم جلوس الى مائدة الغداء :

– بابا ·· نريد أن نذهب الى المصيف ··

ويصمت صابر قليلا ويقلب الأمر فى ذهنه :

– ما المانع ؟ ·· فكرة وجيهة ·

وتقول هند :

– أى والله لماذا لا ؟

ويقول صابر :

– أتفكر فى مصيف خاص يا باشمهندس ؟ ··

– باشمهندس مرة واحدة !

– ألم تتخرج فى الزراعة وأصبح لقبك المهندس الزراعى ؟

– والله أنا أفكر فى الاسكندرية ·· ما رأيك أنت يا باشمهندس عبد الودود ؟

ويضحك عبد الودود وينظر لأبيه :

– أنا أوافق على أى مصيف ·

ويقول صابر :

– ما رأيكم فى رأس البر ؟

ويقول عبد الغنى :

– لماذا اخترت رأس البر ؟

ويقول صابر :

– مصيف هادىء ، ولا أخشى على أخيكم صديق ··

★★★

وفى رأس البر يحاول عبد الغنى أن ينفرد بصديق فى البحر فتضيق عليه المسالك ·· ويقطع أبوه عليه كل تدبير دون قصد فهو معهم دائما ، وهو حريص كل الحرص أن يكون صديق فى ذراعه ·· وقد عن له منذ اللحظة الأولى لنزولهم الى البحر أن يعلمه العوم ·· ولكن عبد الغنى يقول له :

ـ يا بابا هذا العوم يصلح لترعة البلد ولا يصلح للبحر الأبيض المتوسط ..

ويضحك صابر وهو يقول :

ـ أليس كله عوم يا باشمهندس ؟

ـ لا ، هناك العوم الذى يجعل الانسان طافيا . وهناك العوم المبنى على قواعد وأصول .

ـ أتعرف أنت هذا العوم ؟ .

ـ تعلمته فى الكلية على يد مدربين .

ـ أتريد أنت أن تعلم أخاك ؟

ـ طبعا ، اذا علمته أنا سيكون هناك فارق كبير بين تعليمى وتعليم سعادتك ، مع احترامى الشديد ..

ـ ولكنى أرفض أن أشغلك بهذا ، وأنت قادم هنا للمتعة .

ـ انها متعة لى أن أعلم أخى ..

ـ لا أظن .. وعلى كل حال سأفكر فى الامر ..

وكان صابر وهند يصحبان صديق الى الشاطىء كل يوم ، بعد أن يتناولوا الغداء ويصيبوا نومة القيلولة .. وكان عبد الغنى وعبد الودود يقصدان الى الجانب الآخر من رأس البر على النيل حيث الفنادق ذات الجلسات المرحة ... حيث يجمع النيل على ضفته الشباب والشيوخ .. أما الشيوخ فيلعبون النرد أو الضمنه ، أو يسمرون مكتفين من الجمال بالنظر .. أما الشباب فيمرح ما شاء له المرح فى الأضواء المتلألئة من الكهرباء ، ومن الهواء ومن الهوى ، ومن شلالات السنين الخضر التى تريد أن تستوعب الحياة كلها فى لحظة من عمر الزمن .

وبعد ذلك الحديث عن العوم كان صابر يجلس على الشاطىء مع صديق وهند ، وكانت هند تشعر أن صديق مظلوم معهما فى جلستهما هذه وكانت تفكر . ولم يطل بها التفكير فقد رأت أطفالا فى مثل عمره يلعبون الكرة ، وفكرت كيف تستطيع أن تجعله يشاركهم اللعب دون أن تفرضه عليهم فرضا .

استأذنت زوجها :

ـ صابر .. سأغيب عنك بعض دقائق ..

ـ الى آين ؟

ـ ستعرف .

ـ مفاجآة ؟ ..

ـ ربمـــا .

ـ أمـرك ..

وانصرفت ، وخلا صابر بنفسه لا يجد ما يقوله لصديق كما لم يجد صديق ما يقوله لأبيه .. ودون قصد وجد صابر نفسه يفكر فيما قاله عبد الغنى عن تعليم العوم ..

ليس من حقى أن أحرم عبد الغنى من متعة العوم مع أخيه وصحبه لأجعله يعلم أخاه العوم .. قد يطيق هذا يوما أو يومين ثم يضيق بالأمر . ولكن عبـــد الغنى محق فى أن صديق يجب أن يتعلم العوم على أسسه الصحيحة وليس بطريقة عوم الترع التى تعلمت أنا بها .. هذا البحار لابد أنه يتقن العوم ..

ـ يا حـــاج ..

وجاء البحار حارس الشاطىء :

ـ تحت أمرك يا بك !

ـ ما اسمك ؟

ـ مهدى الحوت .

ـ حوت مرة واحدة ؟

ـ أسماء يا بك ، عائلتنا اسمها عائلة الحوت من دمياط من قبل أن يأتى اليها نابليون ..

ـ يا مرحبا يا عم مهدى .

ـ مرحبا بك يا سعادة البك .. أظن سعادتك أول مرة تشرفنـــا يا صابر بك .

ـ أتعرف اسمى ؟

ـ واسم أبيك ولا مؤاخذة .. وبلدك وكل شىء عنك ..

ـ كيف ؟

ـ منذ استأجرت للاصطياف هنا عرفنا كل شىء عنك ..

ودهش صابر غاية الدهشة :

ـ مخـــابرات ؟

ـ أبدا يا بك ، فقط نريد أن نعرف مع من سنتعامل فى موسمنا ؟

ـ مشهورون أنتم بالذكاء يا أهل دمياط .

ـ هذا من ذوقك يا صابر بك .

ـ قل لى يا مهدى .

ـ تحت أمرك .

ـ أنت حوت فعلا أم هو اسم فقط ؟

ـ هذا يتوقف عما تقصد بالحوت .

ـ وماذا يمكن أن أقصد ؟

ـ ان كنت تعنى أننى جشع ، أو أننى أبتلع الأسماك الأخرى فأنا لست حوتا ..

وضحك صابر حتى أغرورقت عيناه بالدموع وقال :

ـ بل أقصد هل أنت حوت فى العوم أم لا ؟

ـ آه من هذه الناحية أنا ـ والحمد لله ـ أعظم من الحوت .. تعلمت العوم قبل أن أتعلم المشى .. ونحن يا بك لا نعين هنا الا بعد اختبارات دقيقة ..

ـ عظيم ؟ اننا سنصبح أصدقاء أيها الحوت العظيم .

ـ تحت أمرك .

ـ أريد أن تعلمنى وتعلم ابنى هذا العوم .

ـ من عينى الاثنين ..

ـ نبدأ من الغد .

ـ ومن الآن اذا أردت ..

ـ غــدا نبــدأ .

ـ يحسن أن يكون هذا فى باكر الصباح ، حتى لا يكون البحر مليئا بالمصطافين .

ـ البركة فى البكور .. أنا وابنى نصلى الفجر حاضرا والحمد لله .

ـ اذن نأتى اليك فى السابعة ..

ـ على بركة الله .

وانصرف مهدى ، وما هي الا دقائق حتى أقبلت هند فى يدها كرة غاية فى الأناقة أعطتها لصديق وقالت له :

– قـم فالعب بهذه الكرة .

– وحدى يا نينـا ؟

– أنا سألعب معك .

وصاح صابر :

– وأنا أيضا .

وفرح صديق وهو يقول :

– حقـا ؟

وقام ثلاثتهم . وما أن ظهرت الكرة تتألق على ضوء الشمس التى بدأت تستعد للرحيل ، حتى تحلق الأطفال الآخرون حول صديق ووالديه . وما هى الا لحظة من زمن حتى كان صابر وهند جالسين وكان الأطفال قد أصبحوا أصدقاء ملعب وكأنهم يعرفون بعضهم البعض منذ ولدوا ..

وأى شيء يمكن أن يحول بين الأطفال وبين الصداقة ؟ نفوس الجميع منهم جديدة وضيئة صافية كأنها البللور . لا يطمع أحد منهم فى الآخر ولا يرجو واحد منهم عند الآخر غنيمة .. ولا تحقد نفس منهم على نفس . أبرياء هم كالطهارة ، أنقياء كمياه السحاب . أصفياء كالنور .. متألقون كالأمل .. خلجـات الحياة هم ، واشراق الدنيـا لم يزحف عليها غيوم الغروب .

تقدم مهدى الحوت الى صابر وهند وهو مبهور :

– ربنا يحميه ابنكم جماله ليس له مثيل ..

– بارك الله فيك !

– أنا لا أجامل .. أنا أشاهد آلاف الأطفال .. لم أر جمالا مثل هذا الجمال ..

– فضل من الله .

– الجمال موهبة من عند الرزاق الكريم ..

– نحمده ونشكر فضله .

– البنات من لحظة نزوله للعب يحطن به يكدن يأكلنه أكلا ..

وتقول هند :

— يا راجل يا طيب انهن أطفال ..

— أى نعم ، ولكنهن بنات ويعرفن كيف يقدرن الجمال .. ربنا يحميه ..

وانصرف عنهما وترك الأب سعيدا والأم تتلو (قل أعوذ برب الفلق) ..

★★★

(٨)

كان عبد الغنى وعبد الودود يمشيان على نيل رأس البر بغير هدف ولا غاية .. وعن لعبد الغنى أن يجلسا الى مقهى يرقبان منها الغادين والرائحين . أو ان شئت الدقة الغاديات والرائحات . وما كادا يجلسان وقبل أن يرشفا الرشفة الأولى من زجاجة المياه الغازية ، حتى علا باسم كل منهما صراخ فرحان التفتا اليه فاذا هما ازاء زميلتيهما فى الدراسة رنده الدجوى وبجانبها فتاة تشبهها كل الشبه ، فاستنتج الأخوان فى لمحة خاطفة أنها أختها ..

— عبد الغنى صابر وعبد الودود .. ماذا تصنعان هنا ؟ ..

— من نفسنا ، أليس لنا حق الفسحة مثلك ؟ .. اقعدى ..

— وما البأس ؟ تعالى يا هند أعرفك بالأخوين المتلازمين ..

وصاح عبد الودود فى رنة اعجاب تخافت معها صوت عبد الغنى :

— أهلا ومرحبا ناهد هانم .

وفى تهريجها ما تزال صاحت رنده :

— هانم مرة واحدة .. قل مدموزيل يكون الكلام معقولا .. حضرته يا ستى عبد الودود صابر الأخ الأصغر ، قدمته عن أخيه الأكبر لأجل خاطر لقب هانم الذى أنعم به عليك .. وحضرته أخوه الأكبر عبد الغنى .. كل منهما ظل الآخر ، لا ترين الواحد منهما الا ملاصقا للآخر .

وضحك عبد الغنى وهو يقول :

— وأنت ماذا يغضبك فى هذا ؟

— متى جئتم الى رأس البر ؟

— من يومين فقط .

— نحن جئنا بالأمس .. وهذا أول يوم لنا نتمشى على النيل .. هل وجدت هنا أحدا من الاخوان ؟

— أنا مشيت هنا بالأمس فقط ، وكانت عينى تائهة لم أستطع أن أتبين الوجوه .

— أنت وعبد الودود أول اثنين أعرفهما على النيل .. ماذا تنويان أن تفعلا الليلة ؟ ..

— هل عندك أنت فكرة ؟

— هناك مركب ذاهبة الى الجربى وفيها بعض شبان ، وأنا وناهد نريد أن نذهب ولكننا لا نستطيع أن نذهب وحدنا بلا رجل نعرفه ..

— ها قد وجدت رجلين .

— هل أنت متأكد ؟

— عمى فى عينك ، وهل ستجدين رجالا أحسن منى أو من أخى ؟

— والسلام .. الموجود يسد .

ويضحك عبد الودود فى مرح شديد .. ويقول له عبد الغنى :

— علام تضحك يا أهبل ؟ .. هل تعجبك قلة أدبها ؟ ..

ويلتفت عبد الودود الى ناهد ويسألها :

— أنت يا مدموزيل ناهد ما رأيك .. هل نصلح أنا وأخى لمهمة الصحبة هذه ؟ ..

وتضحك ناهد فى جاذبية :

— رنده زميلتكم وهى التى تعرف .

— اذن فأنت موافقة على رأيها ..

★★★

وكانت ليلة من ليالى العمر .. كان ركاب المركب كلهم من الشباب ، وأزال السن ما بينهم من غربة فأصبحوا كأنهم أصحاب عمر بأكمله .. وحكم الراكبون على الفتيات أن تقوم بينهن مسابقة فى الرقص فازت فيها ناهد بالمرتبة الأولى . وكان القمر واحدا من الرفقة قد غدت أضواؤه أوتار

الهوى فى الصدور · وعلت الموسيقى أحيانا ، والضحك والسرور كانا صاحبى السيادة على الليلة جميعها ·

★★★

تكررت اللقاءات وبدأت الرغبات فى نفس عبد الغنى وعبد الودود تحتلم · ولكن الفتاتين رفضتا الا أن يكون الشرع هو الرباط بينهم ·

ـ وماله ؟

ـ هل نتزوج ؟

ـ تخرجنا ومن الطبيعى أن نتزوج ، فما البأس ؟

ـ ألا ترى أن الفتاتين متحررتان أكثر من اللازم ؟

ـ وأرى أيضا أنهما شريفتان ·

ـ لا شك ·· وكل الفتيات متحررات ·· وحسبنا أننا واثقان من شرفهما ·

ـ هل عرفت شيئا عن أبيهما ؟

ـ عرفت القليل ، انما من الواضح أنه ميسور الحال والا لما استأجر شقة للمصيف طوال فترة الصيف ·· وأنت ترى أن الفتاتين تلبسان أفخر الثياب ··

ـ ألا يهمك شىء الا المال يا عبد الغنى ؟

ـ وهل هناك ما هو أهم منه ؟ ··

ـ ولكنك فيما أعتقد لم تأت الى رأس البر لتتزوج ·

ـ الولد صديق ملازم لأبينا ·· وجاءنا أيضا الحوت فعلمه العوم على أصوله ··

ـ هل يئست ؟

ـ من رأس البر نعم ·

ـ ولكنك لم تعدل عن فكرتك ·

ـ هيهات ·· ها نحن هذان سنتزوج وسننجب أطفالا طبعا

ـ هل أنت واثق ؟ .

ـ هذا هو الطبيعى ، من يتزوج ينجب غالبا ·

ـ فلماذا تنكر هذا الحق على أبينا ؟
ـ لانه أبونا ٠
أهذا ذنبه ؟
ـ هذا قدره ٠
ـ المهم سيتكلم أنت أبى أم أكلمه أنا ؟
ـ نكلمه معا ٠
ـ على بركة الله ٠

★★★

وأقام صابر لولديه فرحا باذخا ، واستأجر لكل منهما شقة بعمارة واحدة حتى يظلا متلازمين كما تعودا طوال حياتهما ، وأتاح لهما فرصة أوسع فى ادارة الأرض وان لم يترك لهما الأمر جميعه ٠
وخلا البيت بهند وصابر وصديق ٠

★★★

(٩)

بدأ عبد الغنى ينهج نهجا جديدا نحو أخيه صديق دهش له صابر بعض الدهشة ، ولكنه فرح به كل الفرح ٠٠

صار عبد الغنى يعنى عناية فائقة بشأن صديق ٠٠ ويذهب الى مدرسته فى فترات متقاربة ويبلغ أباه بسعادة مقدار تفوق صديق ، واعجاب المدرسة به من ناظر الى أساتذة الى تلاميذ ٠ وشارك عبد الودود فى هذه العناية مشاركة غير خافية ، وظن صابر فى براءته وهند فى تفائها أن الكبيرين يرعيان أخاهما الأصغر شكرا لما هيأه لهما أبوهما من حياة زوجية مستقرة وبيت سعيد لكل منهما ٠

وحين حاول الأب أن يتعمق فى الأمر ٠٠ لعلهما الآن يحسان باقترابهما من الأبوة ، وربما راوحت نفسيهما هذه العواطف فهزت حنايا الحب والأخوة معا نحو أخيهما الذى يكاد أن يكون منهما بمكان الابن أيضا ٠
وهكذا لم يكن غريبا أن يأتى عبد الغنى الى أبيه :

ـ اترك لى صديق أخرج به الى الدنيا ٠
ـ أخاف عليه ٠

– منى ؟

– من غيرك .

– سأخرج به أنا وعبد الودود وزوجتانا ..

– أين تذهبون به ؟

– الى حيث يلعب هو نتسلى نحن .

– أين ؟

– الى الملاهى .

– الملاهى ؟

– مالها ، أليست للأطفال ؟

– اى نعم . ولكن ألعابها خطرة .

– ونحن معه !!؟

– الآلات لا قلب لها ..

– ولكن قلوبنا معه .

– أخاف عليه .

– توكل على الله .

وصحب عبد الغنى صديق الى الملاهى وذهب معه عبد الودود والزوجتان . وفى الملاهى أوكل عبد الغنى الى رنده وناهد أمر صديق . وجلس هو مع أخيه في مقهى الملاهي يقطعان الوقت بالحديث .. وسار صديق مع زوجتى أخويه وكانتا عنه لاهيتين ، وانما هما تمران فى شبه تأدية واجب ليس حبيبا على ألعاب الملاهى . وهو وراءهما لا يسألانه عما يجب أن يشترك فيه من ألعاب . وأحس صديق بالعطش فتسلل دون أن تحس به الأختان الى المقهى ورأى من بعيد أخويه منهمكين فى الحديث . فقصد الى داخل المقهى وطلب ماء . وحين هم بالخروج من الداخل سمع اسم صديق على لسان أخيه عبد الودود ، فاقترب من أخويه دون أن يرياه وسمع عبد الغنى يقول :

– لابد أن أنتهى منه اليوم ..

– يا أخى أجلها الى يوم آخر ..

– ان أبى لم يسمح لى باصطحابه الا بجهد شديد ، فكيف أطمئن الى أنه سيسمح لى بذلك مرة أخرى .. أقتله اليوم .

ـ وماذا أنت قائل لأبيك ؟

ـ وقع ٠٠ مات ٠٠

وارتعدت فرائص صديق ، وأيقن أن الحديث عنه فتراجع عن مكانه حذرا أن يراه واحد من أخويه٠٠حتى اذا اطمأن أنه ابتعد عن المكان تلمس طريقه الى خارج الملاهى يبحث لنفسه عن ملجأ من قاتليه ٠٠

وراح يعدو يعبر الشارع المزدحم بالسيارات ، فاذا بسيارة تصدمه ويغيب عن الوعى ٠٠

نزل راكب السيارة وحمله ووضعه فى المقعد الداخلى وأجلس زوجته بجانبه ٠ وانطلق بالسيارة قبل أن يتجمع الناس حوله ، وما لبثت السيدة أن قالت :

ـ قلبه ينبض ٠٠ لا تخف ٠

ـ أليس به جروح ؟

ـ جرح بسيط بجبهته ٠

ـ أنذهب الى المستشفى ؟

ـ لا داعى ٠٠ اذهب بنا الى البيت ٠٠ ما الداعى للمستشفى وس وج ٠٠ الولد ليس به شيء ٠٠

ـ هو الذى كان يجرى ٠٠

ـ هل نحن فى تحقيق ؟ ٠٠ اذهب الى البيت ٠

وقبل أن يصلا الى البيت كان صديق قد أفاق من غشيته ، وتلفت حواليه غير مصدق أنه نجا ٠٠ وسألته السيدة :

ـ الحمد لله على سلامتك ٠

ـ من حضرتك ؟

ـ ستعرف كل شيء ٠

ـ والى أين نحن ذاهبون ؟

ـ الى بيتنا ٠

ـ بيتكم أنتم ؟

ـ نعم أم تحب أن نذهب بك الى بيتك ؟

ـ بيتى ٠٠ بيتى ؟

ـ وتذكر صديق وتملكه الهلع ، وصاح في عفوية وفي غير تدبر :

ـ أنا ليس لى بيت ٠

ـ كيف ؟ هل هناك أحد ليس له بيت ؟

فقال فى تلجلج :

ـ أقصد أننى لا أعرف بيتنا ٠

ـ ما اسمك ؟

ودون روية قال :

ـ صـــديق ٠

ـ واسم أبيك ؟

واسترد صديق وعيه وأدرك انه يحاول أن يهرب ، فسكت قليلا وقال :

ـ ابراهيـم ٠

ـ ابراهيـم ماذا ؟

ـ لا أدرى ٠

ـ وأين تسكن ؟

ـ لا أدرى ٠

ـ كنت مع من فى الملاهى ؟

وأدركه الهلع وهو يتذكر ، ووجد نفسه يقول :

ـ كنت ٠٠ كنت وحدى ٠

ـ كيف ؟

ـ لا أدرى ٠

وأدرك الزوجان أن الطفل يخفى أمره فى اصرار ٠٠ وقالت الزوجة :

ـ أنت تأتى معنا الى البيت ثم نبحث الأمر ٠٠

وهوم صمت ٠٠ وكان صديق لا يخشى شيئا قدر خشيته أن يعرفه هذان الزوجان ويعيداه الى بيت أبيه ، فقد أصبح على ثقة أنه لن ينجو من القتل ما دام أخواه يضمران هذه النية ٠٠ وثبت فى روعه أن أباه لن يستطيع أن يحميه ٠ بل ان الخوف صور اليه أن أباه قد لا يطول به العمر ٠٠ وحينئذ من يحميه من هذين الأخوين ؟ ٠٠ كان صديق مذعورا

ساتاعا هالعا أسيفا فقد كان يحب أخويه غاية الحب ·· وهاله ما ظهر له من دخيلة نفسيهما ··

تولاه صمت صاخب يفكر فيما ينتظره من قابل الأيام ·

وبلغت السيارة منزلا قريبا من صحراء ·· ونزل ثلاثتهم ··

وراحت السيدة تضمد الجرح الصغير فى جبهة صديق ·· حتى اذا هدأ روعه أو خيل الى الزوجين أن روعه هدأ سأله الزوج :

ـ أكل ما تعرفه أن اسمك صديق ابراهيم ؟

ـ أين تسكن ؟

ـ لا أعرف ·

ـ أتذهب الى مدرسة ؟

ـ أذهب ·

ـ أين تقع ؟

ـ لا أدرى ·

ـ يا ابنى لقد أوقعتنا فى حيرة بالغة ·

وقالت الزوجة :

ـ نبقيه عندنا بضعة أيام ونرى ·

وقال الزوج :

ـ أنسيت أننا مسافران الى أوروبا الاسبوع القادم ؟

ـ من اليوم الى يوم السفر يحلها الذى لا تغفل له عين ··

ـ ألا ترين أن نبلغ الشرطة ؟

وفزع صديق صائحا :

ـ لا ·

وعجب الزوجان وقال الزوج :

ـ لماذا تخاف من الشرطة يا صديق ·· ؟

ولم يجد صديق ما يجيب به ، وعاد اليه الزوج يسأله :

ـ أين كنت قبل أن تصدمك السيارة ؟

ـ كنت ·· كنت ·· كنت فى الملاهى ·

ـ وحدك ؟

وبعد تردد طويل قال :

ــ رحلة مع المدرسة ٠

ــ ولماذا تركت مدرستك ؟

ــ تهت ٠٠ وكنت أبحث عنهم ٠

وتقول الزوجة :

ــ يا وجــدى أنا خائفة ٠٠ ولابد أن نبلغ الشرطة ٠

وفى فزع صرخ صديق مرة أخرى :

ــ لا ٠٠

وتعجب وجــدى وسأله :

ــ ما الذى يخيفك من الشرطة ؟

ــ لا أحب الشرطة ٠٠

ــ ألا تريد أن ترجع الى أبيك وأمك ؟

وفى عفوية طفلة قال دون ريث من تفكير

ــ لا ٠٠

ــ أنت طبعا لا تعرف عنوان بيتكم ٠٠

وفى سرعة فائقة :

ــ لا ٠٠

ــ ولا الحى الذى تسكن فيه ؟

ــ لا ٠٠

والتفت وجــدى الى زوجته :

ــ ان في الأمر سرا ٠

وقالت الزوجة :

ــ عجيب أمر هذا الطفل ٠٠ أنا لم أر فى حياتى طفلا فى مثل جماله. بل اننى أعتقد أن الله لم يخلق طفلا على صورته ٠٠ أبدا ٠٠ كيف لا يضعه أهله في أعينهم ؟ ٠٠

وهوم صمت فيه حديث وضجيج وصراع ، وآمال ومخاوف ، وهلع قاتل واعجاب أخاذ ، وتردد بين اقبال واحجام ٠٠

وقطع وجــدى الصمت قائلا :

ـ خذى صديق الى حجرة نوم ليستريح قليلا ، وأنا سأذهب وأشترى له بعض ملابس بدلا من حلته التى تمزقت فى الحادثة ٠٠

وفى ذكاء المرأة قالت الزوجة زهيرة :

ـ فيم تفكر يا وجدى ؟

ـ نتحدث بعد أن نعود ٠

والتفتت زهيرة الى صديق :

ـ ألست جائعا يا صديق ؟ ٠

وفى براءة وصدق :

ـ أكاد أموت من الجوع ٠٠

ـ سأعد لك طعاما ، وادخل أنت الى الحمام أتعرف كيف تستحم ٠٠ أم أن والدتك هى التى كانت تتولى هذه المهمة ؟ ٠٠

وفى تردد تلجلج لسانه قائلا :

ـ بل ٠٠ بل ٠٠ أعرف ٠

ولكن زهيرة أدركت تهيبه وقالت :

ـ تعال سأتولى أنا حمامك ٠٠ تعال ٠

★★★

(١٠)

صرخت الفرملة فى الملاهى جحيما حين ضغط عليها وجدى فى محاولته لانقاذ صديق ٠٠ والتفتت الرءوس جميعا الى مصدر الصوت ٠٠ وهرع عبد الغنى يلحق به عبد الودود الى الطريق العام ٠٠ ورأيا صديق ملقى على الأرض ٠ وفغر عبد الودود فمه وأوشك دون ريث من تفكير أن يصيح بالاسم ، ولكن عبد الغنى عاجله بلكزة قوية فى صدره جعلت صيحته تتحول تلقائيا الى :

ـ آه ٠٠

وهمس :

ـ ولا كلمـــة ٠

وشاهد الأخوان وجدى يحمل أخاهما ويضعه فى السيارة وينطلق

قبل أن تتاح فرصة لرواد الملاهى وعابرى السبيل أن يتجمعوا حول الحادثة ..

وهمس عبد الودود :

ـ ألا نأخذ نمرة السيارة ؟

وقال عبد الغنى :

ـ وماذا نصنع بها ؟ .. المسألة جاءت من عند ربنا .. الولد مات.. لا شك فى ذلك ..

ـ كيف عرفت ؟

ـ الذراعان الساقطان والرأس المائل .. الولد مات ، وهذا الذى حمله فى السيارة سيحاول أن يدفنه فى أول تربة .. انها فرصة عمر أن أحدا لم يعرفه ولا حاول أحد من الواقفين أن يكتب رقم السيارة .. سبحان الله .. العبد فى التفكير والرب فى التدبير . جاءت من فوق ..

ـ ما كل هذه الثقة ؟

ـ أحسها من داخلى .. أنا متأكد .

وجاءت الزوجتان تبحثان عن زوجيهما وأخيهما ، فطالعهما عبد الغنى بالنبأ فى محاولة هزيلة للتفجع :

ـ مات ..

ـ ماذا ؟ ..

ـ كيف ؟

وفى خبث اجرامى يحمل الزوجتين المسئولية .

ـ ألم يكن معكما .. لماذا تركتماه ؟

وقالت رنده :

ـ وهل تصورنا أن يتركنا ؟ كنا نتحدث وحين التفت اليه لأعرض عليه أن يلعب لعبة الحبل كان فص ملح وذاب ...

ـ وماذا أخرجه الى الشارع ؟

وقال عبد الغنى فى صوت عجز عن أن يجعله ملائما للمناسبة :

ـ قدره ..

وقال عبد الودود :

ـ وقدرنا ٠

وفكر عبد الغنى قليلا ثم قال :

ـ نعـم وقدرنا ٠٠

وغمر الذهول وجه الأختين ، وقفز الى ذهن أربعتهم فى لحظة واحدة ما رددته رنده :

ـ ماذا نحن قائلون لعمى صابر ؟

وقالت ناهد :

ـ أنا ساقاى لا تحملاننى ٠٠ تعالوا نجلس ونفكر ٠

وقصدوا أربعتهم الى المقهى ٠٠ وسكت عبد الغنى منتظرا رأيهم ٠٠ وقال عبد الودود :

ـ غير معقول أن نذهب اليه ونقول له صديق مات ٠

وقالت ناهد :

ـ وماذا يمكن أن نقول ؟

قالت رنده :

ـ على كل حال لابد أن نقوم الآن الى قسم الشرطة ونبلغ ٠

وقال عبد الغنى :

ـ اذا لم نفعل نحن هذا سنكون مقصرين أمام أبينا ٠٠ وسيذهب هو الى قسم الشرطة ٠

وقام عبد الغنى وهو يقول :

ـ هيا نذهب الى الشرطة بدلا من تضييع الوقت ٠

وفى قسم الشرطة تولى عبد الغنى املاء البلاغ ٠٠ وكان البلاغ حاسما فى تضليل كل من يحاول البحث عن أثر لصديق ، ولم يذكر شيئا عن وثوقه من موته انما ذكر ما رأى ولم يذكر ما يظنه أو ما يرجوه ٠٠

وخرج أربعتهم الى مواجهة الأب والأم الجـازعين فى البيت ، وقد حاصرتهم الحـيرة لا يدريان ماذا يصنعان يتوجسان من التأخير فى هلع بالغ ٠ وحين بلغ ركب عبد الغنى البيت وجد الأب والأم معا هما من يفتحان الباب ، وكانت وجوه الأربعة تحمل الخبر القاتل فانهار صابر جالسا وصاحت الأم فى لوعة :

ـ صـديق ٠٠ صـديق ٠٠

ودخل الأربعة وأغلق الباب وقال عبد الغنى :

ـ ربنا وحده القادر على أن يلهمنا الصبر ٠

ودون وعى قال صابر :

ـ ماذا صنعتم يابنى يا عبد الغنى ؟

وقال عبد الغنى فى جزع :

ـ انه أخونا ٠

وأعاد الأب جملته :

ـ ماذا صنعتم بابنى يا عبد الغنى ؟

وقال عبد الودود :

ـ كلنا أبناؤك ٠

وقال صابر :

ـ ماذا دبرتم ؟

وصاحت ناهد :

ـ دبرنا ؟ وهل تشك فينا يا عمى ؟

ولم يلتفت اليها صابر وانما نظر الى عبد الغنى :

ـ تكلم يا عبد الغنى ٠٠ تكلم يا عبد المال ٠

وقال عبد الغنى :

ـ بهذه الطريقة لا أستطيع الكلام ٠٠ أعطنى فرصة ٠

وأمسكت هند بملابس عبد الغنى فى عنف وشراسة ، وفى استجداء أيضـا :

ـ أين صديق يا عبد الغنى ٠٠ قل أى شىء الا أنه مات ٠ ٠أى شىء الا أنه مات ٠٠

ـ لا ٠٠ ان شاء الله ٠٠ لا ٠

وراحت تهزه وتقول :

ـ اذن قل ٠٠ تكلم !

وجلس عبد الغنى وراح يروى القصة ، حتى اذا انتهى منها قال صـابر :

ـ لم يمت يا عبد الغنى ٠٠ أنا على وعد من الله أنه لن يموت قبلى ٠٠

ونظر عبد الغنى وعبد الودود وناهد ورنده الى بعضهم البعض وأكمل صابر :

ـ ما هذه النظرات .. أحسبتم أننى جننت ؟ .. هذه آمال .. أجن أنا ويموت صديق ! ليس فى العالم مال يساوى أن يقال عنكما ان أباكما مجنون .. وليس فى العالم مال يساوى روح انسان .. أى انسان . فما بالك ان كان هذا الانسان أخاك .

وأحس عبد الغنى أنه أصبح صفحة بيضاء أمام عينى أبيه يقرأ دخيلة نفسه ، وأكمل أبوه :

ـ ان صديقا لم يمت .. لم يمت .. والأيام بيننا يا عبد الغنى ويا عبد الودود .. وستريان ..

وارتمت هند صامتة ذاهلة على أريكة .. وصاحت رنده :

ـ أهذا معقول يا عمى ؟

وصاح صابر :

ـ أخرجوا الآن واتركوا أباكم الذى حطمتم .. وأمكم التى ربتكم كأبنائها ولم تشفقوا على وحيدها ..

وحاول عبد الودود أن يقول :

ـ ولكن يا ..

وقبل أن يكمل يصيح أبوه :

ـ ولا كلمة .. أخرجوا الآن .. والموضوع لم ينته بل لن ينتهى الا حين يعود صديق .. وسيعود رغم أنفك يا عبد الغنى ورغم أنفك يا عبد الودود .. هيا أخرجوا .. أريد أن أفرغ لهذه المسكينة وأبث الى قلبها الايمان الذى فى قلبى ..

★★★

(١١)

وضعت أمامه طعاما وراح يأكل ، وراحت تنظر اليه فى اعجاب شديد وفى عجب أشد أن له سرا لا يريد البوح به . وكان صديق جائعا فراح يأكل وكأنه يرى ما يدور بذهنها ، فهو يخشى أن تحادثه ويخشى أن تستدرجه . وفى ذكاء المرأة الموهوب والمكتسب قالت زهيرة :

ـ كل وأنت مطمئن .. لن أسألك شيئا .. ولك الحرية المطلقة فى أن تحتفظ بسرك .

وحين حاول أن ينفى احتفاظه بسر قاطعته :

ـ لا تقل كلمة ، فقط كل . وتأكد أننا سنجعلك سعيدا

وآثر صديق الصمت وراح يأكل وهو أكثر اطمئنانا .

وجاء وجدى ومعه ملابس لصديق ومن بينها بيجاما للنوم ، وأمسكت بها زهيرة :

ـ أحسنت يا وجدى ! انها مناسبة له . هيا يا صـديق لتلبسها وتستريح قليلا .

ولبى صديق الأمر تاركا أمر مستقبله لله . وحين هدأ به الفراش قال فى نفسه : ما مصير ذلك الحلم الذى رأيته منذ قريب ورويته لأبى ؟ كنت فى الحلم تائها ومع ذلك كنت أعرف طريقى . أسير فى سراديب لا أتبين معالمها ولكننى كنت فيها أسير على هدى . وانتهت بى الطرقات المتشابكة من العتبة الى جبل شاهق . رأيتنى وكأننى أقف على قمته وفى السفح عبد الغنى وعبد الودود وناهد ورنده ومعهم أبى وأمى يشيران الى أن أصفح عن أخوى . وأفهم الاشارة وأرى فى سمتها الشمس وكأنها تطلب الى أن أستجيب لما يشير به أبى وأمى .

حين روى لأبيه الحلم وقد فرغ من صلاة الفجر وقرآنه ، التفت اليه وقال :

ـ أنت مبارك يا صديق .. احفظ عليك رؤياك لا يعلمها أخواك .

أتراني اليوم أبدأ مسيرتى فى التيه .

★★★

قالت زهيرة :

ـ أراك قد عزمت أمرك على شىء .

ـ لا أستطيع أن أبت فى الأمر قبل رأيك .

ـ ماذا تريد ؟ وان كان يخيل الى أنى أعرف ما تريد .

ـ انك لا شك عرفته .

ـ أتريد هذا !؟

ـ وما البأس ؟

ـ ليس صغيرا .

ـ لا يهـم ٠
ـ والناس الذين نعرفهم ماذا نقول لهم ؟
ـ طفل فقد أهله وتبنيناه ٠
ـ وشهادة الميلاد ؟
ـ انني فى مكان أستطيع منه أن أستخرج عشرين شهادة ميلاد اذا أردت ٠
ـ أجمل طفل رأيته في حياتي ٠
ـ أستخرج جواز سفر له ؟
ـ افعـــل ٠
ـ غدا يكون جوازه بين يديك ٠

★★★

وفى الغد كان جواز السفر بين يدى زهيرة ومعها شهادة ميلاد تثبت أن صديقا اسمه صديق وجدى البطاش ٠

وفى نفس الغد كان صابر فى قسم الشرطة يسأل ان كانت الشرطة قد وصلت الى جديد فى شأن ابنه ٠ ثم هو يترك القسم ويذهب الى الملاهى ويجلس بها وانما مجلسه لها كان بين روادها عجبا ٠ انه يولى ظهره للملاهى ويستقبل الشارع ينظر الى الطريق والسيارات وكأنما ينظر قادما هو واثق من مجيئه ٠

سافر وجدى الى بولندة وكان فى بعثة لمدة سنة ليشهد نظام السجون هناك ، فقد كان وجدى ضابطا بدرجة رائد فى السجن الحربى ٠ وقد استطاع أن يدبر هذه البعثة وشجعه عليها الرؤساء ليحاولوا عن طريق بعثته أن يرفعوا الى رأس النظـــام تقريرا يثبت أنهم أكثر شدة من كل السجون التى تشرف عليها النظم الشيوعية ٠

وحين صحب وجدى وزهيرة صديقا فكرا فى الطائرة :
ـ ماذا نحن صانعان به هناك ؟
ـ لقد أفهمت سفيرنا هناك أن معى طفلا وأريد أن يواصل تعليمه ٠
ـ وماذا قال لك ؟
ـ قال لا مشكلة ٠
ـ واكتفيت بهذا ؟
ـ وماذا تريدينني أن أصنع ؟
ـ تستفهم ٠٠ تسأل ٠٠ تعرف ٠

ـ فى التليفون ، والخطوط مراقبة ؟
ـ وهل يهمك أنت الخطوط المراقبة ؟
ـ أنا أكثر من أى انسان فى مصر .
ـ فلماذا لا تراقب الله فى بيتك ؟
وصوت خفيض ملء بالذلة قال :
ـ هل ينقصك شىء ؟
وفى جرأة المرأة اذا كان الحق فى جانبها :
ـ ألا تعرف ؟

وفى ذلة أخرى تحاول أن تبتعد عن بؤرة الدوامة :

ـ أنت تعيشين أحسن عيشة .. فيلا وسيارة وطلباتك أوامر تتسابق الى تنفيذها امكانات دولة بأكملها .

ـ اذن فلا ينقصنى شىء .
ـ مؤكد .
ـ وجدى .
ـ نعم .
ـ من أين تأتى بهذه الجرأة ؟
ـ ألست ضابط جيش ؟
ـ فى السجن تنفذ عذاباتك على العزل الذين لا يملكون حربك .
ـ عملى فى السجن .. على كل ضابط أن ينفذ الأوامر الصادرة اليه .. مخالفة الأوامر جريمة قد تصل عقوبتها الى الاعدام ..
ـ أنتم تنفذون الاعدام بلا جريمة على الاطلاق .
ـ أسكتى الله يخرب بيتك .
ـ أكثر من هذا الخراب .
ـ أسكتى .
ـ أتظن أن أحدا يسمعنا الآن ونحن فى الطائرة .
ـ من يدرى ؟
ـ كيف تقول انك تعلمت الجرأة من الجيش ؟
ـ الجرأة على العدو لا على النظام الذى أعمل واحدا من أجهزته .
ـ وهل أنا عدو ؟
ـ ألعن .

ـ اسمح لى أن أعود الى سؤالى الأول وأعدله ببعض الشيء ٠٠ من أين تأتى بهذه الصفاقة ؟

ـ صفاقة !

ـ أليست صفاقة منك أن تقول انني لا ينقصنى شيء ؟

ـ طبعا لا ينقصك شيء ٠

ـ أنت الذى تقول هذا ؟

ـ وكل الناس تقوله معى

ـ أسمح لكل الناس أن يقولوه الا أنت ٠

ـ لمـــاذا ؟

ـ يا لك من فاجر ٠

ـ فاجـــر ؟!

ـ أقل وصف طاف بذهنى ٠

ـ ألا تقومى الى صديق الذى يجلس وحيدا ٠٠ ألا يكفيه شعوره بالبعد عن أهله الذين يرفض أن يقول عنهم شيئا ؟

ودون أن تعير محـاولته لتغيير الحـديث أدنى التفات استمرت فى هجومها الشرس :

ـ أنا يا وجدى لا ينقصنى شيء ؟!

ـ مؤكد ٠٠ قومى الى صديق ٠

ـ ألا تعرف ماذا ينقصنى ؟

ـ يا ستى فهمت ٠

ـ فهمت ؟ يا لك من ذكى ! ٠٠ أيحتاج هذا الى فهم ؟

ـ اذن فلماذا هذا الهجوم ؟

ـ كان ينبغى أن تطلقنى من أول يوم عرفت فيه أنك عاجز تماما كرجل ٠

ـ وأفضح نفسى ؟

ـ ليس هذا ما يمنعك ٠٠ أنت تعرف أننى لن أقول شيئا ٠

ـ وكيف أعرف ؟

ـ ومن أجل هذا ترفض أن تطلقنى وتجعلنى تحت المراقبة الدائمة٠٠ أهذه رجولة ؟ آسفة ٠٠ أنت أصلا لست رجلا ٠٠ ولكن لابد أنك انسان ولكن كيف ؟ من أين لك الانسانية ووظيفتك التى تعيش عليها هى قتل الانسانية فى الانسان ٠ أنت مخلوق شاذ ، لا من البشر أنت ولا أنت من الحيوان لأن الحيوان يأكل فريسته ولا يعذبها ٠٠ أنت ٠٠

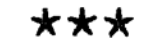
ويقاطعها وجدى فى محاولة للحزم :

ـ زهيرة .. كفى .

ـ ثورة تحرق نفسى أطلقت لها العنان فى أول لحظة شعرت فيها أننى فى حمى الله بعيدة عن مصر ، وأننى أستطيع أن أقول ولا تهددنى بما تملكه فى مصر من جبروت وظلم وطغيان .. أقوم الآن الى صديق .

وقامت الى صديق وبدأت معه الحديث محاولة أن تزيل عنه الغربة المادية والنفسية التى يعانيها . ولم تدهش حين وجدته سعيدا بأنه فى الطائرة بعيدا عن أهله ..

ـ ترى ما الذى يلاحقك أنت أيضا أيها الطفل رائع الجمال فى بيت أمك وأبيك ؟ كان الله لك يابنى وكان الله لى .



(١٢)

لم يكن عبد الغنى ولا عبد الودود يتصوران أن يحيط كل هذا الدمار بأبيهما .. حتى لقد كانت هند وهى الأم التى ليس لها الا صديق أكثر صلابة من زوجها وتحاول أن تصبره ..

ـ يا صابر .. لقد فقدت وحيدى فأستحلفك بالله ألا تجعلنى أفقدك أنت أيضا ..

وفى اصرار وألم :

ـ لم تفقدى صديق .. ولن تفقدينى حتى نجده ..

ـ أتتصور أنه حى ولم يأت طوال هذه المدة ؟

ـ وأنا أيضا لا أتصور أن يصدم شخص طفلا بسيارة ويختطفه .

ـ الصدمة قاتلة .. والمجرم أراد أن يخفى معالم جريمته ..

ـ يا ستى لا يمكن .. أين تظنين أننى كنت أذهب فى الصباح طوال الأيام الماضية ؟ ..

ـ لا أدرى ..

ـ كنت أظل الساعات الطوال فى شارع الملاهى .. حركة السيارات بطيئة للغاية لزحمة المرور .. لا يمكن أن تكون الصدمة قاتلة فى هذا المكان مطلقا ..

ـ ربما كان الشارع خاليا فى هذا اليوم ..

ـ يوم جمعة والملاهى مزدحمة والمرور لا يسمح أن تسير سيارة بسرعة تؤدى الى قتل من تصدمه ..

ـ لا يمكن أن تثق كل هـذه الثقة من أجل استنتاجات مثل هـذه يا صابر .. أرجوك .. تحتسب لله .. ولا توجد فى نفسى أملا أعلم أنه لن يتحقق ..

ـ بل سيتحقق وسترين ان شاء الله .

ـ من أين لك كل هذه الثقة ؟

ـ ومن يملك أن يرسل الثقة فى النفوس الا الواحـد الحق .. الملك .. القدوس ..

ـ ما دمت مطمئنا ففيم حزنك ؟

ـ انه بعيد عنى ولا أعرف عنه شيئا .. ما مصيره ؟ .. الى أين تقوده متاهات الحياة ؟ .. هو حى .. هو حى لم يمت أنا واثق .. لأن الله يمدنى بهذه الثقة .. ولكن كيف يحيا حياته .. ما مصيره ؟ .. ان الله لا يبتلى الا عباده المؤمنين .. هو مولانا وعليه توكلت .. واليه المصير ..

ـ وهل معنى هذا أن تترك زراعتك ولا ترعى شأنك ؟

ـ اسمعى .. أولادى أهملوا شأن أخيهم من أجل الزراعة .. وكلاهما خريج زراعة .. سأترك لهما كل شىء ولكننى سأحتفظ بالملكية حتى تقسم على ثلاثتهم وليس عليهما وحدهما .. فليفعلا ما يريدان ولكننى سأظل أنا المالك ..

وكذا انفرد عبد الغنى وعبد الودود بشئون الأرض يديرانها كيفما أرادا ، ولكن صابرا كان دائما قابضا على ما تغله يعطى ولديه ما يريد أن يعطى وينفق ما يشاء ويدخر ما يشاء .. وقد كان دائما حريصا على أن يجنب مبلغا من المال يعتبره حق صديق الذى ينبغى أن يبقى له لا يعدو عليه أحد .

كان المال يدخره صابر لصـديق .. وكان صـديق قد التحق فى بولندة بمدرسة تعلم اللغة الانجليزية فبهر المدرسين هناك بسرعة تعلمه بصورة لم يشهدها واحـدمنهم قط .. وقد جعلهم هذا يتعهدونه بالرعاية ويمدونه بالكتب وصديق يسير فى تعليمه مقبلا عليه غير ملتفت الى ما يلهو به أبناء سنه من ملاعب الأطفال . حتى لقد كانت زهيرة ووجدى يحثانه على اللعب فيتأبى عليه . وكما بهر صديق مدرسيه .. بهر وجدى وزوجته

بمحافظته على الصلاة فى مواقيتها ·· وحين أدركهم شهر رمضان هناك أصر على الصيام حتى لقد خجل منه وجدي وزهيرة وصاما هما أيضا ·· وأمرهما الى الله ··

وتمر السنة وتعود الأسرة التى أصبحت ثلاثة نفر الى القاهرة ·· وفى الطائرة يسأل وجدى صديق :

ـ ما رأيك يا صديق أتذهب الى مدرسة عربية أم تكمل الدراسة بالانجليزية ؟

ـ أفضل أن أتمها بالانجليزية ··

ـ لك ما تريد ·

وتقول زهيرة :

ـ انها فرصة أن يتعلم الانجليزية وهو أصلا قوى فى اللغة العربية··

ـ معقول ··

ـ وخاصة أنه دائما يقرأ فى القرآن فلا خوف عليه فى اللغة العربية أبـدا ··

ـ لقد حفظت ربع القرآن والحمد لله ، وفى فترة قليلة سأحفظه كله ··

وفى اليوم التالى لوصولهم الى القاهرة يقيد وجدى اسم صديق فى مدرسة أساس التعليم فيها باللغة الانجليزية ··

·· وتمر السنون ··

★★★

(١٣)

ينفرد عبد الغنى وعبد الودود بالأرض تماما ·· ويصبح صابر وهو لا عمل له الا الصلاة والعمرة والحج ·· والعجيب أن ولديه لم يستطيعا أن يغلباه على أمره ·· فان أحدا منهما لا يملك التوقيع ·· ولابد من توقيع صابر على كل المعاملات التى تتصل بالأرض ·· وحين حاول عبد الغنى أن يقول :

ـ يا بابا أنت تسافر كثيرا والمعاملات المالية تحتاج الى ··

قاطعه صابر فى حزم ودون أى تفكير :

ـ اذا كنت تريد أن أكتب لك توكيلا لأصبح أنا وكانى غير موجود فهيهات ٠٠ هذه الأرض ملكى ٠٠ وستقسم على أبنائى الثلاثة عند موتى وتأخذ زوجتى نصيب الثمن حقها الشرعى ٠٠

ـ ولكن يا أبى ٠٠

ـ أى محاولة أخرى سأعود أنا الى ادارة الأرض ادارة كاملة ٠٠

ـ ما أحب الينا ٠

ـ لا تستطيع أن تخدع أباك ٠٠ ان الذى لا يقدر ذكاء الآخرين ويحاول أن يتذاكى عليهم غبى لا يفهم ٠٠

ـ وهل حاولت ؟

ـ صدمتى فى ابنى لم تفقدنى عقلى ، وانما زهدتنى فى الأرض التى جعلت الاخوة يهملون الأخ ٠ أما عقلى فقد ازداد حدة وازددت ادراكا للحياة ٠ واقبالى على العبادة حب فى الدنيا وفى الآخرة ٠٠ وتعشقى للذات الربانية جعلنى أكثر فهما للحياة وادراكا لها ٠٠ نحن الربانيين أعقل من يمشى على الأرض ٠٠ والذى يعاملنا على غير هذا الأساس غبى لا يفهم ٠٠

وهكذا استقر الأمر على أن يدير عبد الغنى وعبد الودود الأرض ما طابت لهما الادارة ، ولكن اصدار المال واستقباله يكون لصابر وحده ٠٠

وقد زرع عبد الغنى وأخوه الذى كان أشبه بتابع له الأرض جميعها موالح ٠ وأصبح عائد الأرض عشرة أضعاف عائدها حين كان صابر يديرها ٠٠ وقد استطاع الشابان المتخرجان فى الزراعة أن ينتجا من أرض الموالح أحسن ما تستطيع أن تعطيه كمية ونوعا ، وأصبح لانتاجهما شهرة بعيدة ٠

★★★

أصبح صابر ذات يوم موجد نظره يتغشاه ما يعوق الرؤية بوضوح ٠ فذهب من يومه الى الطبيب ٠٠

فقال له الطبيب :

ـ لقد تعرضت لصدمات عصبية ٠٠ ؟

ولم يجب صابر ٠

ـ طبعا تحتاج الى عملية ٠٠

ـ هل نجاح العملية مؤكد ؟ ٠٠

ـ ان شاء الله ٠

وحين عاد الى البيت سألته هند فقال :

ـ يريد أن يجرى لى عملية ٠٠ ولن أجريها ٠٠

ـ ماذا تقول ؟

ـ لن أجرى عملية فأنا لا أحتاج لنظرى الا يوم يعود صديق ٠٠ حين يعود سأجرى العملية ٠

ـ أهذا ايمـــان ؟ ٠٠

ـ أنا لا أقتـل نفسى ، انما أنا أستغنى عن جارحة شـاء الله أن يصيبنى فيها والله المستعان ٠٠

ـ وكيف ستقرأ القرآن ؟

ـ تقرأين أنت لى فأكسب فيك ثوابا ، وتجدين شيئا تصنعيه بدلا من الحزن الذى يفرى كيانك وترفضين أن تبينى عنه ، حتى لا يقال عليك ما يقال على ٠٠

ـ ما يقال عنك لا يعيبك ٠٠

ـ اننى لا أفتأ أذكر صديق حتى لقد أوشكت أن أجن ٠٠

ـ ابنك وحزنت عليه لا ضير عليك ٠٠

ـ اذن فابكى يا هند كما أبكى حتى تخففى لوعتك ٠٠

ـ ولماذا أبكى وأنت تقول انه موجود ، وأنت لم تكذب فى حياتك قـط ؟

ـ ألهذا الحد تثقين بى ؟ ٠٠

ـ وأى غرابة فى ذلك ٠٠ أنت جدير بكل ثقة ٠٠

ـ أكرمك الله قدر ما تعذبت يا هند ٠

ـ أكرمنى أنت حتى يكرمنى الله ٠٠

ـ وهل قصرت ؟ ٠٠

ـ أجر العملية ٠

ـ أنا لا أريد أن أراك حزينة وأرى ولدى فرحين بما حققا من نجاح ٠٠ وبما خفت ضياع بصرى من الآلام التى أطالعها بعينى فى حياتى ٠٠

ـ أليس الابصار اكراما من الله ؟

ـ ولسبب أراده حجبه عنى فترة ٠٠ الحمد لله على ما أعطى والحمد له على ما أخذ ٠٠ ولن أحاول أن أسترد بصرى الا اذا كان هناك ما أحب أن أراه ٠

(١٤)

نال صديق شهادة الثانوية العامة وقدم أوراقه فى كلية الاقتصاد والعلوم السياسية فقبلت ، فقد كان من أوائل الحاصلين على الشهادة ·
وحدث أمر عجيب ·

كانت زهيرة فى حجرتها تتزين فهى حريصة دائما على أن تتزين · وحين أكملت زينتها نظرت الى المرآة بحسرة ملتاعة وتصاعدت من كيان المرأة فيها حميا نيران متقدة بالحريق ، وشعرت أنها اذا ظلت رائية الى المرآة ستحطمها ، فسارعت تخرج من الغرفة ومرت بحجرة صديق واقفا أمام المرآة يكمل ملابس تومه فراعها ما رأت ·

من هذا الفتى الشامخ الجمـال المفتـول العضـل السمهرى القامة ذو الكبرياء الأشم ؟ ويلى انه ليس ابنى ، انه فتى لا أعرف من أبوه ولا أعرف أمه ، وانما بذلت له من نفسى السنوات الطوال ليدرج من الطفولة الى هذا الشباب النادر ·

وقفت زهيرة على باب الغرفة يغمرها الذهول ، تمزقها الجرأة فيها ، تدفعها الأنوثة ويردها الحذر ·

أهذا هو الفتى الذى قدم الى بيتى خائفا ملتاعا يتسربل رعبه ، ويرد ببيتى غوافل حياة طالعته بالأهوال وبالرعب وبالتهديد وبالويلات ؟ أهذا هو الطفل الذى دخلت معه الحمام يوم مجيئه والذى احتضنته من أهوال الحياة وأقمت عليه الحصون مما كان يهدده ؟ أهذا هو مشروع الانسان الذى جاء الى يتكفى فى مخاوفه ومحاذيره فأمنته ورعيته حتى أصبح هذا الرجل كله ؟

ألم يئن الأوان أن يصبح لى رجلا بعد أن كان فى بيتى طفلا ما كنت أنا أمه ·· وما كان صاحب حق عندى ؟ فما البأس به أو بى أن يكون فتاى ؟

ذهبت الى غرفتها وخلعت ملابسها وارتدت قميصا داخليا ووقفت بالباب ونادت :

ــ صديق ·

وجاءها صوته :

ــ أفنـــدم ·

ـ هل أنت خارج ؟

ـ لا أبدا ٠

ـ تعـــال ٠

ـ حالا

وفي لحظة كان عندها فقد كانت اشارتها عنده أمرا وقبل أن يجيء كانت قد سارعت هي الى السرير واستلقت عليه معتمدة رأسها على كفها ٠٠ وما ان دخل حتى قامت الى الباب الذى دخل منه فاغلقته وسارعت الى باب الحجرة الآخر الذى يؤدى الى حجرة زوجها والذى لا يستعمل مطلقا فاغلقته هو الآخر والتفتت الى صديق :

ـ قبلنى ٠

وأصابه ما يشبه الجنون ٠٠ ما هذا الذى يراه ؟ ٠٠ انه كان يتصور أى شيء الا هذا ٠٠ انها امرأة فى قمة الجمال ولكنها فى مكان أمه ٠٠ وما قيمة هذا انه ليس زواجا ٠٠ انها جميلة ٠٠ انها المرأة كما ينبغى أن تكون المرأة ٠

قبلها فى خدها :

وصرخت :

ـ أهذه هى القبلة ٠٠ القبلة هكذا ٠

والتقفت فمه والتقف فمها وثارت فى دمائه نار الشباب الملتهب وهم بها ولكنه فجأة (ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون) ٠

صاح : أستغفر الله ٠٠ كيف أخونه ؟ انه من فتح لى بيته وأمن حياتى وربانى ٠٠٠ لقد شردنى الظلم فكيف أظلم أنا ؟

وجرى الى الباب فلحقت به وأمسكت بردائه فمزق فى يدها ٠

ودخل الزوج ٠٠ وأدرك كل شيء ٠

وحاول صديق أن يقول شيئا ولكن وجدى أشار اليه فسكت وانسحب الى غرفته وراح يجمع ملابسه ٠٠ الى أين بى المسير ؟ ٠٠ الى أين بى يتجه المصير ؟ ٠٠

وقفت زهيرة لوجدى متصـــدية ٠٠ انها امرأة وانها لا تنال حق الزوجية ٠٠ فما البأس بها أن تلتمس حقها عند غيره ، وبدلا من أن يثور وجدى أطرق فى خزى وكأنها هى التى أطبقت عليه متلبسا بالخيانة ٠٠ فان الحق قديم ، ومهما يحاول الطاغية أن يعتدى على حق الناس فى العلن

الا أنه في دخيلة نفسه يعرف أنه ظالم غاشم يستلب الناس ما لهم من حقوق .

ووجدى يعلم كل العلم أنه يبقى زوجته معه ظلما وبهتانا وزورا واغتصابا .

استخزى وجدى وانسحب مثل قط جريح الى حجرته واستلقى على الكرسي .

ـ ماذا أنا صانع الآن ؟ ان ترك البيت فضحنى ، وان طلقتها فضحتنى ، وما أنا بمطلقها أبدا .. وكيف أسمح لها أن تكون حرة وتتزوج غيرى ويعرف الجميع أن وجدى الأسد الكاسر الذى دوخ الناس وأمر بالاعتداء على أعراضهم وكراماتهم وجسومهم ، عاجز أن يكون مثل أضعف الرجال وأهونهم شأنا .

فز عن كرسيه وسارع الى غرفة صديق فوجده قد أعد حقيبته .

ـ نعم هذا ما توقعته .. لا ، لا تفعل هذا ..

ـ لا أستطيع أن أبقى فى البيت .. لا يمكن .

ـ سنرى .. وانما خروجك مستحيل .. الى أين تذهب ، وماذا ستقول للناس ؟

ـ أنت تعرف أننى لن أنطق حرفا .

ـ فاذا خرجت فانك غير محتاج أن تقول شيئا .. سيقول الناس بالنيابة عنك كل شيء .

وجم صديق لا يدرى ماذا يقول أو يفعل .. الكلام الذى يقوله كاقله واضح وصادق .. وهو حريص على أن يظل هذا البيت الذى رعى شأنه من الطفولة الباكرة الى الشباب نظيفا أمام الناس بعيدا عن كل شبهة ، نقيا فى سمعته شريفا فى مظهره مهما يكن داخله عفنا شائها .. وهو أشد حرصا ألا يكون هو سببا مباشرا أو غير مباشر فيما يجعل هذا البيت على ألسنة الناس تشنيعا وتجريحا وقذفا .. ويقطع عليه وجدى تفكيره :

ـ أتحب أن تسافر الى الخارج ؟

ـ ماذا أصنع فى الخارج ؟

ـ تقضى الاجازة .

ـ وبعد الاجازة ؟

ـ بعد الاجازة تعود .

ــ يا عمى وجدى أنا لن أعيش فى هذا البيت أبدا بعد اليوم ٠٠ ولو كان متاحا لى أن أسافر الى الخارج لأتعلم لفعلت ، ولكن هذا مستحيل ٠

وفى شبه حيرة وضياع يقول وجدى

ــ لـمـــاذا مستحيل ؟

ــ أنت أنفقت على أكثر مما ينبغى ، وليس معقولا أن أكلفك أيضا أن تنفق على فى الخارج ٠٠ وأنت يا عمى وجدى فى منصب سياسى ٠ والمنصب السياسى قد يتغير بين يوم وليلة ٠٠ فما مصيرى اذا نقلت أنت من مكانك ؟ سيصبح مستحيلا أن تواصل تعليمى لأنك لن تستطيع أن ترسل لى مالا بالطريق المشروع ٠٠ وستكون تحت العيون ٠٠ ولن تستطيع أيضا أن تستعمل الطرق غير المشروعة ٠٠ هذا من ناحيتك ٠٠ ومن ناحيتى أنا لا أتصور أن أترك مصر أبدا ٠٠ ان قدرى أن أرتبط بمصر وأنا أعلم هذا كل العلم ٠

ــ فماذا ترى اذن ؟ ٠٠ أراك تعـد حقـائبك فان أين كنت تنوى الذهاب ؟

ــ الى فنـدق ٠

ــ قد يكون هذا حلا مؤقتا ٠

ــ حل مؤقت لا شك ٠

ــ أستأجر لك شقة ٠

ــ أنا لن أكلفك بعد اليوم مليما ولو أدى ذلك الى أن أستجدى فى الطرقات ٠

ــ هل هذا معقول ؟ وكيف ستعيش اذن ؟ ليس لك أحـــد على الاطلاق ٠

وقال صديق فى نفسه :

ــ يعلم الله أن لى أبا لا يحب أحدا فى حياته قدر حبه لى ، ولى أم أنا كل أملها فى الدنيا ٠٠ ولى أيضا مع الأسف أخوان يريدان قتلى ٠٠ ولكننى لن أعود قبل أن يعرف الأخوان أننى فى غنى عن مالهما ٠

ولو استطاع وجدى أن يسمع ذلك الحديث الذى انبثق فى نفس صديق لكان له شأن آخر ، ولكن من أين له أن يسمع ؟ وعلا صـوت صديق وهو يقول :

ــ لى الله ٠

ــ ونعم بالله ٠

ــ ولن يتركنى ٠

ــ نعم يابنى ٠ ولكن الله يهيىء الأسباب فماذا أنت صانع الآن ؟

وصمت صديق وراح وجدى ينظر اليه منتظرا ما يقول ٠٠ وفجأة رأى وجدى على وجه صديق نورا كأنما سكبته عليه السماء ، ثم رأى اشراقة أمل ٠ وقال صديق دون ريث انتظار :

ــ السجن ٠

ــ ماذا ؟

ــ ما سمعت ٠٠

ــ ماذا تقول ؟

ــ أنا الآن سأدخل الكلية ، وكل ما أريده أن أتفرغ للمذاكرة حتى أتخرج بدرجة مشرفة ٠٠ وأنت مشرف على السجن تستطيع أن تدخل فيه من تشاء ٠٠ وان الداخل الى السجن لا يدرى كم سيبقى ٠

ــ أهذا معقول ؟

ــ أعتزل العالم ٠

ــ واذا انتقلت أنا وتركت السجن ؟

ــ أخرجنى قبل أن تترك مكانك ، ويفرجها المولى سبحانه وتعالى بعد ذلك ٠

ــ وماذا أقول لمن سيسأل عنك ؟

ــ سافر يكمل تعليمه فى الخارج ٠

ــ وكيف ستذهب الى الكلية ؟

ــ هات لى الكتب ودع الباقى على الله وعلى ٠

سكت وجدى وراح يفكر فى الأمر : الفكرة بالنسبة لى ممتازة ٠٠ أولا أبعده عنها تماما فلا تحاول محاولتها الأثيمة مرة أخرى ، وأخفى عنها أنه فى السجن ٠ وثانيا سيكون تحت رقابتى دون أن يدرى أحد ٠٠ ومن ناحيته سيذاكر ولن يشغله شىء عن المذاكرة ٠٠ وأنا أستطيع أن أجعل السجن لينا بالنسبة اليه ٠٠ وستكون صلته بى مباشرة وأستطيع أن ألبى جميع مطالبه فيصبح سجينا غير سجين ٠٠ الفكرة ممتازة ٠

وأعاده صديق من أفكاره المنفردة :

ــ ماذا قلت ؟

ـ أكمل اعداد ملابسك ٠

وراح صديق يكمل اعداد ملابسه في حزم واصرار وقد أصبح وجهه كله عزما واقداما ٠

★★★

وفي حجرة خاصــة نزل صــديق بالسجن ، وصــدرت الأوامر أنه يستطيع أن يلتقي بمن يشاء من المساجين دون حرج عليه حتى لا يشعر بالوحــــدة ٠

وكان ادخال شخص الى دار سينما ٠ فالسينما على الأقل ستكلفه ثمن التذكرة ، أما السجن فلا يكلفه الا ادعاء بانه خطر على الأمن ، فقال شفاها ثم يصبح السجن هو المصير ٠

★★★

(١٥)

كثر الحديث حول زهيرة ، وعرف الكثيرات أن الفتى الذى تولت تربيته منذ الطفولة خرج من البيت الى حيث لا يدرى أحد على الاطلاق ٠ وتملكها الغيظ ٠٠ فالتهمة قاتلة ٠٠ ولا أحد يعرف دافعها عليه ، فان سرها مع زوجها ظل حبيس صدرها وفراشها لا يعلمه أحد الا الله ٠

ومع الأيام كانت زهيرة تشعر بسعة التهمة ٠٠ واتساع اللغط بها بين صويحباتها جميعا ٠٠ ولم تكن واحدة منهن لتجرؤ على مواجهتها بها ٠ وهكذا واجهت موقفا عجبا ٠٠ تهمة ولا تهمة ، وحديث ولا اعلان ، ومناجاة بين النساء لا يرتفع الى المواجهة ولا ينقطع ٠٠ ولم تكن زهيرة فتاة صغيرة بل كانت في السن التى ينبغى فيه للنساء أن يكن بعيدات عن الشبهة كريمات السمعة ٠

ولو أن هذا الذى يطالعها اليوم كان أمرا طبيعيا فى حياتها ربما احتملته وضربت بالسمعة والشرف عرض الأفق ، ولكنها عاشت عمرها كله نقية السيرة لا يتناولها لسان الا بالطهر والعفاف حتى وان كان لسانا عدوا حادا جارحا ٠٠ ربما اتهمها بعضهن بالكبر أو ربما ذكرها لسان بالحدة والعنف ٠٠ ولكن لسانا ما لم يتعرض لعرضها قط ٠

وهكذا واجهت زهيرة فترة مريرة من حياتها ، وزادها مرارة أنها لا تدرى كيف تخرس هذه الألسنة ٠٠

الا أن فكرة عجيبة طرأت لها لا تدرى مأتاها ، وراحت تنفذها فى اصرار ، وعاونها على ذلك أن زوجها كان فى شبه قطيعة معها لا يسألها عن خروج من البيت أو دخول . فقد كان صديق فى يده مطمئنا الى أنه بعيد عنها كل البعد . وهو يدرى أنها لم تحاول أن تخطىء الا مع صديق ، فهو منذ تزوج فرض عليها العيون الرواصد وأطلق خلفها أدواته الجهنمية التى لا يخفى سر عليها وأصبح واثقا منها كل الثقة .. أما صديق فجماله يفتن أعظم النساء عفة وأكثرهن نقاء وطهارة .. ثم انه معها فى البيت .. واذا قبل فالسر دفين ولن يتصور أحد أن علاقة تقوم بين فتى فى مكان الابن وبين امرأة هى منه فى مكان الأم .

ان تكن حاولت معه فهى بالقطع واليقين لن تحاول مع غيره .. فلتخرج ما طاب لها الخروج فهى فى موقف صعب شديد ... وهى وان تكن تكسر عين زوجها بعجزه الا أنها تشعر أن ما فعلته غير جدير بها ولا يبرره حال زوجها ، كما لا يبرره ثقتها أن زوجها لن يستطيع أن يطلقها . فهى تدرى أنه يحرص على أن يظل أمره خفيا عن الناس غاية الخفاء . وقد عمل على ذلك بكل السلطات التى فى يده شرعية هذه السلطات مستمدة من قوامة الزواج ، أو غير شرعية مستمدة من السلطان الظالم والبغى والجبروت .

تأكدت زهيرة أن زوجها سيكون غائبا عن البيت فى يوم الأربعاء فاختارت هذا اليوم لتدعو الى الشاى جميع اللواتى اتهمنها بالعيون اللائمة أو العيون المتسائلة أو العيون المتلصصة .. أو بالابتسامة الخبيثة . وأصرت أن تدعو اللواتى تجرأن وسألنها كيف حال صديق لماذا لا نراه ؟.. وكان هذا السؤال غريبا لأن صديق كان بالنسبة لصويحباتها شبحا يسمعن عنه ولا يرينه منذ قدم الى البيت ..

دعت أولئكن جميعا وأعدت لهن حفلة شاى باذخة أكثرت فيها من الفاكهة واختارت التفاح بالذات ، وذهبت خصيصا الى من يسن السكاكين فيجعلها بالغة الحدة .. وذهبت أيضا الى أحد المصورين وأعطته صورة صغيرة عندها وطلبت اليه أن يكبرها فيجعلها بالحجم الطبيعى ..

وجاءت المدعوات وقدمت اليهن التفاح وانتظرت حتى بدأن يقشرن التفاح وأزاحت الستار عن الصورة المكبرة لصديق ، فبدت الصورة وكأن صاحبها هو الماثل لا الصورة ، وارتبكت السكاكين فى أيدى النسوة وقطعن أيديهن وتصايحن .. هذا ملاك .. لم نر مثل هذا الجمال .. ليس هذا من البشر ..

ــ لا تلمنني اذن وأنتن قطعتن أيديكن ..

وسترت الصورة ، وفهم المدعوات أنه لا معنى لبقائهن بعد ذلك ..
فقد أسدل الستار على نهاية التمثيلية التى ألفتها زهيرة ..

وفي المساء اقتحمت زهيرة على وجدى غرفته ، وأصابه ارتباك شديد
وراح ينتظر ماذا هى قائلة له .. ولم تقل كثيراً :

ـ هذا جواز سفرى ..
ـ ماله ؟
ـ أريد تأشيرة للأراضى الحجازية .
ـ ما زال الوقت بعيدا عن الحج .
ـ سأقيم هناك حتى موعد الحج وأؤدى الفرض .
ـ من الآن الى موعد الحج ؟
وفى حسم قاطع :
ـ نعـــم .
وفى خضوع حازم :
ـ أمـــرك ..

***

(١٦)

نال صديق شهادة البكالوريوس .. ويوم أن أبلغه وجدى بالنتيجة
وبشره أنه نالها بدرجة الامتياز قال له شيئا عجيبا ..

ـ يا صديق أنا أعرف أنك على قدر كبير من العلم والحكمة .. وانك
موصول الأسباب بالله سبحانه وتعالى ..

ـ الحمد لله ..
ـ رأيت رؤيا .

ـ قلها .. فكل رفاقى فى السجن يلجأون الى لأفسر لهم ما يرون
من رؤى .. فهم كما تعلم لا يرون من الدنيا شيئا الا عندما ينامون ..

قال وجـدى :

ـ رأيت كأننى فى صحراء عريضة وحدى أشعر بالوحشة الشديدة
والانفراد ، ثم فجأة رأيت كأنما تنبت الصحراء حولى نوعا عجيبا من النبات

أحاط بى كالسوار ، فجريت الى أعواد النبات أحاول أن أزيحها فاذا هى أعواد من حديد صلب لا يلين ولا ينثنى ٠٠ وقد التصق كل عمود منه بالآخر كأنه حائط لا فراغ فيه ٠٠ وفجأة اخترق هذا الحائط الحديدى جماعة من النمور كانت تخترق الحديد وتدخل منه ، ثم يعود الحديد الى الالتئام وكأنه ما لان للنمور ولا انفرج عنها ٠٠ والتفت النمور حولى وملأنى الرعب ٠٠ ورحت أدور بعينى فى عيون النمور فأجد غضبا عارما وأجد نيرانا لاهبة وصرخت ٠٠ وصحوت ٠٠ ما هذه الرؤيا ٠٠ ؟

ــ اسمع أنا عرفت الرؤيا ، ولكن لن أعبر لك عنها الا عندما تأتى الى فى المرة القـــادمة ٠٠ وتخبرنى أننى عينت مستشارا ماليا لوزارة الزراعـــة ٠

ــ حددت المنصب ٠٠ أيعقل أن تعين فى هذا المكان وأنت متخرج فى هذا العام ؟

ــ لا عليك ٠٠ اجعلنى أقابل وزير الزراعة ولن أطلب منه تعيينى الا بالدرجة التى يؤهلنى لها تخرجى ٠٠ ولكننى أعرف فى نفسى أننى خبير فى هذا المكان ، وأننى سأفيد مصر فائدة عظمى فيه ٠٠

ــ وما شأن هذا بالرؤيا ٠٠ ؟

ــ ان له شأنا أى شأن ٠٠

ــ ما ترى ٠٠

ــ وشىء آخر ٠٠

ــ ماذا ؟

ــ لقد قضيت هنا أربع سنوات وأنت أخبرتنى أن السيدة حرملة أصبحت لا تترك فرضـــا من فروض الله الا أدته وأنهـــا دائبة على قراءة القرآن . وأنها أصبحت انسانا آخر ٠٠

ــ هذا حق ٠٠

ــ فلا معنى لبقائى هنا اذن ؟

ــ أنا تحت أمرك ٠٠

ــ أخرج الآن معك ٠٠

ــ لك هذا ٠٠ بيتى تحت أمرك ٠٠

ــ بل تضعنى فى حجرة مفروشة ٠٠

ــ هيا بنا ٠٠

★★★

لقى وزير الزراعة وانبهر به الوزير وعينه مستشارا خاصا له فى مكتبه .. وجاء اليه وجدى يهنئه ..

ــ ما الرؤيا ؟

ــ لقد انتهى عهدكم .. وعليك أن تعد نفسك لمواجهة الذين عذبتهم انهم هم النمور .. والصحراء بعض الذين يساندونك .. والحديد هو الحصار الذى سيحيط بك ..

ــ أتعنى أننى ..

ــ أعنى أن لكل عهد نهـاية ولكل أجـل كتاب وليس ربك بظلام للعبيــد ..

ــ شماتة ؟

ــ معاذ الله ما كنت لأشمت فيك .. وقد أكرمت مثواى ولكنه الحق الذى عاهدت الله ألا أقول غيره ..

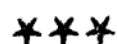
ــ الأمر لله من قبل ومن بعـــد ..

ــ سبحانه ..

★★★

منذ عين صديق لم يضيع وقتا .. فقد طال به الحنين الى أبويه .. كان يراقب بيت أبيه عن كثب .. وشهد أباه يخرج فى أحد الأيام معتمدا ذراع أمه .. ووضح له تماما أن أباه لا يرى .. واعتصر الحزن قلب صديق .. رعاك الله يا أبى لست أنا الذى صنعت بك هذا .. وانما هما ابناك الآخران ..

تمكن صديق من مكانه الجديد فى مكتب الوزير أن يعرف كل شىء عن حالة الزراعة فى أرض أبيه .. وعرف أيضا أن أخويه قد جعلا الزراعة كلها موالح . واستخدم المفتش الزراعى المختص بمنطقة الأرض وعرف أن أباه هو الذى يأخذ الأموال كلها وأنه رفض أن يعطى أى توكيل لأبنائه حتى بعد أن كف بصره . وعرف من المفتش أنهم يبيعون الثمار الى الوزارة لأنها ثمـــار مثالية ..



(١٧)

تسلم عبد الغنى خطابا مسجلا من وزارة الزراعة أن الوزارة لن تشترى منهم ثمار هذا العام .. وأنهم يستطيعون مقابلة الأستاذ صديق

وجدى بمكتب الوزير للمناقشة معه فى هذا الأمر على أن يكون ذلك بعد أسبوعين من تاريخه بديوان الوزارة ٠٠

ونزل الخطاب على عبد الغنى نزول الصاعقة ، وسارع فى أبيه يروى له أمر الخطاب وهو يتميز من الغيظ وقال صابر :

ـ هل ما زلت تحب المال هذا الحب يا عبد الغنى ؟ ٠٠ ماذا أنت صانع به ؟

وزلزلت كلمة الأب كيان عبد الغنى ٠٠ وفهم الخفى الواضح فى كلام أبيه ٠

ـ ألأنى لم أنجب ذرية يا أبت ؟ ٠٠

ـ لا أنت ولا أخوك ٠٠ أتحبان المال لذاته ؟ ان ذلك لشىء عجيب ٠٠

ـ أنهمل أمورنا لأننا بلا أولاد ؟

ـ وفى السماء رزقكم وما توعدون٠٠كل ما فى الأمر أن ثمن المحصول سيكون أقل من السنوات الماضية ٠٠ أليس كذلك ٠٠ ؟

ـ وهل هذا قليل ؟

ـ ليس كارثة على كل حال ٠٠ اقرأ على الخطاب ٠٠

وقرأ الخطاب ووجد أباه يقول بغير مناسبة :

ـ ما الذى أذكرنى صديق الآن ؟

وثارت هند :

ـ حرام عليك يا صابر ٠٠ ان كنت لا تريد أن ترعى نفسك فارحمنى دون أن تذكر صديق وها أنتذا ترفض أن تعالج عينيك ٠

ـ لا أريد أن أرى الحياة بدون صديق ٠٠

ـ أليس هذا أمرا عجيبا ؟ وعلى كل حال ما الذى أذكرك صديق الآن ؟ ٠٠

وقال عبد الغنى فى يأس واحباط :

ـ انه لا يريد أن يجيبنى برأى فى شأن الخطاب ٠

وقال صابر :

ـ كيف عرفت ذلك ؟ ٠٠

ـ هذا واضح ٠

ـ انك لا ترى الواضح يا عبد الغنى ٠٠

ـ كيف ذاك ؟

ـ ان الخطاب يطلبك للمناقشة ٠٠ اذن فعدم الشراء ليس أمرا

نهائيا .. بل ان هناك شروطا جديدة .. أو هناك على الأقل كلام سيقال ..
ـ أعزك الله يا أبى ، لقد والله فتحت لى باب أمل من حيث لا أدرى ..

★★★

نادى صديق ساعى مكتبه الذى يدعوه بعم خضر وطلب اليه أن يركب سيارة أجرة معه . واستجاب عم خضر دون أن يسأل عن القصد . وكان مع صديق لفافة صغيرة يمسك بها فى حنان .. وحين بلغت السيارة بيت أبيه أوقفها وقال لعم خضر :

ـ انزل الى هذا البيت واعط هذه اللفافة لمن يفتح لك الباب . وحين يسألك عما بها قل : انها رسالة قديمة وجدت فى أمانات البريد ووجدت عليها العنوان فقلت آتى بها اليكم ، ربما كان بها شىء مهم .

وفعل خضر ما طلبه اليه صديق بحذافيره ، وفتحت له هند الباب وهو ما توقعه صديق .. وفى طيبة واقتناع قبلت هند ما روى لها خضر ودخلت باللفافة الى حجرة صابر .. وقصت عليه الأمر وهى تفتح اللفافة . وما ان رأت ما يغلفه الورق حتى رمت به صائحة .. بسم الله الرحمن الرحيم .. ووقع القميص على وجه صابر فاذا هو يقول فى هدوء وطمأنينة وثقـــة :

ـ انه قميص صديق .. ما كان الله ليخذلنى أبدا ..

وصاحت هند وهى تلقف القميص .. وقد أوشكت على الجنون ..
ـ أحقا ما أرى ؟ ..

وراحت تقبل القميص بدموعها وروحها وبكل كيانها ويقول صابر ثانية :

ـ ما كان الله ليخذلنى أبدا ..
وتجلس هند وهى تقول :
ـ أمعنى هذا أنه حى ؟
ويقول هو فى ثقة :
ـ أما التفسيرات والتخمينات فأتركها لك أما أنا ففى شأن آخر ..
ـ ماذا أنت صانع ؟
ـ كم الساعة الآن ؟
ـ ماذا تريد ؟
ـ كم الساعة ؟ .. أظنها العاشرة ..

ـ تقريبــا ٠٠

ـ هيا خذى بيدى ٠٠

ـ الى أين ؟

ـ ستعرفين ٠٠

ـ يا صابر ربما كان الأمر كما رواه الرجل الذى أحضر اللفافة وتكون رسالة قديمة ٠٠

ـ أنا لن أناقش الأمر ٠٠ هيا بنا ٠٠

ـ الى أين ؟

ـ الى الدكتور على مالك ٠٠

ـ أحقــا ؟

ـ توكلى على الله ٠٠

ـ رسالة خير والله ٠٠ رسالة خير ٠٠ لو لم تعد الينـا الا بعدك لكفى ٠٠

كانت عملية صابر من العمليات الحديثة باشعة الليزر ٠٠ وكان الدكتور على مالك تواقا أن يقوم بها لصابر فقد كان يرى فيه واحدا من رجال الله المخلصين ٠٠

وتمت العملية ٠٠

★★★

(١٨)

ذهب عبد الغنى وعبد الودود الى مكتب صديق ولقيهما من فوره ٠ وراح عبد الغنى يتكلم دون أى مقدمات ٠

ـ يا سعادة البك ان الثمار التى ننتجها لا مثيل لها فى القطر كله فلماذا ترفضون شراءها ؟ أهذا معقول ٠٠ انها أول مزرعة فى مصر ، وجميع انتاجها يصدر الى الخارج و ٠٠٠٠

واستمر الحديث طويلا وصديق يسمع لا يتكلم حتى اذا نفدت كلمات عبــد الغنى وأصبح لا يجد شيئا يقوله التفت صــديق الى عبد الودود وقال له :

ـ وأنت ٠٠٠ ألا تقول شيئا ؟

ـ لا يا أفندم ··· قال أخي كل شيء ··

ـ ألا زلت على حالك هو يقول وأنت تسمع وتنفذ ·

وفي بهر مذهول صاح كلاهما :

ـ ماذا ؟

وأكمل دون أن يعير ذهولهما أي التفات :

ـ كنت أتصور يا عبد الودود أنك مع السن ستصبح لك شخصية ، ولكن للأسف أنت كما أنت لم تزدك السنون الا ضعفا ·

ونظر عبد الغني الى عبد الودود وقال :

ـ من هذا ··· أيمكن ··· أيعقل ··· أيتصور أحد هذا ؟

وانتفض عبد الغني واقفا في حيرة من يجابه الماضي في مكان لا يتصور أن يرى فيه أثرا منه ··· وصاح :

ـ أهو أنت ··· أصديق أنت ··· أنت صديق ؟!!

ويصيح عبد الودود وكأنه صدى صوت :

ـ أهو صديق ·· صديق أخونا ·· أهو صديق ؟!!

وفي ثبات حازم يصيح بهما صديق :

ـ اصمتا واسمعا ·· اسمعا كلاما ظل كالاعصار في نفسي منذ وعيت الحياة ··· كعزيف الريح كان وآن له أن ينتقل الى اللذين أثاراه ·

ـ ماذا ؟

ـ ماذا تقول ؟

وفي هدوء ثابت أطلق صديق عاصفته التي لازمته سنين العمر الواعي كلهـا :

ـ لماذا أردتما قتلي ؟

وصاح كلاهما كما لو كانت رصاصة قد أصابت كلا منهما :

ـ ماذا ؟!

وفي هدوئه لا يزال يقول صديق :

ـ لقد غبت عنكما هذه السنوات وأنتما لا تعرفان أنني سمعت المؤامرة التي كنت تدبرها أنت يا عبد الغني والتي وافقت عليها أنت يا عبد الودود ، وأنتما جالسان بمقهى الملاهي :

وصاح عبد الغني :

ـ سمعت ماذا ؟ سمعت ماذا ؟

وصاح عبد الودود :

ـ اذن فقد سمعت ·

ويكمل صديق فى ثبات

– وجريت يومذاك مذعورا · ولو كنت قتلت لكنتما قاتلى · وانتظرت هذه السنوات أرفض العودة حتى أكون واثقا من نفسى وأنفى عن نفسى خوف الأخ الأصغر يريد أخواه الكبيران أن يقتلاه ·· وأنتما اليوم كلاكما أضعف منى ·· وأنا أواجهكما ·

وأجهش الأخوان باكيين فقد كان البكاء هو كل ما يمكن أن يقال · وقال صديق :

– بعض دموع ستحمل الى نفسيكما الراحة أين هى من عذاب طفل وفتى وشاب يعيش على الصدقة فى بيت لا يجمعه به نسب ولا تصله به قرابة ؟···ما بعض دموع أمام ذل السنوات والشعور بالضياع والاحساس أننى فى أى لحظة قد أطرد من البيت ؟ ما بعض قطرات من ماء العين وأنا الذى وجدت السجن أحب الى من الحرية ، وعشت فيه لأقطع ما بينى وبين هؤلاء الناس ؟ ابكيا ما شاء لكما البكاء فقد ألقيتمانى السنين الطوال الى عالم لا أموت فيه ولا أحيا ·

وقال عبد الغنى :

– ألا تطمع فى غفران ·· ان الحياة التى اختارها الله لتكون سخطة على آدم لابد أن يكون فيها أمثالنا من الخاطئين ·· وهى غير جديرة بأن تعاش ، ان لم يكن فيها أمثالك من الصديقين الغافرين

– وان غفرت لحقى فكيف أغفر لحق أبى ؟

– لقد عاد اليه نظره ·

– لأنى أرسلت اليه قميصى . لقد حطمتم رجلا لولا ايمانه لأحاط به الفزع الأكبر من الهول ·

– هو سيغفر ·

– لأنه أب وأنه لم يعرف ما كنتما تدبران ·

– أو تقول له ؟

– سنرى ··· هلم بنا اليه ·

★★★

وارتمى صابر فى أحضان صديق وعلا منهما بكاء الفرح . وأحاطت بالاثنين ذراعا هند وقلبها · وراح صديق يقبل رأس أمه ووجهها وعينيها ·· انها أمه الحق ·· التى لا يخاف عندها ولا يعرى ·· وحين هدأ اللقاء نظر صابر الى صديق ثم نظر الى عبد الغنى وعبد الودود وقال لصديق :

– انك لن ترد لى عندك طلبا ··

ـ حتى ان كانت عودتى الى حيث كنت ٠٠

ـ أنا أعلم أنك ما هربت الا فزعا من أخويك ٠

وقف الاخوة الثلاثة وأكمل صابر :

ـ أتذكر الرؤيا التى رويتها لى قبل أن نفترق ٠٠٠ انك فى الرؤيا قد غفرت فهل أرجو أن تغفر فى الحياة ؟ ٠٠ وكفاهما أنهما لم ينجبا ولدا ولا ابنة ٠٠ ان السماء تعرف كيف توزع الأرزاق ٠٠

ويقول صديق مطرقا :

ـ اللهم انى أغفر ، واللهم ارزقهما البنين والبنات ٠٠٠ واللهم لك الحمد فى الأولى والآخرة ٠٠ اللهم تقبل دعاء ٠٠

ويطرق صابر وهند وعبرات تسبق قولهما معا ٠٠

ـ اللهم آمـــين ٠٠

((تمـت))

خشوع

إهـــداء

لا إله إلا الله محمد رسول الله

● ● كلمة حق

الى زوجتى أم أمينة ودسوقى

هذه روايتى العشرون اقدمها فكأنى اقدمها الى نفسى • فقد كنت لى على مدى أربعين عاما امنا عند الجزع • وحضنا عند الضائقة • وسكينة عند الروع • وحبا لا يخالطه من • ووحيا كأنه نور من السماء • وحدبا اذا تجهمت الدنيا • واشفاقا حين تنبت الأشواك فى الطريق ، وكم مرت بنا من الأيام اشواك فكنت انت الورود فيها • وكم لقينا من الحياة ظما فكنت انت الورد الصافى والماء الطهور •

اليك بجانبى كل دعائى الى الله أن يمد فى عمرك لتكونى لى ولابنتك ولابنك الحياة التى لا حياة لنا الا بها فثلاثتنا يشعر عن يقين انه هو انت وحسبنا ان نكون نحن أنت ؟

ثـروت

خشوع

(١)

المركز فى مصر شأنه عجيب .. فلا هو مدينة تكتمل له عناصر المدينة جميعا .. ولا هو قرية ترين على جنباته أجواء القرى التى يعرفها ريف مصر منذ فجر التاريخ ..

المركز مدينة صغيرة أو قرية مكبرة يجمع بين الحاضرة والريف فى تناسق عجيب ..

فأنت تجد فى المركز دارا أو ربما دارين أو ثلاثة أحيانا للسينما ..

وفى المركز أطباء كثيرون قد يزيدون أو يقلون عن العشرة ولكنهم دائما متعددون .. وقد تجد بل انك كثيرا ما تجد أطباء متخصصين .. وبالمركز دكاكين كثيرة لبيع الفاكهة الأمر الذى لا تجده فى القرية مطلقا ودكاكين أخرى لبيع الملابس .. بل انك فى اجمالة تنأى بنا عن التفصيل تستطيع أن تشترى ما شئت فى المركز لا استثنى من ذلك التليفزيون بل والفيديو أحيانا ان لم تجده فى الحال وجدت من يشتريه لك فى ساعات من الفرع الرئيسى الذى يمثله هو فى المركز ..

وللمركز محكمة لها قضاتها ونيابتها وجميع الموظفين الذين تحتاج اليهم المحكمة . أما الشرطة فأنت واجد لا شك قسما لها يرأسه مأمور بأكمله مع مساعديه من الضباط وما يليهم فى المرتبة ..

وبالمركز أكثر من ناد منهـا الرياضى ومنهـا الاجتماعى .. وربما يكون هناك ناد معين هو أهمها ولكنه لا يلغى الآخرين .. وبالمركز أكثر من محام .

مدينة مصغرة هو المركز .. وناسه يعرفون بعضهم البعض وهو فى هذا يقترب الى القرية .. وينأى بعض الشيء عن المدينة ..

فى مركز من مراكز مصر يقيم الرجل الطيب عبد الهادى النقيب ..

ومركز المهدية الذى يقيم فيه من أهم مراكز مديرية الشرقية ٠٠ وقد جاء عبد الهادى نفسه فى المهدية وهو يعلم أن أباه وجده كانا يعيشان بها ٠٠

وكان عبد الهادى النقيب من أعيـان المهدية ومن أحب أعيـانها الى ناسها ٠٠ وما اختلف قوم فيما بينهم أو وقع خلاف بين أسرتين الا كان عبد الهادى هو أول من يتجه اليه المختلفون يرجون عنده الرأى السديد والعقل الراجح والبعد عن الهوى والحفاظ على العدل ٠٠

فما كان عجيبا آن أصبح عبد الهادى فى نفوس أهل المهدية رئيسا للقوم ٠٠ وقد تولى منصبه هذا دون تعيين وبغير انتخابات ٠٠٠هو هكذا فى القلوب دون أى قرار رسمى ٠٠ ويعلم الله أن كثيرا من أصحاب الرئاسة الرسمية يتمنى أن يصل الى هذه الرئاسة المضمرة المتمكنة من القلوب ويهون عنده حينئذ كل المراسيم والقرارات والأوامر التى نصبته رئيسا رسميا ذا تاج وكرسى عرش وحرس وخدام وضجيج وعجيج وصراخ لا يدرى أحد مدى الحق فى شأنها ٠

أما رئاسة القلوب المضمرة فهى رئاسة لا شك فى أمرها أثبتها كل فرد من أفراد الشعب فى نفسه ٠٠ وأصبح فى غير حاجة آن يعلن عنها ٠٠

كذلك كان عبد الهادى وهكذا نفى الله عنه أبهة الرئاسة المظهرية ٠٠ فلا هو صاحب غرور ولا تكبر ٠٠ وما لرئاسته مراسم مظهرية ولا طبل ولا زمر ٠٠ وربما كان لا يدرى أن الناس يتخذونه فى نفوسهم رئيسا لهم ولكنه ــ لا شك ــ كان يعرف أن الناس يحبونه لانه كان على ثقة أنه يحب الناس ويسعد أن يقيل عثرة من أنزل الدهر به عثرة ٠٠ ويهنأ أن يمد من احتاج بحاجته وتملأ نفسه البهجة ان وقف بجانب أسرة كانت ذات عزة وكرامة وأراد الدهر أن يعدو عليها ٠٠

كانت دار عبد الهادى موئلا لمن حاولت الحياة أن تزعزع مستقرهم، يجدون فيه النفس الراضية تسمع وتواسى ٠٠ ويجدون الى جانب الكلمة العادلة كرم المال والنفس يقدمه عبد الهادى مما حباه الله به من مال ٠٠ وقد كان غنى عبد الهادى غنى واسعا ، ولكن الناس أحبت له هذا الغنى لأنه كان يعتبر ماله مال كل محتاج وكل أخ فى الانسانية حزبته من الحياة ضائقة ٠٠

وكان عبد الهادى أيضا لا يبخل بجهده عند الشدة ٠٠ فان له فى أعيان مصر صلات وصداقات وما تاخر يوما عن سعى حثيث فى سبيل خير أو بعض خير قد يعود على قاصده ٠٠

وكان أخو عبد الهادى أصغر منه بسنوات عديدة وكان منه بمثابة الابن تماما . فان عبد الهادى فقد أمه وهو يقارب العشرين من عمره وكان أبوه الحاج رافع النقيب فى الخمسين من عمره فتزوج بعد وفاة أم عبد الهادى بعامين واختار لنفسه عروسا من أسرة النوافعة توفى عنها زوجها وهى فى الثانية والثلاثين من عمرها . ولم يمتد زواجها الأول بما يسمح لها أن تهب الحياة أبناء .. فحين تزوج منها الحاج رافع وهبت له عبد الوارث بعد سنتين من زواجهما ..

وهكذا كان عبد الهادى بمثابة الوالد لعبد الوارث وقد كان الحاج رافع يمزح دائما وهو يقول عبد الهادى أخذ منى عبد الوارث فانا لا أعرف من شأنه شيئا هو الذى يرعاه .. لعل هذا يقنعه أن له ابنا ما دام قد مضى على زواجه سنتان ولم ينجب ..

وقد كان عدم انجاب عبد الهادى هو النغصة التى يشقى بها عبد الهادى .. فقد كان أمله أن ينجب وكان يقول لأصدقائه ، الأبناء للآباء حياة أخرى وان كانوا يأكلون الحياة الأولى . أرى جزع الآباء على بنيهم فأكاد أحمد الله أن ليس لى بنون ولكننى ما ألبث أن أتمنى أن أصاب بهذا الجزع وأن أظل على ولدى ملهوفا لهفة كفيلة أن تمحو كل سعادة فى حياتى ولكنها فى ذاتها سعادة لا تعدلها سعادات العالم أجمع ..

كان يقول لأصدقائه ..

اننى أتمنى أن أرى بنفسى ولدى ولن أحاول أن أتظاهر بالرضى اننى لم أنجب .. لا أنا أريد أن أنجب مهما يكن فى الانجاب من رعب يتولى الأب نحو بنيه ومهما يكن فى الانجاب من انفاق للصحة والمال .. ومهما يكن الابن مجلبة للقلق يتولى الأب بين أمل يهفو اليه وحقيقة تطالعه .. وذعر يتولاه أن يصاب ابنه بمكروه مهما يكن هينا هذا المكروه .. أريد أن أنجب مع علمى بالهلع الذى يتولى الآباء على أبنائهم .. ان هذا الهلع عندى سعادة .. ويل للأب ان أصيب الابن بجرح .. وما أعظم الهول الذى يلقاه الأب اذا قدر الله عليه أن يوارى ابنه التراب .. ولكنى ومع علمى بكل هذه الأهوال أريد ابنا .

حين مات الحاج رافع كان عبد الوارث فى الثامنة من عمره .. فكان عبد الهادى منذ هذه السن الباكرة بمثابة الأب له ..

ولكن ليس فى العالم انسان يستطيع أن يكون مكان الأب مطلقا .. كان عبد الهادى يخشى أن يقسو على أخيه لانه ليس ابنه .. والابوة تحتاج رغم أنفها الى بعض القسوة فى كثير من الأحيان .. وهكذا لم يكن غريبا

أن يتعثر عبد الوارث فى الدراسة ولا يستطيع عبد الهادى ازاءه الا أن يعنفه تعنيفا هينا لم يصل الى الشدة قط ..

ولم يتسلم عبد الوارث ميراثه عن أبيه ولم يكن قليلا ولكن عبد الهادى قام على هذا الميراث خير قيام وراح ينميه لحساب أخيه ورفض أن يحتسب من ميراث أخيه مأكله وملبسه مرتئيا أن هذا واجب عليه حتى وان كان الأخ غنيا ..

وكان الحاج رافع حين تزوج فائقة أم عبد الوارث رأى أن يرضى ابنه الأكبر بعمارتين باعهما له وسجلهما باسمه .. ولم يكن عبد الهادى محتاجا لهاتين العمارتين حتى يرضى فلم يكن غاضبا حتى يحتاج الى ارضاء ..

★★★

نذر عبد الهادى أن يقيم مسجدا لوجه الله اذا استجاب الله دعاءه ومن عليه بمولود .. وان للسماء أسرارها .. وحملت زوجته حميدة .. وقبل أن تلد كان عبد الهادى قد بدأ يضع الأساس للمسجد وهو يقول انه مسجد لله وسواء عندى أن تمت الولادة أم لم تتم .. قد نذرت أن أبنيه ان أنجبت وقد أخطأت فان على ما دمت قادرا أن أبنيه أنجبت أو لم أنجب ..

وحين قدم ابراهيم عبد الهادى النقيب كان المسجد قد تم بناؤه وأقيمت الأفراح خيرات على الفقراء والمعوزين .

وقرت عينا عبد الهادى واطمأن قلب حميده .. واكتملت فى البيت سعادة كانت ناقصة وأذن لها الله أن تكتمل .

★★★

شب ابراهيم فتيا بهى الطلعة مكتمل الرجولة زكى الفؤاد فى سمته عند الناس قبول لا يراه الرائى الا انشرح قلبه لمرآه ، على فمه ابتسامة كأنها بطاقة من الحب تركها محب هناك عن عمد .. وفى جبهته اشعاعة سلام كأنها دعوة ود لا كدر فيها ولا مغاضبة ..

وأجمع الناس على حبه مع أن الناس لا تجمع على شىء .

ناس المهدية مثلهم مثل سائر الناس فيهم الطيب الشريف وبينهم المجرم الخبيث .. والخير فى حياتنا نادر والشر على الناس غالب ، ولكن ليس هناك انسان كل ما فيه شر وحتى أهل الطيبة والورع قد تجد جانبا منهم لا يرضيك فانه لا كمال الا للنبى ..

كان أهل الخير وأهل الشر جميعهم يحبون ابراهيم ·· لانه كان لا يتيح فرصة لأحد أن يتصل به الا بالحب ··

شخصية توشك أن تكون بعيدة عن أبناء الحياة كان ابراهيم ··

وكان طبيعيا أن يكون عند أبيه أغلى من الحياة ·· وكم كان عجيبا أم لعله لم يكن عجيبا أن كتب عبد الهادى لابنه ماله جميعا وابراهيم بعد فى المدرسة الابتدائية ولم يعبأ بقول الناصحين أن يتريث وبما رزق بعد ذلك بابن آخر أو بابنة ·· لم يتصور أنه وقد ظل كل هذه السنوات بغير انجاب أن ينجب بعد ابراهيم أخا أو أختا ··

وكم كان عجيبـا ·· أم لعله لم يكن عجيبـا أن قال عبد الهادى لابنه :

ـ أريد منك شيئا ولا تعارضنى ··

ـ أنا لم أعارضك فى حياتى ··

ـ أعـرف ذلك ··

ـ أنا لن أخرج عن أمر لك أبدا ··

ـ مهما يكن غريبـا ·· ؟

ـ لقد أسميتنى ابراهيم تيمنا بأبى الأنبياء فاعتبرنى بالنسبة اليك اسماعيل الذى امتحن الله فيه أباه وحين قال لابنه أنى أرى كأنى أذبحك ·· قال يا أبتى افعل ما تؤمر وأنا أقول لك يا أبت أنا فاعل ما تأمر ··

ـ تزوج ··

ـ أتزوج أمرك نفاذ ولكن ماذا يقول الناس عن تلميذ فى المدرسة الثانوية يتزوج ·· ؟!

ـ يقول رأى أبوه نقاءه وطهره وأراد أن يعصمه ··

ـ هل اخترت لى العروس ·· ؟

ـ اذا لم تخترها أنت سأختارها أنا لك ··

ـ أحتاج الى مهلة ··

· هل تطول ·· ؟

ـ لا ما أظنها ستطول يا أبى ··

ـ أرأيت انى على حق ·· اذن فان قلبك كانت له نبضة بذاتها نحو فتاة بعينها ··

ــ كنت أكتم النبضة لا تذيع ٠٠ ٠٠ وهل كنت أتصور أنك ستأمرنى بهذا الأمر ؟

ــ وها أنذا أمرت ففيم المهلة ٠٠

ــ لابد للنبضة من نبضة تقابلها أريد أن أسمعها فاذا سمعتها من بعيد أجبتك ٠٠

ــ وكيف لك ان تسمعها وأنت بعيد ٠٠ ؟

ــ للشباب نظـرة يسمع بها ولنـا عند اللقاءات غير المدبرة ملامح نعرفها ٠٠ تنبىء ولا تفصح تقول ولا تنطق ٠

ــ كنت شابا انا أيضا ٠٠

ــ ربما تكون قد نسيت ٠

ــ هذه الخلجات لا تنسى ٠٠ وتريد مهلة ٠

ــ ولن تطول ٠

ــ وأنا أنتظرها فى لهفة ٠

ــ أرجو الله يا أبى أن يجعلنى لك دائما مصدر سعادة لا يشوبها شائبة ٠

ــ اذن عجل ٠

ــ قبل أن تشعر بالضيق سيكون جوابى عندك ٠٠

ــ موافق يا ولدى ان شاء الله ٠

ــ ببركة دعائك يا خير أب ٠

★★★

شاب هو له خفقات الشباب وأحلامه وآماله ورؤاه ٠٠ وله أيضـا الصديق الذى يشعر نحوه بوشائج الفة وتربطه به أخلاق متجانسة متقاربة ٠٠ يسعد اذا جلس اليه ٠٠ ولهما بينهما همس وآراء وأفكار حتى كأنهما يصدران فى آرائهما عن مصدر واحد توجد معينة وتمازجت الأوماء فيه صادرة وواردة ٠

وقد كانت هذه هى الصداقة التى تجمع ابراهيم بعبد الواحد الزيادى ابن الشيخ مأمون الزيادى رجل الدين الذى اختاره أبوه ليكون امام الجامع الذى بناه وعبد الواحد زميل ابراهيم فى المدرسة منذ اليوم الأول لبدء دراستهما ٠٠ وتعود الأصدقاء أن يروا الصديقين متلازمين ٠

ولعبد الواحد أخت تصغر أخاها بعام واحد هي روحية .. يحس ابراهيم نحوها وجيبا وكان يعذبه عذابا يعرفه الشباب الذى يحب ، والذى يعلم أن حبه لن يصل به الى الأمل المنشود الا أن عذاب ابراهيم كان يزيد عن ذلك فقد كان يضاعف ألمه شعوره أنه يخون صديق عمر ونجى نفسه بهذا الحب وكان يلوم نفسه أشد اللوم كيف تحبين أخت صديقك وأنت تعلمين أنه ليس الى زواج من سبيل ؟ وكيف تحتملين أيتها النفس الخاطئة أن يكون هناك لك سر لا تجرؤين على الافضاء به الى عبد الواحد ؟ لولا علمك انه سر لا يقال ما حبسته عنه ولأبحته له مثل كل ما فيك من أسرار وأفكار وآراء .

ويل للناس من انفسهم ! كان كل من يرى ابراهيم يحسب أنه المثل الأعلى للسعادة ، والناس لا ترى الا ظاهر الأمور ، أو هى فى الحق لا تحب أن ترى الا ظاهر الأمور . وليس لها شأن بخفايا النفوس وحنايا الحياة وما يستره كيان الانسان المغلق كأنه جدران سميكة ترد العيون أن تتلصص الى الداخل .. وكان ابراهيم يزلزل بين السعادة والشقاء وهو يرى فى عيون روحية تحية لعيونه التى تشع بما يكنه قلبه لها وما يدرى أخير ذاك أم شر .

مسكين ابراهيم فقد كانت صداقته بعبد الواحد تكاد تدمره حتى لقد كان خليقا أن ينزع حب روحية من فؤاده لو أن للانسان على فؤاده سيطرة أو سلطانا ..

ولكن هيهات ..

هذا قدرى وهذا عذابى ان شاء الله أن يكون من حبى وهو طهور وكان حريا أن يكون سعادتى ومن صداقتى وهى أمينة صادقة ..

حين طالعه أبوه برغبته فى التعجيل بزواجه ، كان عقله وقلبه وكيانه لا يعزفون الا كلمة واحدة ..

ولو أن عزف القلوب والعقول والجوانح له صوت وان كان هامسا لسمع عبد الهادى اســم روحية تردده كل خلجة وخلية فى احناء ابنه ابراهيــم .

لهذا لم يكن عجيبــا أن ينصرف ابراهيم عن أبيه وسعادة الدنيــا جميعا تمور فى جوانبه ..

وانتحى من بيته ركنا وأغلق بابا وفكر ..

كيف اعرف منها هى أنها تقبل الزواج منى لشخصى وليس لصداقة بين أبيها وأبى ، ومحبة صادقة قوية بينى وبين أخيها ؟

أسأل ·· كيف ؟ وهل هذا يجوز ·· أجرح حياءها وأعدو مكانى الذى لا ينبغى لى أن أعدوه ؟

وانقضى الليل وأعقبه صباح ، ومع خيوط الفجر القادمة من السماء وجد ابراهيم هداه فى حيرته السعيدة ·

مع آذان الفجر ذهب الى بيت الشيخ مأمون فوجد عبد الواحد يهم بالخروج ليلحق بأبيه فى المسجد ويصلى معه الفجر حاضرا ·

ـ عجيبة ! أنت لا تصلى الفجر فى الجامع ··

ـ ولكن هل هناك ما يمنع ؟

ـ أعوذ بالله بل هو الأفضل ··

ـ لم أنم قلت أجىء اليك ونصلى معا بامامة أبيك ··

ـ علم الله ياأبا خليل ان وراء حديثك أمرا ·

ـ لم أستطع أن أخفى عليك من نفسى خافية فأى عجيبة أن تعرف هذه أيضا ·

ـ هلم بنا ··

وصليا الفجر وبعد قراءة التحيات ظل ابراهيم فى مكانه وفى هيئته أنه يريد أن يقول ما بنفسه هو فى مكانه هذا ·· وفهم عبد الواحد ·· وبقى الى جانب صديقه ·· وانفض المصلون وخلا بهما بيت الله ·

ـ هنا فى بيت الله أريد أن أكلمك فيما جئت اليك من أجله ··

ـ توكل على الله ··

ـ أبى يريدنى أن أتزوج ··

ـ ماذا ··

ـ لا تناقش ·· ابنه الوحيد ويخاف عليه الفتنة أو هذا ما قاله لى وربما كانت الحقيقة أنه يريد أن يرى لى ولدا ··

ـ لن أناقش ·

ـ أريد الزواج من روحية ·

وفى دهشة بالغة انتفض عبد الواحد :

ـ ماذا ··

ـ ما سمعت ان لها فى قلبى مكانا أخفيته عنك ظنا من أنها ستسبقنى الى الزواج وأريد منك شيئا لم يطلبه أحد من أخى فتاة مطلقا ..

ـ ماذا تريد منى ..

ـ أنا أعلم مكانى ومكان أبى فى بيتكم ولكنى لا أريد روحية زوجة مرغمة على الزواج بحكم صلات أهلها بصلات أهلى .

ـ وأنا ماذا أفعل ..

ـ لم أتصور أن أنتهز فرصة فأسألها أنا فاننى بهذا أكون قد خنت صداقتى بك وهدانى الله أن يكون السؤال منك سؤالا صريحا من أخ الى أخته وأستحلفك بالله وبصداقتنا ان وجدت لحظة من تردد ألا تعيد عليها السؤال ..

واحتضن عبد الواحد ابراهيم ودمعتان تطفران الى عينيه ما يدرى أدموع فرح بصديقه أم اعجاب به ..

ـ نعم الرجل ونعم الصهر أنت ونعم الأخ .. أسألها ان شاء الله وسأجتهد أن أكون فى سؤالى وفى نقلى لحديثها اليك قريبا من أمانتك .. أمانتك مع نفسك ومع الصداقة .. قم بنا ..

وقال ابراهيم وهو يربت ظهر عبد الواحد :

ـ هيا وفقك الله وجعل الخير على يديك ..

لم يكن شعور روحية أقل من شعور ابراهيم فقد كان قلبها يجيش اليه بألوان من الحب شتى .. وكان حبا منطلقا لايقيده حب ابراهيم من محاذير .. كانت تحب وكفى وتلقى الى المقادير مصائر هذا الحب .. ولم تكن فى حاجة الى أن تستوثق من حب ابراهيم لها فان للفتيات الى أعماق القلوب نظرة لا تخطىء وللفتيات قدرة على اخفاء مشاعرهن فابراهيم معذور ان استبهم به الطريق ولم يصل الى حقيقة حبه فى قلب روحية أما الشباب فهو فى اخفاء الحب ساذج .. وان له دائما من نظراته ولفتاته وقسمات وجهه ما يفضحه فما بعجيب أن تدرك روحية مدى حبها فى قلب ابراهيم .. وما بعجيب أن يجهل هو ان كانت تحبه أو لا تشعر به ..

قال لها عبد الواحد :

ـ ما رأيك فى ابراهيم يا روحية .. ؟

وانبهرت روحية وأطبقت عليها الحيرة .. أيكون عبد الواحد قد اطلع على خفايا فؤادها أو يكون ابراهيم قد باح بحبه البكر الى صداقته الخالصة

عند عبد الواحد .. وجمعت حروفا كونت جملة مترددة متهدلة غير واضحة المعالم :

ـ ما معنى هذا السؤال ؟

وفى حسم الأخ وفى أمانة الصادق الذى لا يعرف كيف يدور بالحديث :

ـ يريد أن يتزوج بك .. نعم تلميذ ويتزوج .. يريد أبوه أن يفرح به .

وانفجرت فرحة على معالم روحية جميعا وهى تقول فى سعادة ذات نغم :

ـ وأنا ما شأنى لماذا لم يكلم أبى .

ـ عرفت الجواب اذن فقد كان حبيبى ابراهيم متحرجا أنك قد تقبلينه من أجل صداقته بى أو من أجل صداقة أبيه بأبيك ..

ـ وماذا رأيت ؟

ـ رأيت ما يرضى ضميرى ..

وتخاذلت روحية فقد أدركت أنها فشلت فى اخفاء مشاعرها ..

ـ اياك يا عبد الواحد أن تنقل ما رأيت منى الى .. الى .. الى ابراهيم أو الى أبى ..

ـ سرك معك لم يبرحك وتعالى أقبلك لأكون أول من هناك .. وقبل الأخ أخته ..

ـ وأقيمت الأفراح وتزوج ابراهيم من روحية . وما هو الا شهور حتى حملت روحية حملها الأول .. ولكن الأقدار شاءت فى ارادة لا يعلمها الا صاحب النفوس وبارئها ومعطيها وآخذها أن يموت ابراهيم وزوجته فى شهور الحمل لم تزل .. وكان ابراهيم قد ولد ليهب الدنيا هذا الولد الساعى الى الحياة من السماوات العلا .

وكان الله قد شاء أن يؤدى ابراهيم ما خلق له ثم يطويه اليه سراجا وهب الحياة ما تحمله روحية ثم انطفأ ..

وانطفأت الحياة جميعها فى عينى عبد الهادى وتعلقت نفسه بالجنين قبل أن يراه أملا لياس قاتم ونورا لظلمات من طبقات بعضها فوق بعض حتى كان ابراهيم أن أخرج يده لم يكد يراها الا بهذا البصيص من الشعاع الذى يومض اليه ممن تحمله روحية ..

وأصبح انتظار المولود هو عمل عبد الهادى الذى لا عمل له غيره كانت يد الطفل تمتد من السماء ويتعلق بها عبد الهادي تمسك الغريق ليس له غيرها أملا ..

وحل موسم الحج ووجد عبد الهادى أنه اذا حج يستطيع ان يعود قبل أن تلد روحيـة فخرج الى الحجاز هنـاك يدعو لبيك اللهم لبيك فيما أخذت ولبيك فيما أعطيت عبادك نحن نرضى بما قسمت ونردد آياتك التى منها كلماتك المشرقة الوضاءة ..

((ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون)) .

« صدق الله العظيم »

(٣)

عاد عبد الهادى من الحج وفور عودته طلب من القابلة الحاجة مبروكة أن تقيـم فى البيت اقامة كاملة حتى تشرف على راحـة روحية لا لتقوم بتوليدها .. فقد كان ينوى أن يجعل الطبيب جابر فواز أحسن أطبـاء النساء فى المركز يتولى هو ولادة روحية ..

وتمر الأيام ويفاجأ عبد الهادى بالشيخ مأمون الزيادى قادما اليه :

ــ يا حاج عبد الهادى فقد سكت طوال هذه الفترة احتراما لحزنك .

ــ سكت عن ماذا ؟

ــ عن بقاء روحية فى بيتك ..

ــ أليست ابنتى ؟

ــ ولكن زوجها ...

والجم الأسى لسان الرجل الطيب وقال عبد الهادى :

ــ ماذا .. لماذا لا تقولها ..

ــ لقد كان منى بمكان الابن أيضا .

ــ هل أنت واثق .

ــ الله أعلم .

ــ اذن فأنت صادق فى قولك .

ــ لا شك فى ذلك .

ـ اما أن شأنك لعجيب ٠٠

ـ وأى عجب أن تلد ابنتى فى بيتى ؟

ـ يا أخى لقد اعتبرت أنت ابنى ابنك فلماذا تأبى أن تكون ابنتك بنتى وهى تحمل ابن ابنى فعلا ٠٠

ـ العرف والتقاليد ٠٠

ـ ومتى كان لى بيت ولك بيت يا شيخ مأمون ٠

ـ أخشى أن يقول الناس اننى بخلت أن أنفق على ولادة ابنتى ٠

ـ أكلام صغير كهذا يجعلك تطلب أن أترك ابن ابنى يولد فى غير بيته ٠ اسمع يا شيخ مأمون ان روحيـــة لن تترك بيتى لا قبل الولادة ولا بعد الولادة ان شاء الله ٠٠ واذا كلمتنى فى هذا الأمر مرة أخرى لمجرد خشية كلام صغار فستكون قطيعة بينى وبينك ٠٠

ـ لا قدر الله أنت كبيرنا وبيتك بيت الجميع فلا عجب أن يكون بيت حفيدك وأم حفيدك ٠٠

ـ وابنتك ابنتى على كل حال ٠

توكلنا على الله ٠٠ السلام عليكم ٠٠

ـ ألا تزور ابنتك وتدعو لها ٠

ـ أخشى أن أثير فى البيت اضطرابا ٠

ـ المرء لا يثير فى بيته اضطرابا أبدا أدخل على بركة الله ٠

★★★

حل موعد الولادة ولكن روحية وحميـــدة ومبروكة فوجئن جميعـــا بما لا يتوقع أحد ٠٠

بدأت الآلام ٠٠

وسارعت مبروكة تطلب الطبيب فى التليفون وطلبته وعادت ترافق الوالدة ٠٠

ولكن الآلام لم تدم الا دقائق قليلة ثم رأت مبروكة أن الولادة تتم فعلا سبحان الله العظيم ٠٠ بكر تلد بهذه السهولة التى لم أر لها مثيلا حتى فى اللاتى ولدن ثمانى مرات وعشر وقبل أن تكمل ذهولها كانت تستقبل المولود على يديها نظيفا طاهرا كأنما قام الملائكة بتحميمه قبل أن

يولد وقامت مبروكة فى خبرة القابلة العجوز بكل ما يجب القيام به فى أحوال الولادة ..

وحين جاء الدكتور جابر كان الطفل قد رضع من أمه وكان كلاهما نائمـا ..

منصور .. فانى منصور من الله أن لم يضل عقلى حين فقدت أباه وهو منصور من الرحمن الرحيم ليكون نصرا لى فى مصابى . وهو ان شاء الله منصور الى الحق والصراط المستقيم ..

منصور هكذا نذرت أن أسميه وأنا متعلق بأستار الكعبة وعند شباك الرسول صلى الله عليه وسلم ..

منصور هو ان شاء الله .

واذا كان الطغيان قد ألغى تعليم القرآن فانى بقوة الله أقوى من ارادتهم ولن يذهب الى المدرسة الا وقد ختم القرآن .. هنا فى بيتى وعلى يد جده الشيخ مأمون وسبحان الذى حرم وسبحان الذى وهب ولا اله الا الله ولا حول ولا قوة الا بالله .

★★★

كان منصور منذ طفولته ذا جاذبية آسرة لا يراه أحد الا كبر لله فقد كان فى وجهه حب وايناس ومن عجب أنه وهو الطفل يجعل المقترب منه يحاول أن يرضيه بكل وسائل الارضاء .. ويسعد جليسه غاية السعادة اذا ابتسم ويشعر مرافقه أنه هو الذى يبتسم لا الطفل ..

أذن الله للحاج عبد الهادى أن يبر بقسمه وختم منصور القرآن وهو فى العاشرة من عمره فلم يتأخر عن رفاق سنه فى المدرسة الا سنتين .. وما سنتان فى عمر الزمان .

★★★

حين كان يأتى الشيخ مأمون ليعلم حفيده كان يلاحظ فى السنوات الأخيرة من حفظ منصور للقرآن ان ابنته روحيـــة تضوى ويشتد بهـا الهزال ..

ــ يا ابنتى ألا تأكلين ؟

ــ يا أبى كيف هل يستطيع الانسان أن يعيش بغير أكل

ــ هزالك يشتد لعلك تخجلين أن تأكلى ..

– أيخجل الانسان فى بيته . وانت تعرف انني أقوم بشئون البيت جميعا وأن حماتى خالتى حميدة قد تركت كل شيء لى وهى سعيدة بذلك فممن أخجل اذن .

– اذن لابد أن هناك شيئا يسبب هذا الهزال ..

ودخل الحاج عبد الهادى مرة وسمع هذا الحوار :

– أنت محق يا شيخ مأمون ولهذا طلبت الآن الطبيب دكتور اسماعيل حسنى ليقول لنا رأيه ..

وجاء الطبيب وقال :

– ليس بها شيء عضوى وربما تحتاج بعض المقويات ..

وارتاح الحاج عبد الهادي والشيخ مأمون لهذا القول وحمدا الله وكان منصور يرقب هذا جميعا بقلب واجف محاولا ألا يشعر به أحد غير أن عينى أمه كانتا ترقبانه فى تطلع وسعادة انه مهتم بشأنها .. ورأت فى محياه انه غير مطمئن لكلام الطبيب وأنه لم يسارع الى تصديقه كما فعل جداه فاذا هو يقول لهما :

– لا بأس أن نجرب دواء هذا الطبيب بعض الوقت ثم نسأل طبيبا آخر .

وضحك الجدان فى سعادة غامرة .. فالرأى سليم وسكوت منصور طول فترة وجود الطبيب وعدم مشاركته الكبار فى كل ما دار من أحاديث أثار فى نفس الجدين معا الكثير من العجب والاعجاب ..

وبمناسبة ختام منصور للقرآن أقام الحاج عبد الهادى ليله لله سبحانه وتعالى تداول فيها مشاهير قراء القرآن قراءة القرآن وقام المشايخ بعمل الخاتمة ووزعت الصدقات على الفقراء والمعوزين وكانت روحية هى التى تقوم بشئون الليلة جميعا التى استمرت الى الصباح ..

وقبل أن يترك المشايخ البيت جاء من يطلب اليهم البقاء .. لقد ماتت روحية والليلة فى ختامها الأخير ..

كأنما كانت على موعد مع ابراهيم أن تلحق به حين تطمئن على مستقبل منصور .

وكأنما خلقت روحية لتقدم منصور الى الحياة وترعاه حتى يطمئن الى الحياة ويهدأ مستقره فيها ثم تودعه لتستقبله يوم يريد الله أن يضمه اليه ٠

حزن منصور حزنا شديدا ولكن العجيب أنه لم يشعر بأى لون من الهلع أو الجزع ٠٠ فقد اطمأن قلبه الى الايمان وهو من حفظة القرآن وحمله فى قلبه ٠

بكى بكاء حزن لا خوف وعرف الأسى الآخذ الشديد الذى يعرف الناس حين يفقدون أمهاتهم ٠٠ ومن كالام حبا وتضحية وحنانا وحدبا وشفقة وايثارا ٠ فقد كان حب منصور لأمه حبين فى وقت معا ٠٠ فقد كانت أمه وأباه ٠٠ وان جده عبد الهادى يسكب عليه العطف والحب ألوانا وأفانين ولكن هل فى الدنيا جميعا شيء كنداء الأب لولده ذلك النداء الذى يكاد الأب يضع قلبه فيه ٠٠ نداء لم يعرفه منصور ولكنه أحسه فى أصوات الآباء وهم ينادون أبناءهم وافتقده هو لنفسه ولم يسمعه ٠٠

لحكمة يعلمها ربى وبيده أرادنى أن ألقى الحياة بغير أب وبغير أم ولكنه سبحانه لطف بى فأحاطنى بقلوب حانية ٠٠ وما يريد الله كائن والحمد لله على ما شاء حمدا يرضيه فى عليا السماوات ٠٠

وسارت الحياة كما تعودت أن تسير دائما ومرت السنون وربما كانت وفاة روحية سببا فى أن يشعر منصور أنه مسئول عن نفسه فى خاصة شأنه ٠ أما المأكل فهو مبذول وأما الملبس فهو يصل اليه بطريقة تلقائية ٠٠ فقد كان عبد الوارث يصحبه فى أول الشتاء ويشترى له ملابس الشتاء وكذلك يفعل فى الصيف ٠٠ وكان ملبسا من أحسن الأنواع دائما ٠٠

أما من يلبسه هذا الملبس ومن يؤانسه حين يعود متأخرا من المدرسة ويتناول طعامه وحيدا ٠٠ ومن يؤنسه اذا نبا به مضجع وعز عليه نوم ٠ ومن يسمع منه اذا أحب أن يقول وأن يروى عن مدرسته وصحابه ونفسه لم يبق له الا الله وكانت نفسه ينير جوانبها القرآن والسجية النقية والصفاء الذى يهبه الله لبعض النفوس فيشيع به الرضى فى حياتهم ٠٠ والرضى أسمى درجات السعادة وحسبك أن الله وهو الله قال لنبيه وهو نبيه ٠٠ « ولسوف يعطيك ربك فترضى » ٠

أما فى المدرسة فقد صاحب منصور الأصدقاء وأحسوا جميعا انه متميز عنهم بحفظه للقرآن ٠٠ ثم هم فى مدرسة المركز يعرفون قدر الحاج عبد الهادى ويسمعون من آبائهم ثناء عليه ٠٠ وهكذا كانت تحيط بمنصور هالة من العلم وكرامة الأسرة فى وقت معا ٠٠ وأصبح اخوانه الطلبة ينظرون اليه نظرة خاصة فيها حب وفيها احترام وتقدير وفى حياة التلاميذ

وفى ساعات اليوم الدراسى تقع قصص متتابعة صغيرة لا تروى ولكنها تجعل كل تلميذ يكون رأيه عن الآخر .. فى فصول الدراسة .. فى مناقشة الأساتذة .. فى ملعب الفسحة .. تتشابك خيوط من الحكايات التى تمر فى حياة الانسان فلا يلقى اليها أى التفات .. وتدور مناقشات وتنتهى دون عنف فى الخصومة أو لجاجة فى الرأى ولكن التلميذ مع حكاية تتبعها حكاية ومناقشة فى اثر مناقشة يكون رأيه عن زملائه حبا أو غير حب قد لا يصل الى الكراهية ٠ واعجابا أو عدم اعجاب قد لا يصل الى الاحتقار .. ومن هذه المشاعر تتكون الصداقات وبهذه الصلات تكونت صداقة وثيقة بين منصور وأمين عبد الصادق ٠ فقد أعجب أمين برفيق فصله منصور وأعجب به منصور وتكونت صداقة بينهما قوية العرى يخالطها الاعجاب ٠ وقد كان أمين ابن أسرة ثرية ثراء واسعا وكان أبوه يعمل بالتجارة ٠ وهو بطبيعة الحال صديق للحاج عبد الهادى صداقة بعيدة فى أغوار الزمان ٠ وصديق لأخيه الأصغر عبد الوارث أيضا ولكن صداقة الآباء لا تعنى بالحتم صداقة الأبناء ولكن ان كان الآباء أصدقاء فصداقة الأبناء خاصة فى سن منصور وأمين البـاكرة تكون حميمة تجد التشجيع والتبريك من الآباء وأصبحت صداقة منصور وأمين شهيرة فى المدرسة ٠

وكان منصور حريصا أن يقيم صلاة الظهر فى وقتها فى المدرسـة وكان يصليها معه أمين وكان كثير من التلاميذ أصدقاء أو كانوا مجرد زملاء .. وكانوا يصلون على حصير الحاج أبو العلا فراش المدرسة ٠ وفى يوم كثر المصلون حتى لقد نبتت فكرة فى ذهن منصور :

- جدى عندى فكرة ٠

- قل يا شيخ منصور ..

- عجيبة أنك قلت يا شيخ ٠

- لقد أردت أن أدللك فقط ..

- ولكن اللقب يتفق تماما مع ما سأتحدث فيه ٠

- خـيرا ..

- لقد بنيت جامعا حين استجاب الله لك دعاءك أن تنجب بى ..

- فلنفرض ..

- فما رأيك لو أقمت جامعا صغيرا لوجه الله فقط ودون نذر منك واستجابة من العلى القدير ..

- افعل .. ما المناسبة ..

ـ أنا لا أريد منك الا مسجدا صغيرا فى المدرسة فنحن نصلى الظهر فى المدرسة وأحيانا فى الشتاء يحل موعد العصر مبكرا ونصليه هناك أيضا • والتلاميذ يتزاحمون على حصير متهرىء ولا يتسع لهم فيصلون على البلاط وصحيح ان الله أكرم نبيه صلى الله عليه وسلم بان جعل أرضه كلها مسجدا لعبادة المسلمين الا أن هؤلاء تلاميذ صغار وقد يصيبهم البلاط بالبرد •

ـ لابد أن تصبح محاميا يا منصور ولو أنك غير محتاج لهذه المرافعة كلها لتكسب القضية فانك قد كسبتها منذ أبديت رغبتك •• والمال مالك وما أنا الا حارس عليه وتوكلنا على الله •

ـ بل انتظر يا جدى حتى أكلم ناظر المدرسة ••

ـ وهو كذلك ••

وفى اليوم التالى ذهب منصور فاستأذن أن يرى حضرة الناظر الأستاذ وجدى عبد العال ••

ـ اننا نريد أن نقيم مسجدا بالمدرسة ••

ـ الميزانية لا تسمح يا أستاذ منصور •

ـ جدى سيقيم الجامع •

ـ حقـــا ••

ـ نعـــم •

ـ أين نبنيه ••

ـ فى الفناء •• أنا واخوانى وجدنا له مكانا مناسبا ••

ـ ولكن أيرضى التلاميذ أن نضيق عليهم الفناء •

ـ هل لى يا حضرة الناظر أن أقترح اقتراحا ••

ـ قـــل •

ـ ان الله يقول فى كتابه العزيز أمرهم شورى بينهم اجعل التلاميذ يدلون برأيهم فى عملية ديمقراطية •• حتى يعرفوا أن الجامع بنى برغبتهم ولم يفرض عليهم •

ـ موافقون •• ويشترك أيضا المدرسون فى اعطاء الرأى •

ـ وهو كذلك ••

ـ وهو كذلك ••

وتم أخذ الرأى فاذا هو اجماع لم يتخلف عنه المسيحيون من تلاميذ أو مدرسين وكان المسجد صغيرا وكانوا فى أوائل السنة الدراسية فصلى التلاميذ فى الجامع قبل الامتحانات بشهرين ورفض منصور أن يكون هو المسئول عن الجامع ..

ـ ان جدى هو الذى بناه .. أكان بناه حتى أصبح أنا مسئولا عنه وهل ترون أن أظل دائما أذكر زملائى أن جدى هو الذى بنى الجامع ..

ـ فماذا ترى ؟

ـ تتكون لجنة وتنتخب رئيسا لها ولن أكون أنا منها

ـ وكيف تتكون اللجنة ..

ـ بنفس الطريقة التى بنى بها المسجد ..

ـ بالانتخـاب ؟

ـ ينتخب التلاميذ اللجنة ثم تنتخب اللجنة رئيسا .. أما أنا فلن أرشح نفسى .

ـ ونعم الرأى ..

ـ وتمت عملية الانتخاب وأسفرت عن انتخاب أمين عبد الصادق رئيسا للجنة الاشراف على المسجد وقال أمين فى أول اجتماع للجنة أن أباه متبرع بمصاريف المسجد من أجر الفراش الى أجر المؤذن .. أما الامـام فسيكون الشخص الذى كان يؤمنا دائمـا منصور النقيب فهو أحفظنـا للقرآن ..

وقال وهبى عبد المجيد عضو اللجنة :

ـ طبعا الا فى أيام الجمع فقد يأتى الى الجامع من هم أكبر منه سنا ومن حفظة القرآن أيضا ..

وقال أمـين :

ـ أحسنت يا وهبى وسنتفق مع عالم جليل ليأتى الينا فى أيام الجمع يؤمنا ويلقى علينا دروسا دينية أيضا ..

وهكذا استقر الشأن وأصبحت قصته دائرة على كل لسان حتى لقد كتبت عنه الأهرام مشيدة بما قام به التلاميذ والمدرسون وأهل الخير الذى شاركوه فى أمره ..

***

من بين مدرسى المدرسة عبد العزيز المشد يمتلك قلما غالى الثمن يتباهى به على زملائه وتلامذته على السواء .. وهو حريص فى كل حصة أن يأمر التلاميذ بحل مسائل الحساب ليخرج هو القلم ويكتب به أى شىء ليراه التلاميذ فى يده فهو أحيانا يكتب فى كراسة التحضير أو يكتب به خطابات لو رآه مفتش يكتبها لوجه اليه اللوم الشديد فخطابات الأقارب والأصدقاء ليس مكانها فصول الدراسة ..

وان كان ذلك ممنوعا على التلاميذ فمنعه على المدرسين من باب أولى فالمفروض أن يكون المدرسين للتلاميذ قدوة .. ولكن عبد العزيز المشد معذور فيما يفعل فكيف له أن يظهر القلم ويتباهى به ان لم يكتب فى كراسة التحضير أو يكتب به الخطابات وكلاهما ممنوع أثناء الحصص .. فالكتابة بالقلم على السبورة مستحيلة .. واذا أخرج القلم وتباهى به دون أن يستعمله سيصبح بين التلاميذ أضحوكة .. على أن التلاميذ — على كل حال — لا يفوتهم شىء . فقد أدركوا بحواسهم الساخرة ما يريد الأستاذ عبد العزيز أن يظهره من مفاتن قلمه الذى يتصور أن أحدا غيره لا يملك مثلا له فى الوجود .

وفى يوم بينما الأستاذ عبد العزيز يكتب بالقلم فتح باب الفصل ودخل مفتش الرياضة وفوجىء به الأستاذ عبد العزيز وتولاه الهلع والذعر فى وقت معا .. ووضع القلم على المنضدة دون أن يعنى حتى بوضع السن فى غطائه مع أنه فى الأحوال العادية يحرص كل الحرص على احكام الغطاء احكاما يستوثق معه أن القلم لن يفتح فى جيبه .

انتفض الأستاذ عبد العزيز قائما مرتعشا وهو يقول قيـــام ..

تخلجت فى فمه حتى ما كادت تبين ..

وشذره المفتش بنظرة لاهبة وهو يقول :

— امض فى الدرس يا أستاذ ..

وراح الأستاذ عبد العزيز يسأل التلاميذ وراحوا يجيبون وانتهت الحصة وخرج المفتش ولحق به عبد العزيز ناسيا القلم فقد كان حريصا ألا توضع نقطة سوداء فى التقارير التى تكتب عنه حرصا مضاعفا .. فان كل أمله أن ينقل الى القاهرة حتى يتم زواجه من ابنة عمه وجنات التى مضى على خطبتها له سنتان وتم اعداد شقتها وأصبح لا ينقصه الا أن ينقل الى القاهرة حتى تمضى العروس فترة الزواج الأولى مع أمها وأبيها .. هكذا تصمم أمها الست ألطاف ..

فماله اذن لا ينسى القلم ويسارع الى سعادة المفتش يسترضيه ويستجديه ويبدى له ما يعن له من أعذار ٠

خرج التلاميذ من الفصل فقد حلت الفسحة الأولى وتصادف أن نادى وليد عبد الموجود زميله جرجس حنين :

ـ يا جرجس ألا تخرج ؟

ـ لا سأكمل الواجب للحصة القادمة ٠

ـ تضيع عليك الفسحة ٠٠

ـ بقى لى سطران أكتبهما وألحق بك فورا ٠٠

وخرج الجميع وقد علموا أن جرجس باق فى الفصل ٠٠ وأوشكت الفسحة على الانتهاء وتذكر منصور أنه لم يقرأ الواجب بعد كتابته فسارع الى الفصل يقرأ قبل أن تبدأ الحصة ٠

والفصول فى المدرسة مبنية على الطراز القديم للمدارس فهى ذات نوافذ تطل على شرفة طويلة ويستطيع الواقف فى الشرفة أن يرى داخل الفصول ويرى فناء المدرسة أيضا ٠

فحين أصبح منصور أمام نافذة فصله الأولى رأى وجدى حسنين يأخذ قلم الأستاذ عبد العزيز ويخرج به مسرعا وقبل أن يصل منصور الى النافذة الثانية للفصل كان وجدى قد أولاه ظهره دون أن يراه ٠

وذهل منصور لا يدرى ماذا يفعل أيفضح صديقه ٠٠ أيسكت عن سرقة رآها بعينيه ٠

عاد الى الفسحة فلم يعد يفكر الآن فى اعادة القراءة للواجب وتولاه صمت واجم حزين يختلط بالحيرة والألم أن زميله وجدى لص ٠

انتهت الفسحة وعاد التلاميذ الى الفصل وقبل أن يجلسوا دخل الأستاذ عبد العزيز مسرعا يبحث عن القلم فقد استطاع أن يحل مشكلته مع المفتش وحان له أن يبحث عن قلمه العزيز ٠٠ لم يجده طبعا فأوشك أن يجن وصاح بالتلاميذ :

ـ قلمى ٠٠

وصاح بعض التلاميذ ماله وصاح آخرون اشمعنى ولكن الأستاذ عبد العزيز كان فى حال لا تسمح بأى تهاون فقد احمرت عيناه وارتعشت شفتاه :

ـ القلم أقتلكم جميعا .. القلم نسيته هنا مدة الفسحة فقط من آخر تلميذ خرج من الفصل ..

وحوم الصمت على التلاميذ لحظات ثم قال جرجس حنين :

ـ أنا يا أستاذ آخر تلميذ خرج من الفصل بل الواقع أننى بقيت بالفصل دقائق لأكمل واجبا لم أكن أكملته ..

فصاح به عبد العزيز :

ـ واجبا لم تكن أكملته !! هل سرقة قلمى واجب ياسى جرجس .. هات القلم .

ـ صدقنى لم أره الا فى يدك ..

ـ كان هنا على المنضدة وأنت وحدك فى الفصل ..

ـ ليس هذا شأنى اننا ما زلنا فى المدرسة فتشنى ولو أن هذا أمر لم يحصل لى فى حياتى مطلقا ..

ـ أفتشك أتظننى عبيطا لدرجة اننى أتصور أنك ستبقى القلم معك ..

وجاء مدرس الحصة التالية الأستاذ متولى عبد المجد .

ـ خير يا أستاذ عبد العزيز ..

وروى له عبد العزيز القصة ودون أن يحس متولى وثبت ابتسامة على شفتيه ..

ـ أتضحك يا متولى ..

ـ لا أقصد والله ولكننى أعلم مكانة هذا القلم عندك ..

ـ أتضحك يا متولى ؟

ـ أول هدية من حبيب ... أقصد من خطيبتك ولك حق أن تحرص عليه وتعتز به .

ـ ليس أمام الأولاد يا متولى والحقيقة اننى لم أجد قلما أراحنى فى الكتابة مثل هذا القلم ..

ـ والآن ماذا ترى ..

ـ لابد أن يظهر القلم .

ـ والحصة ..

ـ فى ستين .. أقصد انى آسف ولكن ماذا أفعل ..

ـ أتشك فى أحد ..

- بل اننى متأكد من السارق ·· الولد جرجس حنين ··
- خذه الى الناظر واكمل القضية ·
- وهو كذلك تعال ياسى جرجس ··

وخرج جرجس مع الأستاذ عبد العزيز ودمعة تطفر من عينه تبعثها كرامة جريحة أن تفيض ويمسك بها شعور بالظلم أن تسيل فهى حائرة فى مكانها على جفنه لا تنضب ولا تنحدر ·· وراح الأستاذ متولى يشرح الدرس ·· وكان منصور قد استقر على رأى ·· وانتهت الحصة ·

وسارع منصور الى وجدى وانتحى به ناحية :

- ضع القلم فى درج منضدة الأستاذ عنـدما نخرج فى الفسحة وأعاهدك ألا يعرف أحد ·

- ماذا ·· ماذا تقول ··

- لقد رأيتك بالصدفة ولا ترضى أن يضيع مستقبل زميل من أجل فعلة هو برىء منها كل البراءة ··

وأطرق وجدى خجلا :
- وتسترها على ··
- أسترها ··
- وتنساها لى ··
- اذا لم تتكرر ·
- لن تتكرر وأقسم لك ·
- توكلنا على الله ··
وفى الفسحة قال منصور للتلاميذ :

- لماذا لا نبحث فى الفصل على القلم لعله فى جوانب الفصل ·· أو لعل أحدا من الفراشين وضعه فى مكان ما ·· كل واحد منا يبحث فى مكتبه أما أنت يا أمين فابحث على منضدة الأستاذ فان عليها أوراقا كثيرة لعله تائه بينها ··

وطبعا وجد أمين القلم وأعطاه لمنصور وقال منصور هيا بنا نبشر الأستاذ عبد العزيز وخرج وتبعه بعض زملائه ··

- هذا هو قلمك يا أستاذ عبد العزيز ··أرأيت كم ظلمت جرجس·
وصاح عبد العزيز وكأنه وجد كنزا :

ـ الله يخليكم ٠٠ ألف شكر ٠٠ ألف شكر ٠٠ آسف يا جرجس ياخويا ٠٠ آسف يابني ٠

وحينئذ عرفت دمعة جرجس سبيلها فسالت وتبعتها دموع كثيرة بل وبكاء ونشيج ٠

وذهل عبد العزيز من الموقف وراح يربت كتف جرجس وقال :

ـ ماذا يرضيك ٠٠

ـ لقد أرضانى الله يا أستاذ عبد العزيز ٠٠

ـ سبحانه وتعالى ٠٠

ـ وخذ هذا كتاب جديد اشتريته ولم أقرأه سأكتب عليه اهداء لك أعتذر فيه وأصفك بما أنت أهله من الخير ٠

صاح أمـين :

ـ على أن يكون الاهداء بالقلم الذى وجدناه يا أستاذ عبد العزيز ٠٠

ـ طبعا وهل أكتب بغيره ٠٠

وضحك الجميع حتى جرجس ٠

★★★

مضت أيام على هذه الواقعة وسأل منصور أمين :

ـ متى تجتمع لجنة الجامع ٠

ـ غـــدا ٠

ـ أتسمح لى بالحضور ٠

ـ طبعـــا ٠

وفى اللجنة قال منصور :

ـ ان ما حدث لأخينا جرجس يجعلنى أقترح عليكم اقتراحا ٠

ـ ماذا ٠٠

ـ أن نكون لجنة فى المدرسة لاحقاق الحق ٠ لا نرى شيئا يضر بالمجتمع الا ونحاول أن نغيره بالحسنى وبالهداية ونجادل المخطىء بالتى هى أحسن فالله يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم « ولو كنت فظـا غليظ القلب لانفضوا من حولك » والله يقول وقولوا للناس حسنا ٠

قال أمـين :

ـ هذه فكرة رائعة ٠

وقال منصور :

ـ ومن يدرى لعلها تبدأ معنا فى المدرسة ثم تظل تجمعنا الى آخر العمر ٠

ـ وستكون كذلك ان شاء الله ٠

وقال آخر لمنصور :

ـ مد يدك ٠

فمدها ٠٠

ـ ومدوا أيديكم الى يده ٠٠ اقرأوا الفاتحة على هذا الميثاق توكلنا على الله ٠

★★★

(٣)

حين مرض الحاج عبد الهادى مرض الشيخوخة كان راضيا غاية الرضا فقد كان منصور قد انتظم فى كلية الحقوق فى ذلك العام وهو فى العشرين من عمره ٠

ولم يطل المرض بالحاج عبد الهادى فقد اختاره الله الى جواره دون أن يشقى بمرض طويل فما هو الا أسبوع واحد نام فيه ثم انتقل الى الباقية راضيا مرضيا ٠

وقد حزن منصور لموت جده الذى لم يعرف له أبا سواه والحزين لا منطق له فليس يعنيه أن الحاج عبد الهادى كان قد تجاوز الثمانين وأن كل حى الى فراق واستمسك منصور بايمانه العميق وشارك منصور فى حزنه عبد الوارث الذى كان يرى في عبد الهادى أباه هو أيضا وقد استطاع انشغاله بشئون المأتم أن يلهيه عن أحزانه بعض الشىء ٠

كان أهل المهدية أوفياء للرجل فلم يبق فيهم أحد لا يمسكه عذر الا ذهب الى الجنازة والمأتم جميعا ٠ ولكن عبد الوارث لاحظ أن المعزين الذين جاءوا لمنصور أكثر بكثير مما يتوقع أحد لشاب فى العشرين من عمره ٠ وكان عبد الوارث قد سمع عن الجمعية التى تكونت فى المدرسة ثم اتسع أمرها ولكنه لم يكن يتصور أن الشباب المنضم اليها بهذه الكثرة ٠

كما لاحظ عبد الوارث أن أمين لم يترك منصــور لحظة منذ مرض جده . بل هو يلازمه ملازمة تامة ولم يذهب الى كلية الحقوق التى كان انتظم فيها هو أيضا طوال الأيام التى بقى فيها منصور مع جده .

حين انتهت أيام المأتم وحان لمنصور أن يعود الى كليته .

ــ يا منصور أنت حتى الآن ...

ــ أعـرف ياعم عبد الوارث والأمر لا يحتــاج الى كثير كلام ولهذا سمحت لنفسى أن أقاطعك .. اننى أختارك أنت وصيا على وحتى حين أبلغ رشدى فى العام القادم فأنت المسئول وحدك عن ثروتى وكأنها ما زالت فى يدى جدى تماما وضع لى حقى فى البنك وأنا أعرف من أنت فلا حساب بيننا فأنا واثق أن حقى سيزيد فى يديك لن ينقص .

★★★

(٤)

حين تخرج منصور في كلية الحقوق كانت أمواله فى البنك أكثر مما توقع بكثير . فقد كانت مطالب منصور أثناء الدراسة قليلة كل القلة فان فيه زهدا طبيعيا عن بهرج الحياة وهو نقى كل النقاء . وعبد الوارث أمين كل الأمانة وكان أحيانا اذا وجد صفقة مؤكدة الربح مستحيلة الخسارة كان يدخل بأموال منصور فيها ويضع الربح كاملا باسم منصور مع أمواله فى البنك .

أبى منصور أن يترك المهدية بل أصر أن يبقى بها وقام بالتمرين فى مكتب الأستاذ عز الدين الديوانى وزامله فى المكتب أمين عبد الصادق وبعد انتهاء فترة التمرين فتح منصور مكتبه فى شقة باحدى عماراته كان يعدها لذلك . وكان المكتب باسمه وباسم صديقه أمين عبد الصادق الذى شاركه فى المصاريف .

ومكاتب المحاماة فى المراكز سريعا ما يقصدها الزبائن فالناس يعرفون المحامين معرفة وطيدة ويعرفون آباءهم وأجدادهم وكل ما يحيط به .

فلم يكن عجبا أن يبدأ المحاميان الناشئان عملهما فى المحاكم في نفس الأسبوع الذى افتتحا فيه مكتبهما بقراءة القرآن الكريم .

وتمضى الحياة فى طريقها بمنصور لا يميل لها سمت ولا يعوج به

قصد . فقد كان يعرف ما يريد وما يجب أن يفعله وما لا يجوز له أن يفعله .

★★★

فواز صالح وتوفيق شافعي وعدلى عبد المسيح وعاطف منير شباب من قرية المهدية لم يكتب لهم أن ينالوا من التعليم الا ما يسمح لهم بالقراءة والكتابة أما فؤاد صالح وعدلى عبد المسيح فيعملان فى اصلاح السيارات بورشة الأسطى فتحي الصلحى وأما توفيق شافعى فنجار ويعمل عاطف منير كمنجد وهذان الأخيران لا يستقر بهما مقام فى ورشة وما هذا بعجيب بل العجيب أن يستقر فواز وعدلى بورشة الأسطى حامد ولعل السبب فى ذلك ان الأسطى فتحى الصلحى لا يبدأ عمله قبل الحادية عشرة من صباح كل يوم وهكذا يستطيع كل من فواز وعدلى أن يفيقا من سهرة الحشيش والخمر التى يعكفان عليها كلما وجدا ثمنها ويشاركهما فيهما توفيق وعاطف .

فواز صالح ابن الحاجة حسنية الصعيدى التى كانت تقوم بحلب البقر والجاموس فى بيت الحاج عبد الهادى . وبما هذه الصلة وجدت حكاية فواز تقحم نفسها فى الحديث عن منصور . جمعت العمال الأربعة ليلة ليلاء لا يملكون فيها ما يشترى سيجارة وقال قائلهم :

ــ أهذا كلام ... أربعة شباب مثل الورد لا يجدون ثمن زجاجة كونياك طيب نقول ان قرش الحشيش بالشىء الفلانى أنعجز عن شراء زجاجة كونياك .

ــ من قال اننا مثل الورد اننا مثل الزفت السائح مثل القطران وهل هناك أخيب منكم أقصد منا جميعا .

ــ وماذا نعمل .

ــ كثير .

ــ مثل ماذا ..

مثل يا سيدى المرأة الحاجة جميلة الصيرفى أم الولد كامل الصيرفى الذى يعمل طبيبا بمصر والذى يكاد يعن من الكبر .. المرأة وحدها وعندها صيغة وأموال و ..

ــ حاسب .. حاسب ماذا تقصد ؟

ــ الم تفهم ما أقصد ..

ـ تقصد يعنى ..

ـ نعم أقصد يعنى .

ـ أهذا معقول ؟

ـ انتظر ... كم الساعة الآن ..

ـ التاسعة .

ـ سأستلف ثمن زجاجة كونياك ونفكر فى الموضوع .

وكانت الزجاجة الكلمة الأخيرة فى النقاش وهجم أربعتهم على السيدة العجوز وقاومت فكبلوها وضربها أحدهم بعود حديد استخلصه من كرسى أسيوطى وتم القتل .

وقبل أن يطلع الصباح كان الشرطة قد توصلوا الى الجناة الأربعة وألقوا القبض عليهم .

الى من تذهب حسنية الصعيدى .

فواز اعترف اعترافا كاملا فى محضر الشرطة وفى النيابة وكان يرافقه أمين عبد الصادق محاميا من المكتب حتى اذا تمت التحقيقات وجاءت حسنية الى المكتب قال لها منصور :

ـ يا خالة حسنية أليس لك ابن نال الاعدادية وأظنه يعمل بالمديرية .

ـ نعم خضير ، الحاج عبد الهادى الله يرحمه هو الذى عينه .

ـ احضريه معك وتعالى بكره .

وفى اليوم التالى :

ـ اسمع يا خضير أنا لم أرد أن أقول لأمك وحدها الكلام الذى سأقوله لك .

ـ تفضل يا أستاذ .

ـ أخوك اعترف .

ـ نعم .

ـ وارتكب الجريمة .

ـ نعم .

ـ أنا لا دفاع عندى عنه الا حالة السكر ولكننى لا أستطيع أن أكذب فان يمين المحاماة يمنعنا من الكذب .

ـ يمين ماذا يا أستاذ ..

ـ ألم تسمع ..

ـ يا أستاذ منصور أنت لا تعرف مكانتك عندنا ٠
ـ مكانتي هذا لأنني صادق ٠
ـ بصرف النظر ٠
ـ وما دخل مكانتي فيما نتكلم فيه ٠٠
ـ أقصد أن هذه قضية يتمناها كبار المحامين وسعادتك تبدأ حياتك
ثم التفت الى أمه :
ـ أمه ٠٠ قولى له الأستاذ صدقي البحراوي قال لك ماذا
ـ وحياتك ياسي منصور قال لي أدفع ألف جنيه وأترافع في هذه القضية ٠
وقال منصور :
ـ أنا لا شأن لي بالآخرين ٠ الكلام لك يا خضير اذا قبلت أن أترافع معتمدا على السكر البين قبلت القضية والا فأنا معتذر ٠
ـ لا حول ولا قوة الا بالله ٠٠ قضية ستجعل اسمك كالطبل تعتذر عنها هل أحد يصدق ٠ وتقول اليمين يمنعك من الكذب ٠٠ أهذا كلام ٠٠ المهم أمرك سلام عليكم ٠
التفت منصور الى حسنية :
ـ لا تزعلي مني يا خالة حسنية كان لا يمكن أن أجعلك تفهمين بل انك لا شك حتى الآن لا تفهمين موقفي ٠٠ لا عليك أمري الى الله ٠٠ هكذا خلقت ٠
ـ والله يابني أنا لا أفهم شيئا ٠
ـ لا عليك ٠
ـ المهم هل ستترافع في القضية أم لا ٠٠
ـ خضير سيفهمك على كل شيء ٠
ـ هيا يا أمه ٠٠٠ سأخبرك ٠٠ هيا يا أمه ٠٠٠ لا حول ولا قوة الا بالله ٠

★★★

وما لبثت هذه القصة أن انتشرت في المركز جميعه ٠ فما سمع الناس من قبل محاميا يرفض قضية صغيرة كانت أم كبيرة ٠ فكيف والمحامي ناشيء جديد والقضية شهيرة جهيرة ٠٠

★★★

نشأت الربيعي من أعيان المركز ٠٠ أو كان من أعيان المركز قبل ن يختاره الله الى جواره ٠٠ وحين لقى الله لم يكن عنده فى الحياة الا فتاة فى ربق العمر هي سامية ٠٠ باع لها كل ما يملك حتى لا يرث معها أحد من أقاربه ٠ وارتضى الأقارب ما فعله الأب مرتئين أنه عمل طبيعى يحاول به الأب أن يحافظ على مستقبل ابنته ٠ واحد فقط من هؤلاء الأقارب ثار ثورة عارمة لأن نشأت حرمه ما كان سيسقط بين يديه من الميراث وأغلب الأمر أنه ثار لأنه معروف انه كبير مجرمى المنطقة واستكبر أن يعدو على حقه قريبه ويتحداه مع انه الذى تعود أن يعدو على حقوق الناس ويتحداهم ومن فى المركز لا يعرف رفعت الربيعى صاحب الحول المجرم والطول المعتدى والذى يثير الرعب فى أنحاء المنطقة جميعها بما تحويه يده من قتلة ومن لصوص ٠ ورفعت الربيعى ذكى فهو مع كل حاكم يحكم يسانده وينافقه وينضم الى حزبه ويتظاهر أنه من أتباعه ٠

وهكذا وقعت سامية بين فكى حيوان شرس لا ضمير له ولا خلق وهى بلا نصير لها أو معين الا الله سبحانه وتعالى وكفى به حسيبا ووكيلا ٠

كان أقارب سامية يعرفون مايصنعه رفعت بسامية من اعتداء على الزراعة وسرقة للمحصول ومطاردة الفلاحين الذين يزرعون حدائقها وارهاب لناظر زراعتها الحاج مراد الأشرم ولولا أن الحاج مراد ذو أقارب وكبرياء لترك الأرض تنعى من زرعها ولكنه كان يقاوم مقاومة غير القادر وكفاه شجاعة أنه بقى فى مكانه لم ينكس ولم يتراجع ٠

وكان الحاج مراد كلما سمع عن محام قصد اليه ولكن المحامين كانوا يرتعدون من ذكر رفعت الربيعى ولا يتصورون أن يقفوا خصوما له فى المحكمة ٠ فيرفضون قضايا سامية ويذيعون هذا الرفض ويكافأهم رفعت بأن يوكلهم فى قضاياأخرى ما يلبثون أن يقبلوها فرحين سعداء ٠ وكانت سامية وهى تلميذة فى مدرسة المركز تسمع عن أخبار منصور وما يصنعه فى مدرسته وكانت تتبع أنباءه كلها وعرفت موضـوع الجامعوموضـوع الجمعية التى تسعى الى احقاق الحق فاستدعت ناظر زراعتها :

– يا عم الحاج مراد ألم تسمع عن المحامى منصور النقيب ٠٠

– سمعت كل خير ٠٠ وكفاه فخرا رفضه الأخير لقضية كبرى لانه أبى أن يكذب ٠٠

ـ لماذا لا تفكر فيه ليتولى قضايانا ..

ـ صغير ورفعت وحش ..

ـ ليس الصغر والكبر بالسن ياعم الحاج مراد انه كبير وليس صغيراً .. اذهب اليه بقضيانا جميعا ..

ـ أمرك ..

وقبل منصور جميع قضايا سامية دون مناقشة فقد كان واثقا من حقها لعلمه المحقق باجرام رفعت الربيعي وفجوره وألسنة الخلق أقلام الحق ودهش الحاج مراد ..

ـ ألا نبحث القضايا معا يا أستاذ مهدى ..

ـ أنا قبلتها باديء ذى بدء وسأدرسها ثم سأسعى أنا اليك والى الآنسة سامية وأتدارس معكما جميع القضايا ..

ـ أنت رجل وأنت ابن رجل أبا عن جد علم الله كم عدد المحامين الذين رفضوا هذه القضايا يا أستاذ منصور ..

★★★

حين علم رفعت ان منصور قبل قضايا سامية أرسل اليه مفتاح أحد رجاله المشهورين بأنهم من القتلة المأجورين . وحين حاول أن يدخل مكتب الأستاذ منعه وكيل المكتب راضى العنتيبى ..

ـ أتجرؤ أن تمنعنى ..

ـ وأمنع سيدك أيضا اذا جاء هنا هذا مكتب له حرمته وله أصول وعليك أن تنتظر دورك أم تظن أن ميجئك وعلى كتفك هذا السلاح سيخيفنى .

ان من يعمل مع منصور ابراهيم النقيب لا يخاف الا الله وحده .. أم تظنون أنفسكم يا رجال رفعت أنتم وسيدكم انكم أصبحتم الهه فى الأرض . أقعد مع القاعدين حتى أستأذن لك ..

وفوجيء مفتاح وخشى أن يرد فيزداد راضى اساءة له وقعد وانتظر راضى حتى خرج الموكل الذى كان مع الأستاذ منصور ودخل الى الحجرة :

ـ مفتاح العبد بالخارج ..

وابتسم منصورا ساخراً وكأنه كان يتوقع هذا أو شبيها له :

ـ طبعا معه بندقية .

ـ طولها ثلاثة أمتار .

ـ دعه ينتظر حتى يدخل آخر موكل عندك ..

ــ هذا ما توقعته منك ٠

وانتظر مفتاح الا انه أحب أن يخفف الحدة التي لقيه بها راضي :

ــ حتى ولا فنجان قهوة يا راضي أفندي ٠٠

ــ القهوة جاية من غير طلب يا مفتاح أنت تعرف من صاحب المكتب ومن أبوه ومن جده ٠٠ بابهم دائما مفتوح للضيف ٠٠

ــ حاسب على بعض الشيء ٠

ــ لو كنت عندما قدمت طلبت الاذن بالدخول شأن الاكابر ٠٠ لرأيت مني كل ما يرضيك ٠٠

ــ غلطة وننساها ٠٠

ــ ننساها ان شاء الله ٠

ــ هل سيطول انتظاري ؟

ــ هل رأيت أحدا جاء بعدك ودخل قبلك ٠

ــ الحكاية بالدور اذن ٠٠

ــ أليست هذه هي الأصول ٠٠٠ بالدور ٠٠٠ لا فضل لعربي على أعجمي الا بالتقوى ٠٠

ــ منك نستفيد ٠٠

ــ طبعــــا ٠٠

ــ وهل قلنا شيئا ٠٠

ــ الحق لا يقال فيه شيء يا مفتاح انه الحق ٠٠

وحين دخل مفتاح الى منصور هب فيه في عنف وكأنه فوجيء بالسلاح الذي يحمله :

ــ ماذا ما هذا ٠٠

وفوجيء مفتــــاح :

ــ ماذا يا أستاذ ٠٠

ــ ما هذا الذي تحمله ٠٠

ــ ولا مؤاخذة يا أستاذ متعود على حملها ٠٠

ــ أخرج من هنا واتركها حيث لا اراها وحينئذ اقابلك ٠٠

وفعل مفتاح ما طلبه منه الأستاذ منصور وخرج مسرعا ووضع البندقية عند راضي وهو يقول له :

– لماذا لم تطلب منى أن أتركها ؟
– حتى لا تحسب أننا نخاف منها أو منك .
– ابقها عندك الله يخليك .
– ضعها هنا على الكرسى الذى كنت جالسا عليه .
وحين دخل مفتاح فى هذه المرة وقف منصور وهو يقول .
– الآن نستطيع أن نقول أهلا وسهلا تفضل يا سيد مفتاح .
– أكثر الله فضلك يا سعادة البيه .
– هل شربت القهوة ؟
– أحسن بن ومن خالقك .... أحسن بن .
– أتشرب فنجانا آخر ؟
– أنت مشغول وهما كلمتان .
– قلهما ..
– رفعت بك الربيعى يريدك أن ...
– ومن رفعت بك الربيعى يا سيد مفتاح ؟
– يا نهار أسود من الحبر الكوبيا .
– على مهلك أنا فقط ليس لى أصدقاء بهذا الاسم .
– آه .... ربما لا تعرفه شخصيا ولكن ألم تسمع عنه ؟
– آه .... تذكرت لعلك تقصد الرجل الذى يجمع حوله اللصوص والقتلة .
– الله الله الله ما هذا يا منصور بيه ؟!
– اذن فهو من تقصده ... ماذا يريد رفعت ؟
– أظن المسألة لم تعد تسمح بأن أقول ما جئت بشأنه .
– قله وأنا أخبرك ان كانت تسمح أو لاتسمح .
– كان يريدك أن تشرفه فى البيت .
– شىء عجيب .
– ما العجيب يا سيدى الأستاذ ؟
– شخص لا أعرفه ولا يعرفنى يرسل لى رجلا طويلا عريضا يحمل بندقية لأذهب اليه ... ماذا يظن نفسه هذا الرجل ؟
– أنا مجرد خادم عنده ..

ـ وخادم أيضا ٠٠ وكيف تصور أننى سألبى الطلب ؟
اسمع أخبر رفعتك هذا ان لى مكتبا يستقبل كل من يأتى اليه ٠٠
ولى أيضا تليفون يطلب أن أحدد له موعدا وسأرى عندئذ ماذا أفعل ٠٠
شرفت يا سيد مفتاح ٠٠ مع السلامة ٠

★★★

جن جنون رفعت الربيعى فقد تصور أى شىء الا أن يقابل مندوبه بهذا الاحتقار ويقابل اسمه بهذا الامتهان ٠ وزاد جنونه أن هذا الاحتقار كان على ملأ من الموكلين وتوقع أن يشيع ما حدث فى المركز كله ٠

وقد حدث فعلا ما توقعه رفعت وزلزل المركز زلزالا فقد كان الناس يخشون رفعت ويمالئونه ويتظاهرون له بالطاعة والخضوع فحين يرون شابا صغيرا فى مطلع حياته يصنع به هذا الصنيع فمن الطبيعى أن تزلزل المقاييس عندهم زلزالا ٠٠

وفى بيت عبد العال هنيدى المحامى كان نفر من أصدقائه بينهم محامون وموظفون كبار يجتمعون فى شبه ناد خاص يلعبون النرد أو الورق واذا بهم يلحظون أن صدقى البحراوى ليس كما تعود أن يروه تهريجا وضحكا وممازحة بل هو فى حالة صمت غاضب ٠ ويسأله عبد العال :

ـ مالك يا صدقى زوجتك ضربتك علقة ٠٠
ـ يا ليتها ٠٠
ـ أنا أحتقر نفسى ٠
ـ أصبحت مع الأغلبية التى تكن لك هذا الشعور ٠
وضحك الجالسون الا أن صدقى قطع ضحكهم قائلا فى حسم :
ـ لا فعلا أنا أحتقر نفسى ٠

ـ لماذا لا قدر الله انك محام مشهور ومكتبك من المكاتب الهامة ورب أسرة ناجحة والحمد لله ٠٠ ماذا بك ٠

ـ أحتقر نفسى وأحتقر كل الذى نصنعه عندك من اضاعة للوقت والمال ٠

ـ نحن جماعة نشقى طول النهار ونحاول أن نسرى عن أنفسنا باجتماعنا هذا ماذا فى هذا ٠

ـ نحن نحاول أن نسرى عن أنفسنا ونحاول أيضا أن نثير ضجة فى جوانبنا على أصوات ضمائرنا حتى لا تحاسبنا حضرات المحامون هنا ٠ ألم نرفض جميعا قضايا سامية الربيعى خوفا من رفعت ويقبله شاب من

أبنائنا وما فعله ماسمعتم به مع كبير مجرمى رفعت ٠ وتقول لى يا عبد العال اننى محام ناجحمن الناجح أنا أم هو ٠ أنا الذى سعيت وراء قضية الطبيب ام هو الذى رفضها والمصيبة أن نظرته وهو الشاب يتأكد أنهـا أصدق من نظرتى ٠٠ الأربعة القتلة اعدام فى حكم يندر أن يكون له مثيل ٠ ان هذا الشاب منصور النقيب يبعث روحا جديدة فى المركز أو هو يبعث روحا جديدة فى الوقوف مع الحق مهما تكن النتائج ٠

وحوم صمت ثم ارتفع صوت مجيد مالك مدير الضرائب :

ـ ما هذا الخطاب الطويل عن شاب أرعن يحاول أن يثير لنفسـه شهرة ٠٠ لا تتعجل الحكم وانتظر مصيره ٠

ويصيح صدقى :

ـ أنتظر مصيره لما أنتظره لماذا لا أشاركه هذا المصير لماذا لا أعيد قضايا رفعت اليه ولماذا لا نعيد نحن المحامين جميعا قضاياه اليه ونحن نعلم انه حتى القضايا المتوقعة الكسب منهـا ملفقة والأدلة فيها كلها تزوير وتدليس وغش مخادعة ؟

وصمت المحامون وقال عبد العال :

ـ لكل منا ظروفه يا صدقى ٠

ـ يا أخى فى السماء رزقكم وما توعدون وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت » فان كنا نخاف على المال ، ربك هو الذى يرزق ،وان كنا نخاف على النفس فالذى أحيا النفوس هو يميتها ٠٠ السلام عليكم أنا سأسير فى طريق منصور النقيب وليوائم كل منكم نفسه مع ظروفه ٠

وخرج صدقى وترك الجميع فى صمت عميق لم ينته الا بخروجهم واحدا بعد آخر فى اثر صدقى كأنما كانوا فى غاشية من مخدر ثم أفاقوا وما أفاقوا ٠

وسمع رفعت بهذا الذى حدث فى بيت عبد العال فادرك أن الأمر خطير وضاقت به الدنيا فلم يعد الأمر مجرد أموال سامية وانما هو كيانه جميعا وسلطانه وجبروته وتجمع الناس حوله مهما يكن سبب هذا التجمع عن خوف أو عن منفعة ٠

وحين سمع أعضاء الجمعية عما فعله رئيسهم تقاطروا على مكتبه حتى اجتمع منهم عدد كبير وقال أمين :

ـ ان مجيئكم دليل على ذكائكم .. اذا كنا نريد احقاق الحق فان البداية هي التى بدأها منصور ..

ـ ولكن كيف نكمل الطريق ؟

قال منصــور :

ـ رفعت حوله الأغلبية الكاثرة من المركز كثير منهم عن منفعة ولكن الأغلبية عن خوف .. وهو معه السلاح ونحن معنا الحق وأريد اليوم أن نقسم أن نحق الحق بالحق وأن نحاربه بالكلمة .. نريد أن نعرف اذا كان الحق قويا أم ضعيفا ونحن حوله .. لا نستعمل السلاح الا يوم يحاول رفعت أن يستعمل السلاح على أشخاصنا نحن الذين نقول عن أنفسنا حماة الحق . ونحن لا نحارب رفعت وحده وانما نحارب جمهورا حــوله .

ـ فكيف تكون خطتنا بعد ذلك ؟

ـ أننا كثرة ولنا عيون .

ـ نعم لا شك فى ذلك .

ـ نريد أن نعرف تحركات رفعت جميعا ما وقع منها وما نتوقع أن يفعل .

ـ ممكن هذا .

ـ ونجتمع فى كل مرة نعرف انه سيفعل شيئا ونبحث كيف نواجه ما ينتويه .

ـ على بركة الله .. كلام منطقى .. ومعقول ..

وعرف رفعت ان اجتماعا كبيرا تم فى مكتب منصور ولكنه لم يدر عما دار فيه شيئا مطلقــا فأفراد الجمعيــة بعيدون كل البعد عن النفع الشخصى وعن الجبن فلا طريق له بينهم أبدا .

★★★

كان منصور جالسا فى مكتبه حين دخل اليه راضى :

ـ رفعت الربيعى بالخارج .

ـ هل عندك موكلون ؟

ـ واحــــد .

ـ أدخل الموكل قبله .

ـ افعــل .

وفهم رفعت الاشارة ولم يحاول أن يقوم بأى احتجاج ٠

وحين مثل رفعت أمام منصور وقف منصور وصافحه :

ـ أهلا وسهلا ٠٠٠ تفضل ٠

ـ أهـلا بك يا أسـتاذ منصـور أنا أخى صـديق لجدك وكنت اعرف المرحوم والدك كما أعرف عم أبيك عبد الوارث ولم يكن بيننا أى عداء ، فما هذا الهجوم ؟

ـ ان جدى وأبى وعم أبى لا شأن لهم بالذى بيننا اطلاقا ٠٠ ان كان بيننا شىء ٠

ـ كل هذا وليس بيننا شىء ٠

ـ وما هو كل هذا ؟

ـ قبولك لقضايا سامية ٠

ـ اما كلام عجيب يا سيد رفعت اذا لم يقبل مكتب محاماه قضايا من الموكلين فماذا يصنع ٠

ـ أنت تعرف ان القضايا جميعها ضدى ٠

ـ هذا عليك وليس لك ٠٠ كان الأولى بك وأنت كبير عائلة الربيعى ان ترعى حق فتاة ليس لها رجل يحميها ٠

ـ وهل ترعى أنت حقها أكثر منى ؟

ـ أنت لا ترعى حقها أنت تريد أن تحرمها حقها حتى فى الحياة ٠

ـ وأنت الذى ستمنعنى ؟

ـ نعم ان شاء الله ٠

ـ أتظن ذلك ؟!

ـ لا أظن ولكنى واثق ٠

ـ بأى قوة لك ؟

ـ بقوة لا اله الا الله محمد رسول الله ٠

وزلزلت الشهادتان رفعت ولكنه تماسك وقال :

ـ بالخطب ٠

ـ أترك الأيام لتشـهدك ماذا يستطيع الحق سـبحانه وتعالى أن يفعل ٠

ـ طيب وما لزوم أن أرسل اليك رجلى فتشتمنى أمامه ؟

ـ قد كنت أولى أن أعاتبك على هذا ٠٠ كيف سمحت لنفسك أن

ترسل فى استدعائى ؟ من أعطاك هذا الحق ؟ أموظف أنا عندك أم أنا واحد من المجرمين الذين تستخدمهم ؟

وقاطعه رفعت :

ـ مجرمين ٠٠

ومضى منصور فى حديثه وكأنه لم يسمع شيئا :

ـ أم خادم أنا فى بيتك كيف أبحت لنفسك أن تسدعينى ؟ ومع ذلك فأنا لم أشتمك للمجرم حامل البندقية الذى أرسلته كل ما فعلته اننى رويت ما يقوله الناس عنك ٠٠ وألسنة الخلق أقلام الحق ٠

ـ أنت تعرف ان الناس تحبنى ٠

ـ أعرف أن بعض الناس ينتفع منك وأعرف أن كل الناس ترهب المجرمين الذين حولك ٠

ـ يبدو أن التفاهم بيننا مستحيل ؟

ـ ومتى كان هناك تفاهم بين حق وباطل أو بين سلام وطغيان ٠

ـ السلام عليكم ٠٠

ـ وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ٠

حين وجد رفعت أن المواجهة مع منصور غير مجدية استدار من طريق آخر ٠٠ طلب التليفون :

ـ عبد الوارث بك ؟

ـ نعـم ٠

ـ أنا رفعت الربيعى ٠

ـ أهلا وسهلا ٠

ـ أريد أن أراك ٠

ـ تشرف ٠

ـ ألا تشرفنى أنت وتشرب معى فنجان قهوة ؟

ـ أفضل أن تشرفنى أنت يا رفعت بك ٠

ـ وهو كذلك غدا فى السابعة مساء يوافقك ؟

ـ أهلا وسهلا ٠

★★★

ــ ألا ترى ماذا يصنع منصور ألا تكلمه ؟
ــ أنا لا أعرف انه صنع شيئا أكلمه بشأنه ٠
ــ اسمع يا عبد الوارث أنت تعرف كيف يزلزل كيانى ما يصنعه منصـــور ٠
ــ وماذا أقول له ؟
ــ فعـــلا لك حق ٠٠٠ ماذا تقول له ؟ أنا قادم اليك لأقول لك ماذا تقول له ٠
ــ تفضـــل ٠
ــ أستطيع أن أعينه فى النيابة أو القضاء في ظرف أسبوع ويترك لنا المركز كما هو ٠
ــ اقول له ٠
ــ وافهمه أن أغلبية الناس معى وان كنت اضمن نفسى فأنا لا أضمن واحدا من رجالى أو من الناس الذين يحبوننى ٠
ــ هذا تهديد أرفضه يا رفعت أنت تعرف من منصور ومن أسرته ٠
ــ أنا أعرف ولكن ماذا تفعل مع الجهلاء الذين لا يعرفون ؟
ــ هذا كلام لا يليق بين أمثالنا يا رفعت ٠٠ اترك لى فرصة الكلمة عن العرض الذى تعرضه أما التهديد فهو موجه الى وأنا أرفضه وأنا قادر على تمزيق كل من يمس شعرة فى رأس ابننا منصور ٠
ــ وهو كذلك ٠٠٠ متى أنتظر ردك على العرض ؟
ــ لن يتـــأخر ٠

★★★

ــ قاض ما هذا يا عمى من قال لك اننى أفكر فى أى وظيفة ؟
ــ يا منصور الرجل مجرم وأنا لا يهمنى أن تكون قاضيا أو لا تكون وأنا يهمنى سلامتك ٠٠ المجرم هدد ٠
هـــدد ؟!
ــ اسمع ياعمى ان عرض على رئاسة الوزارة فلن أترك المحاماة وان اجتمع حوله المجرمون فى العالم أجمع لن أترك الحق والله فعال لما يريد ٠
ــ توكل على الله والله لن يخذلك الله أبدا ٠٠ توكل على الله ونحن فداؤك ٠

★★★

سامية فتاة فى ربق العمر فى الثالثة والعشرين من عمرها تركها أبوها منذ سنتين وكانت حريصة أن تتعلم ولكنها حين بلغت شهادة الثانوية كان أبوها قد مرض فاضطرت أن تترك التعليم وتلازمه . فقد كانت أمها قد رحلت عنها وهى فى العاشرة من عمرها . وأبى أبوها أن يتزوج خشية أن تسىء الزوجة الجديدة اليها . وهكذا حملت سامية مسئولية البيت وهى فى عمر الأطفال . وجمعت بين الدراسة وشئون المنزل بطريقة ساذجة أول الأمر ولكن ما هى الا فترة قصيرة حتى أصبحت خبيرة حاسمة تدير البيت وكأنها سيدة مكتملة . وقبل أن يمرض أبوها تقدم لخطبتها كثير من الأقارب وغير الأقارب ولكنها كانت ترفض الزواج حرصا على الدراسة وحين مرض أبوها وبقيت فى البيت لم يجرؤ أحد أن يتقدم لخطبتها وأبوها مريض وحين مات أبوها لم يجرؤ أحد أن يتقدم لخطبتها خوفا من رفعت .

وقد كان والدها ذكيا فحين ماتت زوجته وعقد العزم ألا يتزوج راح يشترى كل عقار جديد يشتريه باسم سامية مباشرة وحين قاربت سن الرشد عقد بيعا صوريا بكل ما يملك للحاج مراد الأشرم الذى باعه هو الى سامية حتى يغلق طريق الصورية على أقاربه وعلى رأسهم رفعت وتلك وهذه من مضحكات القانون أنه يرغم الأشخاص على اللجوء الى الصورية ليغلق على المحاول الطعن بالصورية .

فملكية سامية لعقاراتها من أراض وعمارات لا مجال فيه لشك .

كان من الطبيعى أن تحس سامية بالفراغ بعد موت أبيها ولكن حرب رفعت لها ردت عنها هذا الشعور فقد كانت حرب شرسة لا تهدأ فلا يمر أسبوع الا ويطالعها بكيد جديد وهى فى دوامة تحس بانفرادها فيها وكان يملأها حسرة انفضاض أهلها من حولها حتى لقد كانت السيدات يخشين زيارتها حتى لا يتعرضن أو يتعرض أزواجهن أو أبناؤهن لشبهة غضب من رفعت الربيعى ..

لم يقف معها فى هذه المحنة الا مراد الأشرم وقد كان رجلا ذا ضمير وكان يشعر أن سامية فى مكان ابنته فقد كان يعمل مع أبيها قبل أن تولد بل وقبل أن يتزوج أبوها أيضا ..

كان منصور قد اتفق مع مراد أن يأتى اليهم بعد أن يدرس القضايا ويناقش ظروف كل قضية معه ومع الآنسة سامية فقد كان يرى أنها يجب

أن تعرف أمور القضايا جميعها فهى متعلمة ومن حقها وواجبها معــا أن تكون على علم بما يجرى فى المحاكم باسمها ..

ضرب جرس التليفون فى منزل سامية وقد كان منزلا جميلا يتوسط حديقة صغيرة تعتنى بها سامية كل العناية ..

ــ ألو ... من ؟

ــ أنا منصور النقيب يا أفندم .

ــ أنا سامية يا أستاذ منصور أهلا وسهلا .

ــ هل أستطيع أن أجىء اليــوم فى الساعة الثامنة بعــد المكتب لنناقش القضايا ؟

ــ طبعا أهلا وسهلا

ــ الحاج مراد موجود ؟

ــ طبعـــا .

ــ وهو كذلك مع السلامة يا هانم ..

★★★

فتاة جذابة الروح تحسن الاستماع كل الاحسان أسئلتها تدل على ذكاء وقاد وفهم عميق لما يدور حولها . ملبسها غاية فى الأناقة والبعد عن البهرجة فى وقت معا . لا تحاول أن تتظاهر بما ليس فيها واثقة ان فطرتها نقية ليس بها ما يدعوها الى اخفائه . بللورية الضمير لا تحمل حتى لرفعت سخيمة أو كرها . نورانية الطلعة لا يجرؤ من يراها الا أن يعاملها بأقصى ما يطيق وما لا يطيق من الاحترام . تختار ألفاظها فى طبيعة مواتية واثقة انها لن تقول الا ما ينبغى له أن يقال .

★★★

فى الساعة الحادية عشر من نفس الليلة كان منصور يطرق بيت عم أبيه عبد الوارث :

ــ وقعت فى نفسى أكرم موقع .

ــ لم نسمع عنها الا كل خير .

ــ اذن عجل بخطبتها .

ــ للأسف ليس لها رجال أكلمهم .. لم يعد أمامى الا أن أكلمها هى .

ـ فى حضور الحاج مراد فهو فى منزلة أبيها وتحسن صنعا لو وجهت الكلام اليه فان هذا سيرضيه ويرضيها فى وقت معا ٠

★★★

ـ ألو ٠٠ منزل المرحوم نشأت بك ؟

ـ نعم يا أفندم ٠

ـ الحاج مراد موجود ؟

ـ موجود يا أفندم من يريده ؟

ـ عبد الوارث النقيب ٠

ومع نبضه ودهشه وفرح اجابت سامية :

ـ دقيقة واحدة من فضلك ٠

جاء الحاج مراد الى التليفون ٠٠

ـ أنا عبد الوارث النقيب يا حاج مراد ٠

ـ يا مرحبا يا سعادة البك يا أهلا وسهلا ٠

ـ أريد أن أزور سامية هانم وأريدك أن تكون حاضرا الزيارة ٠

ـ وماله يا سعادة البيه تشرف ٠٠ دقيقة واحدة أسألها ٠

وبعد لحظة أو أقل :

ـ متى تريد التشريف يا عبد الوارث بك ؟

ـ أى وقت ٠

ـ غدا بعد المغرب معقول ٠

ـ أمـــرك ٠

ـ أهلا وسهلا ٠

ـ سلام عليكم ٠

ـ سلام عليكم ٠

★★★

ـ يا حاج مراد أنت فى مكان والد سامية أطال عمرها وعمرك ٠

ـ أعمل مع المرحوم نشأت بك قبل أن تولد وقبل أن يتزوج أيضا ٠

ـ أنا واثق أن سامية عرفت ما أنا قادم من أجله فهل عرفته أنت أيضـــا ٠

ـ عبد الوارث بك تفضل بالحديث ٠

كانت سامية جالسة شبه غائبة فقد كانت تعرف عن منصور كل شيء

وحين رأته لأول مرة ورأت عظمته فى خلقه وأدبه وفهمه ازدادت به اعجابا، ولم تكن تتصــور أن تجرى الأمور الى غايتها فى هــذه السرعة . قال عبد الوارث فى حسم :

ـ نريد ابنتنا سامية لابننا منصور طبعا لن تسألوا عنا ولن نسأل عنكم فكلنا فى المركز نعرف كل خافية عن أبناء المركز ولم يبق الا أن تسأل الآنسة الفاضلة وتجيب ندائى .... أمر عليكم غدا فى مثل موعد اليوم .. السلام عليكم .

ألقى الكلام فى فرحة وفى اقبال وانشراح صدر ولم يسمح لأى حرج أن يشوب الجلسة .

★★★

تزوج منصور من سامية والعجيب ان كل أقاربها حضروا الفرح وقد شعروا أن منصورا أصبح منذ اليوم سندا للحق فى المركز كله وجميعهم أصحاب حقوق عند رفعت .

الوحيد الذى لم يحضر هو رفعت فانه من الغيظ فى حال قاتلة حتى ما استطاع أن يتظاهر بالفرح الذى تعود الناس أن يتظاهروا به فى مثل هذه المناسبات .

وبلغت به الوقاحة أنه ارسل خطابا مع أحد أتباعه الى مكتب منصور يخبره فيه أنه يعتذر عن عدم حضور الفرح لانه كان يجب أن يخطب سامية منه هو ومفاجأة أخرى جاءت فى الفرح لقد حضر مأمور المركز الفرح دون أن يوجه اليه منصور الدعوة لانه لم يكن يعرفه . وأحضر معه باقة كبيرة من الورود عليها اسمه مجردا غير ملحق بوظيفته فقط فائق الدروى بلا مأمور مركز بعدها ورحب منصور به مقدرا مجيئه بغير دعوة ووضع المأمور ذراعه فى ذراع منصور وانتحى به ناحية منعزلة من الفرح وقال له :

ـ أنت اليوم أمل لأمة بأكملها وليس لمركز واحد .. ان التجربة التى ترودها من وقوف الحق أمام جموع الباطل ينظر اليها الناس فى كل مكان .. وربما نظر اليها العالم أجمع حين يعلم بأمرها .

ـ سر قوتى لا اله الا الله محمد رسول الله .

ـ أو قليل هــذا ؟ انى معك بقلبى ووظيفتى وان فقدت حيــاتى من أجل هذه الكلمة أكون سعيدا راضيا اذا كان لابد أن نموت فلنمت ونحن نقول لا اله الا الله محمد رسول الله ..

★★★

(٧)

قصد أشرف الماوردى الى مكتب منصور فى ظلمة الليل الحالكة ·· وانتظر حتى انصرف الموكلون جميعا وانفرد بمنصور وأمين :

ـ علمت اليوم ان رفعت ينوى أن يقوم بهجوم كاسح يسترد به ما فقده من هيبة ·

ـ وفيم يتمثل هذا الهجوم ؟

ـ انه ينوى أن يحرق أقطان السيدة زوجتك فى العزبة وأقطانك أنت أيضا فى يوم واحد ·

وقال أمين :

ـ تصرف غبى فهو بهذا لا يستطيع أن يدعى ان الحريق فى المكانين المتباعدين غير متعمد ·

وقال منصور :

ـ ومن قال لك انه يريد الحريق أن يبدو غير متعمد ؟ انما يقصد قصدا أن يعرف الناس جميعا انه حريق متعمد وانه هو الذى أمر به ودبر له وفى نفس الوقت لا يستطيع أحد أن يثبت عليه شيئا ·

وقال أمين لأشرف :

ـ من أخبرك ؟

ـ عبد الله أبو سرور أحد رجاله وكان يعمل عندنا مزارعا وقد استطعت أن أسلخه منهم وأبقيه عينا لنا معهم ·

وقال منصور :

ـ هل عرفت الموعد ؟

ـ نعم يوم الخميس مساء ليكون الجميع فى بيوتهم يسهرون حول التليفزيون ·

ـ اليوم الاثنين ؟

ـ نعم ·

ـ اذن عندنا وقت ·

ـ سأل أمين :

ـ وقت لماذا ؟

ـ القطن الآن عندى وعند زوجتى فى أكياس ٠٠ سأنقله مساء فى باحة المنزل عندى ٠٠ وفى مخزن آخر عند زوجتى ٠٠ وفى نفس الوقت سنملأ أكياسا بفرزة القطن وبأعواد الهندى ونضعها مكان الحريق ٠٠ وأريد منك يا أمين أنت وأشرف أن تقسموا أعضاء الجمعية بين بيتى وبيت زوجتى ويستخفوا من بعد صلاة المغرب بحيث لا يشعر بهم أحد حتى ولا أهل المنزل عندنا أو عند زوجتى والباقى اتركوه على الله وعلى ٠

ـ وما الباقى ؟

ـ سترون الآن ٠

ورفع سماعة التليفون وطلب رقما :

ـ ألو ٠٠٠ فائق بك ؟

ـ أنا منصور يشاء الله سبحانه وتعالى أن تنفذ وعدك الذى وعدت فى أول لقاء لنا ٠

وجاءه صوت المأمور :

ـ ما أسعدنى بذلك ٠

ـ الأمر من اختصاصك وحدك ٠

ـ ماذا ؟

ـ رفعت أصدر أوامره لرجاله أن يحرقوا القطن عندى وعند زوجتى يوم الخميس القادم ٠

ـ أهذا معقول ؟

ـ يريد أن يعرف الناس قوته وجبروته وفى نفس الوقت لا دليل ٠

ـ معقول ؟

ـ المهم أن هذا العمل الواسع سيحتاج الى كل رجاله ولن تجد فرصة خيرا من هذه لتقبض عليهم متلبسين ٠

ـ وهل تتركهم يحرقون القطن ؟

ـ ان جريمة الاحراق تقع بمجرد القيام بها أما الشىء المحروق فليكن ما يكون وسيادتك تعرف القصد الاحتمالى وما قد يترتب على هذا الحريق من انتشار النار فى البلدة جميعها ٠

ـ تصرف فى غاية الذكاء ٠٠ توكل على الله ٠

ـ وهل لنا غيره ؟

★★★

رأى أصدقاء منصور المختبئين فى تربص رجال رفعت وهم يتقاطرون واحدا فى اثر آخر محاولين قدر جهدهم ألا يلفتوا اليهم الأنظار وهم لا يدرون ان وراء كل شجرة أو ثنية بيت رجل شرطة أو واحدا من أصدقاء منصور وكان المأمور نفسه بسيارته الخاصة داخل حديقة البرتقال الواقعة بجانب مخزن سامية . وكان نائب المأمور متربصا هو الآخر قريبا من بيت منصور كان جميع رجال الشرطة وأصدقاء منصور يعلمون أن الموعد هو الخميس ولكن لم يعرفوا فى أى ساعة وقت لهم رفعت القيام بمهمتهم ؟

هوم صمت متوقع على الجميع وكان الجميع مجرمين وشرفاء يحاسبون انفاسهم أن يعلو لها صوت . وتجمد كل فى مكانه فكأنه قطعة من شجر أو حجر من بناء وارتفع صوت المؤذن يشق الليل والصمت والتربص .. الله أكبـــر الله أكبـــر .. وفى نفس اللحظة نبت المجرمون من مكامنهم وتكوفوا حول المخزنين بعض منهم هنا عند منصور فى بيته وبعض منهم هناك عند سامية فى عزبتها . وانتظر رجال الشرطة وأصدقاء منصور جميعا حتى أشعل المجرمون النيران هناك وهنا ثم خرجوا اليهم من حيث لا يحتسبون وقبضوا عليهم جميعا متلبسين .. الشرطة تؤدى واجبهـــا وأعضاء جمعية الحق شهود .

وظهرت سيارات الشرطة بعد قليل ونقلت المجرمين الى المركز وبدأ التحقيق .

كانوا كما توقع منصـــور هم كل عصـــابة رفعت لم يتخلف منهم الا عبد الله أبو سرور الذى أعلن خروجه على رفعت صائحا فى وجهه لا اله الا الله محمد رسول الله .

★★★

كانت ضربة حاسمة لرفعت حتى لقد راح أصدقاؤه ومن كان يصطنعهم يسخرون منه وينقلبون عليه جماعات ووحدانا فدارت به الأرض فقد رأى ما بناه فى عشرات السنين يهوى أنقاضا وسارع الى صدقى البحراوى المحامى ليحضر مع المتهمين ويترافع عنهم . وكان ذلك عجبا فقد كان صدقى بعد ثورته التى أعلن عنها فى بيت الهنيدى :

ــ ألم أعد اليك قضاياك جميعا يا رفعت بك ؟

ــ وغضبت منك غضبا شديدا .

ــ غضبك كان فى حسبانى وأنا أرسل القضايا .

ــ ظننت أن الأتعاب كانت قليلة وها قد جئت لأضاعفها

ــ أنت ظننت ذلك يا رفعت بك .

ـ انا لم أغضـبك فى شىء فكان عجيبـا أن ترسل الى القضـايا بلا تعليق ٠

ـ الم يدر بذهنك ان انسانا ما تأتى عليه لحظة يحاول فيها أن يتطهر ويقول لا اله الا الله محمد رسول الله ؟

ـ فجـأة ؟

ـ أترى أنت أنها فجأة ؟ يا ليتها كانت فجأة اذن لحمدت لنفسى اننى رجعت الى الله من تلقاء نفسى ولم يهزنى شاب صغير كنت أنا أولى أن أسبقه فى الرجولة والشجاعة وفى صيحة الحق ٠

ـ ما فات فات ٠٠ نحن الآن فيما نحن فيه ٠

ـ وما الذى نحن فيه ؟

ـ نحن ازاء قضية جمعت الشرطة فيها كل رجالى ٠

ـ أنعم بالحكومة وأكرم ٠

ـ هل أفهم من هذا أنك ترفض ما جئت لك من أجله ؟

ـ أكاد أعرف ما جئت من أجله ولكن لا أتصوره ٠

ـ لمـاذا لا تتصوره ؟

ـ محام أرسل اليك قضـاياك القديمة فكيف يقبل قضـايا منك جديدة ٠٠ أليست تلك عجيبة من عجائب الدنيا ؟

ـ الأمر مختلف ٠

ـ فيم الاختلاف ؟

ـ هذه ليست قضايا خاصة بى انها قضايا أفراد شتى ٠
ثم انها قضايا جنائية وليست مدنية مثل التى كانت عندك ٠

ـ رفعت بك أرجو ألا يكون ما حدث قد أثر على ذكائك ، كيف تقول انها قضايا أفراد انها جميعا قضيتك أنت والغالب أن يذكر واحد من هؤلاء اسمك كمجرم ٠

ـ يستحيل ٠

ـ أنت الآن فى موقف لا يسمح بالتأكد من أى شىء أو أى شخص هؤلاءمجرمون والقضية جناية ألا يحاول كل منهم أن يتشبث بأى شىء ٠

ـ بل كل واحد منهم يعلم انه اذا دخل السجن فلا ظهر له الا أنا حتى يجد بيته ما يعيش منه ٠

ـ ومع ذلك ليس لك أن تتأكد من شىء ٠

— فما قولك أنت ؟
— فيـم ؟
— هل ترفض هذه القضايا ؟
— لا اله الا الله محمد رسول الله ٠
— يعنى يذهب كل هؤلاء الى السجن ؟
— ولكم فى القصاص حياة ٠
— وبعد ٠٠ ماذا أفعل ؟
— مكاتب المحامين فى كل شارع ٠
— فى المركز أنا لا أثق الا بك ٠
— أنا لن أترافع عنك أبدا يا رفعت بك ٠
راح رفعت يكلم نفسه ٠٠
— ماذا أعمل ؟ ماذا أعمل ؟ ألجأ لمحامين من القاهرة ٠
— هذا يكون أحسن ٠٠ لانك ستواجه قضايا أخرى يا رفعت بك ٠
— ماذا ؟

— مظاليمك كثيرون ٠٠ وما كان يخيفهم بالأمس من رجالك وسلاحك زال ٠٠ امحى من الوجود ٠٠ فتوقع قضايا جديدة مدنية وجنائية من كل نوع ٠

— أتهديد هذا ؟

— يا رفعت بك لا تفقد ثباتك فانك لم يبق لك غيره ٠٠ الجمـاهير انفضت عنك ورجالك فى السجون لم يبق لك الا ثباتك فحذار أن تفقده هذه نصيحة لوجه الله ٠٠ كيف أهددك أنا ؟ هل ظلمتنى ؟ اننى فقط أتوقع بتفكير حر ليس فيه مصالح شخصية ٠

واستخزى رفعت وأطرق ودون سلام جمع نفسه المبعثرة وقام الى الباب وخرج صـدقى يشيعه وصيحة تملأ نفسـه لا اله الا الله محمـد رسول الله ٠٠

★★★

(٨)

حفنى سلام سائق سيارة اشتراها بعد جهد جهيد طوال سنوات عشر كان يوفر من ضرورات الحياة حتى يحصل على ثمنها ٠ وقد اشتراها قديمة توشك أن تكون مستهلكة فقام باصلاح آلتها وتجميل خارجها بكل ما يطيق

من جديد وخبرة واستخرج رخصة تتيح له أن يجعل السيارة على الخط وهو تعبير يعرفه سكان المراكز ويعنى ان السيارة تعمل بين مصر والمركز بشكل منتظم • واستخراج هذه الرخصة يحتاج الى مجهود كبير آخر مع الجهات الرسمية ومع زملائه على الخط حتى لا يعـدو عليهم ولا يعـدوا عليه •

وبدأ حفنى عمله على الخط وهو مثقل بالديون فكان يعمل ليل نهار ليسدد ما عليه من ديون وليتبقى له ما يقيم أوده وزوجته وردة وبناته الاربع وابنه الذى جاء بعد البنات فاعتبره أعظم ما وهبته له السماء وأسماه محروس داعيا الله بالاسم الذى اختاره أن يحرسه •

ومرت سنوات خمس وبدأ محروس يذهب الى المدرسة ولكن شاء الله أن يمتحن عبده حفنى فأصيب محروس بالمصران الأعور وكان لابد أن تتم له العملية بين يوم وليلة •

وجن جنون حفنى وراح يجرى هنا وهناك • ولكن من أين لأصدقاء حفنى أن يعينوه بالرقم الذى تحتاجه العملية وكان قريبا من خمسمائة جنيه • وفى لحظة الجنون التى تمر والأب يخشى على ابنه الموت المحقق اتجه الى رفعت الربيعى •

— أنت تعرفنى العمر كله وطالما كنت تحت أمرك •
— هذا كلام لا ينفع الآن كيف أضمن المبلغ اذا أنا أعطيته لك ؟
— خذ كل الضمانات التى ترضيك اكتب وصل أمانة •
— وماذا أفيد أنا من حبسك اذا لم تدفع ؟
— فماذا تريد ؟
— تبيع لى السيارة •
— يانهار أسود •• وكيف أعيش ؟
— البيع صورى •
— أمرك ••• ولكن معنى البيع الصورى أن تكتب لى ورقة تذكر فيها أن البيع صورى •
— هل أنت عبيط ؟!
— فكيف يكون البيع صوريا اذن ؟
— يكون كذلك بينى وبينك •
— واذا استوليت سعادتك على السيارة ؟
— واحدة من اثنين اما أن تثق فى ذمتى أو لا تثق •

وارتبح على حفنى وأصبح فى موقف لا خيار فيه ان قال له لا أثق فى ذمتك فقد الأمل فى السلفة وربما فقد حياته هو أيضا بعد ذلك وان قال أثق فمعنى ذلك أنه باع نفسه جميعا الى ذلك الرجل المتوحش وأصبح لا يملك من أمر نفسه شيئا ٠٠ قضاء أخف من قضاء ٠٠٠ أبيع نفسى خير من أن أفقد ابنى وحياتى ٠٠

ـ ياسلام ياسعادة البيه وهل يستطيع مثلى ألا يثق فى مثلك ؟

وكتبت الأوراق وأخذ المبلغ وأجريت العملية لمحروس ونجحت وأفاق حفنى الى الكارثة التى حلت به ٠٠

لم تمر أيام حتى وجد عند وردة طلبا من رفعت أن يذهب اليه فى باكر الصباح ٠ ومعنى هذا أن يخسر دورا من أدواره فى الخط فاحتسب دوره عند الله وذهب الى رفعت ٠

ـ اسمع ياعم حفنى سيارتك تلزمنى فى توصيلة ٠

ـ انت تأمر يا رفعت بك ٠٠ هل ستركب أنت سيارتى المسكينة هـذه ؟

ـ لا ٠٠٠ أنا عندى سيارتى ٠٠٠ هذه توصيلة الى القاهرة سيكون معك فيها عتمان أبو سعيد ٠

ـ أمـرك ٠

ـ كم تأخذ فى التوصيلة ؟

ـ ثلاثة جنيهات من النفر يعنى ١٥ جنيهـا ٠

ـ أنا سأعطيك خمسين جنيها ؟

ـ ماذا ؟

ـ ما سمعت ٠

ـ لمـاذا ؟؟

ـ أنا حر يا أخى أتصرف فى مالى كيف أشاء ٠

ـ هيـــه ٠

وفهم حفنى الوضع تماما فقد كان يسمع ان عتمان من الذين يعملون فى تهريب المخدرات لرفعت بك والآن تحقق له ما سمع ولكنه اضطر أن يتظاهر بأنه لم يفهم ٠

وقد كانت كل خشيته أن يتكرر هذا الأمر وهو لا يريد أن تسوء

سمعته عند رجال المرور . فانهم يعرفونه وما يعرفونه عنه يجعله نظيفا عندهم حسن السمعة .

خطر له خاطر :

ــ رفعت بك ..

ــ هيه ... ماذا ؟

ــ أليس عندك شخص آخر غير عثمان أبو سعيد ؟

ــ وعتمان ماله ؟

ــ رجال المرور لا يحبونه وسيارتى أول مرة تقوم بهذه العمليه .

ــ ما هى العملية ؟

ــ التى يقوم بها عتمان .

فضحك رفعت ملء شدقيه وهو يقول :

ــ البلد هذه لا يستخفى فيها شيء ... وهو كذلك سأعطيك فى كل مرة شخصا جديدا .

ــ أمرى الى الله .

وقام حفنى بعملية نقل المخدرات عدة مرات وهو لاقف الأنفاس يملأ الرعب جانبيه واثقا انه لو امتنع فان رفعت سيغتصب منه السيارة وستقفل أمامه كل سبل الحياة .

كان أحيانا يذهب الى القاهرة بريئا ويعود حاملا تهمته معه وأحيانا يخرج من المركز وبلواه فى السيارة .

وفى مرة أعقبت القبض على رجال رفعت فوجيء برجال المرور يوقفون سيارته ويجرون بها تفتيشا دقيقا ولحسن حظه كانت السيارة بريئة من المخدرات وكان معه فيها توفيق عبد الباقى .

وقد تولى الرجلين ذعر من التفتيش رغم أنهما كانا يعلمان أن ليس بالسيارة ما يدعو الى الخوف .

وانتهى التفتيش وأكمل حفنى طريقه الى القاهرة وظل صامتا طوال الطريق وكلما حاول توفيق أن يحادثه أبى أأن يرد عليه وكأنه غير موجود وكان في ضمته يقرأ ما حفظه من آيات القرآن يرددها لنفسه محاولا بكل الجهد أن يستعيد بها الى نفسه بعض الطمأنينة حتى اذا بلغت السيارة مشارف القاهرة قال توفيق :

ــ نذهب الى العنوان الذى معنا ..

وانفجرت ثورة حفنى :

ـ هل جننت ؟ وحق كتاب الله المنزل لن يرانى الله أحمل هذه المصائب مرة أخرى أبدا ٠

ـ ورفعت بك ؟

ـ أشهد ألا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ٠٠٠ الموت أحسن من السجن ٠

ـ وماذا أنت فاعل الآن ؟

ـ ستـــرى ٠

وراح حفنى يدور فى شوارع القاهرة وتوفيق لا يدرى مصيره حتى بلغت السيارة مقام السيدة نفيسة ونزل حفنى دون أن يدعو توفيق للنزول معه ٠ ودخل الى المسجد وتوضأ وراح يصلى أمام المقام والدموع فى عينيه حتى اذا بلغت نفسه بعض الهدنة قام الى سيارته ولحق به توفيق وذهب الى سيدنا الحسين وراح يصلى حتى اذا اكتفى قام الى سيارته ولحق به توفيق ذاهلا وذهب الى مقام السيدة زينب وراح يصلى أمام المقام والدموع ما تزال تتوالى من عينيه وراح لونه يسترد بعضا من طبيعته ثم قام الى السيارة وركب هو وتوفيق فلم يقف الا عند رفعت ٠

ـ رفعت بك ٠

ـ خـــير ٠

ـ أنت أخذت منى هذه السيارة بعقد لا حق لك فيه ٠٠ أنا لا أريدها ولن أعمل معك بعد اليوم أبدا ٠

ـ هل جننت يا ولد ؟

ـ أنا لن أناقش ، هذا عهد قطعته بينى وبين الله وأشهدت عليه سيدنا الحسين والسيدة زينب والسيدة نفيسة ٠٠ومفاتيح السيارة فيها ٠٠ والسلام عليكم ورحمة الله ٠

واستدار واتجه الى الخروج وراح رفعت يناديه فلم يلتفت اليه ٠ وكان رفعت جالسا مع وجدى الهن أحد كبار مساعديه وقال وجدى :

ـ ماذ سنفعل الآن ٠٠ ما الذى حصل ؟

ـ لا يهم الذى حصل سنعرفه من توفيق انما ماذا تنوى أن تفعل ؟

ـ نرسل السيارة فورا لتأتى بالبضاعة المحامى الذى أتيت به من القاهرة يحتاج الى مبالغ كبيرة ٠

– نرسل سيارة أخرى ؟
– بل هذه ٠
– كيف ؟
– أولا هذه عند المرور ليست سيارتى وثانيا لن يفتش المرورة سيارة واحدة مرتين فى اليوم ٠
– والله معقول ٠
– من هنا من السائقين ؟
– صابر الملوانى ٠
– ارسل اليه ٠

خرج حفنى من بيت رفعت الى منصور وقص عليه القصة جميعها ٠

★★★

واستوعبها منصور كل الاستيعاب ، ودون مقدمات :
– قم بنا ٠
– الى أين ؟
– الى المركز ٠
– لماذا ؟
– أنت فى موقف فى غاية الحرج فلابد من كتابة محضر بكل هذا الذى قلته الآن ٠
– اذا فعلت أكون قد ضمنت الآخرة ٠٠٠ سيقتلنى رفعت حتما ٠
– أنت واهم ٠ أولا ٠٠٠ رجال رفعت كلهم فى السجن ٠ ثانيا هو الآن سيرسل سيارتك ان لم يكن أرسلها فعلا لتأتى بالمخدرات معتمدا انه سيقول اذا سئل انها سيارتك وليست سيارته ٠٠ فان لم تسبق أنت بعمل المحضر فالتهمة ستكون ضدك وضد سيارتك ٠
– ولكنه اشتراها ٠٠
– هل معك عقد البيع ؟
– كتبه من صورة واحدة ٠
– هذه الصورة لن يظهرها ٠٠٠ هيا لا تضيع الوقت ٠
– هيا ٠٠٠ أنا تحت أمرك ٠

وذهبا الى المأمور مباشرة وخرجت قوة الى بيت رفعت ولحق بها المأمور ومعه اذن نيابة بالتفتيش عن المخدرات وفوجىء رفعت بالقوة التى لم تكد تلتف حوله حتى وجد المأمور معها وبدأ التفتيش وأمر المأمور بفتح الخزانة ولم يكن عجيبا أن وجد المأمور عقد شراء سيارة حفنى بين أوراق الخزانة ٠ وان كان لم يجد مخدرات ٠

وكانت السيارة قد ذهبت فعلا الى القاهرة وما كان أيسر على المأمور أن يعطى أمرا بتفتيشها عند عودتها وتم العثور بها على المخدرات ٠

وقال رفعت للنيابة :

ــ هذه سيارة حفنى ٠

ــ وعقد الشراء ؟

ــ لقد كتبته لأضمن الدين الذى استلفه منى حين كان ابنه محتاجا لعملية ولكن الجميع يعلم أنه كان يستعمل السيارة على الخط فلو كنت اشتريتها لما كان ركبها ٠

ــ ولكنه كان يعمل عندك أيضا ٠٠ وهى الآن حين ضبطت بالمخدرات لم تكن معه ، ما أقوالك ؟

ــ أنا لا أعرف شيئا عن المخدرات وربما يكون صابر هو الذى قام بالعملية من تلقاء نفسه ٠

ــ ألا يعمل صابر سائقا عندك ؟

صمت ٠٠

ــ أجب ٠

ــ يعمل عندى أحيانا ولكننى لم أكلفه بهذه المهمة ٠

وبعد استكمال التحقيق أفرج عن رفعت بكفالة قدرها ألف جنيه وأودع صابر السجن لاستكمال التحقيق ٠

(٩)

كان منصور فى مكتبه حين دخل اليه راضى يستأذن فى دخول لطفى عامر ٠

ــ من لطفى عامر ؟

ــ أحد رجال رفعت ٠

ــ ماذا كان يعمل عنده ؟

ــ خادما بالبيت ٠

ــ وماذا يريد ؟

ــ أناديه لك ؟

ــ دعه يدخل ٠

ـ أمــــرك .

ودخل لطفى عامر ... شاب طيب السمات ذكى النظرة تغشى وجهه كآبه وهلع وقال وهو يجلس :

ـ الحقنى يا سعادة البك .

ـ خير يا لطفى .

ـ أنا أعمل خادما عند رفعت بك منذ عشر سنوات وأنت تعرف اننا فى العمل عنده لسنا أحرارا فأبى مزارع عنده وقد رآنى وكان عمرى ستة عشر سنة وماشى فى السابعة عشر وقال لأبى أريد لطفى أن يعمل عندى . وكانت الكلمة العابرة كافية للتنفيذ .

جمعت ملابسى وذهبت معه الى المركز له عمارة بشارع الشنوانى بها دور تحت الأرض كله حجرات والدور له منافعه . أعطانى حجرة من هذه الحجرات وكتب معى عقدا جعل أبى يوقع عليه لانى لم أكن قد بلغت السن القانونية بعد . ووقع أبى ورأيت المر يا منصور بك سهر الى وش الصبح وتعب المرتب عشرة جنيهات آخذها شهرا ولا آخذها شهرا آخر وكلما فاتحته يقول ألا يكفيك أنك تسكن فى حجرة ولا تدفع أجرا أتعرف كم ايجار هذه الحجرة . المهم تزوجت يا منصور بك بعد خمس سنوات وأتيت بزوجتى الى الغرفة وأنجبنا ابنا وابنة . الولد لابد أن يذهب الى المدرسة . فاذا به يقول مدرسة ألم يبق الا ابنك ليذهب الى المدرسة ... أوجعتنى الكلمة يا منصور بك ... أكثير أن أعلم ابنى مثل خلق الله وكان الولد واقفا بجانبى وتمنيت لو أن الأرض ابتلعتنى فكل أب يا منصور بك يجب أن يكون محترما أمام ابنه . ولم يكتف رفعت بهذا بل أكمل ، اذهب علمه صنعة أو انتظر عليه حتى يكبر وهاته هنا يخدم وأنا أقبله وأمرى لله .

ـ ما الذى جعلك تخبره عن مدرسة ابنك ؟

ـ أردت سلفة عشرين جنيها أحضر للولد ملابس يذهب بهــا الى المدرســـة .

ـ هيــــه ... وبعـــد .

ـ سكت ... أنا كنت حزينا كل الحزن .. لقد تحملت منه الضرب والاهانة والسهر وعدم النوم فى الليل أو فى النهار وكأنى آلة ولست آدميا مثل كل الناس وبعد هذا كله يهيننى هذه الاهانة أمام ابنى .

ـ ماذا فعلت ؟

ـ رحت ولم أستطع حتى تناول الغداء وانما أرسلت زوجتى الى زوجته تخبرها اننا لن نعمل عندها بعد ذلك ٠

ـ وماذا قالت لها ؟

ـ قالت الآن طبعـا ٠٠٠ ما داموا قبضـوا على رجاله طيب اخلوا الحجرة قالت لها وهيبة امرأتى أى حجرة قالت لها الحجرة التى تنامون فيها قالت وهيبة ولكننا ندفع ايجارها أكنا نقبل عشرة جنيهات مرتبا لو لم يكن الايجار محسوبا ٠٠ قالت الست هل معكم ايصال ؟ قالت وهيبة طبعا لا ٠ قالت الست ولكن نحن لدينا عقد ايجار ٠٠٠ اشربوا من البحر اذن أو عضوا فى الأرض ٠

ـ وماذا قالت وهيبة ؟

ـ وماذا يمكن أن تقول ؟ قالت كتر خيرك يا ست هانم هذه آخرة خدمتنا السنوات الطوال ولم تسكت الست وانما لعنت أباها وهى تقول أكنتم تعملون مجانا امشى أخرجى من بيتى ٠٠

قال منصور :

ـ والآن ماذا حدث ؟

ـ حدث اننى أصبحت أمدح فيك فى كل مكان وصحت معك لا اله الا الله محمد رسول الله وعرف هو هذا وفوجئت يا سعادة البك بهذا الاعلان قادما ٠٠

ـ ما هذا ٠٠٠ ؟ اعلان طرد ٠٠٠ ؟ مبلغ كم ألف ومائتى جنيه قيمة ايجار متأخر ٠٠٠ هيه ٠

ـ ما رأيك يا سعادة البك ؟

ـ رأيى أنه يملك أن يطردك ٠

ـ ومعى أربعة آخرون تركوا خدمته ويسكنون معى فى البدروم ٠٠ وجاءت لهم اعلانات مثل هذه ٠

ـ أكلها بمبالغ كبيرة مثل هذه ؟

ـ المبالغ تتراوح ٠

ـ توكل على الله ٠

ـ هل له حق فى هذه المطالبة ؟

ـ من جهة له حق فلا شك فى ذلك ٠

ـ اذن ٠

ـ هات زملاءك وتعالوا الى مكتبى اليوم بعد الظهر ٠
ـ جميعـــا ؟
ـ جميعا ومعكم الاعلانات ٠

وجاءوا وكان فى انتظارهم منصور وأمين عبد الصادق وجمع منصور الاعلانات فوجد المبالغ المطلوبة ثلاثة آلاف وأربعمائة جنيه فدق الجرس وجاء راضى ٠

فقال له فى هدوء :

ـ خذ هذه الاعلانات وهذا المبلغ ثلاثة آلاف وأربعمائة جنيه تدفعه غدا فى المحكمة ايداع لحساب رفعت بموجب هذه الاعلانات ٠

ـ أمـــرك ٠
ـ مع السلامة ٠

ثم نظر الى زملاء لطفى وقال لهم هذه المبالغ منى ومن الأستاذ أمين هدية لكم وعليكم بعد ذلك أن تدفعوا الايجار ٠

ـ ماذا نقول لك وللأستاذ أمين ؟
ـ تعرفون جميعا ماذا تقولون ٠
ـ لقد رأينا العذاب ألوانا ٠٠٠ ماذا نقول لك ؟
ـ ما نقوله جميعا ٠
ـ لا اله الا الله محمد رسول الله ٠

★★★

(١٠)

أكرم الأشمونى شاب فى مقتبل العمر يملك عشرة أفدنه فى الناحية غير بيت كامل فى المركز مات عنه أبوه وهو فى السنة الثالثة من كليـة التجارة فأكمل تعليمه وتخرج ٠ وكان وهو فى الكلية معجب بزميلة له نهى سعدون وكان طوال سنوات الدراسة يحاول أن يتقرب منها هـذا التقرب المعهود بين أبناء الجامعة ٠ كراسة المحاضرات ٠ المذاكرة ٠ الاعادة على المحاضرة ٠٠ الى غير هذا ٠ وكانت تتقبل منه هذه المحاولات فى نفس راضية فقد كان مرتب العقل لا يرتكب الصغائر التى يرتكبها الشباب فى هذه السن من التظاهر بما ليس فيهم أو ادعاء ما ليس لهم ٠ وكان منتصب القامة فى غير تكبر يحترم نفسه فى غير تعاظم ٠ وكانت تشهد منه اذا لم

تعطه كل اهتمامها كبرياء الأصيل حتى لتضطر أن تعتذر اليه مدركة ما وقعت فيه من خطأ ٠

وكان أكرم ونهى ينجحان كل عام نجاحا معقولا لا هو في الحضيض ولا هو في القمة حتى اذا بلغا البكالوريوس ومر من العام ثلاثة أشهر قال لهـــا :

ـ الآن وجب الكلام ٠
ـ أفهمك ٠
ـ والدك موظف بوزارة المواصلات بدرجة مدير عام ٠
ـ أنت تعرف أسرتى كلها وزرتنا كثيرا ٠

ـ الذى أقوله مقدمة من المقدمات فى أغلب أمرها يكون فيها أشياء معروفة ٠

ـ اذن أكمل ٠

ـ اذا خطبتك منه سيقع فى حيرة ما بعدها حيرة ٠٠ وأنا والحمد لله لست غنيا ولكننى مستور ٠

ـ وماذا تريد ؟

ـ أريد أن أكلم عمى سعدون بك دون أن أبث فى نفسى اى نوع من الحـيرة ٠

ـ وكيف يكون ذلك ؟
قال باسما :
ـ هذا أمر لا دخل لك أنت فيه ٠
ـ انه أنا التى سأتزوج ٠

ـ ان دورك قاصر على ان عمى سعدون سيسألك رأيك وتقولين موافقة ٠

وفى سخرية فرحانة قالت :
ـ يا سلام واثق من نفسك جدا حضرتك ٠
وفى نفس اللهفة الفرحة يقول لها :
ـ واثق من صلتنا الشريفة العفيفة على مدى أربع سنوات ٠
ـ وكيف لك أن تثق ؟

ـ اعجاب ومدارسة عرفتك فيها وعرفتنى ورضيت أن أكون زميل مذاكرتك ومشاك وصندوق أخبارك ٠

ما تضيقين به وما تسعدين ، وفرحت أنا أن أكون منك هذا الانسان ومعنى فرحي ان اعجابى تحول الى حب ٠٠ حب جارف عفيف حرصت كما حرصت أنت أن يظل عفيفا لأن كلَ منا كان يدخر الآخر للحياة جميعهـا وليس لمعرفة عابرة تمر بالانسان ثم تمضى كأنها لم تكن لا تصبح الا ذكرى هينة الشأن ضئيلة الأثر ٠

ـ والملخص ؟

ـ ان سعدون بك أو نجيبة هانم ٠٠ والغالب أن نجيبة هانم هى التى ستسألك ٠٠ أتقبلين أكرم زميلك زوجا لك ؟

ـ هيه وماذا أقول أنا ؟

ـ والله أنت حرة هناك ثلاث اجابات ٠٠

ـ لا رابع لها ؟

ـ ما هى الاجابات ؟

ـ نعـــم ٠

ـ يا ســـلام ٠

ـ وبهذه الاجابة تكونين صريحة واضحة منسجمة مع نفسك لانك أنت التى قدمت أكرم هذا اليهم فمن الطبيعى أن تقبليه ٠

ـ معقول ٠٠ والاجابة الثانية ٠

ـ التقليدية التى جرى عليها الغالبية العظمى من بنات حواء فى مثل هذه المواقف ٠

ـ ألا وهى ؟

ـ الرأى رأيكم يا ماما ٠

ـ معقول أيضا ٠٠ والثالثة ٠

ـ ابتسامة مشرقة وهزة رأس خفيفة تفيد الموافقة أيها ستختارين ٠
وأغرقت نهى فى الضحك وقالت :

ـ أليست هناك اجابة رابعة محتملة ؟

ـ مطلقـــا ٠

ـ بل هناك ٠

ـ مثل ماذا ؟

قالت وهى تضحك ملء قلبها :

ـ مثل أبدا يا ماما كله الا هذا ٠٠ أكرم زميل فقط أما اذا أردت

الزواج فاننى أريد شخصا غنيا واسع الثراء أما هذا الشاب المغرور الذى يتصور أننى سأوافق على زواجه بمجرد أن يتفضل هو بطلب يدى ... أبدا يا ماما أبدا .

ـ اذا قلت هذا الكلام بهذا الوجه الصبيح المنطلق الفرح فانه يعنى موافقة أقوى من الاجابات الثلاث التى تصورتها أنا .

ـ مغرور .
ـ محب .
وكسا وجهها الجد وهى تقول :
ـ هل الحب فى داخلك صادق بقدر صدقه فى وجهك ؟
ـ أتشكين ؟
ـ أحب أن أسمع همسات نفسك بدلا من أن أحسها .
ـ اذن فحبى لك أكبر من حبك لى .
ـ ليس للحب موازين .. هناك حب أو لا حب .
ـ لم أسألك ان كنت صادقة أم لا ؟
ـ اكتفيت أنت بالنظر والشعور وأردت أنا أن أشرك السمع معهما .
ـ الكلام سهل ولكن الأيام فى الاثبات أقوى .
والتقت نظرتان يعرفهما الشباب الطاهر منذ بدء الخليقة وقالت نهى:
ـ هل أطلب لك موعدا من أبى ؟
ـ ولا هذا .
ـ لمـــاذا ؟

ـ لانك لو طلبت الموعد تكونين قد أعلنت الموافقة قبل الطلب وهذا ما لا أرضاه لك .

ـ اذن .

ـ انتظرينى أنت اليوم فى الساعة السادسة دون أن يدرى أحد فى المنزل أنك تنتظريننى .

ـ وتأتى دون موعد ؟
ـ وكأنى سأذاكر معك .
ـ فاذا لم تجد أبى .
ـ فسأجده غدا ... أنا لا أريد أن يشعر بالحيرة مطلقا .
ـ فيم الحيرة ؟

ـ قد يجدنى مقبولا وتقف موارده المالية فى الآونة الحاضرة دون الاستجابة لى .. أتركى الأمر لى .

- ما ترى .
- الى اللقـــاء .
- الى اللقـــاء .

★★★

وجد سعدون بك ونجيبة هانم .
- طبعا أنا غير محتاج أن أقدم نفسى .
وقال سعدون :
- أنت أصبحت مثل ابننا .
- حالتى المالية حسنة فأنا أملك عشرة أفدنة وأملك بيتا فى مركز المهدية سأبيع البيت وأشترى شقة وأؤثثها فليس عليكم أى أعباء .
- فيم تتكلم ؟
- أنا قدمت هذا الحديث لاننى أعرف العقبات التى تقف أمام الأب حين تخطب ابنته .
وأغرق الأب والأم فى الضحك وتمت الخطبة .

★★★

كان أكرم يظن أن الأمور ميسرة وليس أمامه أية عوائق تحول دون بيع البيت . بل انه حين ذهب الى المركز وجد ما يشجعه على هذا الظن فقد ذهب الى قريبه الحاج شعبان تاجر الغلال .
- ياعم الحاج شعبان .
- ألف نعم يا أكرم وأنت فعلا أكرم .
- كان جرى بيننا حديث سريع عن بيتنا هنا .
- نعم أنا أرى انك غير محتاج اليه .
- أنا كنت مبقيا عليه لأستعين بثمنه على زواجى وشراء شقة فى القاهرة وأقيم بها أنا وزوجتى .
- ونعم الرأى .
- وأنا فعلا خطبت .
- فعـــلا .
- ألف مبروك دون أن تقول لى .
- انها زميلتى فى الكلية والأمر لم يعد الاتفاق المبدئى أما فى الخطوبة الرسمية فأنت الذى ستقوم بها ان شاء الله طبعا .
- على بركة الله .
- الآن بيع البيت أصبح ضرورة .

– كن تاجرا ولا تقل هذا ٠
– أنا أقوله لك أنت فقط .
– اسمع يابنى كأنك لم تكلمنى وأنا سأعرض البيع واذا لم تعجبنى الأسعار سيكون لى رأى آخر ٠
– اترك لى فرصة ٠
– أســبوع ٠

★★★

– خيرا ياعم الحاج شعبان ٠
– كل الخير ٠٠٠ أحسن سعر وصلت اليه خمسة وثلاثون ألف جنيه وأنا أرى أنه سعر مناسب والا كنت اشتريته أنا ٠
– توكلنا على الله ٠

★★★

وفجأة بدأت الدوامة ٠

★★★

قال أكرم لمنصور وأمين :
– اتضح أن البيت ملاصق لعمارة يملكها رفعت ويأبى جشعة الا آن يشترى البيت أيضا ٠
سأل منصور :
– ما البأس انه سيشترى بالشفعة فليدفع الثمن المعروض ؟
– هنا المصيبة يأبى أن يدفع أكثر من عشرة آلاف جنيه ٠
سأل أمـين :
– والمشترون الآخرون ؟
– فروا جميعا هددهم بالقتل ان رفع واحد منهم السعر عن عشرة آلاف جنيه والأرض هى الأخرى وسط أرضه وأوقف عنها الشراء تماما ٠
– لا اله الا الله ٠
– ماذا أفعل ؟
قال أمين :
– لا تفعل شيئا توكل على الله ٠

والتفت الى منصور وقال له :

ـ أيلزمك هذا البيت يا أستاذ منصور ؟

ـ أنا مستعد أن أشتريه ولن تكون على خسارة ٠

ـ بل أنا محتاج اليه ٠٠ وما ضاع مال أنفق فى شراء بيت وفى موقف كهذا ٠

ثم نادى :

ـ يا راضى ٠

وحين جاء راضى قال أمين :

ـ اذهب مع الأستاذ أكرم واكتبا عقد بيع البيت سيعطيك هو حدوده وأنا فى انتظاركما ٠

قال أكرم ودمعات فرح تسيل على خديه :

ـ ما هذا الذى تصنعه يا أستاذ أمين ؟

ـ ماذا مال مدفوع فى ثمن بيت ٠

ـ وكيف صدقت ما أقول ؟

ـ أنا أعرف البيت وأعرف ثمنه أنسيت أننا أسرة تجار ٠٠٠ توكل على الله ولا تضيع الوقت ٠

ـ ماذا أقول لك ؟ ت

ـ أنت تعرف ما تقول ٠

ـ لا اله الا الله محمد رسول الله ٠

(١١)

المحكمة منعقدة ومنصور وأمين جالسان فى مقاعد المحامين وقضايا تبلغ اثنى عشر قضية مرفوعة ضد رفعت الربيعى ومنه ٠

منصور وأمين يلقى كل منهما نظره على القضايا التى سيترافع فيها ٠٠
ونودى على القضية الأولى سامية نشأت الربيعى ٠٠
رفعت الربيعى ٠٠
وقال منصور :

ـ حاضر عن المدعية يا حضرة القاضى :

وارتفع صوت عميق الأغوار من آخر قاعة المحكمة :

ـ رفعت الربيعى حاضر عن نفسه يا حضرة القاضى ٠

وتقدم رفعت الى المنصة فى خطوات ثابتة حتى اذا أصبح أمام القاضى وقال :

ــ أتسمح لى يا حضرة القاضى ؟

ــ أنت مدعى عليك ٠٠ لابد أن يتكلم المدعى أولا ٠

ــ ربما أقول شيئا يغنيه عن الكلام ٠

ــ أتسمح يا أستاذ منصور ؟

ــ لا مانع يا حضرة القاضى ٠

وتكلم رفعت الربيعى :

ــ كل القضايا المرفوعة ضدى من السيدة سامية نشأت أو من غيرها أنا معترف بحق المدعين فيها بلا استثناء ٠٠ وكل القضايا المرفوعة ضدها أو ضد آخرين أنا متنازل عنها ٠٠ هذا اجمال أرجو أن يثبت فى محضر الجلسة ثم افصل الاجمال مع الأساتذة المحامين بتوقيع منى على ما يطلبون التوقيع عليه ٠٠ ولا اله الا الله محمد رسول الله ٠

وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا ٠

وعنت الوجوه للحى القيوم وكأنما أصبحت قلوب الجميع قلبــــا واحدا يردد فى ايمان عميق ووجيب نورانى ٠

لا اله الا الله محمد رسول الله

((تمــت))

ذكريات لا مذكرات

ذكريات لا مذكرات

(١)

استطراد

لست أدرى أية خاطرة قذفها القدر على ذهنى فجعلتنى افكر فى كتابة هذا الكلام الذى أكتبه الآن . والذى لا أستطيع أن أعرف له عنوانا يصفه . فمن المؤكد انه ليس مذكرات فاننى عن معرفة بنفسى وليس عن تواضع لا أرى اننى من هؤلاء الذين يجدر بهم أن يكتبوا مذكرات . وهو أيضا ليس حكايات مؤلفة ولا هو رواية مما ألف الناس أن يقرؤا لى .

هو أقرب ما يكون الى ذكريات كما اخترت العنوان وأرجو ألا أكون قد اعتسفته اعتسافا . فان جنحت هذه الذكريات الى القصة فهى قصص من صنع السماء ليس لى عليها الا عمل الناقل لا الخالق . وان جنحت الى رسم شخصيات مما تعودت أن أكتب أحيانا فهى الشخصيات أتحرى فى رسمها الصدق لا الفن فهى اذن صور فوتوغرافية وليست صورا قلمية أضفى عليها من خيالى ما أشاء لأجعلها تبدو كما أريدها أن تبدو .

فالشخصية المرسومة قد تكون عدة أفراد جمعتها أنا فى فرد واحد . ولكن هذا الذى ستشاهده فى هذه الصفحات هى شخصيات عرفتها وستدرك حقيقتها حين تجد اسمها الحقيقى الذى يعرفه من عرفها يعلن عن أنها بنت الحياة وليست من بنات الخيال ولا هى من شخوص لروايات .

أحسب اننى اليوم وأنا أقارب الخطو الى ستينات عمرى لا يفصلنى الا سنوات قلائل نظرت الى أيامى الماضية فوجدتنى قد مررت بأقوام كثيرين وبعهود شتى ربما لا تكون فيها غرابة ولكن خيل لى أن فيها طرافة . فقد نشأت فى بيت أبى المغفور له ابراهيم دسوقى أباظة باشا

وهو رجل من رجال السياسة فى عصره ، ورجال السياسة فى مصر يختلطون بكل الناس من شتى النحل والمهن ٠ وأكثر صلتهم بناخبيهم الذين ينتخبونهم ليكونوا نوابهم فى المجالس النيابية ٠ وقد كان أبى عضوا فى مجلس النواب منذ تكون الى ان انتهت الحياة النيابية فى مصر عام ٥٢ ، فليس غريبا اذن ان أكون أنا على معرفة تامة بالحياة منذ وعيت الحياة ٠ وهل الحياة الا الناس وقد ولدت فى زحامهم وعشت بين أمواجهم وشببت عن الطوق وأنا أتنفس الهواء الذى يتنفسون ، وربما عرفت من أفواههم خفايا حياتهم التى يضنون بها على خاصتهم الأقربين فقد طالما قصدوا الى لأكون شفيعهم الى أبى والحديث الى الابن الصغير أكثر يسرا من الحديث الى الأب الذى يحيط به جلال شخصيته ووظيفته نائبا أو وكيلا لمجلس النواب أو وزيرا ٠

وقد عرفت الحياة وأبى واحد من هؤلاء الثلاثة فقد ولدت عام سبعة وعشرين وتسعمائة وألف وكان هو عضوا بمجلس النواب وسمعت فيما بعد أنه كان مديرا لمكتب رئيس الوزراء محمد باشا محمود عام ٢٨ ثم مديرا لمكتب عدلى يكن عام ٢٩ ثم عاد بعد ذلك الى مجلس النواب نائبا ثم صار وكيلا للمجلس مرتين مرة فى عام ٣٠ وأخرى عام ٣٨ ٠

وما دمت قد عرضت لما سمعته عن أبى فقد يخلو لى أن أروى ما سمعته عن نفسى ٠ وان كان قد خطر لى ان أروى مواقف أبى فى ثورة ١٩ الا اننى عدلت عن ذلك لأسباب توائبت تباعا الى ذهنى ٠ الأول أننى لو دلفت من هذا الباب لاحتاج الأمر الى كتاب بأكمله والثانى ان هذه المواقف مكتوبة فى كل الكتب التى تناولت ثورة ١٩ والثالث هو اننى أستطيع ان أروى بقلمى قصة صغيرة سمعتها ولا تحتاج روايتها الى مشاهدة وحضور ٠ أما اذا رويت عن أبى فى ثورة ١٩ فلابد لى أن أكون معايشا لهذه الفترة معايشة تسمح لى ان أكتب عنها ، وهذا ما لم يحدث وما كان يمكن أن يحدث وقد تزوج أبى من والدتى فى عام ٢٤ ٠

ومما روى لى أن الكاتب الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد كان من أشد أنصار سعد باشا زغلول وكان العقاد صاحب قلم عنيف شديد الوطأة على من يخاصمهم فى الرأى ٠ وحدث ان كتب عدة مقالات يهاجم فيها محمد محمود باشا وكان الهجوم فيه سباب كثيف حتى لقد وصف محمد محمود بالشقى محمد محمود ثم كتب مقالا آخر بعنوان الشقى رقم كذا وكأنما محمد محمود أصبح من نزلاء السجون الذين يعرفون بأرقامهم ٠ وضاق محمد محمود بهذا الهجوم ، وفى نوبة من نوبات الضيق الشديد منه أقبل عليه أبى فقال له محمد باشا :

ـ أيرضيك ما يكتبه العقاد ؟

وقال أبى :

ـ لا ... لايرضينى وأنا قادر على الرد عليه بما يسكته ولكن بشرط واحـد .

وقال محمد باشا :

ـ ما هو :

قال أبى :

ـ تنزل مقالاتى الى مطبعة السياسة مباشرة ولا يقرؤها الدكتور هيكل رئيس التحرير فهو لا يرضى منى العنف فى المقالات وسيحاول أن يخفف من قسوتها .

فقال محمد باشا :

ـ لك هذا .

وكتب أبى مقاله الأول وكان أبى يوقع مقالاته عادة بتوقيع الغزالى أباظة ولكنه فى هـذه المرة اختـار ان تكون مقالاته ضـد العقاد بعنـوان « ثروت » وكان عمرى فى ذلك الحين سنة واحدة فقد كانت هذه المساجلة فى عام ١٩٢٨ وظهرت المقالة الأولى ثم الثانية فاذا بالعقاد يتوقف عن مهاجمة محمد محمود ويلجأ الى المحكمة رافعا الدعوى على الدكتور هيكل رئيس تحرير السياسة التى نشرت المقالتين وعلى « ثـروت » صـاحب التوقيع ، وضحك الدكتور هيكل من فكرة تقديمى الى المحكمة وقال لأبى مازحا :

ـ عليك أن تحمل ثروت على كتفك وتأتى به الى المحكمة .

وكتب أبى بعد رفع الدعوى مقالة ثالثة ينهى بها هجومه على العقاد . وأذكر أننى ذهبت الى لقاء استاذنا العملاق عباس العقاد وأنا فى مطالع الشباب حوالى عام ٤٥ وقدمنى اليه تلميذه العوضى الوكيل فما أن سمع اسمى وعرف من أنا حتى ضحك ضحكته العريضـــة النقية وقال وهو يرحب بى :

ـ بينى وبينك ثأر قديم يا عم ثروت .

ثم قامت بينى وبينه بعد ذلك تلك العلاقة التى نعم بها كل تلامذته وان كان صغر سنى لم يتح لى أن أكثر من الذهاب اليه فى ندوة الجمعة ولكنه فى كل مرة كان يلقانى فيها كان يرحب بى ترحيبا شديدا وقد

صار بعد ذلك من أحب الناس الى أبى كما أصبح أبى من أحب الناس اليه. حتى لقد نظم فى مدح أبى عدة قصائد يقول فى احداها :

نكرمه نكرمه وما نرويه نعلمه
ولم ننشىء له فضلا ولكننا نترجمه
فتى ترضى سجاياه ويصدق قلبه فمه
وللفنان فى ناديه مغناه ومغنمه
وحب الخير فى دمه فكيف يخونه دمه

***

وقال فى رثائه قصيدة تعتبر من عيون الشعر العربى كافة يقول فيها :

أقيموا الوزن أو ميلوا فما ابراهيم مجهول
فتى ميزانه بالقسط عند الله مكفول
له فى كل تاريخ من المجد أكاليل
سلوا الأوطان ينبئكم بما يعلمه النيل
يحى ناصر المصرى والمصرى مخذول
وأول رافع صوتا وسيف الحرب مسلول
وللمحتل فى مصر على كل فم غول
له فى برها جيش كجيش النمل موصول
وفى البحر أساطيل وفى الجو أبابيل
اذا لم ينعه الاحياء والدنيا أباطيل
نعاه فى العزيزية مدفون ومجدول
وجيل فى حمى التاريخ لا يشبهه جيل

***

سلوا الأداب ينبئكم به الصداحة القول
يردد ذكره فى الشعر تسبيح وترتيل
ويهتف باسمه فى القو ل مطبوع ومنقول
ويحمد فضله فى العر ب منسوب ومدخول
فلا الماضى بمنسى ولا الحاضر معزول
وراعى الشعر لا ينسا ه مرعى منه مطلول
سلوا الاحسان والاحسا ن طبع فيه مجبول
وأقرب شأوه فى الجو د مشروب ومأكول
وكم اعطى ولم يسأل وبعض السؤل ممطول

***

سلوا الاحساب لا عز يداتيها ولا طول
وللاساد والاشبا ل فى اعلامها غيل
ذووه من بنى مصر هم الغر البهاليل
ومن احسابه كسب بمسعاه وتحصيل

برأى زانه فى القصد اجمال وتفصيل
وصبر راض دنياه وأضنته العراقيل
سلوا سيرته الحفل وللسيرة تسجيل
سلوا الشلال .. والمجرى من القطرين مفصول
لتم القرب لولا قا عد بالشرق مشلول

★★★

خصال كلها نبل وافضال وتفضيل
وذكرى كلها حمد وتشريف وتبجيل
فقدناه ونادى الرا ى فى القطرين مأمول
فلا يسعد به المثوى ومثوى الخير ماهول
له من بره أنس وشمل ثم مشمول
ومن سيرته الفيحا ء ترويح وتظليل
له فى منزل الرضوا ن تسليم وتنزيل
وأجر من ثواب الله عند الله مقبول

★★★

والعجيب ان أستاذنا العقاد هو أول من نوه بى وكان ذلك حين جمع الأستاذان أحمد عبد المجيد الغزالى والعوضى الوكيل مقالات أبى وخطبه فى كتاب أسمياه وميض الأدب بين غيوم السياسة ، وظهر الكتاب فى عام ١٩٤٨ وكنت فى هذا الحين قد بدأت أكتب مقالاتى فى مجلتى الرسالة والثقافة ولكننى طبعا كنت ما أزال صغيرا لا يكاد يعرفنى الا الأدباء المتخصصون . وقد اتجه الشاعران الأستاذان الغزالى والعوضى الى أستاذهما وأستاذنا العقاد وطلبا اليه أن يكتب مقدمة للكتاب الذى جمعاه من أعمال أبى الأدبية . وقبل رحمه الله ذلك ولكن المفاجأة الكبرى بالنسبة لى هى قوله فى المقدمة حين تكلم عن صلة الأدب الأباظية بالأدب .

« وناهيك بما نقرؤه لفكرى وعزيز وثروت من رصين الشعر وطريف المنثور » .

وقد اعتبرت ذكر اسمي في هذا المكان وما زلت اعتبره من أعظم الأوسمة التي نلتها حتى اليوم . فقد كنت في المطامع الأولى من شبابي وأن يقرن اسمي بالعملاقين الأباظيين عمى فكرى باشا وعمى وحماى فيما بعد عزيز باشا أمر اعتبرته مفخرة كبرى ولا زلت اعتبره كذلك .

وما دمنا نتكلم عن عملاق الأدب العربي التاريخي استاذنا العقاد فينبغي أن أذكر واقعة حدثت بيني وبينه في عام ١٩٥٤ وكانت تلك السنة سنة حاسمة في تاريخ ثورة يوليو . فقد سمحت السلطات في مارس من هذا العام بحرية الصحافة وأتاحت لكل صاحب رأى أن يكتب رأيه وطلبت أن يقول ما يشاء لمن يشاء وكان أهم سؤال طلبت الثورة الاجابة عليه ان كان الأفضل لمصر أن تكون الجمهورية فيها برلمانية أم رئاسية .

وانبرى العقاد بمقال كتبه في الاخبار يطالب بأن تكون الجمهورية برلمانية ولكن المقال كان غاية في العنف رافضا كل ألوان الدكتاتورية أو الحكم العسكري .

وفي نفس اليوم الذى ظهر فيه المقال كان لى عمل في الاذاعة القديمة في شارع الشريفين وفوجئت وأنا أدلفه من الباب الرئيسي للاذاعة بأستاذنا العقاد يهبط السلم وحوله جماعة من محبيه ومريديه ومن موظفي الاذاعة الذين حرصوا أن يكونوا في توديع العملاق العظيم .

وقال لى أستاذنا :

ـ لقد قرأت مقالاتك .

وكنت كتبت في هذه الفترة مقالات بنفس العنف والرفض للديكتاتورية فقلت له :

ـ هذا شرف لها ولى .

فقال :

ـ هل قرأت مقالى اليوم ؟

فقلت :

ـ طبعا مثلما أقرأ كل حرف يخطه قلمك .

ـ أرأيت لقد قلت لهم ...

ومضى يذكر أهم العناصر التي ضغط عليها في مقاله ومضيت أنا أقول ... نعم ... نعم حتى اذا سكت قلت له :

ـ سعادتك تسمح لى بكلمة على انفراد .

فلف ذراعى بذراعه ومضينا ننتحى جانبا بشارع الشريفين وقلت له :

ـ سعادتك تعرف أن وراءك جواسيس ؟

وكنت قد عرفت ذلك فعلا فاذا الرجل العملاق يقول :

ـ نعم أعرف وتليفونى مراقب أيضا ٠

فقلت له :

ـ سعادتك الآن لا تحتمل السجن الذى احتملته فى عام ٣٠ كما أن السجن الآن نوع آخر غير الذى عرفته ٠ ونحن أبناؤك دعنا نحن نسجن وقل لنا ما تريد كتابته وأمله علينا اذا شئت نوقعه بأسمائنا ولكن من أجلنا نحن أبناءك ان لم يكن من أجل نفسك لا تعرض نفسك لهؤلاء الوحوش ٠

فنظر الى مليا وصمت لحظات ثم قال :

ـ أترى ذلك ؟

قلت :

ـ ألا ترى أنت ذلك ؟

قال :

ـ لا بأس ٠

ولا أعتقد أنه كان سينفذ الوعد ولكن على كل حال أنقذه من نفسه انتهاء فترة الحرية ومنع كل الكتابات الحرة مهما تكن هينة الشأن واغلاق جريدة المصرى والاستيلاء عليها وعلى أموال أصحابها ٠

★ ★ ★

ويلى ٠٠٠ لكم استطردت ٠ وأين أنا الآن مما أريد أن أرويه من ذكريات ؟ لقد كان الحديث عن مولدى فاذا أنا أقفز الى عام ٥٤ ٠ ولكننى أمسكت يد عملاق الأدب العربى على مدى التاريخ فكيف لا تغرينى يده ان أقفز كل هذه السنوات ٠ وكيف أذكره ولا أستطرد وهو فى ذاته أسطورة كاملة خالدة على الزمان ٠

★ ★ ★

لأعد اذن الى تلك الأيام التى بدأت فيها أعى الحياة حولى ، هناك أشياء كأحلام بعضها واضح المعالم فى ذاكرتى وبعضها تحول بينى وبينه سحابات أشبه ما تكون بأستار رقيقة ٠

ويختلط أمرها فى ذهنى فما أدرى أهى أشياء رأيتها رأى العين أم أن رواية أبوى لى عنها جعلتنى أتمثلها كحقيقة رأيتها رأى عين بينما هى مسموعات التصقت بنفسى وهيأت لى نفسى هذه أنها مرئيات .

من هذا ما قيل لى اننى مرضت مرضا خطيرا بالدوسنتاريا لأن أمى صحبتنى معها لتحضر العزاء فى عمها اسماعيل باشا أباظة وكان اليوم شديد القيظ وكانت الرياح الحارة تلفح مصر بسمومها .

وقد تعرضت فى هذا المرض لخطر الموت . وأشرف على علاجى صديقان لصيقان لأبى كلاهما أصبح واسع الشهرة هما الدكتور ابراهيم شوقى الذى أصبح باشا بعد ذلك والآخر الدكتور حافظ عفيفى باشا ، ويقول أبى ان صاحبة الفضل فى شفائى هى عمتى التى تحدت الموت والمرض فأصرت أن تسهر الليل جميعه تنفذ أوامر الأطباء .

ومما رواه لى أبى اننى فى سنتى الثانية كنت أدرك ان ستى ـ والدته ـ لا تحتمل السهر فكنت أرجو بلسان الطفل الأعجمى أن تقوم لترتاح فاذا أبت وأصرت أن تبقى تناومت وتوقفت عن التأوه حتى تقوم ستى الى منامها فاذا تأكدت أنها قامت عدت مرة أخرى الى اليقظة والتأوه .

ومن المؤكد اننى اذكر ستى هذه فقد كان لها جناح خاص فى الدور الأول من منزلنا ببلدتنا غزالة التى تبعد عن الزقازيق سبعة كيلو مترات . وكان هذا الجناح منفصلا عن البيت متصلا به فى وقت معا ، فقد كان علينا حتى نذهب اليه ان نخترق حجرة كبيرة كنا نعتبرها حجرة الاستقبال التى تلتقى فيها ستى بالزائرات من سيدات البلدة أو من الأقارب ثم علينا بعد ذلك أن نقطع بهوا يقسمه قسمة ظالمة دولاب كان أشبه بالكيلار ، وفى هذا الدولاب باب يؤدى الى البهو الواقع أمام حجرة ستى وعمتى فقد كانتا متلازمتين حتى فى النوم . وكان لحجرة نومهما ثلاث نوافذ تطل احداها وهى التى تتوسط الجدار الأيسر على ما يسمونه الدوار حيث تربى الدواجن وتصنع القشدة بأن يترك اللبن الطازج فى المتارد حتى يتكون له سطح سميك هو القشدة الفلاحى المعروفة وحيث تصنع أيضا الجبنة القريش من اللبن بعد أن تنزع قشدته .

وكانت ستى وعمتى تشرفان من تلك النافذة على أعمال الدوار جميعا من اطعام الدواجن الى شتى فروع الأعمال المنزلية .

وبجانب باب حجرتهما توجد نافذة عجيبة الشأن لأنها كانت تطل على البهو . ولم أر فى حياتى بعد ذلك نافذة تطل على بهو الا تلك النافذة ، وكانت عمتى وستى كما أتذكرهما دائما جالستين على حاشية تحتها بساط

على الأرض . لا تتركان مكانهما هذا حتى اننى كل ما اذكره عن سنى يكاد ينحصر فى جلستها هذه تحت هذا الشباك .

أما الحائط الأيمن فقد كانت تتوسطه نافذة تطل على ما كنت اسميه حديقة ستى ولم تكن حديقة ستى الا تكعيبة عنب خشبية تحيط بفناء صغير تخلص اليه بسلم من أربع درجات أو خمس ونستطيع من هـذا الفناء ان نخرج من باب خشبى ضخم سميك الى خارج البيت الى ماكنا نسميه بالمدحايه . وتحت تكعيبة العنب التى تحيط بالفناء مصطبة متصلة بالحوائط الأربعة التى تضنع ما كنا نسميه بالحديقة .

وكانت ستى شـديدة الحـدب على حتى أذكر أنها كثيرا ما كانت تعطينى ريالا من الفضة حين أنزل اليها فى أول النهار لألقى عليها تحية الصباح . وما كنت أدرى ماذا أصنع بهذا الريال الا اننى كنت أخرج الى أترابى من أبناء القرية وكانوا هم أصحاب الرأى فى الطريقة التى ننفق بها هذه الأموال الطائلة .

وكان يوسف الذى عمل كلافا للبهائم بعد ذلك ينال منى دائمـا قرشا صاغا مقابل أن يصنع لى سيارة من الطين وكان يضع لها زجاجا . ولعل هذا القرش هو المبلغ الوحيد الذى اذكره بين العشرين قرشا جميعا التى لا اذكر فيم كنا ننفقها .

فى بهـو سـتى هـذا نلت أول صفعة على وجهى فى حياتى . ما دريت يوم نلتها السبب الذى انهالت على وجهى من أجله ولكننى عرفته فيما بعد مرويا لى . وأشهد اننى كنت مظلوما .

لقد حـدث ان سـقطت ستى على رجلها واذكـر ان ابى استدعى الدكتور فرنجلوس من الزقازيق واذكر ان اليأس والحسرة والحزن كانوا مرتسمين على وجه أبى بصورة غاية فى الألـم . وأنا أذكـر الآن اننى لم أكن أعرف الموت ولا ما يحمله من معان . واذا شئت ان أصور اليوم ما كان يدور أمامى فما هو بالنسبة الى الا شخوص تتحرك انظر الى تحركها ولا أعى معانى الأفعال التى يقومون بها .

وماتت جدتى .

ولا أدرى لماذا ذهبت أنا الى البهو الذى كانت جالسة فيه ولم أحفل مطلقا بالسرادق الضخم المقام بالخارج ولا بكل ما يحدث فى هذا السرادق ولا بالجموع التى تفد اليه أو تخرج منه . انما وجدت نفسى واقفا فى البهو لا أصنع شيئا وفجأة قدم الى عمى الشـقيق عبد الله فكرى أباظة الذى أصبح فيما بعد يحمل رتبة البكوية والذى عمل لفترة طويلة وكيلا

لوزارة التجارة وكان هذا الرجل شديد العنف فى مظهره شديد الطيبة فى حقيقته . وربمـا كان يرتدى العنف قناعا يخفى به عن الناس مدى حبه للناس ومدى رهافة مشاعره ورقة فؤاده .

فى هـذا اليوم صفعنى عمى عبد الله فكرى صفعة شـديدة غاية الشـدة . وبكيت وذهبت الى أمى وأنا أبكى وأبلغتها بهـذه الصفعة والعجيب اننى أذكر انها قالت فى ثبات وفى غير اهتمام .

ـ وماله ... وما الغرابة أن يصفعك عمك ؟

ولا أذكر هذه الجملة الا وادهش لها . انها حتى لم تهتم ان تسأل عن سـبب الصفعة الذى عرفتـه هى فيما بعد وعرفتـه أنا بعد ذلك بسنوات .

لقد سألنى عمى :

ـ أين أبوك ؟

فقلت دون أى تفكير .

ـ فى الزيتة .

وكنت فى هـذه السن أنطق الزاى وكأنهـا الجيم التى ينطقها الأوربيون اذا نطقوا اسم جون . فصفعنى .

أليس لى الحق أن أرى نفسى مظلوما .

لا أذكر ان عمى عبد الله ضربنى بعد ذلك قط الا مرة واحدة وكان أبى جالسا . كنا على المائدة فى منزله وكنت أضع الملعقة وتجويفها الى أعلى فنبهنى عمى عبد الله ان أجعل التجويف الى أسفل . وسهوت وكررت الخطأ فنبهنى ثانية ثم سهوت وكررت الخطأ ووضعت يدى بجانب الملعقة وكان يجلس أمامى فاذا هو فى حركة مفاجئة يقف ويهوى بمنته , العنف على يدى ويأمرنى أن أصحح وضع الملعقة .

ربما كنت فى الثانية عشرة من عمرى فى ذلك الحين . فأنا أذكـر الواقعة تماما وأذكر أن أبى امتعض مما صنعه عمى وظهر الامتعاض على وجهه ولكنه لم يعلق مطلقا مـع ان عمى كان يعامل أبى معاملة الابن لأبيه . حتى لقد كتب له اهداه على احدى صوره الى أبى وأخى وأستاذى ومثلى الأعلى .

* * *

(٢)

أنا والتعليم

كانت أغلب اقامتنا بالقرية فأنا أكبر اخوتى ولم أكن قد انتظمت في المدارس بعد ولم يكن يربطنا بالقاهرة الا مجلس النواب حين تكون هناك جلسات وكان أبى لا يتخلف مطلقا عن المجلس • ولكن لا أدرى لماذا أذكر أن اقامتنا بالقرية كانت تتطاول ربما كان المجلس معطلا فى هذه الفترات •

وأذكر أننى ذهبت قبل أن أبدأ التعليم مع أبى الى الاسكندرية مرات وكان أبى يستأجر بيتا مفروشا هناك •

وأذكر أنه كان يصحبنى الى شاطىء سان ستيفاتو وكان عم أحمد بخيت خادمه الخاص يذهب معنا • وكان أبى يجعلنى أمسك برجليه ويسبح بى فى الماء وندخل الى الأعماق ولهذا أذكر أننى لم أخف حين بدأت تعلم العوم بعد ذلك على يد خالتى • وكان تعليمها ساذجا وما زال هو زادى من السباحة حتى اليوم فاذا رأيتنى فى الماء ورأيت سباحتى أدركت أنها سباحة من يستطيع أن يبقى أنفه فوق سطح الماء فقط فهى سباحة عاجزة بلا أسلوب ولا اتقان ولكنى سعيد بها غاية السعادة فأنا عن طريقها استطيع أن أصل من الماء الى حيث لا تلامس أقدامى الرمال وأنا ليس لى مأرب فى البحر أبعد من هذا •

بدأت تعليمى الدراسى اذن فى غزالة وقد شاء القدر أن يختار أبى من بين جميع المدرسين الالزاميين مدرسا أعتبره أنا حتى اليوم أعظم مدرس للأطفال يمكن أن تجود به الحياة •

انه الأستاذ أحمد حسين القرعيشى الذى أصبح الحاج أحمد حسين القرعيشى • وقد كان لحمله هذا اللقب قصة فى غاية الطرافة • فقد كانوا ينادونه بأحمد أفندى لأنه كان يلبس الحلة والطربوش وهو فى طريقه الى

المدرسة الالزامية التي كان يدرس بها . فقد كان يعمل بمدارس قرى أخرى وكان يخترق قرى عديدة فكان لابد أن يلبس حلته كاملة والطربوش فلم يكن عجيبا أن ينادوه بأحمد افندى . وظل هذا لقبه حتى بعد أن نقل الى مدرسة غزالة . فقد ظل أيضا يلبس حلته كاملة فى المدارس اطاعة منه لأوامر الوزارة .

ثم حج . وعاد من الأراضى الحجازية . وراح أهل القرية ينادونه بأحمد أفندى على عادتهم فاذا هو يصيح بهم :

– يا نهار أسود أكنت حججت ودفعت مائة جنيه وزيادة لتقولوا أحمد أفندى .. من لا يقول الحاج أحمد لن أرد عليه .

وكان الحاج أحمد شاعرا رقيقا وانى أذكر كثيرا من شعره ولكننى أحب له هذه الأبيات :

قالت أحبك صادق قلت الدلائل قاطعات
قالت وعهدك قلت باق مارعت عهدى الحياة
قالت وحبى قلت ذاك هو الأمانى الكاذبات
قالت وعهدى قلت فصل مثلته الغانيات
ضحكت وقالت هكذا من قبلك العشاق ماتوا

وشاء حظى السعيد أن يكون هذا الرجل الشاعر خفيف الظل هو معلمى الأول ؛ عليه تعلمت الخط الأفقى والخط الرأسى وحروف الهجاء الأولى والحساب من جمع وطرح الى ضرب الى قسمة وكان يحمل لى فى جيبه أقراص النعناع فاذا أحسنت الاجابة أعطانى قرصا من النعناع مع تصفيق شديد واظهار للاعجاب وكأننى أتيت عملا لم يسبق لأحد أن أتى به .

ولم يكن من الممكن أن يستمر الحاج أحمد فى اعطائى الدروس اذ سرعان ما انتقلنا الى القاهرة وتولى أمرى فى الدروس الخاصة مدرس آخر من غزالة أيضا واسمه عليوه أفندى عبد الله . وكانت طريقة عليوه أفندى مختلفة كل الاختلاف عن طريقة الحاج أحمد . ولم يكن الحاج أحمد يحب عليوه أفندى فأنشأ أبياتا أربعة أو خمسة وقدمها لأبى يرجوه فيها ألا يتولى عليوه أفندى تدريسى أذكر منها :

أ أنشىء روضا فى حماك معطرا
ويأتى عدوى يجتنى ثمراتى

وأعجب أبى بالأبيات ولكنه مع ذلك أبقى عليوه أفندى مدرسا لى ٠

وقد ظل يدرس لى اللغة العربية والحساب حتى حصلت على شهادة الابتدائية ٠ كما درس أيضـا لاخوتى ثم درس لابنتى وابنى أطـال الله عمره ووهب له الصحة والعافية ٠

وقـد كان عليوه من أخلص المدرسـين الذين عرفتهم الا أنه كان لا يبالى مشاعر التلاميذ فى سـبيل أن يؤدى واجبه ، وأذكـر أنه كان أحيانا يتخلف يوما عن الدرس فأحمد أنا الله وألعب الكرة وأقدر أنه لن يأتى الا فى الموعد التالى الذى يكون قد حدده بعد يوم التخلف بيومين أو ثلاثة ٠ فألعب أنا الكرة فى اليوم التالى لتخلفه وأنا واثق أننى حر ٠ فاليوم ليس محددا لدرس ٠ وأفاجأ بعليوه أفندى قادما كالقضاء المستعجل فى اليوم الذى لا أتوقعه فيه تعويضا عن اليوم الذى أخلفه ٠ ولا أذكر أن غما لقيته فى طفولتى مثل ذلك الغم الذى يشملنى وأنا أراه قادما فى غير موعده ٠ وكم بكيت وكم حاولت العصيان ولكن دون فائدة ٠

وكان عليوه أفنـدى يجيد الشرح وكنت أفهم ما يلقيه منذ المـرة الأولى ولكنه يسير على طريقة لا يغيرها من تلميذ الى تلميذ ٠ وكم عانيت من تمسكه بطريقته هذه ٠ فقد قرر هو أن يخصص درسا للشرح والدرس الثانى للتطبيق ٠ وليس يعنيه أن يكون التلميذ قد فهم الشرح من المرة الأولى انما المهم عنده أن ينفذ منهجه الذى وضعه هو لنفسه ٠ فهو يشرح مـرة ثانية وثالثة ورابعـة ولا ينتهى من الشرح حتى ينتهى الدرس ٠ وأكون أنا قد سرحت فى غير الدرس من ملاعب الطفولة منذ المرة الثانية للشرح حتى اذا جاء موعد التطبيق أكون أنا قد احترقت من الغيظ لقوله كلاما عرفته من المرة الأولى وأكون أيضا قد نسيت كل شىء من القاعدة ٠

وأذكر أن أبى كان يحب أن يقضى الشتاء فى حلوان فكان عليـوه أفندى يجشم نفسه مشقة الحضور الى أحيانا فى حلوان اذا كانت المدرسة فى أجازة فلم يكن ذهابنا الى حلوان يمنعنى أن أذهب الى المدرسة طبعا ٠ وفى يوم كنت ألعب أنا ورفيق طفولتى محمد زكى أباظة وكان عليوه أفندى يدرس له هو الآخر ٠ ولم أكن ولا محمد ننتظر قدوم عليوه أفندى ٠ ورآه محمد قادما من بعيد ولم يرنا هو ٠ فأسرع محمد قائلا :

ـ يا نهار أسود ٠٠ عليوه أفندى ٠٠ تعال ندخل البيت ٠

وطاوعته وأنا لا أدرى ما سيفعل ٠ اقفل باب البيت ٠ وكان يوما من أيـام حلوان السـاطعة الشمس حتى كأنه يوم من أيام الصيف ٠ وقف محمد أمام باب الدخول وأوقفنى معه ودق عليوه أفندى الجـرس

وحين جاء الخادم ليفتح طلب محمد طلبا وكأنه هو الذى دق الجرس ٠ ووقف عليوه أفندى أمام الباب والشمس تنصب عليه بكل سخطها فيضع الجريدة التى لا يتخلى عنها مطلقا على رأسه ويدق الجرس ثانية ويأتى الخادم ويصرفه محمد ويظل الأمر كذلك فترة تجاوزت نصف الســاعة حتى تمردت أنا على محمد وأنا أرى عليوه أفندى مصرا على البقاء يرفع قدما الى الهواء ليريحها ثم يضعها ويرفع الأخرى وقد أخـذ منه التعب والشمس كل مأخذ ٠ ولكنه أبى أن ينصرف ٠ وأعطانا الدرس ٠

ومما أذكر له أنه غضب على مرة غضـبا شديدا فأمرنى أن أفتح يدى وهوى بالمسطرة على يدى معتمدا على أن أبى قال له أمامى انه يستطيع أن يضربنى اذا أنا لم أمتثل له ٠ وبالصدفة مرضت أنا فى ذلك اليـوم وارتفعت حرارتى ارتفاعا شديدا ٠ وكان أبى شديد العطف على وان كان يحرص أن يخفى هذا العطف بكبرياء العظماء من الرجـال ، وقد يقـول قائل وأى أب لا يشـفق على ابنه الا أن يكون ذلك شـذوذا فى الطبيعة ولكننى اعتقد أن مرضى وأنـا فى الثانيـة من عمـرى ومولدى وأبى فى الأربعين من عمره جعلا اشفاقه على أكثر من اشفاق الآباء على أبنائهم ٠ وربما كان هذا هو السبب فى أننى كنت أصحبه فى غدواته وروحاته منذ أنا فى الرابعة من عمرى وكنت أجلس معه فى مجالس الكبار منذ لا أذكر متى وكان عمى عبد الله يقول له : سيب ثروت يلعب مع الأطفال ٠ فيقول أبى فى حسم :

ــ خليه قاعد ٠

وكان يصحبنى معه الى مجلس النواب وأنا فى الخامسة أو السادسة من عمرى ٠ حتى لقد رآنى يوما المرحوم توفيق رفعت باشا وأنا جالس فى مقاعد الزوار فى الطابق الأول فأشار الى الساعى الواقف خلف كرسيه على منصـة رئيس مجلس النواب وأشـار له الى ٠ وما لبث أن جاءنى الساعى يسألنى من أكون فقلت له فتركنى وعاد الى توفيق باشـا الذى أشار لى برأسه فلم يكن عجيبا أن يغضب أبى لضرب عليوه أفندى لى ضربا صاحبه ارتفاع فى الحـرارة ٠ وأنا حتى اليـوم لا أدرى ان كانت هناك صلة بين ارتفاع حرارتى وضرب عليوه أفندى أم هى الصـدفة المحض !؟

وأغلظ أبى القول لعليوه أفندى على غير مشهد منى ولكن عليوه أفندى روى كل شىء أمامى لعم أحمد خادمنا الذى كنت أوقره بكلمة عـم لشخصيته ولأنه رئيس الخـدم بالبيت وقد كان أبى ووالـدتى يوليانه ثقة تامة فى كل ما يتصل بشئون البيت ٠

وقال عليوه لعم أحمد ان البك ... يعنى أبى فلم يكن قد حصل على الباشوية بعد ... قال لى أصدقت حقا أنك يصح أن تضرب ثروت . هل من المعقول أن تضرب طفلا فى سنه الى درجة أن ترتفع حرارته . أيرضيك هذا ياعم أحمد بقى مسطرة كالتى ضربتها له ترفع الحرارة ؟ طيب امرأتى طالق ان لم يكن قد أكل حلاوة وشطة ليرفع حرارته ويرمينى أنا فى داهية .

والحقيقة أننى ذهلت وأنا أسمع هذا الحديث فأنا لم أكن أعرف أن الحلاوة والشطة يرفعان الحرارة بل اننى حتى الآن لا أتصور أنهما قادران على هذا الصنيع .

ولكن عليوه أفندى كان واثقا من هذا ثقة جعلته يقسم بالطلاق مع حبه الشـديد للسيدة زوجتـه أم محمـد التى كثيرا ما كان يفيض فى مديحها . وأغلب الظن أن عليوه ما زال حتى اليوم على ثقته هذه أننى أكلت حلاوة بالشطة وأغلب الظن أيضا أنه من يقرأ هـذا الحديث الذى أكتبه لن يكف عن يقينه هذا على الأقل لتظل السيدة زوجته على ذمته .

ألا ترى أننى بترت حديثى عن الحاج أحمد القرعيش واستطردت فى هذا الحديث عن عليوه أفندى .

كان لابد من هـذا . فقد استمرت رحلتى مع الحاج أحمـد الى أن اختاره الله الى جواره ولم يقف الأمر بيننا عند الأستذة منه والتلمذة منى فقد أصبح حين قدر الله لى هواية الأدب هو صديقى الأول فى القرية . لا يتركنى لحظة منذ قدومى الى غزالة حتى أتركها . وقد كان لهذه الصلة أثر ضخم فى ثقافتى وفى أدبى ، وانضم الينا قريبى الشاعر الأسـتاذ توفيق عوضى أباظة وهو الآخر شخصية لم أر لها مثيلا فى حياتى كلها . فهو رجـل فقير لم يدخل مدرسة وكان كل ما يملكه فدانا واحـدا كان يزرعه بذراعه ولكنه علم نفسه بنفسه وكان خطه جميلا ولكنه بطىء فى الكتابة كل البطء لا عن جهل فهو من أعلم الذين عرفتهم باللغة العربية وآدابها ولكنه أصيب فى مرفق ذراعه اليمنى فظل حياته كلها لا يحركها فى سهولة .

قرأ كل الشعر العربى وحفظ أغلبه وكان يستعير الكتب من المكتبة العامة ومن جميع مظانها . أعجب بالمتنبى فنقل ديوانه كله لأنه لا يملك ثمن اقتنائه . وأعجب بالبحترى فنقل ديوانه كله كذلك فعل مع ديوان عمر بن أبى ربيعه . ولك أن تتصور مقدار الصبر والرجولة والاصرار الذى يتحلى به وأنت تعلم أنه بطىء فى الكتـابة . والحق أنه كان فى

خلقه رجلا وكان صبورا على الحياة كريما عليها وعلى نفسه ٠ وكان معتزا بكرامته غاية الاعتزاز في ظرف وخفة ظل لا يتأتيان الا لقلة نادرة من الناس ٠ كتب خطابا الى عزيز باشا أباظة وتعثر الخطـاب في الطريق ولم يصل وكان عمى عزيز في ذلك الحين مديرا لأسيوط ومع ذلك رأى توفيق أن يشكو الى عمه جمال الدين بك أباظة المستشار ٠ فنحن في الأسرة لا نقيم وزنا للمناصب وانما القيمة عندنا بالسن ، والمكانة عندنا تتحدد بالعمومة والخؤولة ٠ وكان يحفظ الشعر العربى كله من الجاهلية حتى شوقى وكان يرعانى أنا بالذات رعاية الأب لابنه لما لمسه عندى من حب للأدب ، فتوفيق حين اختار جمال بك لم يكن اختياره لمجرد العمومة فقد كان لعزيز باشا أعمام آخرون على قيد الحياة ٠ وانما هو في ذكاء ولماحيـة اختـار العم الذى يعتبر ظاهرة في زمانه في حب الأدب وفي الاطلاع على التراث الأدبى من بدايته الى اليوم الذى يعيش فيه ، وكان الى هذا جميعا نموذجا فريدا في العفة والحياء حتى أنه لم يتزوج وأرجح أنه لم يتزوج لأنه خجل أن يخطب ٠ وكان رحمه الله أيضـا صـورة مجسمة للطيبة ، هذا كله الى تفقه في القانون يندر أن نجد له مثلا ٠ كتب توفيق اليه يشكو عدم اجابة عزيز باشا على خطابه وربما يجمل بى أن ألفت نظـرك الى بداية الأبيـات التى كتبها توفيق وكأنه يكتب خطابا مما يدل على قدرته ولماحيته واستطاعته أن يقول بالشعر الأصيل كل ما يريد أن يقول ٠٠ اليك الأبيات :

جمال الدين والدنيا سلاما
يضوع شذى كانسام الخزامى

وبعد فهل أتاك حديث قوم
نكلمهم فيأبـون الـكلاما

بعثت الى عزيز القول شعرا
أحييه فما رد السـلاما

فان يك أكبر الشعراء طرا
وأسماهم وأرفعهم مقـاما

فقـد نادى اله الناس موسى
وناجى العبد من خلق الاناما

وبنت النمل كلمهـا النبى
وبادلهـا المحبـــة والوئاما

فلست أقل من نمل ضعيف
وليس أجل من ملك تسامى

ومن طرائفه التى أذكرها له أن أبى أهدى اليه عمامة ليكرم علمه الواسع بالتراث وبأركان الدين فكتب له أبياتا غاية فى الظرف يقول فيها :

توجت رأسى بالعمـــامة
وكسوتنى حلل الـكرامة
فكأننى شـــيخ المراغـــة
فى المهـــابة والفخـــامة
لا فـرق بينى فى الحيـاة
وبينـــه الا الامامة

ومرت سنوات وعين أبى وزيرا فكتب اليه برقية من بيتين يقول فيها :

قل للوزير الالمعى مقالة
مشبوبة كذكـــائه المتوقـد
الفاس قد اكلت يدى وانا امرؤ
للطرس لا للفاس قد خلقت يدى

وأصدر أبى قرارا بتعيينه فى وظيفة كتابية بمصلحة الطرق والكبارى وأقمنـــا احتفالا له بلبســـه الحلة لأول مرة ، وهكذا تخـلى عن العمامة الى الطربوش ·

هذان الشخصان ··· الحاج أحمد القرعيش وتوفيق عوضى أباظه كان لهما أثر ضخم فى حياتى · فقد بدأت أقرأ معهما الشوقيات منذ الأجـازة السنوية الصيفية للسنة الأولى الثانوية حتى انتهيت من دراسة الحقـوق تقريبا بشكل متصل فى جميع سنوات الحرب وبشكل منقطع بعد انتهـاء الحرب ، وهذه التفرقة ليست بسبب الحرب ولكنها كانت محكومة بتولى أبى للوزارة من اكتوبر عـام ١٩٤٤ واضطراره ان يقضى الصـيف فى الاسكندرية مع الوزارة لمدة خمس سنوات متواصلة وهى المدة التى بقيها فى الوزارة ·

كنا بعد أن يصعد أبى الى الطابق الأعلى من منزلنا فى غزالة يجتمع ثلاثتنا حول كلوب فلم تدخل الكهرباء فى بيتنا الا بعـد بداية جلساتنا بسنتين أو ربما ثلاث سنوات وعكفنا على قراءة شوقى ولم نقرأ مجتمعين غيره ، وكان كل منا يقرأ ما يشاء منفردا · وقد تفضـل الشـاعران بأن جعلانى أقرأ أنا ويستمعا هما ويعلقا ويتعمقا فى كل بيت حتى لا يبقى فيه معنى الا ويصبح واضحا ظاهرا ·

وفى الأجازة التى جاءت بين السنة الثانية الثانوية والثالثة الثانوية قال الحاج أحمد لى :

ـ أنت تكثر من اللحن بصورة مخيفة ٠

فقلت :

ـ لا يهم ٠

قال :

ـ كيف لا يهم ٠٠ أتريد أن تكون أديبا وتلحن ٠٠ ان القواعد مسألة بدائية يجب أن يتقنها كل متعلم فكيف لا يتقنها الأديب ٠ لن يحترمك قارىء أو مستمع لك اذا اخطأت فى النحو ٠

وأيد توفيق الذى أصبح توفيق أفندى كـلام الحاج أحمد وأخـذت الكلمتين فى ضلوعى ولم أعلق وأكملنا السـهرة ٠ ومضينا فى سهراتنا حتى انتهت الاجازة ٠

وحين بدأت الدراسة فى الثالثة الثانوية أرغمت نفسى أن أقرأ وحدى بصوت مرتفع كل ما أقرأ سواء كان مذاكرة أو كتبا فى الأدب أو حتى فى الجغرافيا أو التاريخ أو الطبيعة وحرصت ان اصحح لنفسى ما أقرأ وأعرب كل كلمة قبل نطقها وانطقها بحركة اعرابهـا وبعد شـهور قليلة استقام لسـانى ٠

وكتمت الأمر عن الحاج أحمد وعن توفيق لم أقل لأحد منهما شيئا مما افعله بنفسى حتى اذا جاءت الاجـازة الصيفية وبدأنا القـراءة فوجىء كلاهما بشخص آخر منى لا يلحن مطلقا أو يكاد لا يلحن ودهش كلاهمـا وفرحا وأصبحا يستمعان الى قراءتى للشعـر فى استمتاع بعـد أن كان المسكينان يعانيان ما يعانيان من كثرة اللحن منى ويتجاوزان عنه لمكانتى عندهما أو لمكانة أبى ٠٠٠ لا أدرى ٠

وكما يتضح الاصرار عندى فى موضوع النحو يتضح فى أمر آخر لى لست انساه ما حييت ٠ كنت طفلا فى الخامسة أو السادسة لا أذكر وكنت ألثغ فى الراء فلا انطقها الا مثل الياء أو قريبا من الياء وكنت ألعب الكرة فى فناء منزلنا بشارع الملك الناصر بالمنيرة حين أقبل عمى الكاتب الصحفى الاشهر فكرى أباظة الذى أصبح فكرى أباظة باشا فيما بعد وسارعت اليه استقبله ٠

قال :

ـ أين أبوك ؟

فقلت :

– هو نائم فوق .

قال :

– طيب تعال ... ما حكاية الراء هذه التى لا تريد أن تنطقها ؟

وفكرى أباظة ابن عم أبى ولكن الأمر بينهما كان أكبر من هذا بكثير فقد كان يحب أبى حبا عميقا ولا أنسى يوم وفاة أبى وقد ارتمى عمى فكرى على أريكة بيتنا وراح ينشج بالبكاء . وكان يصرح دائما أنه أخذ أسلوبه الساخر من مقالات أبى التى كان يوقعها فى جريدة السياسة بتوقيع الغزالى أباظه . وأنا لم أر فى حياتى شخصا فى نقاء عمى فكرى . وهل هناك أشد نقاء من رجل فى مثل مكانته وقمته الصحفية ينشر فى المصور أنه كان يصعد فى مصعد دار الهلال وجمع المصعد بينه وبين أحد محررى الدار وشابة جميلة وقال المحرر للفتاة هذا أستاذنا فكرى باشا أباظه فقالت له الفتاة :

– هل أنت قريب لثروت أباظة ؟

رحم الله الرجل ، اننى اعتقد أنه ألف هذا الحوار ليقدم لى تحية على حساب نفسه وقد كان عمره كله يقدم الآخرين على نفسه فى كل شىء .

فى ذلك اليوم من طفولتى فى شارع الملك الناصر أخذنى عمى فكرى من يدى وصحبنى الى مكتب أبى وقال : انطق ...

– ثروت .

فقلت :

– ثيـوت .

فظل يعلمنى نطق الراء ثلاث ساعات متصلة لا يمل ويطلب الى أن أضع طرف لسانى بسقف حلقى وأنطق حتى نطقت الراء .

ولم ينته أمرى مع الراء الى هذا فقد كنت أعرف كيف أنطقها مفردة ولم أكن أعرف كيف انطقها فى موضعها من الكلمة حتى أصبحت فى مطلع الشباب ووجدت الناس يسخرون من نطقى الناقص ويحاولون اخفاء سخريتهم فقلت لنفسى مادام فى الأمر سخرية فليسخروا منى وانا أتدرب على النطق فكنت اذا أجبت التليفون وسألنى المتحدث من لا أخجل ان أقـول :

ـ ثرررروت .

وتبين الراء وكأنها عشر راءات متصلة ويضحك المتحدث فأقول فى نفسى انه أيضا كان سيضحك علنا أو خفاء اذا قلت ثيوت .

وكنت أظل اقول وأنا منفرد بنفسى « فرتر . فرتر » وأكررها حتى استقام لسانى بعد بضعة أشهر وتخلصت من هذا النقص والفضل أولا لعمى فكرى ... وأخيرا لاصرارى .



(٣)

المدرسة

كنا نقيم فى بيت كبير بشارع الملك الناصر رقم ٢٤ ، وكان البيت هو البيت الثانى لداخل الشارع من جهة شارع نوبار أما البيت الأول فقد كان مدرسة أولية متسعة الارجاء أصبحت الآن عمارة ضخمة . أما بيتنا فقد كان يطالعك منه أول ما يطالعك فناء متسع الارجاء تحف به حديقة جميلة من الجانبين والفضل فى جمال الحديقة يرجع الى عناية عم أحمد بخيت بالحديقة واشرافه الامين الحاسم على الجناينى الذى كان يزورها عدة مرات فى الاسبوع على طريقة رعاة الجناين فى القاهرة . وبعد الحديقة يبقى لنا مكان كبير نلعب مختلف اللعب . ولو أننا كثيرا ما ننتقل الى لعب الكرة فى الشارع وقد كان الشارع صغيرا ولكن المرور كان فى القاهرة جميعها خفيفا فقلما كنا نقطع اللعب فى الشارع لمرور سيارة أو عربة ذات خيل .

يحد حديقة البيت جدار من الناحية اليمنى يفصل بين البيت والمدرسة وأما على الجانب الايسر فسلاملك متصل بالبيت مباشرة فهو أشبه بجناح منه بسلاملك له سلم خاص وكان أبى يستعمله عادة ليخلص منه الى البيت ، أما أول باب فى الجناح فكان يفضى الى حجرة تتوسط حجرتين الواقعة على يسار الداخل هى حجرة الاستقبال واليمنى هى حجرة مكتب أبى وكان كثير الاستعمال ولها باب يؤدى الى الشرفة المتصلة بسلم الصعود ولها باب آخر يؤدى الى صالة كبيرة كانت تستعمل حجرة طعام ، وحجرة الطعام فيها أبواب ثلاثة أخرى أحدها للقادم من شرفة السلم والثانى على يمين الداخل من الشرفة الى حجرة جلوس أخرى أما الباب الثالث المواجه لباب الشرفة فيؤدى الى صالة أخرى بها باب غرفة فى أقصى يسارها كانت لا تخلو من ضيف يقيم فيها اقامة كاملة قد يكون أحد اقربائنا أو

أحد المقربين لأبى من غزالة أو من غيرها · والعجيب ان بيتنا لم يخل قط من هذا النوع من الضيوف سواء كان هذا فى البيت أو فى بيتنا الآخر الذى انتقلنا اليه فى العباسية فى أول يناير سنة ١٩٣٩ · وفى وسط هذه الصالة باب آخر يؤدى الى السلم الصاعد الى أعلى ولم يكن سلما فخما وانما كان من الحجر العادى ·

وفى فناء البيت وفى مواجهة الداخل اليه بابان أحدهما كان يصل الى سلم رخامى وهو المخصص للحريم وكانت والدتى وزائراتها يدخلن منه دائما · أما الباب الآخر فقد كان يؤدى الى البدروم وكان متسع الأرجاء بصورة عجيبة حتى ان عمى محمود أخا أبى أقام فيه مصنع صابون جعل رائحته كلها تعبق بالصابون · وكان الخدم وعائلاتهم وابناؤهم يقيمون جميعا فى هذا البدروم وكان به المطبخ أيضا ·

حين ارتأى أبى أنه ينبغى لى أن أذهب الى المدرسة اختار المدرسة الأولية الملاصقة لبيتنا وفى أول يوم ذهبت اليها صحبنى محمد أبو عثمان وهو نوع عجيب من الخدم اطال الله عمره · فقد كان يقوم بكل الأعمال وكان فى نفس الوقت لا يعمل شيئا · كان يطبخ اذا غاب أخو زوجته محمد عبوه الطباخ والواو مشدودة فى تخفيف · وكان يسوق اذا غاب رجب السائق وكان يساعد عم أحمد فى رى الحديقة وفى التخديم على الضيوف وكان يذهب لشراء الأشياء وكان يلاعبنى ويحكى لى الحكايات التى كنت مغرما بها غراما جائحا · وكنت حريصا ألا افارقه من أجل هذه الحكايات · ولما رأت والدتى أننى أصبحت حجته التى يعتذر بها عن عدم العمل احضرت من البلد ابراهيم ليرافقنى · ولابراهيم هذا قصة طويلة معى لم تنته بعد حتى اليوم · فهو الآن طباخ عندى يتقاضى مرتبه ولا يأتى الا عندما يحلو له ·

ذهبت الى المدرسة فى أول يوم وأنا لا أدرى ماذا تخبىء لى المدرسة فقد كنت أظن أننى سأذهب اليها مع محمد أبو عثمان بعض الوقت ثم نعود سويا دون أن نفترق ولكننى فوجئت بمحمد يسلمنى الحقيبة عند باب المدرسة ويهم بالعودة الى المنزل · وما ان استقر هذا فى نفسى حتى صرخت صرخة احتجاج عريضة مصرا ان يظل محمد معى واقبل المدرسون والناظر وواجهتهم المشكلة · وأمر الناظر مضطرا ان يدخل محمد معى الى المدرسة ودخل المدرسة · وحين ذهبت الى الفصل أصررت أن يصحبنى اليه · وصحبنى ولم أفهم شيئا من الدرس فقد كان نظرى كله منصبا على محمد الواقف على باب الفصل داخل الفصل ·

قبل الناظر هـذا الاستثناء يوما ويوما ثم أمر محمـد أن ينصرف وبكيت وصرخت فلم يأبه أحد ببكائى ورأيت آخر الأمر أن أرضخ للأمر الواقع . وخفف الوحدة على أن أبى ووالدتى كانا يطلان على من حجرة الطعام بالدور الأعلى ويلوحان لى فرحين أننى أصبحت تلميذا فى المدرسة .

أذكر أننى لم أستمر طويلا بهذه المدرسة فنقلت الى مدرسة المنيرة بروضة الأطفال بها وفى هذه المدرسة بدأت مشوار الدراسة الذى سار فيه من قبلى وتسير فيه البشرية حتى الآن والذى أحسب أنها لن تنتهى من السير فيه .

وربما كان الطريف أننى منذ سنوات قريبة دعيت من ناظر أحـد المدارس الابتدائية لأجلس فى ندوة مع التلاميذ . وذهبت الى المدرسة فى العنوان الذى أنبئت به . وكم فوجئت وكم فرحت حين وجدت نفسى ضيف ندوة فى المدرسة التى كنت تلميذا فيها بروضة الأطفال .

لم أعد فى حاجة لابراهيم الذى جاء من غزالة لصحبتى فدخل هو الى المطبخ ليتعلم الطهى . ولكنه لم ينس أنه جاء من أجلى . فكان يلازمنى بعد انتهاء عمله هو فى المطبخ وعملى أنا فى المدرسة .

وعرف الطريق الى سينما الأهلى وعرف الحلقات التى كانت تقدمها السينما لتومكس واخوانه من رعاة البقر وهمس فى أذنى أن نذهب معا أثناء نوم أبى . وكان أبى يرغبنى أن أنام معه فى القيلولة فكنت دائمـا أتسحب وأنزل الى الملعب ويعلم الله أنه كان يحس بى ويتظاهر بالنوم . وقد أورثنى هذا كرهى لنومة القيلولة حتى أرغمتنى عليها السنون فأصبحت أدمنها بعد كراهية ولا أتحمل العمل بعد الظهر الا اذا أخذت نصيبا مهما يكن ضئيلا من النوم .

ذهبت مع ابراهيم الى سينما الأهلى ولكن كان العائق الأكبر يتمثل فى حصولى على قرش صاغ ثمن التذكرة الثانية فى الدرجة الثـالثة فى الصالة . فقد كان مصروفى قرشا فى اليوم وكنت فى سائر أيام الأسبوع أنفقه فى كنتين المدرسة أو فى أى مصروف آخر . أما فى يوم الخميس فقد كنت أبقى على القرش لا أنفق منه مليما ثم أروح أفكر فى الوسيلة التى أستنبت بها قرشا آخر لنشترى التذكرتين ولم يكن الأمر يسيرا ولكننى كنت أوفق دائما وأحصل على القرش .

أفادتنى دراستى مع الحاج أحمد القرعيش فى مدرسة الروضة حتى رأت المدرسة فى آخر العام أن تنقلنى الى السنة الثالثة مباشرة دون أن أمر بالسنة الثانية .

وذهبت بعد ذلك الى مدرسة المنيرة الابتدائية وكان ناظرها فهمي بك الكيلاني وكان من أعظم النـاس الذين عرفتهم · وبدأت فى هذه السن هوايتى لقراءة القصص · وكانت هناك مجموعات من قصص الأطفال مثل قصتي وغيرها · ولكن حدث في هذه السنوات أن بدأ الأستاذ كامل كيلاني يكتب مكتبته للأطفال وكان صديقا مقربا الى أبى غاية القرب وقد كان من كبار أدباء عصره وكان من أحفظ الناس للشعر القديم كله منذ الجاهلية الى العصر الحديث ·

وبدأ يهدى الى أبى كتبه ولم يكن يعطيه كتابا واحدا أو اثنين وانما كان يهديه عدة كتب قد تصل الى ثمانية أو عشرة وكنت أدخل الى حجرتى وأغلق الباب بالمفتاح ولا أخرج حتى أنتهى من كل الكتب التى أهداهـا الأستاذ كيلاني الى أبى · ومن هذه الكتب عرفت حكايات ألف ليلة وليلة كلها وعرفت روايات شـكسبير مبسطة وعرفت روبن صن كروزو وحي ابن يقظان وحين كنت فى العاشرة كنت أقرأ توفيق الحكيم وطه حسـين والمـازنى ووجدت نفسى بعـد ذلك أقرأ الأدب الكبير كله فى سـهولة لا مثيل لها ·

وكان أبى معجبا بشوقى غاية الاعجاب فقرأت رواياته وأذكر أننى وأنا أنتظر نتيجة الشهادة الابتدائية قرأت مجنون ليلى ثلاث عشرة مرة متتالية ·

وكنت سريع الحفظ لدرجة أنه حدث مـرة وأنا فى السنة الثـانية الابتدائيـة أن كتب أستاذنا الفاضل العظيـم الوقـور محمود الشيبانى قصيدة من عشرة أبيات على السبورة والتفت الينا وسأل :

ــ من يقرأ هذه الأبيات ؟

فرفعت أصبعى فأشار الى أن أقف لأقرأ الأبيات · فاذا بى أستدير الى الحائط وأولى السبورة ظهرى وألقى الأبيات جميعا واذا بالفصل يصفق دون أن يأمره بذلك الأستاذ الشيبانى وحين انتهى التصفيق قال الأستاذ الشيبانى :

ــ ماذا أقول لك يابنى ؟ ابن الوز عوام ·

وقد فعلت ما فعلت وأنا أحسب أننى أصنع شيئا طبيعيا لا غرابة فيه حتى لقد فوجئت بتصفيق الفصل واعجاب الأستاذ وقد كان مطلع هذه القصـيدة :

أنظـــر لتلك الشــجره

ذات الغصــون النضـــره

وأذكر أن أبى فى هذه الأيام كان دائم الاجتماعات فى مكتبه بالبيت بأشخاص لا أعرفهم وانما عرفت أنهم يعدون لاقامة ذكرى وفاة حافظ ابراهيم وعرفت أن الاحتفال بهذه الذكرى سيستمر لمدة ثلاثة أيام بدار الأوبرا المصرية • وحـدث أن دخلت الى مكتب أبى وهو فى اجتماع من هـذه الاجتماعات فقال لى مداعبا :

ـ أنشد لنا شيئا من محفوظاتك فى المدرسة •

فأنشدت هذه القصيدة وما أن فرغت منها حتى قال أحد الجالسين :

ـ رفع الله رأسك يابنى كما رفعت رأسى ، واذا به الأستاذ محمد الهراوى مؤلف القصيدة •

وأذكر أننى حضرت الحفلات الثلاث التى أقيمت بدار الأوبرا وما زلت أذكر المازنى وهو يترك المنبر الى مقدمة المسرح ويقول : « أشهد الله والحق أننى والعقـاد حاولنا أن نهـدم شوقى وحافظ لننال منهما ولنقف على أنقاضهما فلم ننل الا من الحق ومن أنفسنا » •

وفى نهاية الأيام الثلاثة كان محمد محمود باشا حاضرا فى المقصورة التالية لمقصورة الملك بدار الأوبرا ، وما أن انتهت الحفلة حتى قامت مظاهرة ضخمة تهتف باسم محمد محمود باشا وترفعه الى الأعناق ، وكان رئيس الوزارة فى ذلك الحين هو النحاس باشا •

وقد أدركت بعد ذلك أن هذه المظاهرة كانت جزءا من تدبير سياسى محكم أدى الى سقوط وزارة النحاس باشا وتولى محمد باشا محمود رياسة الوزارة ، وكانت أول وزارة تشترك فيها الهيئة السعدية برئاسة أحمد ماهر باشا • ومع أن أبى كان سكرتير عام حزب الأحرار الدستوريين الا أنه لم يشترك فى الوزارة عند تأليفها وقد حدث أمر يستحق أن يروى فى أثناء وجود هذه الوزارة فقد تولى أبى تنظيم الترشيحات لمجلس النواب بوصفه سكرتير عام الحزب الحـاكم فكان ينسق بين الأحرار الدستوريين وبين السعديين • وحدث أن طلبه حسن صبرى باشا وكان فى ذلك الحين وزيرا فى الوزارة ومقربا جدا عند الانجليز وطلب حسن صبرى من أبى أن يرشح اسما ذكره فى احدى الدوائر ولكن أبى اعتذر عن عدم ترشيحه لأن الدائرة التى ذكرها حسن صبرى كان مرشحا بها أحد السعديين وكان متقدما اليها حر دستورى من تلقاء نفسه فوضعها لا يسمح بأن ترشح فيها الوزارة أحدا فاذا حسن صبرى يقول لأبى :

ـ أتناقشني ؟

فكان من الطبيعى أن يضع أبى سماعة التليفون فى وجهه وينهى المكالمة ·

وحدث بعد ذلك أن خلا منصب وزير الزراعة وكان مجلس الوزراء مجتمعا برئاسة محمد محمود فاذا به ينظر الى ساعته ويقول للوزراء سأضطر أن أنهى الجلسة لأنى على موعد مع الملك لأوقع مرسوم وزير الزراعة ·

وسأله الوزراء عمن اختاره للوزارة فقال لهم :

ـ لقد اخترت للوزارة جوهرة فريدة ·

قالوا :

ـ مـن ؟

قال :

ـ دسوقى أباظة ·

فرحبوا جميعا واذا حسن صبرى يقول :

ـ اذا دخل دسوقى أباظة الوزارة من هذا الباب سأخرج أنا من هذا الباب ·

ولم يدخل أبى الوزارة مع محمد محمود قط ·

ولم يكن عجيبا ألا يختار حسن صبرى أبى للوزارة ولكن العجيب أن أبى ظل طوال فترة وزارة حسن صبرى يمتدح حسن صبرى لنا نحن أبناءه وأهل بيته ولم يعارضه قط فى البرلمان · فأنا لم أر فى حياتى شخصا يفصل بين المشاعر الشخصية والرأى والمصلحة العامة مثل أبى ، وتشاء الأيام أن يجنى حسن صبرى باشا على أبى حيا وميتا · فقد حدث أن رشح حزب الأحرار أبى لرئاسة مجلس النواب عن الأحرار الدستوريين فى حين رشحت الهيئة السعدية أحمد باشا ماهر وكان الحزبان قد اختلفا وخرجت الهيئة السعدية من الوزارة ولم يحل مجلس النواب مع ذلك · وكان الخلاف بين الحزبين سببه ما ارتآه أحمد باشا ماهر فى ذلك الوقت من وجوب دخول مصر الحرب فى ذلك الحين حتى يكون ذلك مبررا لها أن تطالب بالاستقلال بعد نهاية الحرب ، ورأى حزب الأحرار ـ وكان محقا يومذاك ـ أن النصر ليس مؤكدا للحلفاء وأنه يجب أن تجنب الحكومة مصر ويلات الحرب وخاصة أن الانجليز لا أمان لهم وليس من الحتم أن يستجيبوا لمطالب مصر حتى اذا انتصروا وكان هذا الاختلاف فى عام ١٩٤١ · وكان من المرجح جدا أن يتغلب أبى على أحمد ماهر باشا فى معركة رئاسة مجلس

النواب ولهـذا لم ندهش كثيرا حين كنا جالسـين فى حجرة مكتب أبى بالعباسية واذا بنا نجد الباب يفتح فجأة ونرى شخصا أنيقا واقفا فى لحظة وسط الحجرة وكأنه نبت من الأرض وهو يقول بصوت جهورى غاية فى الأدب :

ــ دولة رئيس الوزراء ٠

وكانت سرعة ميشيل سويرس تشريفاتى رئيس الوزراء لم تتح لأحد منا أن يقف ليرحب به فكنا جميعا جلوسا وظللنا جلوسا نستوعب المفاجأة الا أبى الذى مرن على هذه المواقف لطول ممارسته لها فقد قام من فوره وقصد الى البهو الخارجى واستقبل حسن باشا صبرى وسمعنا أبى يقول :

ــ أهلا دولة الرئيس ٠

وسمعنا أيضا حسن باشا صبرى يقول :

ــ أهلا برئيسنا العظيم ٠

ودخلا معا الى حجرة الاستقبال الكبيرة الملاصقة لحجرة المكتب وفرغنا نحن الى ميشيل سويرس نرحب به ولم يكن أحد من الجالسين يعرفه ٠

كانت هذه الزيارة فى الليلة السابقة مباشرة على انتخابات الرئاسة فى مجلس النواب ٠ ولكن الأقدار لم تشـأ لهذه الانتخابات أن تتم فى موعدها لسبب لم يحدث فى تاريخ مصر ٠ فقد شاء الله فى علياء سمائه أن يختار عبده حسن صبرى رئيس مجلس وزراء مصر وهو يلقى خطبـة العرش التى تسبق الانتخابات ويؤلف الوزارة حسين سرى وكان رشوان محفوظ وهو من كبار أعيـان الصعيد ومن الوزراء السـابقين للأحرار الدستوريين يطمع أن يدخل الوزارة ولكن حسين سرى لم يختره فاذا به يغضب من الحزب وينسلخ مع خمسة عشر عضوا عن انتخاب مرشح الحزب فى رئاسة المجلس مع حبه الصادق لأبى ، وهكذا لا يصل أبى الى رئاسة مجلس النواب بسبب حسن صبرى وان كان فى هذه المرة سببا صنعته السماء لحكمة يعلمها الواحد العليم وكان حسن صبرى أداة لا اختيار لها ٠

وفى تعديل وزارى أصبح أبى وزيرا لوزارة الشئون الاجتماعية فى وزارة حسين سرى وكان هذا فى ٢٦ يوليه عام ١٩٤١ ٠

ومن الطريف الذى أذكره فى هذه الأيام أن النادى الأهلى بالزقازيق أعلن أنه سيقيم حفل تكريم لأبى بمناسبة توليه الوزارة وقبيل اليوم المحدد للتكريم استقالت الوزارة ولم يكن قد مر على تولى أبى منصبه شهر واحد ولكن حدث أن سعى الساعون لاعادة التفاهم بين حزب الأحرار الدستوريين

والحزب السعدى ونجح المسعى وكان لابد أن يشترك الحزب السعدى فى الوزارة · وكان الأحرار الدستوريون ممثلين فى الوزارة بسبعة وزراء كان لابد أن يصبحوا أربعة ليجد السعديون وزارات لممثليهم فى الوزارة وظلت الوزارة تؤلف الى اليوم المحدد لاقامة حفلة التكريم فى الزقازيق ·

ولم يذهب أبى الى حفلة التكريم وكيف كان يمكن أن يذهب وهو لا يعرف ان كان سيظل وزيرا أم سيخرج مع الخارجين ·

ولم أذهب أنا أيضا الى الحفلة طبعا · وذهبت الى كازينو أوبرا وأذكر اننى طلبت جيلاتى وأصابنى بتسمم ·

وقبل أن تبدأ بوادر التسمم كان أبى نائما ودق جرس التليفون بالدور الأعلى من منزلنا وأجبت أنا وطالع أذنى صوت جاد :

ـ معالى الوزير موجود ؟

قلت :

ـ هو نائم من يريده ؟

قال :

ـ أدخل له التليفون اذا سمحت ·· دولة رئيس الوزراء يريده ·

وعاد أبى الى الوزارة ولكنه لم يحضر حفل التكريم الذى أقيم له فى الزقازيق فقد أبى المحتفلون الا أن يستمروا فى التكريم بقى أبى فى الوزارة أم لم يبق ·

هـذه الوزارة بقيت حتى وقعت أحـداث ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ · وبطبيعة الحال كان أبى على علم بكل ما وقع فى ذلك اليوم المشئوم ، وفى يوم ٥ فبراير كنت أركب مع أبى سيارته الخاصة بعد أن صرف سـيارة الوزارة ولم تكن آثار ٤ فبراير قد ظهرت بعد ولا يعرف أحد أى أثر سيكون لها على الشعب والرأى العام كما أن أحدا بطبيعة الحال ـ لم يكن يدرى بماذا سيدافع النحاس باشا عن هذا الذى حدث · وعن تلك الوصمة العريضة فى جبين الوفد الذى اكتسب اسمه لمعارضة الانجليز واخراجهم من مصر ·

وكنت فى سنى الخضراء فى ذلك الوقت أتصور أن الدفاع مستحيل وأن النحاس باشا وأنصاره لن يجدوا ما يقولونه لتبرير خيانتهم لثقـة الشعب ، وسألت أبى فى سذاجة :

ـ ماذا سيقول النحاس باشا للشعب ؟

وفى عبقرية السياسى المحنك الخبير بأخلاق الوفد وخداعه للحق · قال أبى دون ريث تفكير :

ـ سيقول أنقذنا العرش وحمينا البلاد من الفتنة وحافظنا على سيادة الوطن وكرامته ٠

وكانما كان النحاس باشا معنا فى السيارة فقد فوجئت بأحاديثه لا تخرج عما قاله أبى فى شيء ، وفوجئت بأنصاره يصدقونه وذهلت لهم وهم يرفعون مايلز لمبسون السفير البريطانى بطل الاعتداء المشين على أكتافهم يهتفون له ويهللون ويصرخون بحياته ٠

٠٠٠ لقد كانوا يهتفون لمن أتاح لهم الحكم يستغلونه ويمرحون فى هناءته ومكاسبه ولتذهب مصر وليذهب رمز مصر ولتذهب كرامتها الى أى جحيم تشاء ٠

وفى ظل هذا الحكم بدأ النحاس باشا اعتقالاته ، وحدثت الفرقة والخصومة بينه وبين مكرم باشا عبيد وظهر الكتاب الأسود وكانت عندنا منه كميات كبيرة ٠ وقدم أبى فى مجلس النواب استجوابا عن الاعتقالات ٠ وأعتقد أن دخول أبى الى المجلس قصة لابد أن تروى ٠ فقد قرر حزب الأحرار أن ينتدب أبى وأحمد باشا عبد الغفار لمفاوضة النحاس باشا وليتعرفا منه كيف ستدار الانتخابات وذهبا اليه فقال لهما :

ـ للحزب أن يدخل الى الانتخابات ولكن يمنع المرشحون من الكلام عن حادثة ٤ فبراير كما يمنعون من مهاجمة الانجليز كما يمنعون من مهاجمة السيدة حرمى ٠ ولهم بعد ذلك أن يقولوا ما يشاءون فى دعايتهم الانتخابية ٠

واذا بأحمد باشا عبد الغفار يصيح برئيس الوزارة :

ـ ماذا يمكن أن نقول لمرشح الوفد بعد ذلك ؟ أنقول له وشى أحلى من وشك أم نقول له أبويا أحسن من أبوك ؟

وانصرف أبى وأحمد باشا وسمعنا أن النحاس باشا قص على الهيئة الوفدية أمر هذا اللقاء قائلا لهم :

ـ جاءنى معالى الأستاذ ابراهيم دسوقى أباظة والولد أحمد عبد الغفار ٠

وكان أبى فى ذلك الحين لا يحمل رتبة الباشوية بينما كان أحمد باشا يحمل الرتبة ولكن النحاس باشا استبدل بها لقب ولد ٠

امتنع الحزب عن دخول الانتخابات وارتأى أبى باتفاق مع الحزب أن يرشح فى دائرته عمى عبد الله فكرى أباظة الذى كان سكرتيرا عاما

لوزارة التجارة فى ذلك الحين ثم وكيلا • ودخل عمى الانتخابات مستقلا ونجح وكان الدستور ينص على أن النـائب الموظف عليه أن يختـار بين الوظيفة والنيـابة فى مدة أقصاها ثلاثة شهور • واختـار عمى عبد الله الوظيفة فى المدة المحددة • وأعلن عن خلو الدائرة وتقدم أبى للترشيح ورشح الوفد مرشحه الذى كان يرشحه دائما فى دائرتنا وكانت الانتخابات معركة حربية طاحنة صنع فيها الوفد كل ما يستطيع لاسقاط أبى حتى اذا يئس فكر أن يسـتولى على الصـناديق ويغيرها فاذا بشباب الأسرة الأباظية يبيتون فوق الصناديق وعلى رءوسهم السلاح وقضى عمى عبد الله فكرى ليلته فى بيت ملاصق لمقر الفرز ومن أحداث هذه الانتخابات ضرب فكرى أباظة باشا الكاتب الأشهر وفتحت يده بجرح كبير ظلت آثاره باقية حتى اختاره الله الى جواره •

ونجح أبى فى الانتخابات وتقدم باستجواب عن المعتقلات وفى يوم نظر الاستجواب اعتقلت حكومة النحاس باشا مكرم باشا عبيد • ووقف أبى فى المجلس وقال أن الحـكومة تتحدى الشعب ومجلس النواب وتعتقل مكرم باشا فى نفس اليوم المحدد لنظر الاستجواب الخاص بالمعتقلات ، وأنا أعلن هنا أننا متضـامنون مع مكرم باشـا فى كل ما فعل أو قال وللحكومة أن تعتقلنا نحن أيضا لأننا شركاء مع مكرم ولتفعل بنا القوة الغاشمة ما تشاء •

وأذكر أننى فى ذلك اليوم كنت فى البيت أتلقى درسا خاصا فى اللغة الانجليزية على يد أستاذى الذى كان متوليا الاشراف على دراستى فى كل العلوم الأستاذ لويس مرقص الذى أصبح فيما بعد الدكتور لويس مرقص وأصبح رئيس قسم اللغة الانجليزية فى الجامعة ودخل أبى الينا وروى لنا ما كان من أمر جلسة مجلس النواب • ثم نادى أحمد بخيت وأمره أن ينقل نسخ الكتاب الأسود والمنشورات الأخرى الى بيت ابن عمه الأصغر الضابط عمر أباظة ويتركها عنـد السيدة الجليلة والدته وكان مجاورا لبيتنا فى العباسية • ونفذ أحمد بخيت الأمر بحذافيره ولم يبق فى بيتنا ورقة يمكن أن يجعلوا منها حجة ولو واهية للقبض على أبى •

وحدث ما توقعه أبى وتم تفتيش بيتنا بعد الساعة الثانية صباحا من نفس اليوم ولم يتركوا ركنا الا أعملوا فيه أيديهم حتى حقيبة أختى الصغرى التى أصبحت جدة الآن • فتشوها واستيقظت الطفلة التى لم تكن تتجاوز الخامسة من عمرها ولكن العجيب أن أختى حين استيقظت ورأتهم يعبثون بحقيبتها نظرت الى أبى وراحت تقهقه بالضحك وتقول لأبى :

— بابا دول بيفتشوا شنطتى ••• بص !

وضحك أبى وسرى عنه ٠

ولكن ينبغى لى أن أشهد أن أبى قال لرئيس حملة التفتيش فى حسم : لكم أن تفتشوا ما تشاءون ولكنكم لن تدخلوا الحجرة التى بها السيدات فى البيت ٠ فاذا فرغتم من تفتيش حجرة انتقل اليها السيدات وتقومون أنتم بتفتيش الحجرة التى كن يشغلنها ٠ وقبل الضابط رئيس الحملة ٠ حفاظا على كرامة البيت ٠ فاذا قارنا هذا بما كان يجرى بعد ذلك من اعتداء على الحرمات لوجدنا أن حكم الطغاة فى العهد الديمقراطى لم يتخل عن انسانيته وعن تقديره لكرامة البيوت٠



(٤)

أبى وأمى

كان أبى فى البيت ملاكا ولـكن كانت له هيبة تغنيه عن اى عنف ٠ ضربنى أبى ثلاث مرات لم يزد الضرب فى اثنتين منها عن صفعة على وجهى اما المرة الثالثة فلابد أن أرويها لأننى مظلوم فيها ظلما بينا ٠ والعجيب أننى لم أقل لأبى حتى بعـــد أن كبرت وتخرجت وتزوجت فى حيـــاته رحمه الله اننى مظلوم ، ولعلى خشيت أن أتسرب الى نفسه باحساس من الأسف أكبرته أن يشعر به ٠ وهأنذا أروى اليوم ظلمى وهو سيطلع عليه رهو فى أكرم جوار ٠ وأنى أشفع قصتى قبل ان أرويها بأن أنبئه وهو فى عليين ٠ أن انســانا ما فى العــالم أو فى التاريخ لم يســعد بظلمه سعادتى بالظلم الذى وقع على أنا منك يا أبى فى ذلك اليوم ٠ فقد أشاع هذا الذى وقع لى فى نفسى فيضا لا ينتهى من الاحساس بالرحمة وحب الناس ٠ وأنا أعلم أن أبى أحبنى كما لم يحب أب ابنا فقد ولدت له وهو فى الأربعينيات من عمره ومرضت فى أول أيامى فى الحياة فجعلته شفقته على واشفاقه أن أموت يزداد حبــا لى ٠ ومع هذا وقع منه هذا الظلم الحبيب على ابنه المقرب ٠

ربما كنت أنا أحب أبى كما لم يحب ابن أباه ولست أنسى كلمة أهـدى بهـا عمى عبد الله صــورة له الى أبى قال فيها : الى أبى وأخى وأستاذى ومثلى الأعـلى ٠ فان كان هــو هكذا بالنسبة لأخيـه فقد كان بالنسبة لى هذا جميعا ثم هو منى حياتى ومصدرها وسياجها وعزها وكان حتى بعد موته ملاذى ومأمنى ومفزعى وأملى ٠

كنت ألعب مع خادمة عندنا اســمها أمينة وكنت فى الســابعة من عمرى وكانت هى فى مثل ســنى وكانت تجرى وأجــرى وزاءها وحمى الوطيس وازداد الجرى وأرادت أمينــة أن تهرب منى فدخلت تحت أحـد

الأسرة وكانت أمينة سوداء فطساء الأنف ولم يكن الهواء تحت السرير كافيا فأغمى عليها من قلة الهواء وحين دخلت وراءها وجدتها لا تنطق فجريت أنادى أم عبده مديرة المنزل فأسرعت اليها ومعها خدم آخرون وأخرجوها من تحت السرير وأحضروا لها نشادر فأفاقت ولم يزد اغماؤها على دقيقة أو اثنتين ، وذهبت أم عبده رحمها الله وغفر لها فقالت لأبى اننى ضربت أمينة حتى أغمى عليها • وأخبرتنى والدتى أن أبى غاضب على كل الغضب فحرصت ألا ألقاه • وكنت أجلس وحدى منزويا فى كرسى كبير واسع لم أشهد له مثيلا من قبل أو من بعد • واذا أبى يدخل الى وفى يده سوط ووقف على رأسى وقد أذهلنى الخوف أن أقف وقال أبى :

ــ لقد ضربت البنت حتى أغمى عليها وأنا سأضربك حتى يغمى عليك •

وبدأ يضرب بغير توقف وبكل العنف الذى لم أعرفه فيه من قبل أو من بعد • ولم يغم على وكنت من السذاجة بحيث لم أفكر أن أدعى الاغماء • ومازلت على هذه السذاجة حتى الآن ، فأنا لا أعرف حتى اليوم كيف أتظاهر بما ليس فى • وضرب أبى وضرب حتى مل ورمى السوط وانصرف •

وظلت آثار الضرب على ظهرى فترة طويلة لا أذكرها ولكنها باليقين لم تكن قصيرة • شهد الله ما ضربت أمينة •

ويشهد الله أننى ما ضربت خادما بعد ذلك قط • فقد علمت من هذا الذى أنزله بى أبى أن هؤلاء الخدم انما هم اخواننا لهم علينا من الحقوق ما لاخواننا وأبنائنا • وعلمت مما صنع أبى أننا مطالبون بالمحافظة على أجسادهم بل وكرامتهم وانسانيتهم بنفس القدر الذى نحن مطالبون به ازاء أنفسنا وأبنائنا وأخواتنا • رحمك الله يا أبى العظيم فانك حتى حين ظلمتنى أنصفتنى وعلمتنى ما لم أكن لأتعلمه لولا ظلمك الرؤوف الشفيق الحنون •

كان أبى يحب أبناءه جميعا بعدل مذهل وهبه الله له ، وكنا نحن ولديه أنا وشامل نحس أنه يحبنا ولكنه يحرص أن يستر حبه الذى قد يجعلنا نعتمد على مجده ولا نقيم من نفسينا رجلين يحرصان على أن يكون كل منهما شخصا ذا قيمة بذاته هو لا بذات أبيه • وكان فى نفس الوقت لا يرد لنا مطلبا ولا يحجب عنا عطفه • حين حصلت على الثانوية العامة رغبت اليه أن يشترى لى سيارة محتجا ببعد المسافة بين العباسيةوجامعة فؤاد ــ القاهرة الآن ــ بالجيزة • فكان أن كلف بذلك مدير مكتبه وكان

فى ذلك الحين حسين بك صادق والد الفتاة التى أصبحت فيما بعد الملكة ناريمان . وجاءت السيارة وفى غمرة الفرحة بها وفى الأيام الأولى لها خرجنا أنا وأخى شامل بالسيارة وذهبنا الى طريق الهرم وقمنا بنزهة طويلة فخورين أن لنا سيارة خاصة بنا وان كانت أصغر سيارة يمكن أن تشترى ولكنها سيارتنا . وذهبنا أنا وشامل الى السينما وعدنا والساعة تقارب الثانية عشرة فاذا بأضواء بيتنا كلها منيرة فى جميع أدواره ونظرنا الى نافذة غرفة أبى فوجدناها أيضا مضيئة . وتخطفنا الخدم من كل حدب وصوب : كلما الباشا .. الباشا منتظر .. الباشا يريدكما . فقلت لشامل : اذهب أنت الى حجرتك فأنا المسئول والله المستعان .

بلغت بابه وأحس بخطواتى أمام الحجرة فلم ينتظر حتى أفتح الباب وانما فتحه هو وأطل برأسه وقال فى حسم : السيارة ستباع بكره ، وأقفل الباب رافضا أن أجعل من الأمر موضوع نقاش فهو حتى لم يسأل أين كنتما .

ذهبت الى والدتى هالعا . فأنا لم أفرح بعد بالسيارة وقالت لقد سأل عنكما عندما جاء وحين عرف أنكما لم ترجعا لم يغير ملابسه كما تعود أن يفعل وتناول عشاءه وقد كان عشاء خفيفا لا يزيد على الزبادى والفاكهة وسمع الأخبار دون أن يخلع ملابسه أيضا وظل ينتظركما بكامل ملابسه . وقد كانت عادته أن يسمع أخبار الحادية عشرة وينام . حتى اذا سمع صوت السيارة هب من فوره فلبس جلبابه حريصا ألا نحس أنا وشامل أنه مشغول علينا وأنه غير عادته من أجلنا . وكان فعلا بالجلباب حين أطل على من فتحة الباب . ولكن لم يكن قد أكمل اغلاق أزراره .

ومكثت فى غرفة والدتى أرجوها أن تتشفع لى عنده وهى سعيدة أننا عدنا وحريصة فى نفس الوقت أن تبقى على الخوف فى نفسى حتى الصباح فلا أعود الى مثل ما فعلت مرة أخرى . وقضيت ليلتى أكتب قصيدة أعتذر فيها عما فعلت وأرجوه أن يبقى على السيارة وقد نشرت هذه القصيدة فى مجلة الصباح فى هذه الأيام وأذكر آخر بيت فيها :

وما أظنك ترضى بأن أكون بياده

وبقيت السيارة لا أدرى هل من أجل شفاعة والدتى أم شفقة على أم من أجل القصيدة أم من أجل كل هذا مجتمعا . والعجيب أننى نسيت هذه الواقعة التى حدثت عام ٤٦ حتى ذهبت الى الدوحة عاصمة قطر فى أوائل السبعينيات وبينما يجرى معى المذيع حديثا فى الراديو فاذا به

يفاجئنى بحكاية السيارة كاملة وبالأبيات التى نشرت بمجلة الصباح والتى كنت نسيت أمرها تماما ٠

وهكذا كان أبى فى معاملتى أما اذا عامل أختى فالأمر مختلف كل الاختلاف فهو يفيض عليهـا ألوانا من الحب الذى لا يحاول أن يتخفى ولا يستتر ٠

أما والدتى فقد كانت تفيض عن نهر متدفق من الحنان والرحمـة والحب ولكنها مع ذلك كانت تعرف متى تغضب ومتى تعاقب ، تذكر لها سيدة جليلة من قريباتنا أنهـا دخلت يوما الى منزلنا فرأتنى واقفا أمام مرآة أرجل شعرى ومن خلفى أمى كلما رجلت أنا شعرى نكشته هى وأنا أصر على الترجيل وهى تصر على النكش فقد كانت تأبى لى منذ الطفولة أن يكون اعتزازى بشعر مرجل ٠

وأذكر أنا أننى كنت فى الابتدائية وكان الامتحان قد اقترب ودخلت أمى الى حجرة نومى فوجدتنى أقرأ فى كتب غير كتب المدرسة فثارت على ثورة جامحة وكنت واثقا من مكانتى عندها فرأيت أن أهددها بهذه المكانة فاذا أنا أصيح : والله العظيم أنتحر ٠٠

فاذا هذه الأم التى تعبد أولادها بعد الله والتى لم تتجاوز فى تعليمها مرحلة القراءة والكتـابة تذهب الى الشبـاك فى خطى واثقة ثابتة جليلة وتفتح الشباك وهى تقول فى حسم تفضل انتحر ٠

وانكسرت حدتى وعلمت منذ ذلك اليوم أن الموت قد يصيب الذعر فى نفس الأم اذا اقترب من ابنها ولكن الخيبة أيضا تفعل الأمر نفسه ٠

كان أبى وأمى فى طليعة الجيل الذى كان ينادى كل منهما الآخـر باسمه مجردا ٠ وقد يدهش القارىء من هذا الذى أقول وربما تزول هذه الدهشة اذا علم أن الجيل السابق لهما وكثيرا من جيلهما كان الزوجان من أبنائه يتناديان بالألقاب فتقول الست فلان باشا أو فلان بك ويقول الرجل يا هانم أو يا فلانه هانم وهذا ما لم نشهده نحن فى بيتنا وانمـا شهدته فى بيوت بعض أقاربنا ممن هم فى جيل أبى وأمى ٠

كان أبى متحضرا فى ثقافته تحضرا لا أراه فى كثير ممن يعيشون معنا الآن ٠ كان أبى مثلا يعجب بالكتاب الروائيين وكتاب المسرح اعجابا لا حدود له وربما يرجع ذلك الى ثقافته الفرنسية الواسعة والى حبه للغة الفرنسية واجادتها اجادة المثقفين من أبنائها ٠ وانى أرى كثيرا من الأدباء المعاصرين وخاصة من الشـعراء لا يعتبرون الرواية أو القصـة أدبا على الاطلاق ٠ ويكثر هؤلاء بصورة واضحة فى الشعراء العرب خاصة ٠

وقد شعرت فى أسفارى فى البلاد العربية أننى لو لم أكن من كتاب المقـال الأدبى والسياسى ما وضعنى هـؤلاء الشعراء فى عداد الأدباء أو الكتاب .

ومن مظاهر الحضارة المذهلة فى خلق أبى أننى حين كنت فى السابعة من عمـــرى وكنت فى السنة الأولى الابتدائية بمدرســـة المنيرة أعجبت بالموسيقى وكان بالمدرسة فرقة موسيقى يشرف عليها عازف الكمان الشهير اسماعيل العقاد . وانضممت أنا الى هذه الفرقة وطلبت من أبى أن يشترى لى آلة كمان لأعزف عليها ففرح لمطلبى فرحا بالغا وسارع بشراء الكمان وكان ثمنها فى ذلك الحين خمسة جنيهات . وناهيك بخمسة جنيهات فى سنوات الأزمة الطاحنة . الا أننى للأسف أخلفت ظنه ولم أفلح فى العزف على الكمان ولم أتجاوز فى هذا الفن عزف السلم الموسيقى .

★★★

ان ذكرياتى فى بيت شارع الملك الناصر تنثال على ذهنى فما أدرى أيها أترك وأيها أثبت مع أننى تركت هذا البيت وأنا أخطو الى الثانية عشرة من عمرى .

لا أستطيع أن أنسى مثلا أن محمد باشا محمود زعيم حزب الأحرار الدستوريين وابن الرجل الذى عرض عليه الملك فأبى كان يزور أبى كثيرا فى هذا البيت وكان أحيانا يأتى وأبى فى الدور الأعلى لم يكمل ارتـداء ملابسه فكان يأمرنى أن أذهب فأجالس محمد باشا محمود حتى ينزل هو ولم أكن أجد فى هذا الأمر غرابة . ولم أتبين هـول الموقف الذى كنت أتعرض له الا حين بلغت السن التى تمكننى من معرفة قدر الرجل الذى كنت أرسل لمجالسته .

وأذكر أن محمد باشا جاء يوما يسأل عن أبى وكنت ألعب فى فناء البيت وحين رأيت سيارته تقف بباب المنزل قصدت اليه وكأننى أقصد الى صديق مثلى وسألنى عن أبى ولم يكن بالمنزل فجاذبنى الحـديث فأخبرته أننى طلبت من أبى كـرة فأبى أن يشتريها لى وقـد رويت له ما رويت وكأنه ترب من أتراب ملعبى أفضى له بمضايقاتى فى الحياة .

وفى اليوم التالى كانت سيارة محمـد باشا تقف بالباب ويتدحرج منها كرة من أفخر الأنواع وأذكر أن ماركتها كانت حرف تى بالانجليزية وكنا نحن الأطفال نسمع عن عظمة هذه الماركة كأنها حلم من الأحـلام هيهات أن يتحقق لنا رؤيته .

وأذكر أيضا من العظماء محمود باشا عبد الرازق كبير عائلة عبد الرازق وكان يحبنى وكان اذا جاء الى البيت يحرص أن يسأل عنى قبل أن يسأل عن ابى فاذا وجدنى راح يلاعبنى ويداعبنى ولا يعنيه ان كان أبى موجودا أم لا حتى يأتى أبى . أما الرجل الذى اعتبرنى ابنه وكان دائم السؤال عنى فهو الشخصية الاسلامية والسياسية الأسطورية عبد الحميد بك سعيد وكان رجلا ضخما لم أر أحدا فى مثل مهابته وكان ملتحيا وكان يمسك بعصا غليظة لم أر شبيها لها .

وقد علمت حين كبرت قليلا أنه لم يتزوج وكان اخوته حين يلحون عليه أن يتزوج يقول : يكفينى ثروت بن دسوقى فهو ابنى .

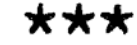
ذهبت مرة الى مجلس النواب وأنا فى العاشرة من عمرى وكان أبى وكيلا لمجلس النواب ولقينى عبد الحميد بك سعيد وأنا فى طريقى الى حجرة أبى بالمجلس فاذا هو يقبل على فى تهليل عظيم وفى ترحيب خجلت له وراح يقول : أجيب لك ايه .. أديك ايه .. خذ .. وأعطانى سبحته ذات الحبات التسع والتسعين ، وصحبنى الى حجرة أبى وطلب لى كوب خروب وكان بوفيه المجلس شهيرا بخروبه .

وانتقلنا الى بيتنا فى العباسية رقم ١٠ شارع الجنزورى وكان يقع على ميدان كبير ، وكان البيت غاية فى الفخامة اذا قورن ببيت الملك الناصر. وغاية في الضخامة اذا قورن بغيره من البيوت . ولا يمكن أن نطلق عليه قصرا بأى حال من الأحوال انما كان بيتا واسع الابهاء رحب اللقاء بعيدا عن الفخامة اذا أنت قارنته بقصور الأثرياء . كان البيت مكونا من طابقين فى كل طابق سبع غرف . وكان البدروم أيضا يحتوى على سبع غرف ، وكان بالسطح أربع غرف . فالبيت اذا كان مكونا من خمس وعشرين غرفة . وكان له سلاملك يصلح للسكنى ولكن صاحب البيت الذى باعه لنا المهندس حسين عزى كان قد باع السلاملك قبل أن يبيع لنا البيت واشترى أبى هذا السلاملك قبيل وفاته بسنوات قليلة . ثم بعنا نحن البيت والسلاملك جميعا بأثمان غاية فى الضآلة بعد وفاة أبى . فلم يكن من المعقول أن نحتفظ بهما وقد أصبح لكل منا نحن الاخوة الأربعة أسرته الخاصة .

مكثت فى هذا البيت منذ أول يناير عام ١٩٣٩ حتى ١١ يونيه عام ١٩٥٠ وهو اليوم الذى تزوجت فيه وانتقلت الى بيتى بالزمالك لأكون أسرتى مع زوجتى ابنة عمى الشاعر الكبير عزيز باشا أباظة . وعزيز باشا

ليس فى مكان عمى اذا نظرنا الى الترتيب الأسرى وانما نشأت أقول له يا عمى لفارق السن · أما هو ففى مكان ابن عمى لأن أباه ابن عم أبى ·

حين ذهبنا الى العباسية كنت أنا متقدما للشهادة الابتدائية وقد رأى أبى أن ينقلنى الى مدرسة العباسية القريبة من البيت وقد نلت منها الشهادة الابتدائية · ثم دخلت مدرسة فاروق الأول النموذجية وظللت بها حتى السنة الرابعة الثانوية · وبالطبع كان الناجح فى هذه السنة يمنح شهادة كانت تسمى شهادة الثقافة · وبالطبع كنت مصمما أن أنتسب الى القسم الأدبى فى التوجيهية التى تقابل اليوم الثانوية العامة ، ولم يكن بمدرسة فاروق قسم أدبى ، فانتقلت الى مدرسة فؤاد الأول ونلت منها التوجيهية وتقدمت الى كلية الحقوق عام ١٩٤٦ وتخرجت فيها عام ١٩٥٠ وكنت تزوجت قبل أن تظهر النتيجة ، والعجيب أننى نجحت فى جميع سنوات الانتقال فى الكلية الا فى السنة النهائية التى تزوجت بعد الانتهاء من امتحاناتها · فقد ظهرت النتيجة واتضح أن عندى ملحقا فى علمين · فكنت أذاكر وأنا متزوج والحمد لله نجحت ولم أضطر الى اعادة السنة · وهكذا تسلمتنى زوجتى أبقاها الله ورعاها وأنا طالب لا أزال ·



(٥)

أنا والكتابة

كنت فى السنة الرابعـــة الثانوية بمدرســـة فاروق الأول وكان الأستاذ ضاحى هو مدرس اللغة العربية وقد طلب الينا أن نكتب موضوع انشاء أذكر عنوانه الآن ، وكتبت الموضوع واستعملت فيـه فعل تساءل على وزن تفاعل • فاذا الأستاذ ضاحى يضع خطا أحمر تحت الفعل ، ويقول تساءل على وزن تفاعل وتفاعل أى تبادل الشىء بينه وبين انسان آخـــر فالفعل خطأ •

وذهبت الى البيت وكشفت فى القاموس فوجدت الأستاذ مخطئا خطأ فادحا • فكتبت كلمة عن خطأ الأستاذ •

وكنت فى ذلك الحين أنعـــم بصداقة من نوع عجيب هى مزيج بين الأستذة والصداقة فى وقت معا • فقد كان الأستاذ العوضى الوكيل الشاعر العظيم من الذين يحبهم أبى حبا جما وكان يزورنا يوميا وطلب اليه أبى أن يستقدم لنا مدرس لغـــة انجليزية لى ولأخـوتى فصحب الى بيتنـــا الأستاذ عثمان نويه الذى قامت بينى وبينه هذه الصلة فقد كان أديبا من الطبقة الأولى فى اللغة العربية والانجليزية على السواء ، ومنذ اللقاء الأول شعر كل منا أنه قريب الى الآخر قربا لا يكون الا بصداقة سنوات طوال وكان والد الأستاذ عثمان نويه قاضيا شرعيا وزميلا للأديب العملاق أستاذ الأجيال وعميد كلية الآداب فى ذلك الحين أحمد بك أمين وكان أستاذنـــا أحمد بك أمين يرعى شئون عثمان نويه واخوته بعد وفاة والدهم فكان منه بمثابة الابن •

أطلعت عثمان على ما كتبت وسألته ان كان يمكن أن ينشر لى هذه الكلمة بمجلة الثقافة • وكان عمرى اذ ذاك ســتة عشر عاما فشجعنى •

وذهبت بالكلمة الى أحمــد بك أمين وعرضها عليــه وحين قرأهــا الأستاذ العميــد قال لعثمان : أهى لمدرس زميلك ؟ وتردد عثمان قليلا وقال : انما هى لمحام صديق ٠

وفوجئت بالكلمة تنشر وكنت قد مهرتها بتوقيع تلميذ قديم واتخذت لها عنوانا « تصحيح أوراق » ٠

ولم تسلم الكلمة من بعض الحذف ، ولكنها على أى حال نشرت وأنا اليوم أكتب هذا الكلام ولى بين يدى القراء أكثر من خمسة وثلاثين كتابا ، ولكننى لم أفرح بظهور كتاب لى ولا حتى كتابى الأول ابن عمار قدرفرحى بنشر هذه الكلمة الصغيرة القليلة فى باب البريد وبتوقيع لا يحمل اسمى ٠ وربما أدرك القراء من الشباب أننى محق فى هذا الفرح اذا هم علموا معنى أن ينشر كاتب فى مجلة الثقــافة التى يرأس تحريرها أحمــد بك أمين جميعا وتشرف عليها لجنة التأليف والترجمة والنشر بمن فيها من أسماء يعتبر كل اسم منها أمة فى ذاته ٠

وقد سعد أبى أن نشرت لى الثقافة ولم يكن صديقا لأحمد بك أمين وانما كان يعرفه معرفة قارىء لكاتب ٠

أحدث نشر الكلمة انفجارا فى المدرسة فقد عرف زملائى جميعا أننى كاتبها فالحوار الذى قرأوه فيها كان بمشهد منهم ٠ كان التلاميذ فى ذلك الحين يقرءون المجلات الأدبية ٠

واستدعانى ناظر المدرسة الرجل العظيم نجيب بك هاشم أطال الله عمره وطلب الى فى عذوبة ورقة ألا أكتب شيئا بعد ذلك عن أساتذتى ، ووعدت بذلك والفرحة تخفق خفق أجنحة النسر بين ضلوعى ٠

ذهب عثمان نويه الى أحمــد بك وأخبره أن صاحب الكلمة تلميــذ بالسنة الرابعة الثانوية التى كانت تسمى الثقافة والعجيب ان أحمد بك فرح بدلا من أن يغضب وطلب أن يرانى ٠

وتولانى الرهب وأنا فى طريقى الى الأستاذ العميد ٠ ولكن كم كان أنيســا وأبا وانسانا ٠ أبــدى رضــاه عنى وكان منى بعــد ذلك بمكان الأستاذ الحانى أو الأب الشفوق ٠

وطلب الى أن أكتب ، فكتبت مقالة عن الشاعرين أحمد القرعيش وتوفيق عوضى أباظة بعنوان شعراء مجهولون واخترت أبيات الأستاذ توفيق التى شكا بها عزيز باشا الى جمال بك ٠

ولم تنشر الكلمة · وانتظرت طويلا ، والعجيب أن أبى رحمه الله كان ينتظر معى ولم تنشر الكلمة ·

وأقبل الصيف وانتقلنا الى رأس البر وكنت أذهب كل أسبوع الى مرسى العبارة القادمة من دمياط الى رأس البر وأشترى مجلة الثقافة ولا أجد الكلمة · وتولانى حزن شديد · وفى يوم نزلت الى البحر فاذا بى أرى عن بعد رجلا يلف وسطه بقرعتين ويضرب الماء بيديه فى كبرياء وجلال · اقتربت منه فاذا هو أحمد بك أمين · كم فرحت ، وسألته عن الكلمة فقال : لقد طلبت اليهم أن يؤجلوا نشرها حتى نستأذن عزيز باشا ·

قلت : وفيم الانتظار أكتب أبياتا أخرى للشاعر نفسه ·

قال : يكون أحسن ·

وطرت من الفرح وذهبت الى البيت ورويت لأبى ما كان وكتبت المقالة نفسها فقد كنت أحتفظ بصورة منها واخترت لتوفيق أبياتا أخرى ·

وفى الأسبوع التالى نشرت المقالة كما كتبتها تماما · كم كان أسبوعا رائعا فى حياتى فقد ظهرت فيه نفسه نتيجة الثقافة وجاءتنا برقية من أستاذى وقريبى الأستاذ عبد الله عوضى أباظة المدرس بوزارة المعارف يهنئنى بنجاحى وحصولى على شهادة الثقافة ·

لقد اختصر أحمد بك أمين من كلمتى الأولى حين هو يعتقد أننى محام · ولكنه منذ عرف أننى تلميذ لم يضع قلمه فى مقال لى قط ·

فقد توالى نشرى بعد ذلك للمقالات فى الثقافة وكنت أزور العميد فى بيته وحدى أحيانا أو مع عثمان أحيانا أخرى · وأذكر أنه نصحنى بقراءة كتب كثيرة من التراث أذكر منها العمدة لابن رشيق والأمالى لأبى على القالى وغيرهما وأذكر وأنا طالب فى التوجيهية أن ظهرت رواية العباسة لعزيز باشا وقد أنعم عليه الملك برتبة الباشوية تقديرا لشاعريته بمناسبة رواية العباسة ·

ولكن الأستاذ يحيى حقى كتب فى مجلة الثقافة مقالة غاية فى العنف يهاجم رواية العباسة ويهاجم عزيز باشا فى ضراوة أذهلتنى · وكتبت مقالة أرد عليها · والشباب اندفاع وتهور فقد كنت فيما كتبت قاسيا غاية القسوة · وأرسلت المقالة الى مجلة الثقافة ·

ولم ينقض يوما حتى فوجئت بأحد الخدم فى بيتنا يقول كلم

التليفون قلت من فقال فى بساطة أحمد أمين وذهبت وجريت الى التليفون فلم يكن العميد قد طلبنى قبل ذلك اليوم قط • وشعرت بالرهبة أن يطلبنى أنا التلميذ بالثانوى عملاق من عمالقة لغة الأدب فى العالم العربى وعميد كلية الآداب •

جريت الى التليفون وجاءنى صوته الطيب البسيط الهادىء ••• أنا أكلمك كأحمد أمين الوالد لا أحمد أمين رئيس تحــرير الثقافة • مقالتك فى الرد على يحيى حقى فى المطبعة فعلا ولكننى أرجوك أن تخففها فان الرجل فقد زوجته منذ قريب ولا أحب أن تسىء اليه وهو فى حالته هذه • ان رأيت أن تستجيب لرجائى أكون شــاكرا وان رأيت أن تبقى المقالة كما هى فهى فعلا فى المطبعة • وقلت فى اذعان سريع ودون ريث تفكير : أمرك يا سعادة البك •

وكنت أتكلم من حجرة مكتب أبى فى البيت فاســتبحت لنفسى أن أجلس على مكتب أبى فورا ولا أضيع وقتا فى الانتقال الى حجرة مكتبى ورحت أكتب المقالة فى ردى عليه ودون هجوم ، ونزلت من فورى وذهبت الى مقر مجلة الثقافة بشارع الكرداسة ودخلت الى المطبعة مباشرة دون أن أصعد الى عم عبد المتعال المشرف الادارى على المجلة •

كان العميد صادقا • ومن الحتم أن يكون صادقا • وجدت مقالتى فى المطبعة فعلا فطلبتها من الطابع وأعطيته المقالة الأخرى وأحسب أنها نشرت دون حتى أن تمر على العميد رئيس التحرير • كم كان عظيما ذلك الرجل أحمد بك أمين •

العجيب أننى لم أكن قد تعرفت بالأستاذ يحيى حقى حتى ذلك اليوم ولكننى كنت قرأت له قنديل أم هاشم وأعجبت بهــا فى ذلك الحين كل الاعجاب كما أعجب بها أبى • وأذكر أن أبى هو الذى أعطاها لى وهــو يمتدحها ولكنه أمرنى الا أقرأها الا بعد أن أنتهى من الامتحان الذى كان وشيكا ولكننى خالفت أمــره وليغفر لى الله • وأقفلت على نفسى حجــرة مكتبى فى نفس اللحظة التى تركنى فيها أبى ولم أخرج الا بعد أن انتهيت من قراءة القصة •

انما عرفت الأستاذ يحيى حقى شخصيا بعد ذلك حين أصبح أبى وزيرا للخارجية وكان الأستاذ يحيى حقى مديرا لمكتب وزير الخارجية • وقدمنى أبى اليه فنظر الى مليا وقال لأبى لقد تعرفت عليه قبل ذلك دون أن أراه من مقالته عنى فى مجلة الثقــافة ، وضحك الرجــل وضحك أبى وشعرت أنا ببعض الحرج •

... حرج المواجهة فقط . فلم يكن بالمقالة ما يحرج بعد أن أعدت كتابتها استجابة لرجاء الوالد أحمد أمين لا رئيس التحرير كما شاء هو ان يتلطف فى الرجاء .

كان هذا هو بدء الكتابة عندى ثم جاءنى رسول من الأستاذ العظيم أحمد حسن الزيات صاحب الأسلوب الذى لا مثيـــل له فى عصره وقد تبنانى الرجل وأصبحت من كتاب الرسالة ولا أحسب أننى فى حاجة أن أذكر المجـلات التى كتبت بها وحتى اذا حاولت فالذى لا شك فيه أن الذاكرة ستخوننى .

ولكن ربما يجمل بى أن أذكر كيف كتبت كتابى الأول ابن عمار . كان ذلك عقب وفاة أبى الذى انتقل الى أكــرم جوار فى ٢٢ ينـــاير عام ١٩٥٣ . ولكن يبدو أن هناك كثيرا مما يقال قبل أن أصل الى بداية تأليفى للكتب .



- ٦ -

الكتب

فقبل ذلك اتصلت أسبابى بالشاعر الكبير أبى زوجتى عزيز باشا وقد يعجب القارىء من قولى اتصلت أسبابى وكأننى لم أكن أعرفه والقارىء محق اذا عجب • لقد كانت صلتى به وثيقة منذ ولدت بطبيعة الحال • ولكن هناك فرقا أن يعرفنى كابن لأبى وبين أن يعرفنى كواحد من هواة الأدب • والأسرة الأباظية كثيرة العدد وهكذا لا يمكن أن تكون صلة البيوت بعضها ببعض على درجة واحدة • ولكن صلة بيتنا ببيت عمى عزيز باشا كانت من أوثق الصلات ، فزوجته وأمى كانتا صديقتين لصيقتين وكانت صلة عمى عزيز بأبى صلة أخ أصغر بأخ أكبر يحبه ويقدره غاية التقدير • وربما كان من الطريف أن أنقل هنا قصيدة كتبها عزيز باشا وهو بعد طالب بكلية الحقوق عام ١٩٢٤ يهنىء فيها أبى بمناسبة زواجه من والدتى وهى فى نفس الوقت ابنة عم أبى • ولم يكن يقع فى حسبان عزيز أباظة ان هذا الزواج سيثمر من سيصبح فيما بعد زوجا لصغرى ابنتيه • يقول عزيز أباظة الطالب بكلية الحقوق :

حى الغزالى وقل بلغت منزلة
منفوسة فى الشباب الموثق الحالى
موفورة الحظ من شأو يقصر عن
ادراكه غيره الا بآمال
قالوا الشبيبة طرف اللهو محتدما
فقلت بل طرف اخلاق واعمال

وقفت انضر أيام الحياة على

درك المحامد فينا والسنا العالى

فنلت فى غير عسر ما نهضت له

والمجـد صعب على طلابه غـالى

يا صاحب القلم السحرى ترسله

فيبعث الآى فى أسلوبها الحالى

وصاحب الخطب الفيحاء تنثرها

نثر اللآلىء فى قاعات لآل

ليهنك اليوم ان تبنى بطاهرة

بين الندى نشات والنبل والمال

غنى بفضل أبيها الناس قاطبة

ووفقت بعد فى عم وفى خال

زين الغوانى الأباظيات قد ظفرت

بالنافع المرتجى والباذل الغـالى

الساكب العرف والمأمول جانبه

والصائب الرأى والتدبير والقال

ان الزواج لمؤت خير عاقبة

اذا التزاوج لم يخرج عن الآل

لا تصغ للطب فى هذا وخذ ثمر

التجريب تحيا رضى النفس والبال

تحنو على وترعى غيبتى أبـدا

على الليالى بنات العم والخال

يرضين علمى وجهلى لا يضقن به

ذرعا ويحمدن اكثارى واقلالى

ويغتبطن باجمال يشدن به

وقد يكون ضئيلا شأن اجمالى

لزلتما تشهدان العيش متسقا

والدهر فى حدب منه واقبـال

وقد ظلت هذه العلاقة عائلية . وكنا نحن الأبناء نتسامع بشعر عمنا عزيز ولكن لم يكن له عمل شعرى متكامل وكان تصورنا أنه مجرد هاو يقول الشعر فى المناسبات العائلية الظريفة يحيى بها أقاربه حتى فجعه الدهر وفجعنا جميعا بوفاة السيدة زوجته التى عاشت ما عاشت من عمر شعاعا من نور وحب على كل أقربائها . ما اختلفت يوما مع أحد ولم نسمع عنها نحن الذين فى عمر أبنائها الا المديح والثناء ومثلنا نحن الأطفال يسمع ما لا يسمعه الكبار فالسيدات لا يتحرجن أن يذكرن غيرهن بصراحة أمامنا وأشهد الله ما رأيت من هذه السيدة الا سماحة فى اللقاء واشراقا فى التحية وترحيبا فى الاستقبال . وما سمعت عنها من سيدة فى الأسرة الا ما يجعلها فى مرتبة رفيعة من الانسانية ، فكأنما كانت بينهن ملاكا لا يصنع الا النور ولا يشيع الا الرضى والايناس والطمأنينة .

وتفجر ينبوع الشعر فى اهداء زوجها الشاعر الأصيل الذى كان قبل وفاتها لا يجد ما يقول فيه وشاء القدر أن يكون الألم المرير والفجيعة القاصمة وشجرته التى اجتاحها القدر هى التفجير لموهبته الشامخة فكان ديوانه الأول أنات حائرة الذى أصعده شهابا فى سماء الشعر العربى دون أى تمهيد عند من لا يعرفونه ثم كان بعد ذلك عزيز أباظة ثانى اثنين فى ميدان المسرح الشعرى وآخر العمالقة فى جيل شوقى وحافظ ومطران .

حدث أن قرأت له محاضرة يقول فيها : والنصائح هى أثقل الطيبات على النفوس . وأعجبتنى العبارة واستعملتها فى مقالة لى نشرت بجريدة الثقافة وقرأها عمى عزيز وكأنما عجب أن يقول فتى يافع فى عمر ابنته ما قاله هو وفوجئت به يطلبنى فى البيت يبدى اعجابه بالمقالة فقلت له ان أهم ما فيها العبارة التى اقتبستها منك ، وتعجب أن أكون قد حصلت على المحاضرة فقلت له انها طبعت وجاءنى منها نسخة وبدأت بينى وبين عمى عزيز علاقة أدبية هى علاقة شاب بأبيه وعلاقة معجب بعملاق . وكان عمى عزيز مديرا لأسيوط ذلك الحين فكنت أنا أقوم بالاشراف على طبع رواياته فى القاهرة كما قمت بتصحيح اللغة العربية للممثلين فى مسرحياته ، ومع الأيام كانت العلاقة تتوطد زادها قوة حب عارم نشأ فى قلبى لابنته عفاف .

نوع عجيب من الحب . فهو جارف عنيف مندفع متدفق وهو فى نفس الوقت بعيد عن اللوعة والأسى والخوف والسهر والوجد ، وأحسب أن قليلا من الناس نعموا بهذا الحب . وانى واثق أن الندرة من الناس نعموا بما نعمت به من اعقاب هذا الحب الذى أصبح زواجا وأصبح

الزوجان فيه فردا لا اثنين . كل منا يسعد للآخر أكثر آلاف المرات مما يسعد لنفسه وكانت ابنتي ونور عيني واشراقه نفسي ابنتي أمينة وكان ابني ونور أيامي وشعاع طريقي دسوقي .

وفي يوم سافر عمي عزيز الى الخارج وعهد الى أن أضبط الشكل على قواعد النحو مع المخرج العظيم فتوح نشاطي الذي كان بسبيله الى اخراج رواية غروب الأندلس . وتوثقت صلتي منذ ذلك اليوم بالأستاذ فتوح نشاطي . وكنت في ذلك الحين قد بدأت أكتب تمثيلياتي الاذاعية بناء على دعوة من الأستاذ على الراعي فقد لقيته في ترام العباسية وعرفت منه أنه سيسافر بعد بضعة شهور الى لندن ليحصل على الدكتوراه وأبدى الأستاذ الراعي الذي أصبح فيما بعد الدكتور على الراعي اعجابه بالمقالات التي يقرؤها لي في الثقافة والرسالة وخص باعجابه لغة الحوار مما حدا به أن يدعوني أن أكتب تمثيليات اذاعية وأشهد الله انني لولا هذه الدعوة من الدكتور الراعي ما فكرت مطلقا في كتابة تمثيليات للاذاعة .

وكنت حين اتصلت أسبابي بالأستاذ فتوح قد كتبت عدة تمثيليات مما جعله يعرض على أن أشترك في كتابة مسرحية عن الصداقة التاريخية بين المعتمد بن عباد الأندلسي ووزيره ابن عمار وطلب الى أن أقرأ تاريخ الأندلس للعلامة دوزى وكان الأستاذ كامل كيلاني قد ترجمه الى العربية .

وقرأت الكتاب وكتبنا المسرحية معا . ولكنني أنا وضعت عيني على شخصية ابن عمار كنموذج درامي قل أن يتكرر .

أما مصير المسرحية فقضى عليه الأستاذ يوسف وهبي برفضه لها رفضا قاطعا وأنا الآن وقد بعد العهد بيني وبينها لا أدرى هل رفضها لأنها تستحق الرفض أم لأسباب أخرى .

ولم تمض الا شهور قليلة حتى فجعني الدهر بموت أبي وكانت ضربة قاصمة بالنسبة لي فلم يكن مجرد أب أو مثل أعلى أو شخصية أسطورية أو حياة كاملة بالنسبة لي وانما كان هذا جميعا وأكثر .

وفي نفس الفترة فجعت بوفاة طفلي الأول وهو جنين . واصبحت حياتي ظلاما قاتما .

وكنت في ذلك الحين أعمل بالمحاماة ولكنه كان عملا غير منتظم . فالمحاماة في ظل الحكم القاهر الشمولي لا حياة لها .

وكنت أحب أن أبدأ حياتي بوظيفة وقد حصلت على شهادة الحقوق وأنا زوج وطلبت الى أبى أن يوصى بى صديقه اللصيق د. حافظ عفيفى باشا الذى كان رئيس مجلس ادارة بنك مصر فقال فى حسم :

– أتنتظر منى أن أرفع سماعة التليفون وأطلب من أى شخص أن يعين لى ابنى ؟!

وصمت .. وأدركت ... كيف لرجل عاش عمره مقصد الرجاء للناس أن يرجو هو الناس من أجل ابنه الذى هو ابنه . وهكذا لم أشغل وظيفة جديرة بهذا الاسم الا بعد ذلك بربع قرن حين اختارنى الزعيم الخالد أنور السادات رئيسا لمجلس ادارة مجلة الاذاعة والتليفزيون .

وهكذا كانت سنة ١٩٥٣ سنة من أعظم السنوات بلاء بالنسبة لى وأى بلاء يمكن أن يحيط بانسان أكثر من أن يفقد أعظم انسان فى حياته وأحب انسان اليه .

وهو من قبل ومن بعد أبوه . ويفقد فى نفس الفترة أول طفل قبل موعد ولادته بأيام ولا يجد ما ينسيه بلواه وقد تعددت أشكال بلواه . فهو فى نفس الوقت ليس له عمل ثابت يستطيع وهو يؤديه أن ينسى شيئا مما يتكدس فى حناياه من أحزان .

فى هذه الأيام بدأت كتابة رواية ابن عمار . وكان كل أملى وأنا أكتبها أن أجد لها ناشرا . وحين انتهيت منها توجهت الى الأستاذ عادل الغضبان المشرف على النشر فى دار المعارف وكنت أعرفه من قبل ، وكان يقرأ ما أكتبه فى الجرائد . فقد كنت فى ذلك الحين أكتب فى جريدة المصرى بصورة منتظمة فقد كان لى عمود أسبوعى فى الصفحة الأخيرة بعنوان أضواء . وكان صديقى عبد الرحمن فهمى رئيس القسم الرياضى بجريدة الجمهورية الآن زميلا لى فى كلية الحقوق وكان آل أبى لفتح أخواله وهكذا أصبح لى عمود ثابت فى جريدة المصرى وكنت أكتب بشكل غير منتظم فى كثير من المجلات فى ذلك الحين ، وهكذا وجد الأستاذ الشاعر عادل الغضبان أن اسمى لن يكون غريبا على القارىء اذا هو نشر الكتاب ، ففعل .

كنت قد تعرفت بأستاذنا العظيم توفيق الحكيم فى عام ٥٠ وسأروى لك كيف تم ذلك . حين ظهر كتابى ابن عمار أهديته اليه فأعجب به كل الاعجاب وقال انه يصلح سينما وقال انه كان يفرك الصفحة الأخيرة بأمل

أن يجد صفحة أخرى · وملأنى الزهو بهذا الرأى · وطبعا أهديت نسخا من الكتاب للأصدقاء فى جميع الجرائد والمجلات وقد كانوا كثيرين وعجبت أن أحـدا منهم لم يذكر شيئا عن الكتاب على الاطلاق وكنت أجالس مع أستاذنا الحكيم فى جروبى سليمان باشا وشكوت له اهمال النقاد هـذا فقال ان الشهرة تأتى اليك اذا ذهبت الى بار فى أحد الكباريهات واتفقت مع راقصة اما أن تصفعك قلما أو تصفعها قلما تصبح مشهورا فى لحظة · أما طريق الكتب هذا فطريق وعر وغير مضمون على الاطلاق · فضحكت فأنا لم أجلس فى حياتى الى بار ولا ذهبت عمرى الى كباريه · كما أننى لست أسعى الى الشهرة ولا تعنينى وانما كنت أريد أن أكتب وأحس أن هناك من يقرأ لى ، وأقبل الصيف وكنت أجالس أستاذنا الحكيم فى مقهى بترو وحدث أن ذهبت الى المقهى مبكرا بعض الشىء فوجدت توفيق بك وحده · وما ان قعدت حتى التفت الى وقال :

ـ مبروك يا سيدى ·

وأحسست رنة عجيبة فى صوته ·

فقلت :

ـ عـــلام ؟

فقال :

ـ قرروا كتابك على طلبة الاعدادية هذا العام ·

وكدت أطير من الفرح وسألته وأنا أحاول أن أخفى فرحى

ـ أين قرأت هذا ؟

فأعطانى جريدة الأخبار فوجدت الخبر مكتوبا فى ركن أخى الأستاذ أنيس منصور وتفضل الذى كتب الخبر فوضع بعده علامة تعجب·وكأنما لم يكف الصحافة اهمالها بشأن الكتاب وانما راحت أيضا تتعجب أن وزارة المعارف قررته على طلبتها فى الاعدادية · وكم كان الأستاذ توفيق الحكيم خفيف الظل وظريفا وهو يقول فى عفوية :

ـ شوف ولاد الكلب يأخذون كتابك ويسيبو كتابى ·

وبتقرير كتابى ابن عمار تشجع الناشر أن ينشر لى روايتى هارب من الأيام وقد نلت عليها جائزة الدولة التشجيعية فى أول انشائها وكان لهذه الرواية قصة مع عميد الأجيال الدكتور طه حسين وانى راويها لك ان شاء الله فى مكانها الذى ستفرضه هى على ·

★★★

(٧)

شخصيات

عبد الفتاح الشناوى

هناك شخصيات كثيرة فى حياتى اخترت بعضها لأننى لا أتصور أن أكتب هذه الذكريات ولا تكون هذه الشخصيات جزءا منها · ولو كنت أكتب رواية ما تولتنى الحيرة التى تتولانى الآن فالشخصية فى الرواية أنا أصفها للموقف الذى أصنعه أنا أيضا ولكن حياتى وذكرياتى ومن عرفتهم لا حرية لى فى شأنهم الا حرية الاختيار · ولو أطلقت لنفسى العنان وذكرت أقاربى جميعا وأصدقائى جميعا لما أمهلتنى الحياة حتى أنتهى من كتابى هـذا · وأحسب أن الحسـم القـاطع هو خـير وسيلة لى فى اختيـار الشخصيات ·

منها ذلك الرجل العظيم الذى تربطنى به حتى اليوم صداقة لا عهد للناس بها الا فى القليل النادر من الصداقات ·

انه عبد الفتاح الشناوى ·· عرفه أبى أول يوم عرفه وهو طالب ثائر بكليته العتيدة دار العلوم ، وكان أبى عرف أن الشرطة تحاصر الطلبة فى الكلية فذهب الى هناك ورأى طالبا خالعا لحلته مكتفيا بملابسه الداخلية ممسكا بخرطوم ماء يصد به تشكيلات الشرطة كلما اقتربت من الكلية · وسأل عنه فعرفه وكان طالبا بالسنة النهائية فى دار العلوم · وقبض على الشاب فى هذه المظاهرة ثم سرعان ما أفرج عنه وعرفته أنا منذ لا أذكر متى فقد كان كثير الزيارة لأبى ونحن ما نزال نسكن بيتنا فى شارع الملك الناصر · وأصبح بعد ذلك سكرتيرا لأبى فى وزارة المواصلات والأوقاف ثم مديرا لمكتبه وعلى اختلاف السن بيننا قامت بيننا صداقة لم تزل حتى اليوم أقوى ما تكون الصداقة وأحسب أنه مر عليها من الزمن قرابة خمسين عاما · لم أعرف فى حياتى نقاء فى السريرة ، وصدقا فى الوفاء ، وتمسكا

بالعهد ، وحفاظا على الكرامة ، وفناء من أجل الفكرة أو الصديق مثلما عرفت فى هذا الرجل مع ايمان بالله عميق وعلم بالشريعة دقيق ومع تذوق رفيع للأدب وقلم متدفق صادق مع صاحبه غاية الصدق حتى لتكاد ترى قلب الرجل يدق فى كلماته ٠

أروى عنه رواية واحدة ٠ وهى حسبى ٠ كانت الثورة فى عنفوان سلطانها وجبروتها وكان هو مديرا لمكتب وزير أوقاف من وزراء الثورة ٠ وجاءه خطاب ممهور بتوقيع مدير مكتب رئيس الوزراء موجها الى الوزير شخصيا ٠ فأمسك سماعة التليفون وطلب مدير مكتب رئيس الوزراء :

ـ سيادتك مدير مكتب رئيس الوزراء ؟

ـ أيـوه ٠٠ أنا ٠٠ مين ؟

ـ أنا مدير مكتب وزير الأوقاف ٠٠ سيادتك بعت خطابا موقعـا باسمك الى الوزير ؟

ـ أيـوه فيها ايه دى ؟

ـ هذا لا يجوز ٠

ـ ايه هو اللى لا يجوز ؟

ـ انت اذا أردت أن تخاطب الوزير فيجب أن يوقع الخطاب رئيس الوزراء لأنه وزير مثله أما أنت فتخاطبنى أنا ٠

ـ انت عارف بتكلم مين ؟

ـ أيوه ٠٠ مدير مكتب رئيس الوزراء ٠

ـ أنا فلان عضو مجلس قيادة الثورة ٠

وكان اسم فلان هـذا يهز الجبـال الراسية فى ذلك الحين ولكن الشناوى مضى فى حديثه وكأنه لم يسمع شيئا :

ـ ولكنى أكلمك كمدير مكتب رئيس الوزراء ٠

ـ أما أنت حمار صحيح ٠

ـ انت ستين حمار ٠

ـ يلعن أبوك ابن كلب ٠

ـ يلعن أبوك ابن ستين كلب ٠

وانتهى الحديث وبعد دقائق نادى الوزير مدير مكتبه :

ـ ايه اللى انت عملته ؟

ـ حافظت على كرامتك ٠

– ملكش دعوة بى ٠

– وهو كذلك ٠

وذهب الشناوى الى بيته وأعد حقيبة السجن ولكن الليل مضى ولم يأت أحـد وفى الصباح ذهب الى مكتبه ٠ ورن جـرس التليفون ورفع السماعة ٠

– من ؟

– أقولك من ولا تشتم ٠

– أنا لست قليل الأدب ٠

– يا سيدى أنا اللى قليل الأدب حقك على أنا فلان ٠

انه عضو مجلس قيادة الثورة عاد الى وعيه واعتذر ٠

وقال الشناوى :

– يا أفندم العفو ٠

– هل يكفيك هذا الاعتذار أم أجىء اليك خصيصا وأعتذر ؟

– لا يا سيدى هذا فوق الكفاية ٠

وبعد سنوات من هذه الواقعة التقى عضو مجلس قيادة الثورة بضابط يحمل اسم الشناوى فسأله :

– هــل أنت قريب الشــناوى الذى كان يعمل مديرا لمكتب وزير الأوقاف ؟

– هو عمى ٠

فقال عضو مجسلى قيادة الثورة :

– لو أن الثورة وجدت فى مصر عشرة رجال مثل عمك ما وصلت فى طغيانها الى ما وصلت اليه ٠

أطال الله عمر عبد الفتاح الشناوى ، فما أحسب أنك تريد منى أكثر مما رويت لتعرف من هو ٠

★★★

نجيب محفوظ

حين كنت فى مدرسة المنيرة الابتدائية كان يدرس لى الحساب مدرس أحببته كل الحب هو الأستاذ فؤاد نويرة أخو الموسيقار الكبير المرحـوم عبد الحليم نويرة وكان أخوهما الأكبر الأستاذ مختار نويرة صـديقا لأستاذنا نجيب محفوظ وكان لهم ابن أخت يقيم معهم يعتبر اليوم كبير مصورى التليفزيون هو الأستاذ صادق نويرة ٠

حين انتقلنا الى بيتنا فى العباسية فوجئت بأن أستاذى السـابق فؤاد نويرة يسكن مع اخوته فى نفس شارع الجنزورى الذى نسكن فيه ، كان مسكنه فى أول الشارع رقم ٢ وكان مسكننا فى آخر الشارع رقم ١٠ ٠

وسألنى يوما : لمن تقرأ ؟ فقلت لطه حسين وتوفيق الحكيم والعقاد وهيكل والمازنى ٠

فقال : بل يجب عليك أن تقرأ للشباب الجديد ٠

قلت : مثل من ؟

قال :

ـ مثل نجيب محفوظ ٠

ـ ماذا يكتب ؟

قال : روايات وقصصا وسأحضرها لك غدا ٠

وقرأت روايات نجيب المصرية وقرأت همس الجنون وكنت قد بدأت أكتب فى الثقافة مقالاتى الأولى واتفقت مع الأستاذ فؤاد نويرة أن يعرفنى بالأستاذ نجيب محفوظ والتقيت به فى كازينو أوبرا فى أواخر عام ٤٣ أو أوائل ٤٤ لا أذكر ولكنى أذكر أننى منذ رأيته شعرت أننى أعرفه عمرى كله ٠ وبدأت صداقة ما زالت مزدهرة حتى اليوم فى جمال الجدة وعبق العمر ٠ نلتقى فالحديث موصول جديد وتلتقى منا المشاعر متفقة دائمـا

ما أندر ما اختلف بيننا رأى وعند هذا الاختلاف أحترم رأيه وأقدره كل التقدير وأشعر انه يبادلنى نفس الشعور . انها مرات نادرة أكاد لا أذكر انها كانت وربما كنت أروى عنها الآن خشية أن تكون حدثت وأنا نسيتها. لأنى فعلا لا أذكر أن خلافا فى الرأى وقع بيننا قط . أما الخلاف بين الأصدقاء فالمؤكد أنه لم يحدث مطلقا وطبيعى ألا يحدث فأنا أنظر اليه كأستاذ لى وأخ وهو ينظر الى كأخ أصغر ومن الطبيعى ألا يقع بيننا خلاف قط .

وان اعجابى بنجيب ليس مقصورا على فنه وانما هو يتسع ويتسع فيشمل كل مناحى شخصيته لا أستثنى منها شيئا الا تصديقه لكل ما تقوله الجرائد شأن جيله النظيف الذى نشأ فى جو سياسى نقى .

أعجبت بنجيب الروائى منذ قرأت له وأخذ اعجابى يزداد به كلما اتسعت مداركى فى فن الرواية والقصة . وكنت قد بدأت فى مقالاتى بالرسالة أنقد الكتب . وما زال عندى روايات لنجيب كتب لى اهداءها بقوله الى الناقد فلان . وأذكر فى صيف ١٩٤٦ وكنت نلت شهادة

وربما لا يعرف الكثيرون أن نجيب محفوظ كان فى مكتب وزير القاهرة الجديدة .

وكنت قبل مجيئها قد بدأت رواية لكاتب آخر فعزمت أن أكمل الرواية التى بدأتها ثم أفرغ لرواية نجيب .

فرغت من الرواية الأخرى فى الساعة الثانية صباحا ولم تعجبنى الرواية . فقلت أقرأ بضع صفحات قليلة لنجيب لأصلح نفسى مما ألم بها من الرواية السيئة التى قرأتها .

بدأت قراءة القاهرة الجديدة وقد تجاوزت الساعة الثانية من الصباح واقترب الفجر فاذا بالعمل الرائع يمسك بتلابيبى لا يتركنى حتى أتناول سحورى ، ظللت بها حتى انتهيت منها ولم أكتف بذلك بل عمدت الى قلمى ورحت أكتب رأيى فيها وأذكر أننى قلت فى هذه المقالة ان نجيب محفوظ يقتعد القمة من الرواية العربية دون منازع . وأرسلت المقالة الى مجلة الرسالة ثم نمت .

وربما لا يعرف الكثيرون ان نجيب محفوظ كان فى مكتب وزير الأوقاف فقد كان الشيخ مصطفى عبد الرازق باشا فى مكان الأب الروحى له . وقد عين نجيب فى ادارة الجامعة عند تخرجه ثم ضمه فضيلة الشيخ مصطفى الى مكتبه فى وزارة الأوقاف حين عين وزيرا لها .

فحين أصبح أبى وزيرا للأوقاف فى وزارة اسماعيل صدقى باشا عـام ١٩٤٦ كان نجيب سكرتير وزير الأوقاف لشئون مجلس الأوقاف الأعلى ٠ وكنت أنا قد أصبحت فى الجامعة فهكذا كنت أستطيع آن أذهب الى الوزارة أغلب أيام الأسبوع وازدادت صلتى توطدا بنجيب ٠ وكان أبى يقرأ روايات نجيب وكان معجبا بها كل الاعجاب وكنت أبلغ نجيب اعجاب أبى هذا ٠ ومرت سنوات وكنت أتمشى مع نجيب محفوظ وأذكر أن ذلك كان فى عام ٥٤ وكنت أحثه على الزواج ولم أكن أادرى أنه متزوج فعلا ٠

قطع نجيب حديثى قائلا :

ـ لقد رفعت دعوى على وزارة الأوقاف ٠

قلت له :

ـ لمـــاذا ؟

قال :

ـ ان لى درجة متأخرة منذ عشر سنوات ٠

وصمت قليلا وأنا أفكر ثم قلت له :

ـ لقد كنت مستحقا لهذه الدرجة وأبى وزير ؟

قال :

ـ نعـــم ٠

قلت :

ـ مع كل هذه الصلة التى بينى وبينك وزرتنى فى البيت وطالما أخبرتك أن أبى معجب بك ولا تخبرنى أنك مستحق لدرجة يستطيع أبى أن يمنحها لك بجرة قلم ٠

قال فى عدم مبالاة وفى ابتسامة :

ـ وهل كنت أعرفك من أجل أن تسعى لى فى درجة ٠٠ أترضى لى هذا ؟

هذا هو نجيب محفوظ ٠٠ انسانا لا نعرف له شبيها بين الناس ٠

فى عام ١٩٦٧ وبعد الكارثة الحربية رأيت أنه من العار على الكتاب أن يصمتوا جميعا ووطنهم يدمر هذا التدمير فبدأت أتصل بالمثقفين وأعرض عليهم أن نكتب بيانا ونقدمه الى رئيس الجمهورية نطالب بالحرية وبعودة الديمقراطية حتى تستطيع مصر مجتمعة بآراء المثقفين والشعب مواجهة هذه المصائب التى حاقت بالبلاد ٠

ووجدت عندهم جميعا حماسا منقطع النظير وكتبت البيان واشتركوا جميعا معى فى كتابته . وبدأت مرحلة التوقيع .

فكان عجبا .. لقد وقعت أنا ووقع نجيب .. وفقط .

لقد وجد كل من اشترك معى فى كتابة البيان عذرا ولم يوقع واحد منهم على البيان الذى اشتركنا فى كتابته . وأصبح ارسال البيان عبثا . فأنا ونجيب نستطيع أن نمثل أنفسنا ولكننا بحال من الأحوال لا نستطيع أن نمثل جميع المثقفين ، وهذا هو نجيب محفوظ .

عين نجيب محفوظ رئيسا لمجلس ادارة مؤسسة السينما وكانت له سيارة مخصصة من المؤسسة وكانت ماركة مرسيدس ولم يكن عند نجيب سيارة خاصة . فاذا هو فى بساطة وفى تواضع يأبى أن يركب سيارة المؤسسة ويتركها لمن يليه فى الوظيفة وقد كان شيوعيا معروفا بشيوعيته وشيوعيته لم تمنعه من ركوب السيارة ولا يفوتنى أن هذا الرجل من خيرة الناس الذين عرفتهم رغم شيوعيته .

ولكن هذا هو نجيب محفوظ .

بيـــان البيـــان :

وقد مرت بى وبالأستاذ نجيب وبعميدنا الأستاذ الكبير توفيق الحكيم تجربة فريدة فى يناير عام ١٩٧٣ ، وقد رأيت أن أثبتها هنا ما دمت قد تعرضت لنجيب فمن الطبيعى أن نذكر أحداث هذا البيان الذى عرف وقتها باسم بيان توفيق الحكيم ونجيب محفوظ وثروت أباظة . وقد كتبت ظروف هذا البيان للذكرى وانى أنقلها مما كتبت فى ذلك الحين ، كنت أكلم توفيق بك فى التليفون فطلب الى أن أذهب اليه فى الغد لأنه كتب شيئا ويريد أن يطلعنى عليه . فلما كان الغد ذهبت اليه فى مكتبه بالأهرام ولم أكن عينت به بعد فوجدت عنده ابراهيم منصور ووظيفته الرسمية شيوعى وكان الأستاذ نجيب محفوظ فى مكتبه الخاص بالأهرام مشغولا بحديث اذاعى . وحين جلست الى توفيق بك قرأ على بيانا أعده يعبر عن أفكار طالما تحدثنا فيها سواء فى سميراميس أو فى بترو بالاسكندرية أو فى غرفته فى جريدة الأهرام ووجدت البيان معبرا تماما عن رأينا ولم أعدل فيه شيئا الا أننى طلبت حذف بعض الجمل فى صدر البيان تتحدث عن أمجاد رئيس الجمهورية وعظمة تاريخه الوطنى وأذكر أننى قلت لا داعى لذكر هذا التاريخ وقبل توفيق بك حذف هذه الجمل وخرج البيان فى صورته التى ظهر بها .

أرسل توفيق بك البيان ليكتب على الماكينة وفي أثناء انتظاره سألت من الذي سيوقع على البيان فأخرج لي ابراهيم منصور قائمة بالذين يتوقع أن يوقعوا على البيان وحين قرأتها وجدتها جميعا من الشيوعيين فقلت له ان البيان بهذا الشكل سيكون معبرا عن رأي الشيوعيين وحدهم ولا يكون معبرا عن رأى الأدباء والكتاب الذين جاء في صدر البيان أنه يعبر عن رأيهم • وسألني ابراهيم منصور : ومن ترشح للتوقيع غير هؤلاء ؟ قلت أرشح كثيرين وأمسكت بورقة وكتبت فيهـا أسماء تزيد في عددها على الأسماء التي كتبها وجميعهم من غير الشيوعيين • وأذكر أنه في أثنـاء النقاش سألني عن بعض أسماء من التي كتبها ان كنت أعتقد أنها شيوعية فقلت نعم انهم شيوعيون فقال وماذا نفعل ان كان الكتاب شيوعيين فقلت له هذا غير صحيح فأغلب الذين ذكرتهم ليسوا كتابا بالمعنى المفهوم وانما هم نقـاد أما الكتاب فقلة بين الشيوعيين والأغلبية الكاثرة من الكتاب الخلاقين لا يدينون بالشيوعية وحينئذ سألني عمن أرشح فكتبت الأسماء فقال هل تعتقد أن هؤلاء سيوقعون البيان قلت أنا لا أدري ما يمنعهم من توقيعه •

وجاء البيان وكان الأستاذ نجيب محفوظ قد فرغ من حديثه الاذاعي فانضم الينـا في غرفة الأستاذ توفيق الحكيم • وراجع الأستاذ توفيق البيان فوجد فيه بعض أخطاء مطبعية رأى أن يصلحها وكنت على موعد أزف فسألته هل سيغير شيئا في الصفحة الأخيرة فقال لا فقلت اذن أوقع أنا وأذهب الى موعدي • ووقعت البيان مراعيا أن أترك مكانا لمن هم أكبر مني سنا ليوقعوا قبلي وتركتهم وذهبت الى موعدي •

حاولت في يوم الاثنين ٨ يناير أن أتصل بالأستاذ يوسف السباعي لأخبره عما فعلنا فلم أجده •

شغلت في يوم الثلاثاء ببعض شأني وذهبت يوم الأربعاء ١٠ يناير الى مكتب توفيق بك بالأهرام • فوجدت نجيب بك محفوظ وعبد الحكيم قاسم ودار بيننا حديث لا أذكر تفاصيله الا أنني أذكر منه أنني قلت اننا يجب أن نرسل البيان الى جهات رسمية حتى لا يتخذ شكل المنشور وسأل عبد الحكيم قاسم وماذا يضر لو أصبح منشورا فقلت هذا عمل لا يليق بنا ونحن نعمل عملنا في وضح النهار ولا نعمل شيئا من شأنه أن يخفى • وأذكر أيضا أنني قلت اننا يجب أن نختار الأسماء التي توقع على البيان فالاسم الذي يحمل تاريخا غير الأسماء الصغيرة ولكن يبدو أن هذا الرأي كان متأخرا لأن ابراهيم منصـــور كان قد جمع فعلا أغلب التوقيعات التي رشحها في بادىء الأمر •

وقال توفيق بك : لقد رشحت أسماء للتوقيع فقلت اننى قادم خصيصا لأخذ النسخة التى سيوقعون عليها • وقلت ان الأستاذ عبد الحميد جودة منتظرنى فى مكتبه ليوقع على البيان وسأذهب بعده الى الأستاذ يوسف السباعى • فقال توفيق بك : عظيم • وأعطانى نسخة من البيان • فطلبت منه أن يوقع عليها فقال لقد وقعت فقلت ولكنك لم توقع هذه النسخة ولابد أن توقعها أنت وتجيب بك ووقع توفيق بك ونجيب بك ووقعت وطلبت من عبد الحكيم قاسم أن يوقع فتحرج قائلا : انه قادم ليوقع ولكنه كان يفكر أن يوقع على الصورة التى مع ابراهيم منصور ، فقلت له انه لا فارق بين الصورتين ووقع عبد الحكيم قاسم وهممت أن أدع الغرفة ولكن توفيق بك استوقفنى ليحملنى رسالة الى الأستاذ يوسف السباعى فى مكتبه وأخبره توفيق بك أنه وقع بيانا هو ونجيب بك وثروت فقال يوسف بك وأنا أوقعه وأعطانى السماعة فقال يوسف بك ما دمت وقعت البيان فانى أوقعه فقلت أنا قادم اليك فقال أنا منتظرك وليس معى سيارة وسأنزل معك لتوصلنى الى نادى القصة فقلت أنا فى الطريق • ونزلت وذهبت فورا الى دار الهلال فوجدت يوسف بك ومعه السيدة سكينة السادات • وقال يوسف بك انه علم أن الأستاذ توفيق الحكيم كتب بيانا فى غاية العنف فقلت أنا لا أرى هذا الرأى وقدمت اليه البيان وقرأه فرأى أنه فعلا عنيف وقدم البيان الى السيدة سكينة السادات وقرأته فاذا بها تثور وتقول: أين كنتم قبل اليوم وأنا سأخبر نجيب محفوظ أنه ما كان يجوز له أن يوقع مثل هذا البيان وأى جديد فى أن البلد تغلى الكل يعرف أن البلد تغلى وهذا كلام لا يصح أن يكتب ، وقال لها الأستاذ يوسف السباعى اتركى لى هذا الموضوع فليس من المفروض أن تكونى قد قرأت البيان فقالت وهى ثائرة أنا لا شأن لى وسأتركم وخرجت دون أن تهدأ ثورتها وقال يوسف بك كيف توقع بيانا كهذا قلت أنا لا أرى فيه شيئا وسألنى أين توفيق بك فقلت له فى مكتبه وكلمه يوسف بك وقال ان الرئيس لو قرأ البيان لصعق وعلى كل حال ما حاجتك أن تكتب هذا البيان تستطيع أن تقابل الرئيس وتقول له ما تشاء ووافق توفيق بك واتفقنا على أن يذهب توفيق بك ونجيب محفوظ فى صحبة يوسف بك الى الرئيس لمقابلته وابلاغه فحوى البيان وطويت أنا البيان ونزلت دون أن ينزل معى يوسف بك فقد عدل عن الذهاب الى نادى القصة •

وذهبت الى منزلى معتقدا أن لا داعى أن أجمع توقيعات لبيان لن يرسل الى أية جهة •

فى صباح الخميس ذهبت الى بعض شأنى ثم ذهبت الى مكتب الأستاذ السحار وتذكرت ، أننى كنت طلبت الى الأستاذ يوسف السباعى أن يعين

شخصا ما من البلد فأحببت أن أسأل سكرتيره حسين رزق عما تم بشأن هذا التعيين فطلبته وأجابني عما سألته عنه ثم أخبرني أن مكتب الدكتور عبد القادر حاتم سأل عن تليفوني وأن الدكتور يريدني • طلبت بيتي فأخبرتني زوجتي أن مكتب نائب رئيس الوزراء اتصل بها وأخبرها أن الدكتور يريد أن يقابلني الواحدة والنصف وكانت الساعة حينئذ تقترب من هذا الميعاد فنزلت الى مكتب الدكتور حاتم فأدخلت فورا الى المكتب ووجدت الأستاذين توفيق الحكيم ونجيب محفوظ واستقبلني الدكتور حاتم ببشاشة وقال أين أنت لا نراك الا في التليفزيون وقد أخذت نصف الشاشة ولكنك جميل والناس تحب أن تراك فقلت اذن أعطوني عمولة على مايشترى من أجهزة التليفزيون وضحكنا ثم بدأ الدكتور حاتم يتكلم في الموضوع الذي استدعانا من أجله فقال سمعت أنكم كتبتم بيانا وقعه توفيق بك ونجيب بك وثروت بك وأمل دنقل وفهمنا أنه لم يكن يريد أن يوقع معنا الشباب الصغير والشيوعيون فقلت أننا وقعنا البيان حقا ولكننا لا نعرف شيئا بشأن من وقع عليه بعدنا فقال ان كثيرا من هؤلاء الذين وقعوا يتقاضون مرتبات من سفارات أجنبية ، ثم قال انه حين عرف أسماء من وقعوا البيان قال أن هناك ثلاثة لا شك في اخلاصهم ونقاء ضمائرهم وهم نحن الثلاثة • ثم بدأ يشرح الموقف فقال اننا أخطأنا اننا لم نعلن الهزيمة يوم ٥ يونيو ونوقع الصلح وهذا الخطأ هو الذي نعانيه حتى اليوم ونحن اليوم نعبىء قوتنا ولكن الرئيس يرى أن كل تأخر انما هو في مصلحتنا • وقال ضمن ما قال انه حين كان في لندن استطاع أن يحصل على وعد باعطاء أسلحة من انجلترا وأنهم يحصلون على أسلحة فرنسية عن طريق ليبيا وأندونيسيا تقدم ما تستطيع من الأسلحة •

وحين انتهى من حديثه بدأ توفيق بك الكلام فقال ان الخطأ الذي وقع لم يقع يوم ٥ يونيو وانما وقع يوم ١٤ مايو في ثورة التصحيح ، فقد كان يجب على الرئيس أن يعلن في ثورة التصحيح أن كل الذي قيل قبل اليوم كان نوعا من الدجل ثم يعلن حقيقة الموقف • ثم استطرد توفيق بك أنه لم يحدث في التاريخ أن تهزم دولة وتعلن في نفس اليوم أنها ستحارب كما لم يحدث أن حاربت دولة مهزومة بعد خمس سنوات أو ست من هزيمتها ثم ضرب مثلا بألمانيا في الحرب العالمية الأولى فقال انها لم تهزم على أرضها وانما كانت جيوشها منتصرة في فرنسا ولكنها حين علمت أن أمريكا ستدخل بجيوشها الجديدة أعلنت الهزيمة لأن قوادها كانوا يحسنون التفكير ويقدرون الأمور تقديرا سليما بعقليات متفتحة تنظر الى الحقيقة وتتصرف على أساسها ، وقد أدرك هؤلاء القواد أنه لا قبل لجيشهم المتعب بقوات أمريكا التي كانت في كامل قواتها وهكذا أعلنت ألمانيا هزيمتها

ولأول مرة فى التـــاريخ كانت الدولة المنهزمة تملى شروطها على الدولة المنتصرة • وحين فكرت ألمانيا فى خوض حرب أخرى لم يعن هتلر ذلك وانما راح يعد جيوشه فى صمت وفى نفس الوقت يبعد الأنظار عن الجيش بالمنشآت الكبرى فى ألمانيا ويهتم حتى بالأولمبياد الرياضية ويصرف الأنظار عن أى تفكير حربى من جانبه ، ورد الدكتور حاتم بأن الأستاذ توفيق الحكيم على حق وقال ضمن ما قال أنتم عقلاء البلد ، فقلت مادمت ترى ذلك فلماذا لا تستشيرون عقلاء البلد ؟! وقال الأستاذ نجيب محفوظ اذا دخلنا فى حرب مع اسرائيل فان الاحتمال المتوقع أن تكون الحرب سجالا فمن المستبعد أن نهزمها هزيمة ماحقة من الجولة الأولى وحين نتفاءل نستبعد أن تهزمنا مرة أخرى هزيمة ماحقة من الجولة الأولى فخير الاحتمالات أن تكون الحرب سجالا ، وقال الدكتور حاتم : نعم • وقال الأستاذ نجيب : فى هذه الحرب من المتوقع أن تصاب المنشآت عندنا والمرافق • وقال الدكتور : نعم • فقال الأستاذ نجيب : ولن يسمح لنا بعد ذلك بهزيمة اسرائيل هزيمة نهائية بل ستتدخل الدول وحينئذ سنضطر أن نقبل ما يعرض علينا الآن •• فلماذا لا نقبله دون أن نخرب بلدنا ؟ فقال الدكتور حاتم : وماذا نقول للشعب وماذا نقول للشعوب العربية وماذا نقول للحكومات العربية وللفدائيين ولأهل فلسطين ؟

وحينئذ قلت : لقد قال لنا الرئيس فى الاتحاد الاشتراكى فى اجتماع كان الكتاب قد اشتركوا فيه ان أمريكا تعطى الأسلحة باغداق لاسرائيل وكرر ما كان قد قاله أحد المسئولين الأمريكيين من أن أمريكا ستعطى السلاح لاسرائيل رغم علمها بأنها متفوقة فى السلاح • وقال الدكتور حاتم : نعم فقلت : وتقول سيادتك اننا نأخذ الأسلحة من روسيا وانجلترا وفرنسا ؟ فقال : نعم قلت : ألا ترى أن أمريكا تفوق هـذه الدول مجتمعة فقال : وماذا تفعل أمريكا لقد جاء الينا مندوبها وحين عرضنا عليه ما نقبله قال انه لا يريد منا خيرا من ذلك ، فقلت : نعم ولكنكم وقعتم المعاهدة المصرية السوفيتية بعد هذه الزيارة بيومين • وسكت الدكتور حاتم •

ثم تكلم عن الطلبة واستحالة اجابة مطالبهم فقال الأستاذ نجيب محفوظ : ولماذا لا تجتمعون بهم وتبينون لهم وجهة نظركم ؟ ثم تطـرق الحديث بعد ذلك الى البلاد العربية فذكر أن موقعة الطيران الأخيرة التى دارت فى سوريا سقط فيها ست طيارات لسوريا واثنتان لاسرائيل فى حين كانت البيانات تقول شيئا يختلف عن هذا كل الاختلاف وفى نهاية الاجتماع سألنى الدكتور حاتم ماذا كنتم تنوون أن تفعلوا بالبيان فقلت : كنا ننوى أن نرسله اليك والى رئيس الجمهورية • وانتهى اللقاء عند ذلك•

وفى نفس اليــوم مساء ذهبت أنا والأستاذ نجيب الى الحرافيش بمنزل الأستاذ محمد عفيفى وجاء الينا هناك الأستاذ طلال سليمان مندوب الأنوار اللبنانية وقد تعود أن يسهر مع الحرافيش كلما جاء الى القاهرة ٠

وقد أخبرنا الأستاذ طلال أن صديقا له قدم من بيروت وأخبره أن البيان نشر هناك ٠ ودهشت أنا والأستاذ نجيب محفوظ ولم نعلق ٠

فى صباح الجمعة ذهبت أنا والأستاذ الشرقاوى الى الأستاذ يوسف فى منزله وذكرت له ما دار بيننا وبين الوزير ٠ وفى مساء الجمعة التقينا أنا والأستاذ نجيب فى مقهى ريش وسأل الشبان عما دار فى لقاء الوزير فتركت الحديث كله للأستاذ نجيب وكان حريصا كل الحرص فلم يذكر أية تفاصيل وانما اكتفى بأن قال لنا اننا قلنا للوزير رأينا بكل صراحة ٠

فى مساء السبت أخبرنى الأستاذ يوسف السباعى أنه سيكتب بيانا آخر ويريدنى أنا والأستاذين توفيق الحكيم ونجيب محفوظ أن نوقع عليه فقلت له : اسألهما ٠ وكنت على موعد فى دار الأدباء لحضور اجتماع مجلس ادارة جمعية مؤلفى الدراما ٠ واتصلت من هناك بالأستاذ توفيق الحكيم وذكرت له ما يريده الأستاذ يوسف السباعى فقال : انه يرفض التوقيع على أى بيان حتى لو كان أعنف من بيانه هو ، لأنه قال كلمة ولا ينوى أن يتراجع عنها أو يزيد عليها ٠ وكلمت الأستاذ نجيب محفوظ فى مقهى ريش ، لأن السبت كان بداية اجازة العيد وأحببت أن أسأله رأيه قبل أن ألتقى بالأستاذ يوسف السباعى ٠ وكنت أعلم أن الأستاذ نجيب سيسافر فجر الأحد الى الاسكندرية لقضــاء الاجازة وأخبرنى الأستاذ نجيب أنه لا يرفض التوقيع فى ذاته ولكنه قال : لابد أن يوقع على هذا البيان كل من وقع علىالبيان الأول حتى لا نخرج عن قوم وثقوا بنا ووقعوا البيان تضامنا معنا ، وأنهى حديثه بقوله انه يفوضنى فى هذا الأمر فاذا وقع الأستاذ توفيق ووقعت أنا فهو يوقع معنا ٠

قابلت الأستاذ يوسف السباعى بدار الأدباء وأخبرته برأى الأستاذين توفيق ونجيب وطبعا لم أذكر شيئا عن نفسى معبرا أن عدم توقيعى أمر مفروغ منه ٠ وبدا على الأستاذ يوسف الامتعاض ولكنه لم يقل شيئا ٠

مضت جازة العيد وسمعنا فى أثنائها أن البيان نشر فى جرائد عربية منها البيروتية والسياسة الكويتية وغيرها ثم سمعت أنه نشر بجريدة الأنوار التى يصدرها سعيد فريحة بدعم من مصر ٠ ثم علمت من توفيق بك أنه أرسل البيان الى لجنة تقصى الحقائق ، وفى يوم الجمعة الذى تنتهى به الاجازات ذهبت الى الأستاذ توفيق فى جلسته الأسبوعية بفندق

سميراميس فأخبرني أن مكتب الوزير كلمه قبل أن ينزل ليخبره أن الوزير يريد أن يلقاه في اليوم التالى يوم السبت فى الساعة الحادية عشر ، وأن الوزير يريد أيضا الأستاذ نجيب محفوظ كما يريدنى فقلت له ان أحدا لم يطلبني والأستاذ محفوظ فى الاسكندرية وذكر لى الأستاذ توفيق أنه سأل السكرتير عمن سيكون موجودا غيرنا فى هذا الاجتماع فقال الأستاذ سعيد فريحة صاحب جريدة الأنوار .

وفكر الأستاذ توفيق قليلا ثم قال أنا لن أذهب فقلت وكيف لا تذهب ؟ وماذا أعمل أنا وحدى ؟ قال : أنت حر ولكن أنا لن أذهب فقلت له : وأنا لن أذهب اذا لم يكن الأستاذ نجيب معى فقال : هذا شأنكما فقلت : أسأل عن الأستاذ نجيب وذهبت الى تليفون الفندق وطلبت الأستاذ نجيب فوجدته قد وصل لتوه من الاسكندرية ووجدت مكتب الوزير قد اتصل به فقلت له : توفيق بك لا يريد الذهاب فاندهش لهذا وقال : دعني أكلمه وطلبت الى توفيق بك أن يكلم نجيب بك وقد استطاع نجيب أن يقنعه أو خيل لى ذلك على الأقل .

وذهبت الى منزلى وقالت لى زوجتى ان بعضهم سأل عنى وقال مكتب النائب وقال انه سيعود الى الكلام فى الساعة الثالثة وقبل أن تكمل حديثها دق جرس التليفون وأبلغت بالموعد .

وقبل أن أتناول الغداء دق جرس التليفون مرة أخرى وكان المتحدث توفيق بك ووجدته يخبرنى أنه لن يذهب فهو لا يقبل أن يستدعيه السكرتير وكأنه موظف عند الوزير وقال : لقد كان أبوك وزيرى فعلا وكاا يكبرنى فى السن ومع ذلك كان يتحرج أن يستدعينى وناقشته طويلا قائلا : اننى والأستاذ نجيب سنكون فى موضع حرج فقال : هذا شأنكما . أما أنا فلن أذهب فقلت له : اذن دعنى أبلغ الوزير على الأقل أنك عاتب أنه لم يكلمك هو شخصيا وطبعا سيحاول هو أن يصحح هذا الخطأ وسيستدعيك شخصيا وتجىء فوافق توفيق بك واقتنعت أنا بسذاجة أنه قبل هذا الاقتراح .

وفى مساء الجمعة ذهبت الى نجيب بك فى مقهى ريش وانتحيت به جانبا وأخبرته عن موقف توفيق بك الجديد وسألته ماذى يرى بشأننا ؟ فقال : نذهب نحن ، لأنه لا يليق بنا ألا نذهب وننفذ ما اتفقت عليه مع توفيق بك .

وفى الموعد المحدد ذهبت الى مكتب الوزير فوجدت نجيب بك قد سبقنى ودخل ووجدت فى مكتب السكرتير الأستاذ سعيد فريحة كما

التقيت بالشاعر نزار قباني . ولم أكن أعرف الأستاذ سعيد فريحة فقام السكرتير بعملية التعارف .

وحين دخلت مكتب الوزير وجدت الوزير قد علم بعتب توفيق بك وحاول الاتصال به فلم يستطع وحاولت أنا من مكتب الوزير الاتصال به فلم أستطع وكلف الوزير سكرتيره أن يكرر المحاولة وان كنت قد أدركت أن توفيق قد عملها ونوى ألا يجيء بأى حال .

وكان فى مكتب الوزير مع نجيب بك الدكتور جمال العطيفى وكيل مجلس الشعب وظننت أن حضوره كان صدفة ولكن تبين من المناقشة أن حضوره كان مرتبا .

وقبل أن تبدأ المناقشة قال الدكتور حاتم لسكرتيره : من بالخارج ؟ فقال السكرتير : الأستاذ سعيد فريحة فالتفت الوزير الينا وقال : أظن أنه لا بأس أن يحضر معنا فهو منا وعلينا وكأن الأمر محض صدفة .

ودخل الأستاذ سعيد فريحة وسلم علينا مرة أخرى وجلس وبدأت المناقشة فقال الوزير : هل أرسلتم البيان الى الأنوار ؟ فقلت له : كيف نرسله الى جرائد لبنانية ؟ كان الأحرى لنا أن نرسله الى الجرائد المصرية اذا كنا نفكر فى نشره ، فقال : فكيف وصل البيان الى لبنان ؟ فقلت له : هل أرسلنا لبيان اليك ؟

فقال : لا . قلت فكيف وصل اليك البيان ؟ وكأنه لم يكن يتوقع هذا السؤال فراح ينظر حواليه وهو يقول أنا .. أنا .. فتركته لحظات ثم قلت له : لقد وصل الى لبنان بنفس الطريقة التى وصل بها اليك فنظر الى الأستاذ سعيد فريحة وقال له : شفت أنهم لم يرسلوا البيان فقال الأستاذ سعيد فريحة : ن مندوب الأنوار فى القاهرة طلال سلمان وهو شاب شيوعى هو الذى أرسل البيان وقد نشرته حين وجدت عليه توقيع توفيق الحكيم ونجيب محفوظ وثروت أباظة وحينئذ سأل الدكتور العطيفى عما أردناه بالبيان فقلت : الحرية فقال : وهل كانت هناك حرية قبل العهد الحاضر ؟ فقلت انه لا شك أن قدرا من الحرية قد تحقق ولعل هذا القدر هو الذى أتاح لنا أن نكتب هذا البيان ولكن الحرية لا تتجزأ . وقال الأستاذ فريحة : ما هى الحرية التى تريدونها ؟ فقلت له : لا تحتاج الحرية الى تعريف فهى معروفة تماما . فقال مستنكرا : هل تطلب الحرية فى زمن الحرب ؟ فقلت له : لا تذكر الحرب فقد كان برنارد شو يلعن أبو تشرشل على الجزمة فى أشد أوقات الحرب العالمية الثانية عنفا ولم يصنع تشرشل شيئا الا أنه كان يقول نحن

نعمل والبهلوان يلهو · وكمان يا أستاذ سعيد نحن لسنا فى حرب منذ ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ نحن لسنا فى حرب · فقال الأستاذ سعيد فريحة فعلا هذا صحيح ·

وقال الدكتور : وما هى مظاهر عدم الحرية فقلت له لقد وصلت الرقابة الى القصص فقال مثل ماذا ؟ فقلت له مثل رواية الحب تحت المطر للأستاذ نجيب محفوظ التى مزقتها الرقابة فقال : وهل أنا مسئول عنها ؟ فقلت انك على رأس الجهاز فأنت مسئول عن كل موظفيه فقال وماذا أيضا فقلت له لقد منعت لى قصة فى الجمهورية فقال يا أخى أنت صديقى وتزورنى فى بيتى ·· والواقع أننى كنت أزوره قبل أن يعود الى الوزارة كما أننى أكن كل حب وتقدير ـ فلماذا لا تخبرنى ؟ فقلت أنا أزورك فى بيتك لأسأل عن صحتك أو لنتكلم فى مسائل عامة ولا أرى من اللائق أن أزورك لأقول لك ان قصة لى منعت من النشر · فقال الوزير : انكم أنتم الدولة ولكنكم تعرفون الظروف التى نمر بها وقال الأستاذ نجيب : ان رئيس الجمهورية قد دعا الى حرية الرأى فاذا لم نقل رأينا فكأننا لا نعبأ بدعوة رئيس الجمهورية وهى أشرف دعوة يمكن أن توجه الى أصحاب الرأى · ولا شك أنكم تعرفون أننا توفيق بك وثروت وأنا لسنا من طلاب البطولات وقال الدكتور جمال العطيفى الواقع أن الحياة النيابية سواء فى العهد الماضى أو فى عهد الثورة لم تشهد حرية برلمانية كالتى شهدتها فى ظل مجلس الشعب الحالى فقلت : لا لا يا دكتور جمال مش للدرجة دى فقال : كيف أنا أستطيع أن أتحدث فى هذا الموضوع ؟ فقلت : كلنا نتحدث أنت لا تستطيع أن تنسى أن مجلس النواب الوفدى فى عهد الوزارة الوفدية قد منع قانون الصحافة أن يصدر فقال آه تقصد الفترة من ١٩٥٠ الى ١٩٥٢ فعلا لقد كانت أحسن الفترات فى العهد النيابى فقلت كانت أحقر الفترات فى العهد النيابى ·

وفى نهاية الحديث قال الدكتور جمال لى لقد قلت جملة مهمة وهى أن قدرا من الحرية قد تحقق ان هذا القدر هو الذى جعلكم تكتبون البيان · ولا أدرى لماذا توقعت من هذه الجملة أن اجراء معينا سيتخذ ضدى .؟

وقد عزلت ·· عزلت من الاتحاد الاشتراكى ولم أكن عضوا به فى يوم من الأيام ولكنها كانت الوسيلة الوحيدة لاعلان غضب الحكومة على ولحرمانى من الكتابة أو التعامل مع وسائل الاعلام التى تشرف عليها الدولة من اذاعة وتليفزيون وسينما ومسرح وطبعا يلحق بذلك منعى من السفر · ومنع اسمى من أن يذكر فى أية جريدة أو أى جهاز من أجهزة الاعلام

أما بالنسبة لتوفيق بك ولنجيب بك فقد صـدرت الأوامر بمنعهما من التعامل معه كما صدرت الأوامر بعدم نشر أى شىء لهما أو عنهما دون أن يرد اسم أى منهما فى قوائم العزل وهذا هو البيان :

بيـان من الكتاب والأدباء :

نحن الكتاب والأدباء الموقعين على هذا البيان قد رأينا من واجبنا أن نعاون ونشـارك من مواقعنـا فى المجتمع ــ مؤسسات الدولة فى تقصى الحقائق فى حالة الاضطراب التى بدت بوادرها الآن فى بعض الأحـداث الجارية • يدفعنا الى ذلك شعورنا بالمسئولية التاريخية وثقتنـا بشعبنا وتقديرنا لوطنية رئيس الدولة • واعتقادا منا بأن فى استطاعته الامساك بالزمام للسير بالبلاد فى طريق محفوف بالمخاطر تهب عليه الزوابع من كل جانب ويحتاج الى الحكمة وسداد الرأى لتجنيب الوطن ويلات الشطط وتوجيهه الى حيث يجد نفسه ويؤكد شخصيته ويسترد قوته •

ولما كان من خصائص الكتاب والأدباء بحكم رسالتهم فى الأمة أن يكتشفوا باطنها وضميرها • فى حين أن مهمة الصحافة هى تحرى أأخبارها ومهمة الهيئات الرسمية هى تقصى حقائقها من واقع أحداث معينة قد تكون مجرد بثور خارجيـة لمرض دفين • ودخـان ظاهرى لنيران متأججة تحت رماد • لذلك كان علينا نحن الكتاب والأدباء أن نكمل الصورة ونقـدم المعونة بابراز ما استتر وتخفى مما يعتمل الآن ويضطرم فى باطن الأمة وضميرها •

وليس ذلك فقط لمجرد استكمال عمل تقوم به الهيئات الأخرى • ولكنه أأيضا للخشية من أن يهمل أمر هذا الغليان الذى يفور فى نفوس الناس فيجد طريقه فى أى لحظة الى الانفجار وتقع الكوارث • وذلك أنه مما لا شك فيه لدينا أن البلد يغلى فى الباطن على نحو لم يعد يخفى على أحد • وقد لا يعرف كل الناس تعليلا لما يشعرون به من قلق واضطراب وغليان داخلى • وقد يبدى البسطاء من الناس والأبرياء من الشـباب تعليلات مختلفة يسوقونها بغير تفكير أو تمحيص ويرددونها فى أحاديثهم أو يصعدونها فى منشوراتهم • وهذه التعليلات أو المطالب أو الاحتجاجات قد تبدو فى أغلبها سطحية أو غير ناضجة أو مدروسـة • ولكن يكفى الحقيقة التى لا شك فيها وراء كل هذا وهو شعورهم جميعا بأنهم قلقون بشىء ما أو أنهم ما عادوا يحتملون ما هم فيه من احساس بالضياع •

والآن ما هو منشأ هذا الاحساس العام بالقلق والاضطراب والضياع فى نفوس الناس ؟

لعـل السبب الأهم فى ذلك هـو عدم وضـوح الطريق أمامهم ، فالصيحة المرتفعة فى كل حين بكلمة المعركة وأن الطريق هو المعركة كان

من الممكن أن يكون هو الجواب على أسئلتهم والطريق الواضـــح أمـــام أعينهم ٠

وهذا لا شك ما أرادت الدولة أن تقدمه كجواب أو مصباح الرؤية فى طريق المستقبل المعتم ٠

ولكن مع الأسف تمضى الأيام وتصبح كلمـة المعركة مجـرد كلمة غامضة لا حدود لها ولا أبعاد لمعناها ولا تحليل لعناصرها ، مجرد كلمة مطلقة تلوكها الأفـــواه ٠ مجرد لقمة مستهلكة لكثرة مضغها ٠ ويصبح الناس ويمسون وهذه الكلمة تتردد على جميع النغمات فى الأناشـــيد والأغانى والخطب والشعارات حتى فقدت قوتها وفاعليتها بل وصدقهـا وصارت اللقمة المضوغة فى الفم غصة ٠ لا هم يستطيعون ابتلاعها ولا هم يجرءون على لفظها ٠ وأصبحوا فى حيرة من شأنهم وأصبح طريق المستقبل أمامهم مرة أخرى مسدودا وهم فى ضياع ٠

ولمـا كان الشباب هو الجزء الحساس فى الأمة ، وهو الذى يعنيه المستقبل أكثر من غيره ، فهو لا يرى أمامه الا الغد الكئيب فهو يجهـد فى دراسته للحصل على شهادته النهائية فاذا هى شهادة القذف به فى رمال الجبهة لينسى ما تعلمه ولا يجد عـدوا يقاتله ٠ وهـذا أيضـا هو الضياع ٠ أما بقية المواطنين فهم يعيشون بالنسبة اليه فى حياة صعبة سيئة الخدمات العامة ٠ وكل نقص واهمال أو توقف أو عبث يختفى خلف صوت المعركة وفى انتظار المعركة وتمحكا بالمعركة واذا بالأمر فى نظرهم ينقلب الى مهزلة والى سخط والى قرف عام ٠

هذا بعض ما استقر فى الضمائر هذه الأيام ٠ ولابد من حل سريع لهذا الوضع ٠ ولا يمكن أن يكون هناك حل الا فى الصدق ٠ والصدق وحده ، لأن الصدق هو الذى ينهى الحيرة ويقنع الناس ويهدىء النفوس ٠

ولأن الغليان فى باطن الاناء يهدأ اذا كشف الغطاء فان الشعب يريد أن يقتنع بشىء لأنه غير مقتنع ٠ ولابد لراحة باله واقتناعه من عـرض حقائق الموقف أمامه واضحة ، وهذا يقتضى النظر فى تغيير بعض الاجراءات التى تسير عليها الدولة اليوم ٠ ومنها حرية الرأى والفكر وحرية المناقشة والعرض لالقاء الضوء على كل شىء حتى تتضح الرؤية ٠ وليكن ذلك داخل المؤسسات ، اذا كانت السرية فى ظروفنا الحاضرة تقتضى ذلك ٠ على أن لا يكون للدولة رأى مسبق تضغط به على أهل الرأى وتجعلهم مجرد أبواق لترديده وترويجه ٠

بل أن تكون الدولة آخر من يبدى الرأى بعد أن تستمع وهى جادة صادقة الى رأى مصر الحر أولا · وأن تصوغ هى رأيها من رأى الشعب وممثليه لا أن تصوغ الرأى وتضع الشعار وتلقى به الى الناس وتفرضه عليهم فرضا ·

آن للدولة فى هذه الظروف العصيبة أن تتخفف هى من كل العبء والمسئولية وتضعها على ظاهر الأمة · ان فى ذلك مصلحتها ، وصيانة لها أمام التاريخ ·

الاثنين ٨ يناير سنة ١٩٧٣ ·

هذا هو البيان كما نشرته الصحف العربية وقد كان من نتيجة نشره أن أصدر الاتحاد الاشتراكى قرارا بفصلى وتلك كانت عجيبة يندر مثلها فى العجائب ، لأننى لم أكن فى حياتى عضوا فى الاتحاد الاشتراكى ، وقد صحب هذا الفصل الصورى أمر بألا يظهر اسمى فى الصحف على أى صورة من الصور · وانطبق هذا الاجراء الأخير على الأستاذين توفيق الحكيم ونجيب محفوظ وقد سعدت فى هذه الفترة سعادة منقطعة النظير ، لأن كل الذين كانوا يصنعون الكلمات المتقاطعة كانوا يصرون على أن يأتى اسمى من تركيب الحروف مع بعضها البعض ·

ويجب اليوم أن أشهد أن هذه العقوبة التى أنزلت بى وبتوفيق الحكيم وبنجيب محفوظ تعتبر شيئا هينا بسيطا غاية البساطة بالنسبة للعقوبات البشعة التى كانت ترتكب فى العهد السابق على عهد السادات ·

واستمر عزلنا الى أواخر سبتمبر عام ١٩٧٣ ·

وقامت حرب أكتوبر ٧٣ ···

وانقلبت الموازين منذ رأينا مصر تنتصر لأول مرة فى تاريخ العرب منذ صلاح الدين ·

وأصبح ثلاثتنا توفيق بك ونجيب بك وأنا أشد المتحمسين لهذا النصر · فقد كنا نتوقع أى شىء الا أن نحارب وننتصر ، وقد أعربنا عن توقعاتنا فعلا وتصورنا هذا ونحن نناقش الدكتور حاتم ·

فقال توفيق بك انه من غير المعقول أن تحارب دولة ما فى نفس اللحظة التى تعلن فيها انهزامها وليس من المعقول أن تحارب بعد خمس سنوات أو ست ، لأن النتيجة معروفة لا شك فيها · فأى جديد يمكن أن يحدث فى هذه السنوات القليلة ليقلب الأمر بالنسبة اليها من دولة مهزومة الى دولة منتصرة ·

وقال نجيب بك للدكتور حاتم : المؤكد أن الحرب لو قامت فستكون سجالا ووافقه الدكتور حاتم وقال نجيب بك : اذن فالحرب ستستمر فترة بيننا وبين اسرائيل ومعنى ذلك أن نخرب مصر تماما ونحن بعد هذه الحروب لا نطيق هذا الخراب فلماذا لا ننسى الحرب ونلتفت الى مرافقنا المنهارة ونحاول اصلاحها بدلا من زيادة تخريبها ؟

وقلت أنا : نحن واثقون أنه ليس هناك حرب منتظرة وأن الأمر لا يعدو أن يكون دعاية ليلهينا عن أوضاعها الداخلية فخير لكم ولنا أن تعطونا الحرية من الادعاء بأننا سنحارب فالشعب كله يعرف أننا لن نحارب · ويكفى مقالات محمد حسنين هيكل دليلا على أن الحرب مستحيلة استحالة مطلقة ·

ولكن السادات صنع الحرب · ولكن السادات انتصر ·

وحقق معجزة لم تكن تخطر لنا على بال ·

وهكذا أصبح ثلاثتنا من أشد المؤيدين للنصر ولصانع النصر ·



- ٨ -

رواية الرواية

تعودنا لسنوات أنا ونجيب محفوظ أن نقضى بعد الظهيرة من أيام الخميس معا ثم نسهر معا فى الحرافيش وكان دأبنا أن نذهب معا الى مقهى عرابى بميدان الجيش بالعباسية ونجلس هناك مع أصدقاء العباسية وأغلبهم من رفاق الطفولة والصبا والشباب الباكر لنجيب محفوظ وكانوا جميعا يعرفوننى بحكم اقامتى فى العباسية ولهذا كنت أشعر بينهم بألفة لا يحسها الانسان الا مع أصدقاء قدامى • وكنا نتركهم فى الثامنة ونتجه الى مكتب الأديب الفنان المحامى عادل كامل بشارع فؤاد وكنا كثيرا ما نضطر أن نترك السيارة فى مكان بعيد بعض الشىء عن مدخل المكتب الذى كان لابد أن يخترق من أجله مقهى بين عمارتين ضخمتين • وكنا نجلس قليلا بمكتب عادل كامل ثم نتجه جميعا الى سهرة حرافيش بعد أن نكون قد اشترينا ــ أو اشترى نجيب على الأصح ــ كيلو كباب من العباسية وكيلو حلويات شامية من ميدان الاوبرا • وكان نجيب يشارك فى أكل الكباب ولا يذوق الحلويات الشامية تنفيذا لأوامر الطبيب التى يصدع لها بكل الأمانة التى نعرفها عن نجيب فى كل ناحية من نواحى الحياة • اتصلت هذه الناحية بخاصة شأنه أو بشأن الآخرين •

تركنا السيارة فى مكان تصادف أنه كان بعيدا بعض الشىء عن مكتب عادل كامل ومشينا نتناقل الحديث فى شئوننا السياسية وفجأة وجدتنى أقول له :

ــ نجيب بك ان أحدا لم يتكلم حتى الآن فى شرعية حكم الطاغية •

وصمت نجيب لحظات ثم قال :

ــ فكرة جيدة •

قلت :

ــ ربما حاولتها •

وانتهى الحديث عند ذلك وقضينا سهرتنا كما تعودنا أن نقضيها ٠ ولكن الفكرة ظلت تدور فى ذهنى وتلح على فى اصرار شديد ٠

وما لبثت الأيام أن أنضجتها ووجدت نفسى أميل كل الميل أن أرمز الى الشرعية بالزواج ٠

وهكذا كان لابد لى أن أقرأ الفقه على المذاهب الأربعة وأركز فى قراءتى على عقد الزواج ٠ فوجدت أبا حنيفة وهو الذى نطبق مذهبه فى أحوالنا الشخصية يقول ان الفتاة اذا لم تعط الوكالة لمن يزوجها يقع الزواج باطلا نسبيا ٠ والبطلان النسبى يختلف عن البطلان المطلق ٠

فالبطلان النسبى يمكن أن يزول ويصبح العقد صحيحا اذا زال سبب البطلان أما البطلان المطلق فلا يصحح أبدا ٠

ويقول أبو حنيفة فى حالة زواج البنت بتوكيل باطل : يزول البطلان اذا عادت البنت وقبلت الزواج فانه فى هذه الحالة يصبح زواجا صحيحا خاليا من البطلان ٠

وكتبت رواية (شىء من الخوف) معتمدا على هذه القاعدة الشرعية حتى اذا فرغت منها وكتبت على الآلة الكاتبة وفكرت أن أجعل نجيب يقرؤها قبل أن تنشر ٠

وبينما هو يقرؤها كنت أنا ألتقى بالروائى الكبير والصديق الأصيل فتحى غانم فى لجنة القصة بالمجلس الأعلى ٠ وكان فى ذلك الحين رئيس مجلس ادارة دار روز اليوسف وصباح الخير طبعا ٠ فرأيت أن أعرض عليه فكرة أن تنشر صباح الخير روايتى الجديدة فرحب الرجل ترحيبا شديدا ٠

وحين فرغ نجيب محفوظ من قراءته طالعنى برأيه أن الرواية شديدة الوضوح وقال :

ــ لا أدرى ان كنت رأيتها كذلك ، لأنك أخبرتنى عن مضمونها أم لأننى أنا استنتجت هذا ٠٠٠ لماذا قلت لى مضمونها ؟

فضحكت وقلت :

ــ وماذا ترانى كنت أفعل وفكرة الرواية خطرت لى وأنا سائر معك ٠

فقال :

ــ ربنا يستر ٠

وبعد أيام قليلة كلمت فتحى واتفقت معه أن أمر عليه فى مكتبه . وهناك قال لى كلمة فيها كثير من المجاملة والتحية :

ـ اذا جاءتنى مقالة من طه حسين فأنا أرسل بها الى المطبعة فورا وكذلك حين تجيئنى رواية لك فانى أصنع نفس الصنيع . لقد أرسلت الرواية الى المطبعة .

والحقيقة أن تحية الصديق مست قلبى ولكننى أشفقت أن يفعل فانه لا يرضينى بحال أن يرفت فتحى غانم من وظيفته ، هذا اذا لم يتعرض لما هو أشد وأنكى من أجل أن أنشر أنا رواية مهما تكن أهميتها .

وقعت فى حيص بيص كما يقولون .

كلمت نجيب بك فقال :

ـ لابد أن تبحث عن طريقة تجعله يقرأ الرواية .

طلبت فتحى غانم فى البيت ، وقلت له :

ـ ليس نشر الرواية هو المهم وانما المهم أن أعرف رأى روائى أعتز برأيه فيها فأرجوك أن تقرأها .

وبعد أيام قلائل التقينا فى لجنة القصة فأبدى اعجابه الكبير بالرواية وقـال :

ـ انها مثل قطعة الخشب العربى (الأرابسك) الذى يتكون من قطع صغيرة متراصة والتكوين فى ذاته يعطى الصورة الكاملة التى أرادهـا الفنـان .

أنا لا أشك لحظة أن فتحى غانم فهم الرواية كل الفهم ولا أشك لحظة أنه حين نشرها كان غاية فى السمو والشجاعة فى وقت معا . فالرواية مخالفة لرأيه الشخصى وهى فى نفس الوقت كفيلة أن تعرضه لما لا يعلمه الا الله وحده . وأن ينشر مسئول عملا روائيا وهو فى نفس الوقت روائى لا يمكن أن يفوته ما فيها من رمز دليل على أن فتحى غانم رجل يندر مثيله بين الرجال ودليل على أنه أكبر من كل ما يكبل حرية الرجال . فليس عجيبا أن أكن لهذا الرجل فى نفسى كل اجلال واكبار وحب . وقد أثبتت لى الأيام فيما بعد أنه مطبوع على هذا الشرف ولا يتخذه فى موقف ثم يتخلى عنه فى آخر . وانما أشهد الله والحق أننى ما رأيته الا بهذا السمو وهذه الرجولة ولو يختلف بيننا الرأى ما شاء الرأى أن يختلف .

ولكنه رجل استطاع فى كل المواقف أن يمثل لى الانسان حين يرتفع الانسان الى أرفع درجات الانسانية .

نشرت الرواية بمجلة صباح الخير • وكنت فى ذلك الحين أنشر كتبى بدار المعارف عائدا اليها فعرضت الرواية على الأســتاذ عادل الغضبان وقرأها وقال لى :

ـ اننا الآن نحاول أن نرتفع بسلسلة اقرأ وقد أخذنا كتابا جديدا من الدكتور طه حسين ونريد أن ننشر (شيء من الخــوف) فى هــذه السلسلة • فقلت لا بأس وقد نشرت (شيء من الخوف) فعلا فى مارس ١٩٦٧ • بعد أن تم نشرها فى صباح الخير قبل ذلك •

تلك هى قصة (شيء من الخوف) الكتاب وبقى أن نروى قصة شيء من الخوف فى السينما •

حين بدأت صباح الخير نشر القصة وقفت فى اشارة وتصـادف أن وقف بجانبى صلاح ذو الفقار بسيارته • وصلاح كان زميلى فى مدرسة فاروق الأول الثانوية وبيننا صداقة دائمة من أيام المدرسة • حيانى وقال انه يريد أن ينتج روايتى التى تنشر فى صباح الخير • قلت : لا بأس •

وانتهى الحديث عند ذلك •

وسافرت الى الاسكندرية • وفى ليلة عدت الى بيتى متأخرا فاذا بى أجد الأستاذين العزيزين حسام الدين مصطفى وعبد الحى أديب ينتظراننى فى سيارة أحدهما أمام البيت وكأنما خجلا أن يصعدا الى البيت وينتظروا فيه وفوجئت بحسام يقول لى :

ـ الرواية التى تنشر فى صباح الخـير • هـل أخذها أحــد منك للسينما ؟

قلت :

ـ لا •

قال :

ـ طيب يا أخى ألست أنا الأولى بها وقد أخرجت لك هارب من الأيام ؟

قلت :

ـ تحت أمرك •

قال :

ـ هل عندك نسخة منها ؟

وصعدت الى بيتى وأحضرت نسخة من نسخ الآلة الكاتبة وأعطيتها للصديقين لكريمين واتفقنا أن نلتقى فى اليوم التالى بكازينو جليم الذى يقع منزلى أمامه مباشرة .

وقال حسام :

ـ ان هذه القصة تشبه هارب من الأيام .

وأنا متعود ألا أناقش رأيا رآه أحـد فى أى رواية لى مرتئيا أن المناقشة عبث مضحك فالرواية كتاب يقرؤه القارىء وحده ويكون رأيه وحده فكيف أستطيع أن ألاحق القراء فى كل ناحيـة لأناقشهم رأيهم ، ولهذا أجبته دون أى تفكير :

ـ مادمت ترى هذا فلابد أنك محق من وجهة نظرك على الأقل .

فقال آسفا :

ـ اذن فالى اللقاء فى رواية أخرى حتى لا أكرر ما فعلته فى هارب من الأيام .

قلت :

ـ ان شاء الله .

وفى صباح اليوم التالى مباشرة ذهبت الى مقهى بترو فاذا بى أجد كاتب السيناريو صبرى عزت الذى أسرع الى قائلا :

ـ لقد دخت بحثا عنك .

وجلسنا وسألته عما يريد فقال :

ـ صلاح ذو الفقار يريد أن ينتج رواية شىء من الخوف للقطاع العام وعرضها على حسين كمال ففتن بها ويريد أن يخرجها بأى طريقة .

واتفقنا أن نسافر الى القاهرة ونلتقى بسعد وهبه الذى كان رئيسا لشركة القاهرة للانتاج السينمائى وكان صلاح ذو الفقار وحسين كمال قد حادثاه فى شأن الرواية .

وذهبت الى الصديق القديم سعد وهبه وسألنى فى بسـاطة عن موضوع الرواية فلخصتها له فطلب عقدا وقدمه لى ووقعته وقـدر أجـرا سبعمائة جنيه وكان مبلغا طيبا فى عام ٦٦ . وأعتقد أنه ينبغى أن أشيد هنا بشجاعة سعد وهبه فهو مسرحى محترف وقد فهم ـ بطبيعة الحال ـ مغزى الرواية ولكنه كان من الشجاعة بحيث يوقع العقد فورا .

وبدأنا العمل . فى منزلى أحيانا وأحيانا فى منزل صلاح ذو الفقار ، ووقعت حرب ٦٧ ونحن نعمل فى الرواية . فتوقفنا أياما قليلة ثم عدنا الى العمل .

وقبل أن يتم السيناريو تبرع صديق لنا بمكتب الدكتور ثروت عكاشة وزير الثقافة فى ذلك الحين بكتابة تقرير للوزير أن الرواية مقصود بها رئيس الجمهورية وأنها هجوم عنيف عليه وعلى الحكم جميعا .

ويشاء الله أن يكون نجيب محفوظ هو مستشار الوزير للشئون الفنية فى هذه الفترة فكان طبيعيا أن يرسل الوزير ملخص الرواية والتقرير الى الأستاذ نجيب محفوظ وكتب رأيه بمنتهى الأمانة والصدق مع النفس مرتئيا أنها رواية وطنية . وقد كان هذا رأيه والوزير سأله عن رأيه . فقال :

وتم تصوير الرواية . وكان حسين كمال سعيدا بعمله غاية السعادة فرأى أن يعرضها على الوزير .

وفى عرض خاص بدأت الرواية تعرض على الوزير ووكيلين للوزارة معه . وانتهى عرض النصف الأول من الرواية وكان الوزير على موعد لم يستطع الاعتذار عنه فأضيئت الأنوار ورأى الحاضرون الدموع تملأ وجه الوزير من الاعجاب وقال فى فخر لحسين كمال :

ـ لقد عبرنا بهذه الرواية البحر الأبيض المتوسط .

وذهب الوزير الى موعده وطلب اليهم أن ينتظروه ليعود فيكمل مشاهدة الفيلم . وتم ذلك ورأى الوزير النصف الآخر من الرواية وأضيئت الأنوار . لقد فهم الوزير معنى الرواية فهما تاما . وتداول الرأى مع مستشاريه فانتهى بهم الرأى أن تعرض الرواية على سامى شرف فى رياسة الجمهورية .

كان الوكيلان صديقين لى فكلمت أحدهما ولن أذكر اسمه فاذا هو يقول :

ـ أنا خصم ولا يجوز أن أكون قاضيا .

فضحكت فى نفسى كثيرا فلم أكن أتصور أن المسألة وصلت الى خصومه وقضاء .

ما سمعته بعد ذلك أن سامى شرف أعفى نفسه من رؤية الرواية وعرضها على عبد الناصر مباشرة وسمعت أنه قال حين انتهى من مشاهدتها :

ـ لماذا تعرضون على هذه الرواية ؟ هل أنا عتريس هذا ؟ اذا كنت أنا عتريس والشعب لم يقتلنى فهو شعب من الحمير !

وأمر أن تعرض الرواية دون أن يحذف منها شيء مطلقا .

وفي عرض خاص ضم جمهورا كبيرا شاهدت الرواية وكان معي الأخ الصديق عبد الرحمن الشرقاوي . وحين انتهى العرض قبلني الشرقاوي بحماس شديد . ووقف أحد المشاهدين وطلب أن يسألني سؤالا وسأل :

ـ ألا ترى أنك جعلت الشعب المصري سلبيا الى أقصى درجة .

وجدتها فرصة لا مثيل لها قلت له :

ـ أين هو الشعب المصري هذا ؟

قال :

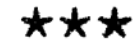
ـ أهل القرية .

قلت :

ـ ومن قال ان أهل القرية هم الشعب المصري .. اسمع أنت والآخرون ، ان أي اسقاط على هذه الرواية يكون من داخل المسقط وعليه وحده أن يتحمل مسئوليته ! .

وذاعت هذه الكلمة فامتنع المعرضون عن اعلان ما أدركوه من اسقاط . ولكن الشيوعيين لم يمتنعوا يوما من أيام عرض الرواية ولأسابيع بعدها عن مهاجمتي في ضراوة ، وهذا أمر أسعد به دائما فليس أحب الى من أن أسمع مذمتي من هؤلاء الرهط .

كثير من الصحفيين يسألونني حتى اليوم : أليس في عرض هذه الرواية دليل على الحرية ؟ وأضحك أنا . فلو كان هناك حرية ما كتبت أنا هذه الرواية أصلا ولما كتبتها رمزا أما أنها عرضت فرئيس الجمهورية الأسبق لم يكن من الغباء الى درجة منعها . فلو كان منعها بعد أن أصبحت فيلما مكتملا لهرب الفيلم وسبقته الدعاية أنه الفيلم الذي منعه رئيس جمهورية مصر واني لأعجب لمن يبحث عن أي حرية في ذلك العصر ولكن ماذا نقول الا أن نضرب كف عجب بكف دهشة ونقول مع القائلين : ولله في خلقه شئون .



توفيق الحكيم

أمام البنك الأهلى الذى أصبح اليوم البنك المركزى المصرى على ناصية شارع شريف عند التقائه بشارع قصر النيل كانت هناك مقهى وكان يجلس اليها أستاذنا توفيق الحكيم وكنت أمر كثيرا بهذا المكان فالشارعان فى مكان من الطبيعى أن يكون المرور به كثيرا ، كنت حينما أرى توفيق الحكيم أعبر الشارع وأقف أمام البنك الأهلى وأظل أنظر اليه دقائق ثم أمضى لشأنى وأنا سعيد بما تمكنت من النظر الى توفيق الحكيم بأكمله .

وبدأت بعد ذلك الكتابة فى مجلة الثقافة . ودعانى أحمد بك أمين أن أحضر ندوة لجنة التأليف والترجمة والنشر فكنت أذهب كل خميس فى الساعة الخامسة مصطحبا الأستاذ عثمان نويه ونشهد الندوة التى كانت فى حجرة منسقة الأثاث فيها سعة غير فادحة وكان نجوم الندوة أحمد بك أمين طبعا وعبد الواحد خلاف بك الذى كان ناظرا على فى مدرسة فاروق الأول حينما كنت فى السنة الأولى لها وهو من أعظم الرجال الذين عرفتهم وكان بين العمالقة الدكتور أحمد زكى الرجل الذى جمع النبوغ الشامخ فى العلم الى الموهبة الشاهقة فى الأدب . وكان معهم أيضا اسعاف النشاشيبى وكان النقاش يحتدم بينه وبين هؤلاء الأعلام حول الدين والعلم . وكان غفر الله له ملحدا عميق الالحاد . وكان توفيق بك الحكيم حريصا على حضور هذه الندوة وكان يحضرها أيضا الفيلسوف العملاق والأديب الباذخ الدكتور زكى نجيب محمود أطال الله عمرهما . كنت أظل طوال الجلسة صامتا لا أفرج شفتى عن كلمة .

وحين أصبح أبى وزيرا للشئون الاجتماعية كان توفيق بك الحكيم موظفا فى الوزارة وقد دعاه الى الغداء فى البيت كما دعا الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني . وقد يعجب القارىء أننى لم أتهيب فى حياتى

الى هذه السن لقاء أحـــد لا أستثنى من ذلك رؤساء الوزارات • ولكننى تهيبت لقاء العملاقين وخجلت أن أحضر معهما الغداء واكتفيت بأن نزلت الى الشارع من الباب الخلفي لمنزلنا بالعباسية ورأيتهما يخرجان من الباب الرئيسى وظللت أنظـر الى ظهريهما وهما يغادران البيت مشيا على الأقدام توفيق الحكيم يعتمد عصاه والمازنى يظلع فى خطاه وكأن مشيهما عندى ورؤيتهما أروع فى نفسى من رؤية أى رئيس وزارة مهما تكن سـيارته فخمة فارهة ومهما يكن لحراسه من هيبة فى الهيئة أو فى الملبس •

وظل الأمر بينى وبين توفيق بك على هذا الحال وانتقلت لجنة التأليف والترجمـة والنشر من شارع كرداسة قرب العتبـة الخضراء الى دار أنيقة وشارع فسيح بحى المنيرة وكان للدار حديقة متوسطة الحجم ذات ممشى يؤدى الى الدار • وظللت على حرصى أن أحضر الندوة وكنت قد بدأت أكتب تمثيلياتى فى الاذاعة ولكن الاذاعة شىء وأن أتكلم بين هؤلاء شىء آخر • كان صمتى في دار المنيرة هو نفس صمتى الذى كان فى شـارع الكرداسة حتى كان يوم انتهت الندوة ودخلت أنا الى الاستاذ عبد العال المدير الادارى لمجلة الثقـافة وأحسب أننى كنت أسأله عن مقالة لى كنت أرسلتها وأردت أن أطمئن الى وصولها • وربما مكثت بضع دقائق أتحدث الى الأستاذ عبد العال وخرجت وأنا واثق أن جميع من كان فى الندوة قد انصرف عن الدار ولم يكذب حدسى الا في شخص واحد وجدته واقفا وقد ركن الى عصاه فى منتصف الممشى ناظرا الى باب الدار مترقبا فى وضوح ظهور شخص ما • وفى صمت واطراق حاولت أن أميل عن وقفته متخذا سبيلى أمما الى الباب الخارجى ولكن توفيق بك عاجلنى :

ـ هل أنت ثروت أباظة ؟

قلت :

ـ نعم يا سعادة البك أنا هو •

قال :

ـ أنا معجب برواياتك فى الاذاعة جدا • لدرجة أننى حين أقرأ فى البرنامج أن لك رواية أمكث فى البيت ولا أخرج •

للقارىء أن يتصور ذهولى وفرحتى فى تلك اللحظة ولم أجد شيئا أقوله الا :

ـ أصحيح هذا الذى أسمعه ؟ أنا يخيل لى أننى أحلم !

فقال فى بساطته المعهودة •

ـ لا والله فعلاً •

قلت :

ــ اذن هذه الروايات تستحق أن تجمع فى كتاب ٠٠ ترى أتقبل أن تكتب له المقدمة ؟

وعجبت لنفسى أن أقول هذا الكلام ولا أدرى حتى اليوم كيف وجدته على لسانى ؟

وقال توفيق :

ــ لا مانع ٠

قلت :

ــ متى أرى سعادتك ؟

قال :

ــ أى وقت فى دار الكتب ٠

وأخذت رواياتى وذهبت فى اليوم التالى الى مكتب توفيق بك ٠

ووجدت سكرتيره صديقى الذى كنت قد تعرفت به وأحببته كل الحب فى جريدة المصرى الأستاذ محمود يوسف وقد توثقت صلته بى بعد وكنت أعتبره من أقرب الناس الى قلبى حتى اختاره الله الى جواره ٠

دخلت الى توفيق بك وقدمت اليه التمثيليات وتحدثنا عن المقدمة فلم أجد عنده تحمسا ٠ ولكنه قدم لى كتابه العظيم الذى كان قد ظهر فى هذه الأيام (فن الأدب) وقال :

ــ خذ هذا الكتاب حتى لا تكون أحضرت لى شيئا دون أن أقدم لك شيئا فى مقابله ٠

وأخذت الكتاب وذهبت الى بيتى وكنت قد تزوجت حديثا ٠ فقد كان هذا اللقاء فى خريف عام ١٩٥٠ ٠ قرأت الكتاب جميعا فى يوم واحد وأعجبت به كل الاعجاب وأصبحت واثقا أنه لن يكتب مقـــدمة لكتابى المزعوم ٠ فقد وجدته يقول ما معناه ان كاتب التمثيلية الاذاعية ليس كاتبا بالمعنى المفهوم ٠

وقد ناقشت توفيق بك فى هذا ولكنه قال : انك استثناء من هذه القاعدة ، فاعتبرت هذه الكلمة تحية منه تحاول أن تخفف من أثر رأيه فى نفسى ٠ ولم أحاول أن أتكلم عن المقدمة وعدلت عن جمع هذه التمثيلات فلم أجمعها الا بعد ذلك بثمانية عشر عاما ٠ وعدلت أيضـــا عن طلب مقدمات من أحد مطلقا ٠ لدرجة أننى بعد ذلك بقرابة خمسة عشر عاما

كنت عند الدكتور طه حسين باشا وعند انصرافى خرج معى سكرتيره فريد شحاته يودعنى فقال لى :

ـ كنت تقول للباشا انك انتهيت من رواية وهو كتب لك مقالات عن رواياتك السابقة فلماذا لا تحضر هذه الرواية ليكتب لها مقدمة فهو ليس مشغولا فى هذه الأيام ؟

فقلت :

ـ أحب أن يكتب لى عنها بعد أن تصدر اذا كانت تستحق ولكننى لا أريد أن أتشفع للقارىء مسبقا بمقدمة ٠

فقـــال :

ـ معك حـق ٠

وفعلا كتب الدكتور طه باشا مقالة عن هذه الرواية وهى (ثم تشرق الشمس) ونشرت المقالة بمجلة الهلال ٠

توثقت صلتى بعد ذلك بتوفيق بك ٠ وأصبحت أذهب اليه كثيرا فى دار الكتب كما كنت أجلس معه فى ندواته ٠ فى جروبى بالقاهرة وفى بترو بالاسكندرية ٠

وكنا فى الاسكندرية نخرج أنا وهو وصـديقه المترجم الأســتاذ محمود ابراهيم الدسوقى كل أسبوع مرتين نتناول الغداء ثم نذهب الى السـينما ثم نتناول الشــاى فى اتينيوس ثم أصبحنا نتناوله فى نادى السيارات بالاسكندرية ٠ وكان كل منا يدفع حسابه ٠ ولكنهما وجـدا أن من الأيسر أن يدفع لى كل منهما جنيها واحدا وأتولى أنا الانفاق وكان توفيق بك بذكائه المعهود يعلم أننى أدفـع فـوق كل جنيه ثلاثين أو أربعين قرشا من جيبى وكان هو سعيدا غاية السعادة أن استطاع توفير هذا المبلغ الضخم ، وكذلك كنت أنا سعيدا أن أدفع هذا المبلغ وأعفى نفسى من محاسبتهما فى آخر الرحلة التى كنت أعتبرها مرانا وتدريبا على حساب الملكين ٠ وكثيرا ما كان يصحبنا الأستاذ نجيب محفوظ فى الذهاب الى نادى السيارات لتناول الشاى الذى قد يمتد الى العشاء ٠

ومن الطرائف التى أذكرها فى هذه الأيام أننا علمنا ونحن فى نادى السيارات أن والدة الأستاذ أنور أحمد توفيت ولم يكن معنا الأسـتاذ الدسوقى واتفقنا توفيق بك ونجيب بك وأنا أن نرسل برقية واحـدة تحمل أسماءنا نحن الثلاثة وكانت الفكرة طبعا من تأليف توفيق الحكيم ٠ ورأينا أن تكون الصيغة : أحسن الله عزاءكم ٠ وحين أرسلنا البرقية مع

ساعى النادى وعاد بباقى الجنيه وجدنا أن تكاليف البرقية لا تقبل القسمة على ثلاثة فقال توفيق بك :

ـ البرقية لم ترسل بعد أوقف ارسالها ونختصرها .

فقلت :

ـ كيف نختصر من ثلاثة كلمات ؟

فقال توفيق بك :

ـ بسيطة ... أليست البرقية تقول : أحسن الله عزاءكم .. فلنقل : أحسن الله وكفى .

ولك أن تتصور شخصا مفئودا بوفاة والدته ويجد برقية تسعى اليه لتقول : أحسن الله . وفقط .

ومن طرائفه أيضـــا التى لا أنساها أننى كنت معه وحـدى نتناول الغداء فى أحد مطاعم الاسكندرية وجاء النادل يسألنا عما نريده حلوا . وكان توفيق بك منهمكا في الحديث بحرارة فقال :

ـ عندك عنب ؟

ـ نعـم .

ـ هات عنب .

وحتى لا أقطع عليه الحديث قلت أنا أيضا فى سرعة :

ـ وأنا الآخر .. هات لى عنب .

واذا بالجزع يرتسم على وجه توفيق بك ويقطع حديثه المتدفق ويلقف النادل قبل أن ينصرف :

ـ انتظر ... انتظر .

ونظر الى .

ـ أنت تريد عنب ؟

قلت :

ـ نعم ... لا بأس .

فاذا هو يقول للنادل وكأنه يحتسب الله :

ـ طيب هات لى أنا تين بقى .

وأراد أن يكمل الحديث فلم يجد منى مستمعا وانما قاطعته :

ـ ماذا جرى ... لماذا هذا ... ؟

ـ ماذا ؟

ـ لماذا امتنعت عن العنب لما طلبت أنا لنفسى عنبا ؟

ـ آه • اسمع اياك أن تطلب طلبين من نوع واحد فى مطعم أبدا • سيحضرون لك نصيبا واحدا ويحسبونه عليك نصيبين •

ومازلت حتى اليوم أعمل بهذه النصيحة الغالية •

وفى أول يوم زرته فى مبنى الأهرام الجديد نادى محمد ساعى مكتبه وقال له :

ـ هات قهوة لثروت بك •

فاذا بمحمد يبقى مكانه ولا يتحرك ويقول :

ـ ليس عندى بن •

واذا بتوفيق بك يضحك ويقول له :

ـ لا ••• لا ••• دا لأ •• ثروت بك مستثنى •• جيب له قهوة •

وفهمت طبعا أنه مصدر أوامر لساعى المكتب أن يقول دائما انه ليس عنده بن للقهوة وبقى أن تعرف أن ثمن فنجان القهوة فى الأهرام فى هذه الأيام كان عشرين مليما « قرشين » • وطبعا حين عينت بالأهرام أصبحت أتولى مسألة القهوة هذه كلما زرته فى مكتبه •

ومن عادات توفيق بك اللطيفة أنه اذا أراد أن يعزى أى شخص من العاملين معه فى الأهرام يقطع ورقة على حجم البرقية ويكتب فيها صيغة برقية ويرسلها مع الساعى ويعفى مصلحة البريد من متاعب ابلاغ البرقية •

ولكن كل هذا الذى أرويه يخفى الحقيقة المؤكدة وهى أن توفيق بك من أكرم الناس الذين عرفتهم فى حياتهم • وأنا لا أعرف انسانا أغدق على أسرته المرحومة زوجته والمرحوم ولده الوحيد اسماعيل والسيدة الفاضلة ابنته أطال الله عمرها ما أغدقه توفيق بك على أسرته هذه •

ومن طرائفه مع المرحوم ابنه أنه طلبنى يوما فى التليفون الداخلى فى الأهرام •

قال : هل عندك أحد ؟

قلت : نعم كثيرون •

قال : كنت أريد أن أجيء اليك •

قلت : هل عندك أنت حد ؟

قال : لا .

قلت : اذن أجيء أنا اليك .

وذهبت اليه واذا هو يقول فى عجب :

ـ اسماعيل يريد منى خمسمائة جنيه وأنا أريد أن أعطيها له ولكن أريد أن أقول اننى استلفتها منك حتى يردها كما يعد .

ضحكت وقلت :

ـ تحت أمرك .

قـال :

ـ سأكتب لك كمبيالة وأريها له لعله يرد المبلغ كما يقول .

وضحكت من هذهالمسرحية المفككة وقلت :

ـ أنا تحت أمرك .

وأنا أقدر فى نفسى أشياء كثيرة أبسطها أن اسماعيل يعـرف أن الصلة بين والده وبينى لا يمكن أن تكون المعاملة فيها بالكمبيالات . ولكنى لم أشأ أن أبدى أى اعتراض وكتب الكمبيالة ووقع عليها ووضعها فى جيبه .

ومرت شهور وقال لابنه يوما :

ـ ثروت بك يريد المبلغ .

فقال اسماعيل رحمه الله فى ذكاء .

ـ يا بابا هذه أول مرة تكون فيها الكمبيالة مع المدين وليس مـع الدائن !

وأدرك عميد المسرح العربى الى أى حد كانت مسرحيته ساذجة ، ولا عجب فالجمهور فى هذه المسرحية هو ابنه الحبيب .

ان صلتى بتوفيق الحكيم هى صلة بنوة من ناحيتى وأبوة من ناحيته . وهو يشعر ببنوتى شعورى بأبوته . وهو دائمـا يقـول وزوجتك وابنك وابنتك أسرتى أحس أن ابنتى زينب أخت لكم ، هكذا دائما أشعر بكم ، وهو يعلم أن هذا هو شعورى وتلك هى مشاعر بيتى جميعه نحوه .

★★★

الدكتور طه حسين

حين توفى أبى فى ٢٢ يناير عام ١٩٥٣ أقيمت له حفلات تأبين من أسوان الى الاسكندرية ٠ وأقام له مدنى بك حزين وأسرته مأتما فى بلدتهم العظيمة اسنا ووقفوا يتلقون العزاء وأرسلوا الى فى غزالة ـ حيث أقمنا ثلاث ليالى المأتم ـ برقية يقولون فيها : أقمنا المأتم باسنا فنعتذر عن حضور المأتم فى غزالة ٠

وكذلك فعل أبناء الزقازيق فى الأربعين فقد أقاموا ليلة الأربعين فى الزقازيق وأحيـــاه الشيخ عبد الباســط عبد الصمد وكان هذا فى أول ظهوره ٠

وكان من الطبيعى أن يقيم له زملاؤه فى حزب الأحرار الدستوريين حفل تأبين مع أن الحزب كان قد حل الا أن الرجال رجال فى حزب كانوا أو لم يكونوا ٠

وبدأ هيكل باشا يعد لحفل التأبين ٠ وكنت بمنزله فاذا هو يقول فجأة :

ـ أنا أريد طه حسين يشترك معنا ٠

والتفت الى أحد مساعديه وقال :

ـ أطلب لى الدكتور طه ٠

وطلب المساعد الدكتور وقال لهيكل باشا الدكتور طه على التليفون وكنت أقف بجانب التليفون مباشرة وقال الدكتور هيكل باشا :

ـ يا طـــه ٠٠

وأصبت أنا بنوع من البهر ٠٠ هل يمكن أن يقول أحد للدكتور طه حسين باشا بأكمله يا طه ، وما لبثت أن تنبهت بعد لحظة أو هنيهة أن

المتكلم هو الدكتور محمد حسين هيكل باشا رفيق عمره وصاحبه على الطريق من أول الطريق • وقال هيكل :

– نقيم حفل تأبين لدسوقى يوم كذا وأريدك أن تشترك فيها •

وسمعت صوت الدكتور طه قادما الى أذن هيكل باشا وكانت تلك هى المرة الأولى التى أسمع فيها صوته فى التليفون •
قال ، وما أعظم ما قال :

– فى هذا اليوم أنا عندى محاضرة سألقيها فى الجامعة • سألغى المحاضرة وأعتذر عنها وأحضر التأبين وأتكلم •

ملأنى التأثر بهذا الحديث القصير • وأقيم حفل التأبين • وكان من أروع حفلات التأبين التى شهدتها مصر •

وتفضل الأستاذان الكبيران العوضى الوكيل وأحمد عبد المجيد الغزالى فجمعا فى كتاب واحد ما قيل فى حفلات التأبين التى أقيمت فى أبى كما جمعوا فى الكتاب كل الكلمات التى نشرتها الصحف فى رثائه •

وظهر الكتاب بعد حوالى عام من وفاة أبى وظهر فى نفس الوقت كتابى (ابن عمار) •

ورأيت من الطبيعى أن أقصد الى الدكتور طه حسين باشا وأقدم اليه كتاب الرثاء شكرا منا أو محاولة شكر لكلمته الرائعة التى ألقاها فى التأبين ولوقائه العظيم الذى جعله يلغى محاضرة له ينتظرها الآلاف ليشارك فى التأبين ، ومحاضرة طه حسين لا ينوب عنه فيها أحد ولكن التأبين يمكن أن يتم اذا هو اعتذر عن عدم الحضور فيه •

طلبت موعدا من الدكتور طه حسين وأعطانيه • وقصدت اليه فى بيته بالزمالك • فى الشارع المسمى باسمه اليوم ، وكان هذا قبيل انتقاله الى الهرم بشهور قلية • وصحبت معى فى زيارتى له رواية (ابن عمار) • وفى هذه الجلسة لم أشعر الا بالانبهار فلم أكن أتصور أننى سأجلس الى طه حسين فى حياتى •

وأذكر بعد ذلك أننى ذهبت اليه فى هذا البيت مرة أو مرتين وبدأت العلاقة على كثير من الاستحياء من جانبى • فأنا من أشد المعجبين بطه حسين عميد الأدب العربى وأعتبره أكبر علامة فى جيله الأدبى • وكان الدكتور طه حسين دستوريا وكان يكتب فى السياسة جريدة الحزب ، وكان على صداقة بأبى فى هذه الفترة وقد ذكر الدكتور طه أبى فى كتابه

(حديث الأربعاء) • ثم ترك الدكتور طه الحزب وكتب بعض مقالات كان أبى يخالفه الرأى فيها وخاصة حين كتب عن حافظ ابراهيم ما معناه أن مدحه لملكة الانجليز يشبه مدحه للأسرة الأباظية فرد عليه أبى بمقال غاية فى العنف لا أريد أن أذكر منه شيئا وان كنت معتقدا أن أبى كان على حق • ومع هذا الخلاف فان أبى كان دائم الاعجاب بأدب طه حسين ودائم المديح له حتى لنا نحن بنيه وأهل بيته فأنا لم أر رجلا فى حياتى يعدل فى حكمه مثلما كان يعدل أبى • لعلك تذكر كيف كان يمتدح حسن صبرى باشا كرئيس للوزراء مع أنه هو الذى حال بينه وبين دخوله وزارة محمد محمود • ولم يختره معه فى الوزارة مع أنه كان سكرتير عام الحزب وأولى رجاله بها ولكن هذا جميعه لم يمنعه أن يراه من أحسن رؤساء الوزارات الذين تولوا الحكم • ولم يحاول وهو البرلمانى المتمرس الخبير أن يحرجه ولو لمرة واحدة فى مجلس النواب •

كذلك كان هو •• وقد كان اعجاب أبى بطه حسين وأسلوبه لا حد له مع أن الدكتور طه كان وفديا من الحزب المعارض لحزب أبى •

وكان الدكتور طه يروى لى دائما كيف أنه احتاج يوما لاطارات لسيارته أيام الحرب وكانت وزارة المواصلات التى كان أبى وزيرا لها هى المختصة باعطاء الأذون للاطارات وكان أخو الدكتور طه الشيخ أحمد حسين قد عمل مع أبى فى وزارة الأوقاف فطلب الدكتور طه الى أخيه أن يرجو أبى ليعطيه الاطارات التى يريدها •

ويذكر الدكتور طه فى سرور بالغ أن أبى غضب لهذا الطلب كل الغضب وطلب الى الشيخ أحمد حسين أن يصله بالدكتور طه تليفونيا وقال له حين سمع صوته :

ـ هل وصل الأمر أن ترسل لى وساطة بينى وبينك ؟! لم أكن أنتظر منك هذا أبدا •

وأرسل اليه الاذن الذى يطلبه ••

حدث أن تطاول أحدهم على أعلام الأدب فكتبت مقالة عنيفة أهاجم هذا التطاول ونشرتها فى مجلة الرسالة الجديدة التى يرأس تحريرها الأخ الأعز يوسف السباعى وفى نفس الأسبوع كنا فى اجتماع كبير بنادى القصة وحضر الاجتماع رئيس النادى الدكتور طه وأبدى اعجابه بمقالى ففرحت ولم يكن فرحى باعجابى قدر فرحى أنه يقرأ لى :

لا أدرى لماذا كنت محرجا أن أوثق الصلة بينى وبينه ؟ ربما كان

ذلك لشعورى أنه عملاق عظيم ومن حقه ألا يسطو أحد على وقته مهما يكن هذا الأحد معجبا متحمسا غاية التحمس فى اعجابه ٠

وحدث أن كتبت روايتى (هارب من الأيام) وظهرت فى الأسواق عام ١٩٥٧ وكنت وأنا أكتبها يجمح بى الخيال وأسأل : ترى هل يقدر لهذه الرواية أن يقرأها طه حسين ؟ وما تلبث نفسى أن تردنى فى عنف : حنانيك ٠٠ ومن أنت حتى يقرأ لك طه حسين لم يبق الا أن يقرأ للبادئين من أمثالك ٠٠٠ اعرف قدر نفسك أيها الشاب ٠

ولكننى مع ذلك لم أتردد أن أذهب بالنسخة الأولى الى بيت الدكتور طه فى الهرم وأترك الرواية مع بطاقة لى دون أن أستأذن فى الدخول ودون أن أسأل عما اذا كان الباشا موجودا أم لا ٠

ومرت أيام قلائل واذا بصديق العمر أخى الذى قل أن أعرف أحدا فى وفائه ورحابة قلبه أمين يوسف غراب يأتى الى البيت وهو يكاد يطير من الفرح ٠

ـ الباشا يريدك ٠

ـ حقـــا !

قال فى فرحته الغامرة :

ـ انه معجب بهارب من الأيام وعاتب عليك ، لأنك لا تزوره ٠

فقلت له وقد أصبحت فرحته فى نفسى طيورا مجنحة دائمة الدف بجناحيها :

ـ وماذا تنتظر ؟ هيا بنا ٠

ورحب بنا الدكتور طه ترحيبا زاد من فرحتى ٠ وبعد لحظات أخذنى فيها ذهول الفرح تبينت أننى سلمت دون وعى على الأستاذ الأديب عباس خضر كما سلمت على آخرين لا أذكرهم اليوم ٠

وقال الدكتور :

ـ لقد أعجبت بروايتك كل الاعجاب ٠

فقلت :

ـ انه شرف لى أن تقرأها ، فكيف اذا أعجبت بها ؟!

قال هذه الجملة التى أعتبرها أعظم وسام نلته حتى اليوم ٠٠ اليوم وأنا فى السابعة والخمسين من عمرى ٠٠ ولكن ما تزال هذه الجملة أعظم وسام نلته مكانه منى القلب لا ظاهر الصدر :

ـ باخلاص لم يكتب فى تاريخ العربية عن الريف المصرى مثلما كتبت أنت فى روايتك (هارب من الأيام) .

وتاهت منى الكلمات وشرقت بها ورحت أجمع الحروف لأقول :

ـ أنا لا أتحمل كل هذا يا معالى الباشا .

وصمت قليلا وبدا أنه يفكر كيف يقـول ما يريده دون أن يفهم الجالسون ما وراء جملته وما لبث أن قال :

ـ أنت أديب قلت ما تريد أن تقوله عن طريق الرواية .

وفهمت اشارته فقد كانت الرواية تفضح الطغيان وتدينه بعنف .

وتغير الحديث ومكثنا بعض الوقت وجاء الوقت الذى ينبغى فيه أن نستأذن للانصراف فاذا الدكتور يقول :

ـ سأشدك من أذنك لا تظن أنك ستقرأ لى مديحا فقط توقع أن أشدك من أذنك .

فقلت وقد زادت سعادتى :

ـ ستجدنى أسعد الناس أن تشد يدك أذنى .

وخرجت . ما هذا الذى حدث ؟ ان الحياء يمنعنى أن أذكرك من هؤلاء ، فى تاريخ الأدب الذين كتبوا عن الريف المصرى . وسيشد أذنى . اذن سيكتب عن هارب من الأيام . يكتب عن أول رواية من خلقى فابن عمار لم تكن لتكتب لولا التاريخ أما هارب من الأيام فروايتى الأولى . ..

ذلك والله ما لم تستطع أن تسمو له أحلامى . وانى اليوم أذكر كلما قالها عميد الحقد الأدبى الدكتور لويس عوض وكنا جلوسا فى الحرافيش فاذا هو فجأة يقول لى على غير انتظار أو توقع وبعد سنوات من ظهور هارب من الأيام كانت ظهرت لى فيها عدة روايات أخرى قال الدكتور عميد الحقد :

ـ أتعرف لماذا لا نكتب نحن عنك ؟

وأدركت أن نحن هذه تعنى الشيوعيين طبعا وطبعا أيقنا وأنا لا أتوقع أن يكتبوا عنى طبعا أيضا وانما أحببت أن أعرف بماذا يطمئنون ضمائرهم الأدبية فقلت :

ـ لا .. لا أعرف .

قال فى وقاحة جديرة به :

– لأن طه حسين كتب عن روايتك الأولى . ماذا هل ولدت عملاقا مثل التليفزيون ؟

وقلت فى بساطة :

– على كل حال ان كتابة طه حسين عنى تغنينى عن كل نقاد العالم .

ونقلت الحديث الى غير ما خاض فيه حتى لا أفسد السمر على الحرافيش فى بيت أخينا العزيز الراحل محمد عفيفى .

مرت أيام قليلة بعد خروجى من عند الدكتور طه حسين وطلبتنى جريدة الجمهورية تسألنى أن أرسل لها صورة لى لتنشر مع مقالة الدكتور طه .

ولم أنم تلك الليلة وفى الفجر كنت أقرأ الجمهورية ووجدت المقالة فوق ما أتوقع وجدت الدكتور يأخذ على مآخذ فهمت ما يريده منها وفى العاشرة من الصباح كنت على باب منزله لأول مرة أزوره على غير موعد وقلت :

– أنا فعلا لا أعرف ماذا أقول .

قال :

– الله اذن أنت لم تزعل .

قلت :

– فمتى أفرح فى حياتى إذا زعلت اليوم ؟

قال :

– قل لى ماذا تقصد بروايتك ؟

قلت :

– معاليك قلت أنت أديب قال ما ...

ولم يجعلنى أكمل وقاطعنى :

– دعك مما قلت أنا وقل لى أنت ماذا تقصد ؟

قلت فى بساطة وصراحة :

– أنا أصف عهد الطغيان الذى نعيش فيه .

فاذا الرجل يقول فى أبوة حانية :

– هيه ... أنا فهمت هذا .

فقلت :

– واذا لم تفهم أنت فمن ... وأنا فهمت أنك هاجمت بعض أفكار من الرواية لتجميني ؟

قال :

– برافو .. نعم هذا ما قصدت اليه حتى اذا سألك أحد تقول اسأل طه حسين فهو يقول غير هذا .. انما اسمع .. أنا أستحلفك بحياتى اذا كنت تحبنى وأستحلفك بأبيك الذى أعرف أنك تحبه وتقدره ألا تقول هذا الذى قلته لى لأى انسان ولا حتى لزوجتك ، هؤلاء قوم مجرمون والله يعلم ماذا يصنعون بك اذا فهموا هذا الفهم .

كان برنامجى أن أسافر الى غزالة فى هذا اليوم فخرجت الى غزالة وكتبت له خطابا قلت له فيه ان كتابتك عنى أهم حدث فى حياتى ولكننى ربما كنت أصل اليها بعد سنوات اذا فاتنى أن أصل اليها اليوم .

ولم أكن أتصور أننى سألقى سعادة أكبر من أن تكتب أنت عنى ولكنك كشأنك تسمو الى مدارج يعجز مثلى أن يتصور أن انسانا يصل اليها .

انه لشىء عظيم أن ينقدنى ظاهرة من الظواهر الكونية فى التاريخ الأدبى . ولكن الأعظم منه أن أجد فيك الأب الذى فقدته . وقد يتاح للانسان من أمثالى أن يصلوا الى النجاح الأدبى . ولكن هيهات أن يتاح للإنسان أن يجد أبا بعد أن يفقد أباه .

وتوثقت الصلة بينى وبين الدكتور طه حسين وكتب لى بعد ذلك عن رواياتى « قصر النيل » و « ثم تشرق الشمس » و « لقاء هناك » .

وأذكر أننى كنت جالسا معه مرة فقلت له : إن مجلة كذا كتبت عن معاليك مقالة إقرأتها ؟

فقال :

– لا .. ماذا قالت ؟

قلت :

– تمدح معاليك .

قال :

– من أى ناحية ؟

قلت :

– تتكلم عن جملتك المشهورة العلم كالماء والهواء .

فقال :

– هيه .

ثم صمت قليلا وقال :

ـ والله يا ثروت لا أعـرف ان كنت قد أصـبت أم أخطأت بهـذا الشعار ٠

وكانت مساوىء التعليم المتسع دون اعداد علمى له قد بدأت تظهر فآثرت الصمت وكنت اذا تأخرت فى الذهاب اليه يبادرنى قبل أن يسلم على ببيتين أصبحت أحبهما غاية الحب :

ان كنت أزمعت على هجرنا

من غير ما ذنب فصبر جميل

وان تبـدلت بنـا غيرنـا

فحسبنا الله ونعم الوكيـل

كان طه حسين من أكرم الناس الذين عرفتهم ٠٠ طالما شهدته يعطى الفقراء ، وكان كثيرون من مكفوفى البصر يقصدون اليه ولا أنسى أول مرة زاره أحدهم فى وجودى ومد كل منهما يده للآخـر ولكن اليدين لم يعرفا طريقهما فى الظلام الدامس الذى يعانيه صاحب كل منهما وبسرعة تقدم فريد شحاته وهـدى اليدين الى الطـريق وتصافحا ٠ وتأثرت أنا وطفرت الدموع الى عينى وحمدت الله أن الرجلين لم يريا دموعى التى حاولت أن اخفيها عن فريد أيضا ٠

ذهبت يوما لزيارة الدكتور أنا والصديق أمين يوسف غراب وسـأل الباشا أمين :

ـ ماذا تكتب الآن يا أمين ؟

وكان أمين فى الطريق روى لى موضوع قصـة يكتبها وقلت له ان الفكرة تتعارض مع الشريعة فسارعت أنا باجابة الدكتور طه :

ـ يكتب قصة تتعارض مع الشريعة ٠

ورويت له المسألة الشرعية فقال :

ـ أظنك على حق ٠ يا فريد هات المصحف ٠

وأحضر فريد المصحف وقال الدكتور :

ـ افتح على سورة النساء ٠ اقرأ الآية التى أولها كذا ٠ اقرأ بعدها بآيتين ٠ فاذا هى الآية التى تحمل القاعدة الشرعية موضع النقاش ٠ وتلك ذاكرة لا تتأتى الا لطه حسين ٠ وقد كان رحمه الله لا يسمع فى الاذاعـة الا المصحف المرتل ٠ ولكن المشايخ القراء اذا سألتهم فانهم يقرءون السورة كلها ليصلوا الى الشاهد الذى تريد ٠

أجريت عملية جراحية للدكتور طه تدهورت صحته بعدها فأصبح يمشي بصعوبة بالغة ولكن الرجل الذى صارع اظلام البصر فصرعه استطاع أن يصارع قيود المسير فيصرعها • فهو حريص دائما أن يرأس جلسات مجمع اللغة العربية الذى كان يسميه الأكاديمى أو الأكاديمية ، كما كان يحرص على اعطاء المحاضرات • وظل كذلك الى قبيل وفاته بسنتين • وفى هذه السنة تدهورت صحته بصورة مفاجئة ولكنه كان يصر أن يرافق السيدة زوجته الى فرنسا كل عام •

طلبته يوما فى التليفون وكان فريد قد تركه • ورد على سكرتيره قائلا الباشا سيسافر الآن الى الاسكندرية ويريد أن يراك فورا ، وبعد دقائق كنت عنده وصعدت اليه فى حجرته وكان مستلقيا فى فراشه وجلست الى جانبه وحاول أن يخرج يده ليصافحنى فلاحظت أنه يبذل جهدا كبيرا ليحركها فأدخلت يدى تحت الغطاء وأبقيت يده حيث هى حتى لا أجهده وانتظرت أن يقول لى شيئا يبرر قول السكرتير لى انه يريدنى ولكنه لم يقل الا • • •

ـ أنا متعب جدا يا ثروت • أنا متعب جدا •

وعجبت أنه مع هذا التعب سيسافر من فوره الى الاسكندرية فى طريقه الى فرنسا •

انصرفت وقلبى يرتجف خشية ألا أراه بعد ذلك • ولكنه عاد وقضى العام فى القاهرة • وفى يوم طلبنى سكرتيره وأخبرنى أن الباشا يريدنى فذهبت فاذا هو يريدنى ليهدى الى كتابه الأخير الجزء الثالث من الأيام • وليأذن لى القارىء أن أذكر صيغة الاهداء فهى وسام آخر أضعه فى القلب منى مع وسامه الأول : الى الأستاذ فلان أوفى الأصدقاء وأبرع القصاص •

وفى صيف عام ٧٣ سافر الدكتور طه الى فرنسا •

وفى أكتوبر كانت حربنا المنتصرة وكنت فى البيت ولا أدرى لماذا قفز الى ذهنى أن أسأل عن موعد مجىء الدكتور طه وطلبت الرقم وأجابه السكرتير فاذا هو يقول فى دهشة بالغة :

ـ غير معقول • • • لا يمكن •

قلت له :

ـ ماذا ؟

★★★

ـ الدكتور في هذه اللحظة كان يقول لي : أطلب لي ثروت لأعزيه في وفاة عزيز باشا ٠

تفضل الدكتور سيكلمك :

وتكلم الباشا وحياني وعزاني وسألته :

ـ متى شرفت معاليك ؟

فاذا هو يقول :

ـ الآن ٠

وتعجبت أن أطلبه ساعة وصوله وسألته عن صحته فقال :

ـ أنا متعب جدا ٠٠ متعب جدا ٠ وأريد أن أراك ٠ سأطلبك بعد يوم أو يومين لأراك ٠

مات الدكتور طه ولم يقدر لي أن أراه ٠ فقد مات بعد يومين ٠ وسارعت الى منزله ٠ ولقيني سكرتيره والدموع في عينيه وهو يقول لي :

ـ لقد قرأ الدكتور روايتك الأخيرة «جذور في الهواء» أربع مرات وكنت كلما قلت له اننا قرأناها يقول نعم أعرف ولكن أريد أن أقرأها مرة أخرى ٠

وغامت عيناي بالدموع

ودخلت السيدة زوجته حجرة مكتبه حيث كنت جالسا مع بعض ...ين واذا بالسيدة الجليلة تحتضنني في حنان أم وتربت كتفي وتبكي على كتفي وهي تقول بالفرنسية : كان يحبك جدا يا مسيو أباظة كان يحبك جدا ٠

وهي لا تدري أن حبه لي مهما يكن شأنه هو بعض حبي له ٠

وحسب هذا الحب عمقا أنني وأنا رجل صناعتي الكلام عاجز كل العجز أن أصف بعضا منه ٠

★★★

حمام والديب وأحمد عبد الغفار باشا

لا أذكر متى عرفت مصطفى حمام · ولكن المؤكد أننى عرفته ونحن بعد فى بيت الملك الناصر ، وقد تركنا هذا البيت وأنا بين الحادية عشرة والثانية عشرة · والحقيقة اننى لم أعرف فى حياتى شخصا قادرا على أن يجعل الجلسة ممتعة شيقة مثل مصطفى حمام ·

لقد كان كل جالس يجد عنده ما يشتهى · فهو راوية خيارة للشعر يحفظ أجمله وأرفعه وأكثره رقة ، وهو راوية لا مثيل له للزجل · وهو قبل شاعر اذا شاء ارتجل الشعر ارتجالا وتحسبه جهد فى صنعه كل الجهد فأنت تجد فى شعره جمال السبك وحلاوة اللفظ وتماسك المعانى وتدافعها · ومهما أحاول فنناى لن أستطيع أن أنقل اليك المتعة الرائعة التى يفيضها حمام على أى مجلس هو فيه · يؤيده فى ذلك ذكاء بارع فى اختيار ما يقال فى كل مجلس بحاسة لا تخطىء ؛ يختار حديثه فاذا هو يجتذب الجالسين كفعل الساحر الخبير ·

وأشهد اننى لم أسمع حمام عمرى يذم انسانا أو ينتقص منه · وهو يملك لسانا عذبا يرضى به كل متحدث اليه ، ولعل من أطرف المواقف التى رأيته فيها يوم طلب أبى من القاهرة وكنا نحن مع أبى فى بلدتنا غزالة · وأخبر أبى أنه قادم الى غزالة وأراد أبى أن يفاجئه فأمر فتجمعت من رجال البلدة مظاهرة ضخمة فى مقدمتها طبال القرية وزمارها وأعدوا للقادم حصانا صافنا أصيلا وذهبت أنا بالمظاهرة ننتظر حمام على القطار فى محطة أبو الأخضر التى تبعد عن غزاله كيلو مترين · ووقف القطار وارتفع الهتاف يحيا الأستاذ حمام وذهل الرجل فقد كان يتوقع أن يكون السائق فى انتظاره وان جمح الخيال فلأكن أنا مع السائق أما مظاهرة وطبل وزمر وحصان وأنا فهذا فوق ما كان يتخيل · ونزل مبهورا وركب الحصان ولم يكن قد ركب حصانا فى حياته ، ويشاء حظه أن يكون الحصان عربيا راقصا فراح يوقع بحوافزه مع موسيقى الطبل والمزمار · وكاد يغمى

على حمام واستحلفني أن يركب حمارا والا مات من الخوف في وسط الطريق ورحمته وأركبته حمارا وجدناه بالصدفة في طريقنا ووصل الموكب والزعيم القادم يركب حمارا واستقبله الشاعر الكبير ابن غزاله أحمد عبد المجيد الغزالي بقصيدة عصماء كان مطلعها :

أتيت فمرحبا بك يا حمام

وفي كنف العلا يحلو المقام

وقضى معنا في غزالة أياما لا تنسى .

أراد حمام أن يقدم عبد الحميد الديب الى أبي فجاء به وألقى عبد الحميد أبياتا لأبي رائعة أذكر منها :

جابر المحروم وهاب المنن

جبر الله به صدع الوطن

أنت ابراهيم ثاني نابغ

فجع الكفار في حطم الوثن

وكان هذا اللقاء في أوائل الأربعينات وكان أبي قد خرج منتصرا على الوفد في المعركة الانتخابية الشرسة التي رويت لك أنباءها والتي جرح فيها عمي فكري أباظة ولف أبي خمسة جنيهات في هيئة سيجارة وقدمها الى عبد الحميد الديب . وخرج الديب وحمام وعاد حمام الينا في اليوم التالي ليخبرنا أن الديب كاد يجن من الفرح وراح يقول لحمام :

ـ لماذا لم تعرفني بهذا الرجل من زمان ؟ خمسة جنيهات مرة واحدة ! أنا لا أراها الا في الأحلام .

وبعد أيام عاد الينا حمام وقال لأبي : اسمع يا معالي الباشا الشعر الجديد الذي قاله الديب في الأباظية .

وساله ابي :

ـ ماذا قال ؟

وقال حمام :

قال :

ابلغ اباظة عني انهم ورثوا

مالا ولم يرثوا دينا ولا خلقا

واندهش أبي وراح يضحك لهذا الانقلاب وسأل حمام عن سره فقال حمام :

ــ سألته :

وقال أبي :

ــ فماذا قال ؟

قال حمام :

ــ قال : خمسة جنيهات ايه يا أستاذ هو باع القطن بكام السنه دى .

وضحك أبي ولكنه قال في ذكاء السياسي المحنك :

ــ المسكين وقع فريسة لخبيث أراده أن يهجوني حتى يقطع عنه ما أعطيه .

وصاح حمام :

ــ أطال الله عمرك يا باشا . هذا فعلا ما حدث لقد أغراه بك كامل الشناوي .

ولم يغضب أبي من عبد الحميد الديب وظل يصله .

وحدث بعد ذلك بسنوات أن ذهب عبد الحميد الديب الى معالى المرحوم أحمد باشا عبد الغفار فوجد الباشا في الطابق الأعلى فارسل اليه أبياتا يمتدحه بها فأرسل له أحمد باشا خمسين قرشا فغضب عبد الحميد الديب وأعاد الخمسين قرشا ومعها هذه الأبيات :

كسرت أبا عثمان قلبي وخاطري
وقد خلت منك العطف في العيش جابري
وما جئت استجديك خمسين لعنة
ولا مر هذا الميل يوما بخاطري
ففي كل غفار خلال ذميمة
واخلاق نذل ساقط الأصل داعر
اباظة اسمى منكمو في نجارها
واندى اكفا في صلات العشائر

واذكر انني كنت في صباح ذلك اليوم واقفا بجانب أبي وهو يحلق ذقنه في حجرته على عادته ولم يكن عندنا أي فكرة طبعا عما حدث

لأحمد باشا ، واذا بالتليفون يضرب ويخرج الى أذنى صوت أحمد باشا عنيفا ودون تحية الصباح ودون أن يسألنى من أنا فقد كان يعرف صوتى من كثرة ما أجبته فى التليفون :

ــ فين أبوك ؟

وأعطيت السماعة لأبى وظل صوت أحمد باشا يصل الى أذنى وكأننى أضع السماعة على أذنى .

ــ انت باعت لى الواد بتاعك يشتمنى على الصبح

وعجب أبى وقال :

ــ واد مين ؟

وروى أحمد باشا لأبى القصة ولم يكن محتاجا أن يؤكد أبى له أنه لا يعرف شيئا عن هذه الحكاية ولكن أحمد باشا قال ... :

ــ دى آخرة تدليعك للعيال الشعرا بتوعك دول ...

وراح أبى بعد أن وضع السماعة يضحك ويضرب كفا بكف وهو يقول لنا فى مرح ضاحك :

ــ بس أنا مالى ... ما دخلى أنا ؟

ورحنا نحن أيضا نضحك مما فعله الشاعر عبد الحميد . وبما أننى رويت عنه فاننى أحب أن أثبت هنا ما وصلت اليه فى شأنه . لقد كان هذا الشاعر يستعذب الفقر والصعلكة . وكان يخشى أن يجرى المال فى يده فلا يقول شعرا . وهو فعلا لا يستطيع أن يجيد الا فى شكوى الزمن ، اسمعه يقول :

بين النجـــوم أناس قد رفعتهمـــوا

الى السماء فسدوا باب أرزاقى

ومن حبتـــه الطلا اخـلاق نشـــوتها

عدا على الكأس طـــورا أو على الســاقى

وقد اتصلت أسبابى بالزجل أحمد باشا عبد الغفار بعد وفاة أبى . وكان هذا طبيعيا . ففى حياة أبى كانت صلته مباشرة ولم أكن أتصور أن أحمد باشا من أحسن الذين يقرءون الأدب وله فيه ذوق رفيق وحس رقيق . وكان فى جلسته متحدثا لبقا وكان كأهلنا فى القـــرى يـــروى الكثير من الوقائع . ومما رواه أن أحد وزراء الداخلية استدعاه فى أحد الأيام وهو بعد شاب فى أول حياته السياسية وكان يريد أن يتعرف رأيه فى المرشحين

بالمنوفية لمجلس النواب . وحين استقرت به الجلسة جاء سكرتير الوزير ليخبره أن أحد الباشوات الأثرياء بالخارج .

وقال الوزير ادخله ، ودخل الباشا ثم التفت الوزير لأحمد عبد الغفار وقال :

- عن اذنك يا أحمد بك .

ونظر اليه أحمد عبد الغفار الفلاح الأصيل ذو الاباء والكرامة وقال :

- تقصد معاليك أن أخرج وأنتظر لتقابل معاليك سعادة الباشا حتى اذا انتهى سعادته من حديثه أدخل أنا .

فقال وزير الداخلية :

- دا اذا سمحت .

فقال أحمد باشا في صراحة الرجال :

- لا يا أخي ما اسمحش أبدا .. أنت مستدعيني تسألني عن ترشيحات المنوفية كلها الباشا القاعد قدامك هذا لو رشح نفسه في بيته لا يستطيع أن يحصل على صوته هو .

وخرج الباشا وأكمل أحمد عبد الغفار حديثه مع الوزير .

وأذكر أنني قلت لأحمد باشا يوم روى لنا هذه الحكاية :

- ألم تكن قاسيا على الباشا دون ذنب له ؟

وضحك أحمد باشا وقال :

- لك حق . ولكن كنت أرد للباشا اساءة وجهها الى قبل ذلك . فقد تجاهلني مرتين دون مناسبة فأحببت أن أعرفه مقامه .

وكان أحمد باشا عبد الغفار من أكرم الناس الذين عرفتهم في حياتي وكان كثيرا ما يدعو أصدقاءه الى الغداء أو العشاء في كلوب محمد على وكان في هذه الدعوات يغدق بغير حساب .

ولكن الأهم من ذلك أنه كان يحسن الى المحتاجين في كرم لا مثيل له . فهو موطأ الأكناف ، يوسع على الناس بكل مايستطيع من جهد. وكان اذا عرف أن صديقا له في ضائقة سارع اليه دون أن يندبه أحد الى هذا ، وانما يتبرع بالمبادرة ويسعد غاية السعادة بأن يعطى ويحس بالرضى غاية الرضى أن الظروف أتاحت له أن يقف الى جانب صديق مكروب . وكان أحمد عبد الغفار يقدر الرجولة ويعجب بها غاية الاعجاب .

وكان أحمد باشا معروفا بالصوت المرتفع الجهير . ومن أطرف النكات التى تروى عنه أنه حين كان وزيرا للزراعة جاء أحد أصدقائه ليقابله فاستمهله السكرتير قائلا له إن الباشا مشغول . وجلس الضيف وإذا بصوت الباشا يملأ أجواء حجرة السكرتير وشعر السكرتير بالخجل فأراد أن يعتذر للضيف فقال :

ـ لا مؤاخذة يا سعادة البك أصل الباشا يكلم تلا .. وتلا هى قرية الباشا وفيها زراعته التى كانت معروفة فى مصر جميعا أنها زراعة نموذجية لخبرة الباشا الفائقة بفلاحة الأرض . وتلا هذه قرية من المنوفية .

وإذا بالضيف يقول فى سرعة خاطر رائعة :

ـ ولماذا لا تقولون للباشا يكلم تلا بالتليفون بدلا من هذا الزعيق ؟!

رحم الله أحمد عبد الغفار باشا الذى عاش رجلا ومات رجلا على رغم كل ما أحاطه به الدهر فى أخريات أيامه من تحديات واجهها فى شموخ العظماء وفى كبرياء الكرام .

★★

الدكتور محمد حسين هيكل باشا

كنت كما أخبرتك فى رأس البر حين ظهرت نتيجة الثقافة ... ونلت شهادة الثقافة وأصبحت طالبا بالتوجيهية · وأزحت عن كاهلى مشقة انتظار النتيجة وانطلقت أقرأ ما كنت أهفو الى قراءته من الكتب · وما كان انتظار النتيجة مانعى عن القراءة ولكن ما أبعد الفارق بين قراءة مفزعة يملؤها رعب انتظار النتيجة وقراءة هانئة خالية من الخوف · وكنت قرأت حياة محمد قبل هذا بسنوات ولكن طاب لى أن أعيد قراءتها · وكنا فى رمضان فكنت أنزل الى البحر حتى الساعة الواحدة ظهرا ثم أعود الى العشة والبس ملابسى العادية وأجر كرسيا ومظلة بحر وكتاب «حياة محمد» · ولا أشعر بالحياة حتى تغرب الشمس وأضيق بغروبها كل ضيق وربما كانت هذه الأيام الوحيدة فى حياتى التى كنت أرجو فيها وأنا صائم ألا يأتى الغروب ·

وكان المرحوم محمد حسين هيكل باشا يصطاف فى رأس البر معنا فقد كان الجميع يصطافون فى رأس البر فى زمان الحرب العالمية الثانية التى أثرت أعظم الأثر فى الدول المشتركة فيها وغير المشتركة ·

وبعد الافطار كنت أذهب مع أبى ليجلس مع أصدقائه فى فندق كورتيل على النيل · وسألنى هيكل باشا :

ــ ماذا تقرأ الآن يا ثروت ؟

فأجابه أبى :

ــ يقرأ «حياة محمد» للمرة الثانية وأنا أنصحه بأن يذاكر للبكالوريا التى سيمتحن فيها العام القادم ·

وقال هيكل باشا :

ــ اتركه يا دسوقى يقرأ ما يريد فكتب المدرسة سيقرؤها على أى حال ولكن ربما لا يجد فرصة أخرى ليقرأ ما يقرأ الآن ·

كنت فى هذه الجلسات أجلس صامتا كشأنى فى جلسات لجنة التأليف والترجمة والنشر · وكان جلوسى غالبا بجانب هيكل باشا ·

مال يوما على وقال :

ـ هل فرغت من « حياة محمد » .

قلت :

ـ نعم .. وأحسب أنني سأعود اليه مرات بعد ذلك .

وفعلا عدت وكتبت عنه تمثيليات اذاعية أذاعتها محطات العالم العربي كله بعد ذلك بسنوات قليلة وعاد هيكل باشا يسألني :

ـ وماذا تقرأ الآن ؟

قلت :

ـ أقرأ الشوقيات .

قال :

ـ ما آخر قصيدة قرأتها ؟

قلت :

ـ مصائر الأيام .

قال :

ـ أتحفظ منها شيئا ؟

قلت في خجل :

ـ نعم .

قال :

ـ قل ..

فبدأت أقول :

ألا حبذا صحبة المكتب ... وأحبب بأيامه أحبب

ومضيت فرويت له بضعة أبيات وسكت مقدرا أنه ربما يريد أن يعود الى مشاركة أصدقائه حديثهم ولكنه قال في ذكاء وادراك لما أفكر فيه :

ـ أتحفظ بعد هذا ؟

قلت : نعم .

قال :

ـ أكمل .

وأكملت ، ظللت أسكت ويطلب مني أن أواصل حتى رويت له القصيدة كلها وكنت حفظتها عن ظهر قلب .

وأصبح هيكل باشا يصحبني بعد تلك الجلسة في مشيته الطويلة حول رأس البر وما كنت وما أنا حتى اليوم من هواة المشي ولكن اذا كان المشي في صحبة هذا العلامة من علامات التاريخ الوطني والسياسي فلتذهب هواياتي كلها الى الجحيم .

ومن الأحاديث التي أذكرها في هذه المشيات أنني قلت له يوما :

ـ لابد أن شوقي كان شجاعا كل الشجاعة يا معالي الباشا .

قال :

ـ لماذا ؟

قلت :

ـ ألم يشتم الأمير حسين الذي أصبح السلطان حسين كامل حين ذهب الى حفلة توديع كرومر بقوله :

شهد الحسين عليه لعن أصوله

وتصدر الأعمى بها تطفيلا

فقال هيكل باشا :

ـ للأسف لم يكن شوقي كما كنا نود من الشجاعة .

فالأمير حسين في ذلك الحين كان مغضوبا عليه من السراى .

وقد كان شوقي يمدح من في الحكم ولا يعارض الا اذا كان واثقا أن شرا لن يناله .

قلت :

ـ عجيبة

قال :

ـ تصور أنه بدأ يكتب قصيدة في مدح محمد باشا محمود وهو رئيس وزارة ١٩٢٨ وسقطت الوزارة فلم يكمل القصيدة .

ـ أتذكر معاليك شيئا من هذه القصيدة ؟

قال أذكر البيتين اللذين قالهما .. قال :

هات الأمانة يا محمد هاتها

راعي الأمانة أنت وابن رعاتها

أنا لا أرى صدأ الحديد على يد

ردت الى الأوطان حرياتها

وكان بهذا يرفع عن محمد باشا تهمة صاحب اليد الحديدية التى أطلقها عليه خصومه مستغلين فرصة كلمة قالها انه سيقضى على الفوضى بيد من حديد ٠

قلت لهيكل باشا :

ـ ومع ذلك فمعاليك كتبت له مقدمة رائعة للجزء الأول من ديوانه ٠

فقال :

ـ واذا طلب منى أن أكتب له مقدمة فى أى وقت ما تأخرت ٠ اننا يجب أن نفصل بين الشاعر والسياسى ٠ وشوقى الشاعر هو أعظم شعراء العربية على الاطلاق ٠

وفى يوم كنا فى القاهرة وكان هيكل باشا عندنا فى البيت يشرب فنجان قهوة واقفا لا أدرى لماذا ربما لمجرد أنه لم يكن يرغب في الجلوس ٠ وقرأت أنا فى مجلة أن راقصة تقاضت مبلغا كبيرا من المال فى مقابل رقصة لها وأحببت أن أفاكه الباشا فقلت :

ـ أرأيت هذا الخبر يا معالى الباشا ٠٠٠ راقصة تتقاضى كل هـــذا المبلغ فى رقصة كم تأخذ معاليك فى كتاب بأكمله !؟

فأجاب فى جدية :

ـ يابنى لا ٠٠٠ ما هكذا يكون الحساب ٠ هؤلاء الراقصـــات ذقن الجوع والاذلال فترات طويلة من حياتهن أما نحن فقد عشنا عمرنا كراما على أنفسنا وعلى الناس والحمد لله ٠

وبعد الثورة استدعته محكمة ثورية ليشهد شهادة تكون ذات أثر فى ادانة فؤاد سراج الدين فاذا هو وهو رئيس الحزب الذى يعتبر المعارض الأول لحزب الوفد حزب الأحرار الدســـتوريين يعلن فى شجاعة منقطعة النظير أن منابر المجالس النيابية لم تشهد نائبا ولا شيخا فى ذكاء فؤاد سراج الدين وبراعته الا فى النادر من الرجال ٠ وأعجبت بما قاله وقصدت اليه أهنئه فقال فى كبرياء :

ـ وهل كنت تنتظر منى غير ذلك ؟ أأحارب خصما وهو فى مأزق ؟

وهو محق فقد ذكرت له لحظة ذاك يوم تخطاه الملك فى رئاسة الوزاره وعين ابراهيم باشا عبد الهادى وأراد الملك أن يعتذر اليه فاستدعاه وقال له فى تلطف :

ـ ستأتى اليك رئاسة الوزارة يا باشا لا شك ٠

فاذا هيكل العملاق يقول له :

ــ يا جلالة الملك أنا حين أجلس الى مكتبي وأكتب تصغر أمام عيني كل كراسي الحكم .

وقد أوشك الرجل أن يقول حتى كرسي عرشك .

ولهيكل باشا حديث معي لا أتصور أن أتحدث عنه ولا أذكره . فقد توفي خالي سعد الدين أكبر أخوالي وأكثرهم حنوا علي وأقمنا المـأتم بالزقازيق .

وكنت أنتظر نتيجة التوجيهية أو الثانوية العامة كما يسمونها الآن فرأيت أن أعجل بالسفر الى مصر لأتلقف أخبار النتيجة وكان أبي سيبيت في غزالة ودار الحديث أمام هيكل باشا فقال في بساطة :

ــ تعال معي .. أنا في السيارة وحدي مع خالتك عزيزة .

وسارعت بالقبول .

وفي السيارة سألني :

ــ تنتظر نتيجة التوجيهية ؟

قلت : نعم .

قــال :

ــ وعلام تنوي ؟

قــلت :

ــ الحقوق ولو أنني أفكر أحيانا في الآداب

فقال :

ــ اياك .. ان الذي ستحصله من كلية الحقوق لا يمكن أن تحصله الا من كلية الحقوق أما الآداب فتستطيع أن تدرس علومها دون كلية . وهأنذا أمامك دراستي حقوق والماجستير والدكتوراه حقوق ومع ذلك يقولون عني أني أديب .

ولم أعد أفكر في كلية الآداب بعد ذلك ، وتذكرت أن هذا الرجل الجالس أمامي نال الحقوق واللغة الأساسية الانجليزية وكذلك الماجستير ثم نال الدكتوراه باللغة الفرنسية .. انه ظاهرة كونية هذا الرجل .

في هذا اليوم الذي ذهبت لأهنئه بشهادته ذات الرفعة والاباء قال لي سأقص عليك قصة كلما رويتها أعجبت بأبطالها وحزنت ، لأنهم كانوا مع ذلك غزاة محتلين . يراعون العدل مع الأفراد ولا يراعون العدل مع

الأمم . فى يوم من الأيام جاءنى استدعاء الى المحكمة الانجليزية العسكرية . وحمل الاستدعاء ضابطان بريطانيان صحبانى فى سيارة محترمة الى المحكمة . وجلست فى مقاعد المحامين حتى جاء دور القضية التى طلبت من أجلها فنودى اسمى ومثلت أمام المحكمة . وأمسك القاضى بجريدة السياسة وسألنى : هل أنت رئيس تحرير هذه الجريدة ؟ فقلت : نعم . قال : أهذا يصح ؟ وأشار إلى مقالة قرأت عنوانها فعرفتها كانت مقالة يهاجم فيها د. طه حسين الأستاذ محمد أبو شادى وكان الانجليز يعتقلونه عند ظهور المقالة فتعجبت : ما هذا الذى لا يصح ؟! اننا نهاجم رجلا أنتم تعتقلونه ماذا فى هذا ؟ فقال القاضى : فى هذا أننا نعتقله . ألا تدرى أننا حين نعتقله تصبح كرامته أمانة فى أيدينا ؟ كيف تهاجمون شخصا لا يملك الرد عليكم ؟ فقلت فى سرعة : من هذه الناحية أنتم محقون وأعدك ألا يتكرر هذا . فقال : شكرا . وانصرفت وأنا أتعجب : كيف يكون للانسان عندهم هذه القدسية وتجدهم فى معاملتهم للدول قراصنة بلا خلق ولا ضمير على الاطلاق ؟!

توثقت صلتى بالمرحوم هيكل باشا يزيدها أنها كانت علاقة عائلية فوالدتى صديقة زوجته وابناه وبناته نعتبرهم طول عمرنا فى بيتنا اخوة لنا .

وشاء القدر أن يلحق بالرفيق الأعلى عام ١٩٥٧ وأردت أنا والأستاذ الشناوى أن نقيم له حفل تأبين وأخبرنا بذلك أحمد باشا عبد الغفار فدعانا للقائه مع كبار رجال الحزب فى نادى محمد على ولم نكن والشناوى أعضاء فانتقل الينا الباشا وأصدقاؤه فى غرفة الضيوف وعرضنا رأينا واذا بوزير سابق من وزراء الحزب أكن له كل اكبار واجلال يقول :

ــ والله أنا أرى الوقت ليس مناسبا فالثورة الآن باطشة وليست الحال كما كان عند وفاة المرحوم والدك وأرى أن لا داعى أن تثير علينا البراكين ونعطل مصالحنا .

وساد بعض الصمت بعد حديث الباشا فوجدت نفسى أقول فى سرعة وفى حسم :

ــ يظهر يا معالى الباشا أننى لم أحسن عرض فكرتى . أنا لم أحضر للقاء معاليكم والباشاوات لنستأذن فى اقامة الحفل ، وانما جئت أنا والأستاذ الشناوى لنخطركم أننى والأستاذ الشناوى سنقيم تأبين لهيكل باشا ونسألكم فقط ان كان أحد منكم يحب أن يشترك فيه أم لا ؟ انما الحفل سيقام على أى حال يا معالى الباشا .

وصمت الباشا فترة ثم قال :

ـ أفكر ٠

أما الباشاوات الآخرون فقد وافقوا على الاشتراك جميعهم فى الحفل ٠

وأقيم حفل التأبين وأشهد أمام الله وأمامكم أن الباشا الذى حاول أن يمنع اقامة حفل هيكل باشا ألقى كلمة أعتبرها أنا أجرأ كلمة ألقيت فى الحفل جميعا ٠

رحمهم الله جميعا رجالا حين يعز الرجال ٠ جمعوا الاباء والكبرياء الى العلم الباذخ والخلق المتفرد الرفيع ٠



العوضى الوكيل

كنت أنتظر الشهادة الابتدائية بغزالة حين أمرنى أبى أن أصحب الشاعر العوضى الوكيل الى الزقازيق ليستقل القطار الى القاهرة وكانت وسيلة المواصلات المتاحة عربة حنطور ٠

وفرحت أننى سأصحب هذا الشاعر الذى أقرأ له فى الأهرام فترة ساعة تقريبا ٠

وبدأ الحديث ٠ أكلمه فى السفر ويكلمنى فى المقرر وكان واضحا أنه يرفض أن يقبلنى كأحد هواة الأدب والشعر فأسلمت أمرى الى الله وسكت كل منا ٠

وبعد ذلك عرفت أن سكوته كان أعجوبة فى ذاته فهو بطبيعته لا يحب أن يسكت أبدا ٠

التقينا بعد ذلك فى القاهرة وعرفنى العوضى تمام المعرفة وعرفته تمام المعرفة فلم أر فى حياتى شخصا نقى السريرة طيب النفس محبا للخير مثل هذا الرجل ٠

تعودت بعد ذلك أن أسمع شعره وأعجب به ، الا أننى كنت كثيرا ما أداعبه فأنقد بعض الألفاظ فى أبياته فكان لطيبته وسلامة نفسه يرتج عليه وترتسم على وجهه معالم الحيرة ٠

وقد عرف هذا عنى بين أصدقائنا من الشعراء والأدباء ٠ حتى لأذكر أن الشاعر الرصين الأستاذ خالد الجرنوسى أنشد قصيدة فى حفل أقامه أدباء العروبة بمناسبة حصولى على ليسانس الحقوق ، وقد كان هذا الحفل تحية من هذه الجماعة العظيمة الوفاء لأبى وليس لى بطبيعة الحال وخاصة أنه لم يكن وزيرا فى ذلك الحين ٠ وكانت قصيدة الأستاذ خالد الجرنوسى غاية فى الجمال وقوة السبك وأستأذن فى ذكر هذا البيت منها لأستشهد به على ما كان بينى وبين الأستاذ العوضى من مداعبات :

الناقد الطبن اللبيب رأيته
يتفزع العوضى من نقدانه

وأذكر وأنا أنتظر نتيجة التوجيهية اندعانى العوضى لانزل ضيفا على كابينته فى أبى قير التى كان قد استأجرها واضطره العمل مع أبى فى القاهرة - فقد كان يعمل فى مكتبه - ألا يذهب الى أبى قير الا بعد عشرة أيام من تاريخ عقد الايجار وقبلت الدعوة ودعوت معى أيضا الأستاذ عثمان نويه ٠

وقبل سفرنا بأيام قليلة كان قد ظهر للعوضى الوكيل ديوان أصداء بعيدة وكان قد استكتبنى فيه كلمة عن الهجاء فى الشعر العربى ٠ وكنت فى ذلك الحين أكتب نقدا فى جريدة الرسالة فكتبت كلمة قاسية عن الديوان وأشهد اليوم أننى ما أردت بها الا مداعبة الشاعر العظيم واتهمته فى الكلمة أنه يكتب شعره بسرعة فائقة لا تسمح له بالتجويد ٠ وسلمت الكلمة للأستاذ محمد سكرتير تحرير الرسالة وسافرت أنا وعثمان نويه لنقضى أسبوعا فى كابينة العوضى الوكيل وكنت أرجو أن تتأخر الكلمة فى النشر حتى لا تظهر وأنا فى ضيافة الرجل ٠ ويشاء العلى القدير أن تظهر الكلمة فى نفس اليوم الذى أنتظر فيه العوضى وعائلته على القطار لأسلمه مفتاح الكابينة ٠ وكنت أعتقد أنه سيحمل الأمر على محمل المزاح كما تعودنا ولكننى وجدته حزينا وأخبرنى أن السيدة حرمه بكت لما قرأت الكلمة فرحت أمرح معه وأسترضى السيدة العظيمة زوجته حتى ضحكا وزال تماما ما علق بأنفسهما وقال العوضى :

- على كل حال أنا كتبت ردا عليك سيعلمك ألا تصنع هذا معى أبدا ٠

فقلت له فى مرح الشباب وغروره :

- وليه بس ؟ طيب أنا سأرد على الرد وأريك ٠

ضحكنا وسلمته الكابينة وكان أبى قد جاء الى الأسكندرية وذهبت لأقيم معه فى البيت الذى استأجره فى عامنا هذا وظهرت مقالة الأستاذ العوضى فوجدته يقول فيها : « ان معالى والده معجب بسرعتى فى كتابة الشعر » ووضعنى هذا القول منه فى مركز حرج ولكننى وجدت منفذا ٠ فكتبت كلمة قصيرة جدا قلت فيها : « يظهر أن الأستاذ العوضى الوكيل قرأ مقالتى بنفس السرعة التى يكتب بها قصائده ٠ أرجو أن يقرأ مقالتى مرة أخرى » ونشرت الكلمة فى نفس اليوم الذى كنت أتمشى فيه مع العوضى فى ميدان المنشية بالاسكندرية والتقينا هناك بالشاعر السكندرى الكبير عبد اللطيف النشار ولم يكن يعرفنى فاذا به يبدأ العوضى وهو يصافحه بقوله :

- ثروت أباظة قتلك اليوم بالرسالة ٠

فصاح العوضى :

ـ هذا هو ثروت أباظة يا سيدى ·

وضحكنا جميعا ·

ومن المداعبات التى لا أنساها مع العوضى أنه عين بعد ذلك مديرا لمخازن البريد وكان فرحا بالمنصب غاية الفرح فكتبت عنه مقالة فى جريدة المقطم قلت فيها : انه يضع على باب حجرته حاجبا له شارب كعارضة المرور فاذا أراد أن يسمح لأحد بالدخول فانه يرفع شاربه ليسمح للداخل بالمرور ·

وأذكر أننى قلت فى آخر المقالة لقد خسر فيه الأصدقاء شاعرا مجيدا وما أظنهم كسبوا مديرا جديدا ·

وفى يوم الجمعة التالى لظهور المقال كنت مع العوضى عند عملاق الأدب الأستاذ العقاد فقال له بصوته العظيم كصاحبه : ان ثروت قال عنا ما نريد أن نقوله لك · وكان العوضى من أبناء العقاد المقربين وكان يعجب بشعره غاية الاعجاب ·

والحقيقة أن العوضى الوكيل يعتبر علامة وضيئة فى جيله · وكان عزيز باشا أباظة يعتبره أكثر شعراء جيله رصانة وقوة سبك وتدفقا ·

وأنا لا أستطيع أن أنسى فضل العوضى على أستاذا فى اللغة العربية · فهو أعلم من عرفت بأصول اللغة وقواعدها سواء كان ذلك فى النحو والصرف أم فى علم البيان · وقد كان متفوقا فى ذلك على اخوانه وهم العلماء الكبار فى هذا الميدان فهم أبناء دار العلوم التى أرست قواعد اللغة العربية عهدا عهيدا من الزمان والتى ظلت علما خفاقا فى هذا الميدان ولم ينكس العلم الا حين أصبحت كلية تقبل أى منتسب لها بعد أن كانت لا تقبل الا حملة ثانوية الأزهر الذين كانوا يدخلونها وهم حافظون للقرآن الكريم جميعا مع ألفية ابن مالك ومع اتقان لعلوم الأزهر التى تعد الشاب أحسن اعداد لتلقى الدراسة العليا فى كلية دار العلوم ·

والأستاذ العظيم العوضى لم يكن يدرس لى أثناء السنة ولكنه كان بوفائه الذى لا مثيل له يبيت فى منزلنا ليلة امتحان اللغة العربية ويراجع معى كل القواعد لا يترك منها شيئا · وكانت تكفينى هذه المراجعة لأحصل على درجة مشرفة فى مادة اللغة العربية ·

وقد كرم الله العوضى الوكيل اكراما لا مثيل له فى أبنائه فابنه البكر ممدوح طبيب عظيم فى الولايات المتحدة الأمريكية وابنه الأصغر شريف حاصل على الدكتوراه فى العلوم وأستاذ فى جامعة الأزهر وابنته الوحيدة · شفيق حاصلة على الدكتوراه فى الهندسة وأستاذة هى أيضا ·

وقد درس شعر العوضي الوكيل في عديد من الكليات في مصر والخارج وكتبت عنه دراسات كثيرة وأنا مهما أتحدث عن عظمة شعره لن أبلغ ما أريد في وصف هذه العظمة ، رحم الله الشاعر العظيم في الخالدين ٠

★★★

وبعد فهذا نثار من ذكريات لا يجمعها في نفس جامع الا الحب لمن ذكرت ٠ لم أذكرهم لأكثر عددا ولكنني لم أجد بيني وبينهم من الذكريات ما يجوز له أن يروى ٠

فقد عرفت مثلا شيخ القضاة الرجل الذى كان جبلا ضخما في عصره من الفقه والخلق الأدبي الرفيع عبد العزيز باشا فهمي ولكنني عرفته كما يعرف الحفيد جده ٠ وعرفت الرجل الذى كان سمة عصره في الكبرياء والوطنية ابراهيم باشا عبد الهادى وكنت منه لفترة طويلة بمثابة الابن وعرفت غيرهما كثيرين من أعلام العصر أو من الأصدقاء الذين أبادلهم أجمل الحب وأكثره صفاء ويبادلون ٠ ولكن لم أجد شيئا يمهد لى العذر أن أذكرهم عندك ٠



أم كلثوم

نشأت وأنا أجد أم كلثوم صديقة لوالدتى ولأسرتى جميعا . فمنذ وعيت أراها فى بيتنا كأنها واحدة من أسرتنا لا نفرق بينها وبين قريباتنا الا أن اسمها لا يحمل لقب أباظة . وقد كان عمى عبد الله فكرى أباظة وزوجته من أكثر الناس صلة بها . وقد كان يدعوها الى بيتنا فى غزالة دعوات متكررة تروح بها عن نفسها وتترك نفسها على سجيتها ، وكان لنا قريب مقيم بالريف اسمه السيد حسن أباظة . وكان يحب أن يمازح الناس وكان مزاحة فى غالب الأمر شتيمة وسبابا . وقبل أن أروى ممازحة السيدة أم كلثوم له أذكر عنه قصة من أطرف القصص التى سمعتها .

ركب يوما حصانا وأخذ طريقه الى بلبيس وهى تبعد عن كفر أباظة حيث يقيم حوالى عشرة كيلو مترات . وكان فى ذلك اليوم يلبس حلة بيضاء ناصعة وكان يعتنى بشاربه كل العناية ويبرمه الى أعلى فى فخامة وضخامة أيضا ويلبس الطربوش طبعا .

سار فى طريقه الى بلبيس وراح يمازح ضباط الشرطة فى النقطة التى يعملون بها وكانوا جميعا أصدقاءه . وكان الحر قائظا فكان يميل على كل نقطة يشرب ماء أو ما يقدمونه له من مياه غازية .

ووصل الى بلبيس وراح يمازح فى شتيمة وسب الضابط المسئول عن النقطة الواقعة على مشارفها ثم تركه وراح يقضى ما جاء من أجله الى بلبيس وبينما هو عائد مال على ضابط النقطة وراح الضابط يسرف فى تحيته وأقسم ان يقدم له زجاجة مثلجة من الكازوزة وقابل التحية بالشتيمة وشرب الزجاجة وانصرف .

وما هى الا بضع خطوات حتى أدرك ما صنعه به ضابط الشرطة .

فقد سقاه شربه شديدة المفعول زاد من قوتها تقافز الحصان فى مشيته . ولك أن تتصور رجلا وقور المظهر ذا شارب يقف عليه الصقر يلبس حلة ناصعة وطربوشا أنيقا تفاجئه الحاجة فى عرض الطريق دون بيت يستر أمره .

وراح يقضى حاجته فى الحقول كل خمس دقائق أو عشر ، والطريق

طويل والحر قائظ وضباط النقطة يعلمون جميعا ما صنعه زميلهم فى بابيس فقد أخبرهم به بالتليفون الذى يربط بينهم فهم جميعا يترقبون مرور السيد بك :

ـ اتفضل يا سيد بك .

ويعرف من وجوههم أنهم على علم بالمؤامرة .

ـ الله يخرب بيتكم جميعا . والله لأنتقم منكم شر انتقام .

ولكنه متقطع الأنفاس لا يكاد يقيم أوده على الحصان وقد اجتمع عليه الحر والحصان والعرق ومفعول الشربة .

وحين بلغ بيته كان قريبا من الموت لولا أن أهله أسعفوه بما يسعف به من فى مثل حالته .

ومع ذلك لم يكف السيد بك عن المزاح الشاتم لأصدقائه الذين كانوا يحبونه كل الحب .

وكانت أم كلثوم تحب أن تمازحه وتستخف دمه فكان اذا جاءت الى غزاله يأتى فيقيم فى بيتنا طوال المدة التى تقضيها أم كلثوم فى غزالة ، ومن أجمل ما سمعناه منها له تلك النكتة الشهيرة التى أصبحت على كل لسان . نظرت اليه طويلا بعد نوبة سباب انهال بها عليها ثم قالت له :

ـ يا سيد بك ..

ودون توقع منه قال فى وقاحة :

ـ نعم يا بنت الشيخ ابراهيم .

فاذا هى تقول له فى بساطة :

ـ شنبك متربى أحسن منك .

ويحمر وجهه من الغيظ ويدرك أن هذه النكتة ستلاحقه طول حياته وأن مصر جميعها ستردها ويحدث ما توقعه ولا يبقى من السباب الذى راح ينحدر من فمه شيئا .

كنت فى العاشرة أو أقل فى هذه الأيام التى كانت السيدة أم كلثوم فيها عندنا فى احدى زياراتها . ولا أستطيع أن أنسى ليلة فيها اجتمعنا كلنا حولها أبى ووالدتى وعمى عبد الله والسيدة زوجته التى كنا ندعوها تيتا . وراحت أم كلثوم تغنى دون أن يطالبها أحد بذلك فقد كانوا جميعا يقدرون أنها ان جاءت الى غزالة لتكون على كامل حريتها وكأنها فى بيتها . وهكذا طاب لها هى أن تغنى فغنت وبغير موسيقى وأشعر يومذاك أنى

أحسست وأنا في سني الصغير هذه أنني انتقلت الى عالم سماوي وأصبحنا جميعا مع هذا الصوت الذى حسبت أنه قادم من السماء مباشرة وكانما أدركت الفنانة الملهمة المشاعر السماوية التى أحاطت بنا فاذا هى تبسمل وتستعيذ من الشيطان الرجيم وتبدأ فى قراءة القرآن • الملائكة فى هذه الساعات حولنا والظلام الذى يلف الكون أصبح نورا الهيا ما شهدنا له مثيلا من قبل ولم نشاهد له مثيلا من بعد وظلت هذه المعجزة الربانية وتصاعد بنا الى السموات حتى الفجر وأنا طفل مفيق لا أفكر فى النوم وأن يظل طفل ملأ يومه باللعب والجرى طول اليوم يقظا مفيقا حتى مطلع الفجر أمر لا يحدث الا أن ذلك الطفل يشهد معجزة لا عهد للبشر بها •

وكانت نهاية تلك الليلة جديرة بها • فان أم كلثوم حين أدركت أن الفجر قد شق اليوم الجديد قامت وقمنا وراءها وخرجت الى شرفة البيت وبأجمل صوت سمعناه أذنت أم كلثوم لصلاة الفجر • وبيتنا فى القرية يبعد عن بيوت القرية بمسافة لا تقل عن الكيلومتر • ولكن أهل القرية استيقظوا على صوت داعية السماء المعجزة وتقاطروا تتقاطر منهم أمواه الوضوء ووقفوا صفوفا يستمعون الى أجمل أذان سمعوه فى حياتهم ثم اتجهوا الى مسجدنا فى القرية وأقاموا الصلاة وظلت صلتنا بالسيدة المعجزة وطيدة طوال حياتها •

وأذكر أن أبى قبل الحرب كان يحلو له أحيانا أن يقضى جانبا من الصيف فى أوربا ليعالج الروماتزم فى بـــلاد تخصصت فى ذلك فكان عمى عبد الله فكرى يستدعيني أنا وأخى شامل لنقضى الصيف معه فى رأس البر • وكانت السيدة أم كلثوم تصطاف فى ضيافة السيدة زوجته وكان يصحبها ابن أخيها صديقى محمد دسوقى وأخته • وأذكر واقعة تدلك على قيمة الجنيه المصرى فى ذلك الحين • حدث أن دعيت أم كلثوم لاقامة حفل زفاف فى القاهرة قبيل انتهاء الصيف • وأرادت أن تعتذر فقد كان عندها رغبة شديدة أن تكمل مصيفها • وتداولت الأمر مع عمى عبد الله وانتهى رأيهما أن تطلب مائة وخمسين جنيها لاقامة الليلة ، وكان هذا الطلب على سبيل التعجيز لأصحاب الفرح • وكنا فى منتصف الثلاثينات قبل الحرب العالمية الثانية ببضع سنوات ولم يكن فى رأس البر كلها الا تليفون واحد له كابينة على النيل وطلب الى عمى عبد الله أن أذهب فى الموعد المضروب الى هذه الكابينة وأنتظر تليفونا من القـاهرة يطلب أم كلثوم وأجيب الطالب وأذكر له أن الآنسة أم كلثوم تقبل أن تقيم الحفل بشرط أن يدفع لها مائة وخمسين جنيها • وتم الأمر على هذه الصورة فاذا الرجل الذى يحدثنى يقبل دون ريث من تفكير وأخبرها بذلك وتوافق هى تحتسب الله فى المصيف •

واستمرت الصلة وكبرنا وتوفى عمي عبد الله ولكن صلة الاسرة بأم كلثوم بقيت كما هى . وحدث فى الستينيات أن كلفنى الأديب الكبير المرحوم عبد الحميد جودة السحار وكان فى ذلك الوقت رئيس مجلس ادارة مؤسسة السينما أن أكتب فيلما سينمائيا معتمدا على مجنون ليلى لاحمد شـوقى وأن أختار من رواية شوقى قصائد لم يسبق لها أن غنيت وأتفق مع أم كلثوم وعبد الوهاب أن يغنيا هذه الأغانى على أن يقوم بتمثيل دوريهما ممثلة وممثل وأعجبتنى الفكرة ونفذتها مع الفنان الكبير يوسف فرنسيس ككاتب للسيناريو وتوليت أنا تأليف القصة وكتابة الحوار . واختارت المؤسسة المخرج العظيم كمال الشيخ .

وأتممنا العمل ولم يبق الا موافقة أم كلثوم وعبد الوهاب وأنا على صلة بمعجزة الموسيقى والغناء العربى عبد الوهاب منذ عام ٤٦ تقريبا وهو صديق لكثيرين جدا من أسرتنا . وليس عجيبا أن يوطد صلتى به حبى الذى لا حدود له لأمير الشعراء الذى يعتبره عبد الوهاب أباه الروحى . كلمت موسيقار الأجيال فى التليفون وأرسلت اليه السيناريو وفيه الشعر الذى اخترته وسعد به غاية السعادة .

وأخذنا موعدا من المعجزة الأخرى أم كلثوم وأذكر أننى ذهبت اليها ومعى السحار وكمال الشيخ لنعرف رأيها فى السيناريو بعد أن كنا قد أرسلناه اليها قبل الموعد ببضعة أيام .

ووافقت هى الأخرى عليه دون ملاحظات ثم رحنا نخوض فى أحاديث عامة . وأذكر أنها قالت فى هذا اليوم جملة مازلت معجبا بها حتى اليوم :

ــ لقد حاولت الصحافة أن تصنع منى بطلة سياسية بعد ثورة يولية فرفضت هذا تماما وقلت فى تصريح لى : اننى فنانة لا أتدخل فى السياسة ولو كان الملك فاروق قد دعانى لأغنى فى قصره يوم ٢٦ يولية عام ١٩٥٢ للبيت الدعوة وأنا سعيدة .

ولعل هذه الجملة من سيدة لم تعرف عنها الا كل ما هو نقى وشريف ورفيع من الخلق تكون درسا للمهرجين الذين يحاولون فى أقلامهم أن يجعلوا الراقصات والساقطات معالم مصر التاريخية .

وكان من أعظم ميزات أم كلثـوم حبها للأدب وحفظهـا للشـعر وحسـاسيتها الراقية فى اختيار أغانيها وتلك ميزة يتمتع بهـا محمد عبد الوهاب . كنت معه فى بيته عش البلبل الذى بناه فى الهرم وطلبه مؤلف أغان وراح يسمعه كلمات فى التليفون وطبعا لم أكن أسمع شيئا مما يقول ولكننى أخذت بعبد الوهاب يقول لمحدثه :

– يا أخى مش عارف ليه كلمة دمعة اللى بتقولها بتفكرنى بالملوخية ·
وضحكت معجبا بحساسيته العظيمة باشعاعات اللفظ والاحاطة بكل ما يثيره من معان ··

أما أم كلثوم فتحفظ كثيرا من الشعر ونطقها للعربية قمة فى النقاء وما هذا بغريب على سيدة بدأت ثقافتها بحفظ القرآن وتجويده وتلاوته · حدث لى حادث سيارة اضطرنى أن ألزم الفراش بضعة أسابيع فى بيتى الذى أقيم فيه الآن فى الزمالك · وجاءت السيدة أم كلثـوم لزيارتى · وكان المفروض أن تبقى بضع دقائق ريثما تشرب ما يقدم لها أهل البيت من اكرام ولكن حلا لها أن تكلمنى فى الشعر فاذا زيارتها تمتـد ثلاث ساعات كاملة دون أن نشعر بالوقت ·

ومن أعظم سجايا أم كلثوم أنها لم تتنكر لماضيها قط ·

دعتها والدتى الى الغداء فى بيتنا بالعباسية · وقبل الغداء قالت لها والدتى :

– انى أعددت لك مفاجأة على المائدة أعتقد أنها ستسرك كل السرور ·
فقالت :
– نشوف ·

وحان موعد الغداء وقمنا اليه وكانت هناك صينية تتوسط المـائدة وعليها غطاء وجاءت والدتى ونحن ما نزال وقوفا ورفعت الغطاء فى فخر وثقة لتظهر أم كلثوم المفاجأة التى أعدتها لها · ونظرت أم كلثوم العظيمة الواثقة بنفسها ثم قالت فى لهجة غاية فى خفة الدم والطرافة ·
– ما هذا ؟ حميض ·· ايه جابك هنا ؟ ·· والله زمان يا حميض ·
ونظرت الى أمى وقالت :

– هى دى ياختى المفاجأة ؟! ·· والله زمان لا أذوقه أبدا هو أنا كان لى شغلة أيام الفقر الا لم الحميض من الغيطان وأكله ··· شـــيلى ··· شـــيلى ·

والحميض نبات شـــيطانى ينبت فى حقولنا ويأكله من لا يستطيع شراء غيره ·

أرأيت مثل هذه العظمة وهذا الصدق ؟ ·· رحم الله أم كلثوم علامة أجيال فى الفن وفى الخلق على السواء ·

★★★

وبعد فهذه نثار من ذكرياتى ما رجوت منها الا أن أنادمك اذا قرأتها فى نهار أو أسامرك ان قرأتها فى مساء ، وقد أطلقت نفسى تمتح من معين الأيام ما يحلو لها . فهى تختار ولا تؤلف .

والاختيار عسير ولكنه ممتع اذا أحس الانسان أنه قال ما يحب أن يقول .

فان كنت قد بلغت من نفسـك ما تمنيت أن أبلغ فأحمـد الله اليك والا فحسبى أن النية صدقت عندى وأقدمت على هذه التجربة الجديدة فى دنيا الكتابة أو فلنقل الجديدة على قلمى أنا بعد أن مارس مخاطبة الناس نيفا وأربعين عاما . ومع التجربة لا يكون العثار مأمونا ... فاذا كان القلم تعثر عند أعتابك فانى واثق أنه من وسيع سماحتك ومن رضى خلقك ما يغتفر جرأته . وفى رحمة الله الغفور التواب مثابة تسع الدنيا جميعا ولا بأس أن أجد عند الذى نعبده طمعا ورهبا اثارة من الغفران وفضلا من الرحمة جل شأنه وتقدست آلاؤه ؟

لؤلؤ وأصداف

لؤلؤ وأصداف

(١)

كان المستشار عزام أبو الفضل وهو يجلس الى الكرسي الذى تعود أن يجلس عليه فى منزله يفكر فى حفل الوداع الذى عاد منه فى يومه هذا . كان زملاء المستشار مدكور نبهان يحتفلون باحالته الى المعاش عند زميلهم عبد العزيز البرعى ، وكان عزام يحب زميله الذى صاحبه فترة طويلة من حياته القضائية وما هى الا دقائق من جلوسه حتى وجد نفسه يقول فى صوت مرتفع وكأنه يكلم شخصا موجودا معه :

ـ كلها كام سنة وتقام لنا نحن أيضا حفلات التوديع .. الحمد لله قاربنا الشاطىء ونحن ما نزال أصحاء فى ضمائرنا وفى أجسامنا .. وكم شهدنا ... كم شهدنا .

ثم وجد نفسه يمضى مع الذكريات ويستجيب لها . يستعذب الحلو فيها ويشعر بالسعادة أيضا أنه مر من أزماتها وأنه استطاع أن يجتاز عصيبها فى صلابة واباء . وأنه كان قادرا أن يخفى مايمور فى دخيلة نفسه من اضطراب أو قلق .

حتى زوجته مجيدة التى كانت تصل الى البعيد من أغواره لم تكن تستطيع أن تبلغ مواطن الاضطراب فى نفسه عند الأزمة .

فارق كبير بين ابنه ياسر الأصغر الذى تخرج فى كلية التجاة وابنه البكر وجدان الذى تخـرج فى كلية الحقوق . وقد حصل الابنـان على الثانوية العامة من كلية فيكتوريا . فكلاهما يتقن الانجليزية كل الاتقان . وقد جعل هو من نفسه مدرسا لها فى اللغة العربية فاتقناها هى أيضا

اتقانا لا يتوفر لكثير من زملائهما حتى أولئك الذين تلقوا تعليمهم بالمدارس المصرية .

وقد كان وجدان هاويا للدراسة لا يؤديها مكرها وانما كان شغوفا بها فلم يكن عجيبا أن يكون متفوقا دائما . ولم يكن عجيبا أيضا أن يحصل على تقدير جيد جدا حين تخرج . وكان من الطبيعي أن يلتحق بالنيابة ويسير في الطريق الذي سار فيه أبوه . ولكن وجدان رغب الى أبيه أن يكون محاميا ، وكان عزام حريصا دائما أن يترك لولديه حق الاختيـار المطلق ولكنه كان أيضا يقدم رأيه وكأنه صـديق ثم يترك لمن يناقشـه منهما الحرية الكاملة في اتخاذ القرار .

ويوم جلس اليه وجدان ليعلنه أنه اختار المحاماة .

ـ لمــاذا .

ـ أنا أملك لغتي العربية وأتقن الانجليزية ودرست الفرنسية .. وأنا أحب القانون فلماذا لا أنتفع بكل هذا في ميدان المحاماة .

ـ لك ما شئت ولكن ما مصير القضاء في مصر اذا قال كل متفوق ما تقوله .

ـ أنت تعرف يا بابا أن القضاء الواقف يخدم العدالة مثل القضاء الجالس .

ـ على أن يكون القضاء الواقف أمينا .

ـ وما رأيك في ابنك .

ـ أرى العهد الذي نبدؤه اليوم مليئا بالمغريات المادية .

ـ ألا تراني أهلا أن أقاومها . ثم أليس لكل عهد مغرياته ولكل مهنة أيضا .

ـ أنا قاض وعسير على أن أحكم قبل أن أرى ظروف الدعوى .

ـ ما ظنك بي ..

ـ ان معرفتي بك تزيدني خوفا عليك .

ـ هل أمانتي هشة .

ـ يا ليتها كانت كذلك .

ـ أكاد أفهمك .

ـ ستدخل في صراع عنيف أخاف عليك منه .

ـ وأنت يا بابا حين كنت تجلس على كرسي القضاء وتحكم على انسان ما بالقتل أو بالحرمان من الحرية ٠٠ ألم تكن تتعرض لصراع ٠

ـ في أول عهدي بالقضاء نعم ٠ أما فيما بعد ٠

ـ بل قد كنت أشهدك وأنت عائد بعد الجلسة ذاهلا تبتلع لقيمات وتسارع الى غرفتك متظاهرا أنك تريد أن تنام ، وكنت أكاد أراك تتقلب فى فراشك ، وكنت أوشك أن أسمع نبضات قلبك تصيح أنك ربما ظلمت أو تشددت أو قسوت أو تهاونت ٠

ـ هل كنت تحس هذا جميعا ٠

ـ كنت أحسه أنا وياسر وماما ، وينظر بعضنا الى بعض ولا نتكلم ، فقد كنا تعودنا ولكن التعود لم يستطع أن يجعلنا ننجو من الاشفاق عليك والقلق على صحتك ٠

ـ لكل مهنة متاعبها ٠ ولكن أخشى أن يغريك المال فتنسى ضميرك ٠ وأنا أعلم أنك تحب ضميرك حبا يكاد يكون قاتلا ٠

ـ سأجرب نفسى ٠

ـ الميدان الذى تدخله ملىء بالأنياب والأظافر الشرسة القاتلة ويندر أن يجد صاحب الضمير طريقا فيه ٠

ـ لعلى أشق هذا الطريق ٠

ـ فشأنك اذن ٠ ولكن ليكن قرارك النهائى بعد أن تؤدى الخدمة العسكرية ٠

ـ وهو كذلك ٠

ويذكر عزام هذا الحوار جميعه وينفطر قلبه على ولده وجدان فها قد مرت سنة وبعض السنة وهو فى مكتب اسماعيل العدوى المحامى وقلما يحدثه عن شأن من شئون قضاياه ٠

ان وجدان يذكره بنفسه وهو فى غضارة الصبا ونضارة الشباب ومطالع الفتوة ٠

كان أبوه عبد المجيد أبو الفضل عمدة الديدمونة علمه بعض القرآن فى القرية ثم استأجر هو وعمه بيتا أقامت فيه أمه نفيسة وأقام هو معها فكان الأب يزور أسرته كلما سمح له عمله وكان يصحبهما الى القرية في كل الاجازات ٠ وكان احترام الناس له منذ هو طفل يجعله دائما يشعر

بأنه ينبغي عليه ألا يرتكب ما يجلب له الاحتقار . وقد كان هذا في الطفولة والصبا أمرا هينا ولكنه حين شب عن الطوق وخطت به السنون الى الشباب كان الأمر عسيرا .

شاب في مقتبل العمر ليس مضيقا عليه في الرزق ، يقيم مع أمه في القاهرة والشباب فتوة وقوة وعرق ينبض والرغبة سعير والاغراء لهيب وما يهفو اليه قريب قريب لو مد يده لناله . وهو بعد فتى السمات جذاب الملامح فيه أصالة المصرى تضيئها براءة السنوات الخضر ومشاعل الشباب التى تجعل الحياة كلها نورا . وحوله الصحاب وما أكثر ما يروى الصحاب منهم الصادق ومنهم المبالغ ومنهم المختلق . ولكن كل ما يرويه الصحاب يثير في نفسه ما يحاول أن يكتمه من رغبات .

انه يريد .. بكل ذرة من ذرات جسمه يريد ... وبكل قطرة من قطرات دمه يريد . ولكن شيئا ما يمنعه .

لا ينسى يوم صحبه عثمان صديقه الى الماخور ودفع الأجر وجلس ينتظر دوره ... ولكن ما هى الا دقائق معدودات حتى وجد نفسه يفتح الباب الخارجى ويجرى هاربا ومن ورائه عثمان يناديه وهو لا يلوى عليه ولا يجيب .. كان في هذه اللحظة لا يريد شيئا الا أن يهرب .. وهرب .

وفي يوم آخر قال له فريد :

ـ أتكون خائبا يا ولد يا عزام ؟

ونظر اليه عزام طويلا ثم قال :

ـ يا ليت .

ـ فما هذا الذى يرويه عنك عثمان ؟

ـ لا أدرى .. لا أتصور أن أصنع شيئا اذا عرفه عنى أهل بلدتى يحقرون أمرى .

ـ الظاهر ان الولد عثمان لم يعرف كيف يتصرف معك .

ـ كيف ؟

ـ المسألة تحتاج الى تمهيد .

ـ لا أفهم .

ـ وكيف يمكن أن تفهم .. اسمع ما رأيك أن نسـهر الليلة فى الأريزونا .

ـ فى الأريزونا ؟

ـ في الأوبرونا .

ـ وماذا سنفعل ؟

ـ لا .. لا تخف .. لن تذهب الى الراقصات هناك .. ما زال الطريق أمامك طويلا حتى تصل الى الراقصات .

ـ فلماذا نذهب اذن ؟

ـ اليوم حفلة خيرية . ومعى تذكرة اعتذر صاحبها .

ـ وماذا في الحفلة الخيرية ؟

ـ سأعرفك بفتيات من رائدات الحفل مثلنا .

ـ فتيات مرة واحدة .

ـ ولك أنت أن تختار .

الليل نهار من كثرة النور . والضياء يخبو مع الجمال الساطع من أولئك الفتيات . كل مليحة منهن بمذاق ، رائحات غاديات كأفكار جميلة تخطر على أذهان شعراء . كأملاك السماء ان تجسـدت الملائكة فى أزياء آدمية . السمراء عذبة وقراقة مشرقة كفرحة ، مقبلة كقبلة ، مدبرة كحلم . والشقراء أمل تحقق ، أو دنيـا تغدق بالعطـاء ، أو موسيقى تعزفهـا السماء .

عزام فى تيه من البهر ، وفريد يمسك بيده وكأنه طفل لا يعرف الطريق ، وقد كان فعلا فى هذه اللحظات طفلا لا يعرف الطريق ، وفى لسان متعثر وعقل غائب يقول لفريد :

ـ أين نحن ؟

ويقول فريد وعيناه تجوسان خلال الحفل جميعا .

ـ اسـكت .

ـ وهل أنا قادر على الكلام ؟ أنحن فى مصر ؟

ـ فى مكامن أضوائها .. بين المصابيح المصرية والجمال الذى لم تره خيبتك من قبل .

ـ ولكن أنا تائه .

ـ طيب اسكت قبل أن أتوه أنا الآخر .

ـ اياك فلا أمل لى هنا الا أنت .

ـ اسكت .. انتظر .. ها هما .

ـ من هما ؟

ـ تغنـال .

وقاد يده المطيعة وجسمه الذى اصبح بلا وزن الى مائدة جلست اليها فتاتان احداهما شقراء والأخرى سمراء · وقبل أن يصبـــلا وقف فريد وسأله :

ــ أترى هاتين الفتاتين ؟

ــ مالهما ؟

ــ أتريد الشقراء أم السمراء ؟

ــ ماذا ؟

ــ انطق قبل أن ترانى احداهن ·

وقال دون وعى :

ــ الشقراء ·

ــ اذن تعال ·

ورحبت الفتاتان بهما ترحيبا عجيبا لا مبالغة فيه ولكنه فى نفس الوقت يحمل كل معانى الاقبال · وقالت السمراء :

ــ تأخــرت ·

وقال فريد :

ــ أنا أبحث عنكما منذ نصف ساعة ·· صـــديقى وزميلى عزام أبو الفضـــل ··

وصاحت الشقراء :

ــ أهو أنت ؟ ··

وفغر عزام فاه ووقف مشدوها ثم وجد نفسه يقول :

ــ وتعرفيننى يا ست ؟

وتضحك ضحكة فارهة يضيع صداها فى ضجيج الحفل ويرتجف قلب عزام وتكمل الفتاة :

ــ كل المعرفة ·

ويخشى فريد من الربكة التى غمرت عزام ويسارع قائلا :

ــ الآنسة نرمين ·

وفى ذهول يقول عزام :

ــ تشرفنـــا ·

وتقول الأخرى :

ــ أهلا وأنا سعيدة ·

ويقول عزام وكأنه يرد تحية ولكن دون أن يقصد الى النكتة :

ـ سعيدة مباركة .

ويحس الجميع أن الاجابة صدرت عنه وكأنه جالس على مصطبة أبيه في البلدة ودون أن يقصد الى المفارقة التى وضحت فى اللهجة فينفجر ثلاثتهم فى قهقهة عالية ارتفع صداها على صخب الحفل حتى لقد بدأت بعض عيون تنظر اليهم . فينتبهون الى ارتفاع ضحكهم وعزام في غمرته لا يزال ، وتضع نرمين يدها على فمها وتصدر عنها تلك الهش التى يطالب الناس بها بعضهم البعض بالصمت أو بخفض الصوت . وينتبهون أيضا أنهم ما زالوا واقفين ، وتقول سعيدة :

ـ وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته اقعد .. اقعدوا .

وتنظر الى فريد .

ـ هذا موديل لم أره فى حياتى .

ويقول فريد :

ـ ابعدى عنه فهو ليس قدك ... عليك أنت به يا نرمين فربما فهم لغتك .. انما سعيدة لا يفهمها الا أنا .

وتفهم الفتاتان أن الصديقين قد اتفقا على هذه القسمة وهما فى طريقهما اليهما . ولم تكن الصلة بين أى من الفتاتين وبين فريد وثيقة . انما هى صلة محددة المعالم لا تسمح لنرمين بالغضب من فريد أنه اختار سعيدة . صلة الفتاتين بفريد صلة محددة المعالم واضحة الأغراض . وليس من بين معالمها حب يثير الغيرة أو حتى يدعو الى التظاهر بها . وكان عزام يظن أن نرمين ستثير حملة شعواء على فريد ولكنه دهش أنه وجد الأمور تجرى طبيعية . بل وجد من نرمين اقبالا عليه وسعادة للتعرف به جعلته يترك دهشته ويلتفت بجميعه الى الجديد من تجارب الحياة . وأدرك أنه لابد أن يكون فى كامل استعداده حتى لا يثير سخرية الفتاتين وصديقه فريد .

وقال فريد :

ـ هل نشرب شيئا ؟

وقالت سعيدة :

ـ اذا كنت تريد .

وقال فريد :

ـ أظن أن كأسا من الويسكى لا بأس به .

وقالت نرمين :

ـ لا يكون هناك بأس مع الويسكى أبدا .

وقال فريد :

ـ وهو كذلك ... يا متر .

وقال عزام :

ـ متر .. ما متر هذه ؟

وضحكوا جميعا ، وقال فريد :

ـ وكيف أناديه ؟

وقال عزام :

ـ ولكن متر هذه لقب المحامين .

وضحكوا مرة أخرى وقال فريد :

ـ ولقب الخادم هنا أيضا .

وفي ذهول حقيقي يقوم عزام :

ـ متر ؟!

ويستمر الضحك ويقول فريد :

ـ متر ..

ويقول عزام :

ـ مثل المحامي .

ويقول فريد :

ـ ولو أن المعنى مختلف .

ويقول عزام :

ـ كيف ؟

ويستمر الضحك ، ويقول فريد :

ـ المتر هنا اختصار لمتر دي أوتيل .. أي رئيس الخدم او رئيس المكان .

ويقول عزام :

ـ وهل نحن في أوتيل ؟

ويقول فريد :

ـ هذا لقب اصطلاحي .

ويقول عزام :

ـ لقب اصطلاحي يجعل خادم البنسيون مثل المحامين الذين نشقى ربع قرن من حياتنا لنصبح مثلهم حاملين لقب متر .. ويناله هذا النادل القريب في اسمه العربي من التذل دون أي جهد .

ويرتفع الضحك على المنضدة مرة أخرى ويقول فريد :

ـ وأى فارق بين الاثنين ؟

ـ أنت لا ترى فارقا ؟

ـ مطلقـــا .

ـ فاترك كلية الحقوق يا أخى واعمل هنا .

ـ يا ليت .

ـ هل جننت ؟

ـ أتعرف أن هذا الذى تسخر منه يكسب خمسة جنيهات فى اليوم على الأقل وقد يكسب أكثر ؟

ـ يا نهار أسود من الحبر الكوبيا .

ويضج الثلاثة بالضحك حتى تلتفت اليهم العيون مرة أخرى ويكمل عـــزام :

ـ مائة وخمسين جنيها فى الشهر .. مائة وخمسين .... !!

ويقول فريد وهو يغالب الضحك :

ـ ماذا يكسب المحامى ؟

ـ ان كسب عشرة جنيهات فى الشهر فى أول حياته تكون نعمة .

ـ أرأيت ؟

ـ وبئس ما رأيت .

ـ ومع ذلك أى فارق بين الاثنين ؟

ويقول عزام فى غضب :

ـ يا أخى لا تجننى .

ويقول فريد :

ـ أليس كل منهما يؤدى حاجة للمجتمع ؟

ويقول عزام فى غضبه لا يزال :

ـ شتان .. هذا يسقى الناس الخمرة

وتضحك الفتاتان ويقول فريد :

ـ لا تقل هذه اللفظة هنا أبدا .

ـ لمـــاذا ؟ أليست خمرة ؟!

ويهمس فريد فى جدية :

ـ يا أخى اخفض صوتك لا تفضحنا .

ويخفض فريد صوته :

ـ أليست خمرة ؟!

ويهمس فريد :

ـ ولكننا هنا نسميها مشروب أو الكول يعنى الكحول أو ويسكى ونخلص .

ـ خلاص على كيفك نسميها مشروب ونسأل كيف تقارن هذا الذى يحمل المشروب بالمحامى ؟

ـ أليس المحامى يؤدى ما يطلبه الزبون ؟

ويقاطعه عزام :

ـ الموكل .

ـ لن نختلف ولكن أليس الموكل زبونا ؟

ويصمت عزام قليلا ويقول :

ـ لنفرض .

ويقول فريد كأنه ينتصر :

ـ وهذا أيضا يؤدى للزبائن طلباتهم .

ويقول عزام :

ـ خلاص .. انتهى الأمر .. لا فارق بين محام درس القانون ويخدم العدالة ويبين للقضاء وجهة النظر القانونية فى القضية المطروحة و ...

ويقاطعه فريد :

ـ نهارك أسود هل ستترافع ؟ خلاص يا سيدى أنا غلطان .. ولكن ماذا أصنع الآن ؟ لابد أن أقول يا متر حتى يأتى ويكون مشكورا لو أتى أيضا .. فماذا تريدنى أن أناديه .. آه لو عرفت الوظائف الأخرى التى يقوم بها .

وتنفجر الفتاتان بالضحك ، ويقول عزام فى دهشة زادت من ضحكهما :

ـ وله وظائف أخرى أيضا ؟!

ـ هامة كل الأهمية .

ـ غير الخمرة .. أقصد المشروب

ـ أهم بكثير .

ـ مثل ماذا ؟
ـ يوفق بين الرءوس .
ـ في الحـــلال ؟
ـ ليس هنا حلال .
ـ يا نهار أسود .. يعنى .. يعنى .
ـ تغتنم .
ـ وتقول له متر ... خيبة الله عليك وعليه فى لحظة واحدة .
ـ اسمه كذا .
ـ تشرفنـــا .
ـ هل تسمح أن أناديه ؟
ـ تفضـــل .

وكانت الفتاتان كادتا أن يغمى عليهما من كثرة الضحك وصاح فريد :

ـ يا متر .
وجاء الساقى وقال فريد :
ـ أربعة ويسكى .
ويصيح عزام فى صوت مرتفع :
ـ انتظر .. انتظر يا ريس .. لمن الرابع يا أستاذ فريد ؟
وبحسم يقول فريد :
ـ لى أنا .. أنا سأشرب اثنين .. هل عندك مانع .
ـ وتنخذل غضبة عزام وهو يقول :

ـ ان كان الأمر كذا فأنت حر اشرب عشرة اذا أردت .. أنا أريد ليمون .

ويقول الساقى :
ـ ليس عندنا ليمون يا بك .
يحسم فريد الموقف فى خبرة .
ـ هات كازوزه يا متر .
وينصرف الساقى وهو يقول :
ـ أمرك يا سعادة البك .
وتمسك نرمين بيد عزام بكلتا
ـ شربات .. شربات مكرر .
ويقول عزام :

ـ وهل أجد هنا شربات ؟ يكون أحسن .
ويعود الضحك وتقول نرمين :
ـ ليس هنا شربات الا أنت .
ويسعد عزام ويحس بدبيب نشوة تتسرب في أعراقه .
ـ يا ست الله يخليك ... كل ما فى الأمر أنك أنت دمك خفيف .
وتقول بسعيدة :

ـ الله اذن فأنت تشنع عليه يا فريد .. انه يغازل فى براعه لا تقدر عليها أنت .

ويقول عزام :
ـ أنا والله أقول الحق .
تقول نرمين :

ـ أو الباطل .. لا يهمك .. المهم انني أصدقك .. قل أنت ما تشاء ولا تهتم بسعيدة ، فهى تغار منى لأن فريد لم يقل لها شيئا .
ويقول عزام :

ـ فريد .. فريدفى هذا الميدان أستاذنا .. وأين أنا من فريد ؟ طيب والله يا ست نرمين أنا لم أكلم خـــرمه غريبـــة عنى طول عمرى الا ذا الوقت .

ويعود اليهم الضحك وتقول نرمين .
ـ الذى يبدو من كلامك انك قديم فى الكار .
ويصيح عزام فى شبه سخرية بنفسه :
ـ يا ست الله يفتح عليك .. أنا والله ما أعرف هذا الكار الا اليوم .

وتجيء الطلبات . ويضع الساقى أمام كل فتاة كأسا ويضع كأسين أمام فريد ويضع الكازوزة أمام عزام . وينصرف .

ويقول فريد :
ـ عـــزام .
ـ أفنـــدم .
ـ لى معك كلمتين .
ـ قل مائة ..
ـ بشرط .
ـ وهو ؟

ـ تسكت حتى أنتهي من كلامي ٠
ـ موافق ٠
ـ وبشرط آخر ٠
ـ نعـــم ؟
ـ اذا اقتنعت تنفذ ما أقوله لك ٠٠
ـ واذا لم ٠٠
ـ ترفض ولن أتكلم فى الموضوع أو ألح عليك فيه ٠
ـ الشرطان عادلان ومقبولان ٠
ـ اذن ٠٠ قل لى لماذا جئت معى اليوم ؟
ويرتج على عزام لا يجد جوابا وينقذه فريد ٠

ـ انك تمر بتجربة جديدة لتعرف نوعا من الحياة جديدا عليك ٠٠ أليس كذلك ؟

ـ كذلك ٠
ـ لا تتم التجربة حتى تكون خضتها الا بكأس من الويسكي ٠
وينتفض عزام :
ـ أنـا ٠٠
ـ اسكت حتى أنتهى ٠
ـ سكتنا ٠
ـ أليس لكل قاعدة قانونية أركان ٠
ـ طبعـــا ٠
ـ من أركان هذه التجربة كأس ويسكى ٠
ـ وان سكرت ٠

ـ عيب أن تظهر كأنك مغفل وأنت الذى أوشكت على الانتهاء من دراسة الحقوق ، وأنت الذى تقف دائما فى الصدارة من دفعتك ٠

ـ وهل يمنع هذا جميعه أن أسكر ٠

ـ هل عمرك سمعت أن انســانا مهما يكن شأنه يسكر من كأس واحـــدة ؟

ـ أظن لا ٠
ـ اذن ٠
ـ واحـــدة ٠
ـ واحـــدة ٠
ـ أشرب ٠

ـ عظيم ... اشرب رشفة رشفة واشس تماما أنك تشرب ويسكى واتركه يصنع مفعوله دون أن تضايقه .

ويقول عزام :

ـ وهل الويسكى أيضا يتضايق ؟

ـ مثلى ومثل نرمين ومثل سعيدة اذا كنت رفضت أن تشرب هذه الكأس .

ـ وهل أجرؤ على مضايقة الست نرمين والست سعيدة ؟

وتقول سعيدة :

ـ وأنا ونرمين نتضايق ونتعب ويصيبنا الغم من كلمة الست التى تمسك بها هذه .

ويقول عزام :

ـ ولا أقول ست .. ولكن يعنى .. أهذا يصح .

وتقول نرمين :

ـ بل لا يصح الا هذا يا أخف دم فى الدنيا .

★★★

(٢)

عجيبة تلك الصلة التى تقوم بين مجيدة زوجته وزوجة ابنها مرفت . فلو كان لمجيدة ابنة ما أحسنت معاملتها وأحبتها قدر ما كانت مجيدة تحب مرفت . حتى اذا اختلف وجدان مع أمه كانت مرفت تقف الى جانب حماتها لا الى جانب زوجها وتدافع عنها بشتى وسائل الدفاع فتلجأ الى وجدان بالحق والمنطق أحيانا فاذا خذلها حق أو وقف بها منطق لجأت فى ذكاء الى عاطفة البنوة وما تنتظره الأم عند ولدها . وقد كانت أم مرفت سعدية هانم النبوى تكاد تغار من حب ابنتها لحماتها . الا أنها لم تحاول أن تفسد هذه العلاقة أو تمسها . عن فضل منها كان ذلك أو عن يأس أو عن كليهما معا لا أحد يدرى .

وكان عزام سعيدا بهذه العلاقة غاية السعادة . وكان حين يحاول أن يقدم الحيثيات لهذا الواقع المضىء فى بيته يجد الأسباب حاضرة من قريب .

فزوجته مجيدة ابنة عمه عزت أبو الفضل . وقد كانت صلة عمه عزت بأخيه عبد المجيد والد عزام صلة أخوة وثيقة حتى ان عزت أقام بالزقازيق المدينة تاركا لأخيه الاشراف الكامل على الأرض جميعا . أما عزت فقد تفرغ للجلوس مع الأصدقاء فى قهوة باروخه فى الصباح ، والجلوس فى النادى بعد الظهر يلعب النرد أو الضمنة سعيدا بفراغه هذا غاية السعادة ، لا يسمح بشىء فى العالم أن يعكر صفوه أو يفسد متعته . وقد كانت متعة بريئة لا يشوبها منكر . فقد يلعب مع أصدقائه برهان ولكنه رهان هزيل لا يخيف ولا يهدد أية ثروة مهما يكن مقدارها ضئيلا . كان اذا خسر عشرة فى النرد يدفع عشرين قرشا فاذا حمى الوطيس وغلت الدماء فى العروق وطغى حب الانتقام عليه اذا وقعت عليه الغلبة ارتفع مقدار الرهان وارتفع ثم لا يعدو الخمسين قرشا فقط .

أما فى الضمنة فقد كان يخسر عشرين قرشا اذا خسر . فاذا ذكرنا

أن اللاعب في هذه الميادين لا يخسر دائما ولا يكسب دائما نجد أن نفقات عزت في متعته هذه كانت لا تمثل شيئا بالنسبة الى ثروته .

ولم يرزق عزت من زوجتــه مبروكة النمر ابنة عمدة ميت ركاب الحاج طه النمر الا ابنته مجيدة . وقد أسماها مجيدة تقربا من اسم أخيه وحبا فيه وكأنما أراد أن يقول له ان كنت لم تنجب الا الأولاد فقد رزقك الله بالابنة في بيت أخيك .

وقد أدخل عزت مجيدة مدرسة الراهبات بالزقازيق وظلت بها حتى حصلت على البكالوريا ، فهي مثقفة ثقــافة فرنسية عالية . وكان أبوها يصحبها شهرا أو شهرا وبعض الشهر الى الاسكندرية أو رأس البر في المصيف ، أما بقية الاجازة فقد كانت تحب أن تقضيها في العزبة عنــد عمها ، وقد تزور جدها وجدتها في ميت ركاب ولكن أغلب الوقت كانت تقضيه في بيت عمها .

وكان عزت كثير الزيارة للقاهرة حتى لتذكر مجيدة أن كل الاجازات التي كانت تحل أثناء العام الدراسي كانوا يقضونها في القاهرة في تلك الشقة التي أجرها عمها لتكون محل اقامة لوجدان أول الأمر ، ثم أصبحت موئلا لأسرتي الأخوين كلما قصد أحدهما أو كلاهما الى القاهرة . وقد كان الحاج عبد المجيد بعيد النظر دائما ، ولهذا فقد اختار الشقة واسعة غاية السعة تستطيع أن تحتوى الأسرتين جميعا لا تضيق بالسادة أو الخدم في وقت معا . وهكذا وجد من الطبيعي أن يستجيب لأخيه حين طلب اليه أن يشاركه في ايجارها . هكذا نشأت مجيدة في الزقازيق ولكنها كانت على صلة وثيقة بالحياة ، فقد كانت تذهب الى السينما وتشاهد المسارح وتتابع بما وفره لها تعليمها الحركة الأدبية فهي متفتحة الذهن رهيفــة الحس . تعتبر البواكير الأولى للمرأة المتعلمة في العصر الحديث . وان كان سخف العصر الحديث قد طغى على تعليم المرأة في بعض الأحيان فان أصالة تلك الفترة هي التي كانت تحيط بمجيدة في هاته الأيام . وأي أصالة أعظــم من واقعها يمكن أن تحيط بها وهي ترى أسرة أبيها وأسرة عمهــا واحدة يجمعهم الحب الصادق لا زيف فيه ولا مين ولا خداع ... ولمــاذا الخداع ؟ .. وطلب كل فرد مجاب من الأسرتين جميعا بلا تفرقة ، ولا حتى تفكير ما دام الطلب معقــولا لا مبالغة فيه ولا تعسف . ولم يكن العنت يعرف طريقا الى البيتين جميعا ، فأبوها رجل سمح طيب المعشر ألوف يحب الناس ويحبونه . وعمها رجل له وقاره ومكانته في قريته وعنــد الذين يعرفونه .

وهكذا كان عزام يجد أن مجيدة كان يستحيل عليها أن تكون غير

هذه السيدة العظيمة فى تربيتها لأبنائها ، وفى حبها لزوجة ابنها ميرفت التى تقوم معها وزوجة ياسر أيضا سوسن التى تقيم مع زوجها فى بيت خاص بهما .

أما مجيدة الزوجة فقد كان حبها لزوجها أمرا مقررا لا يحتاج الى أى تفكير ، فقد نشأ كل منهما فى منبع واحد ، وان كان هو يكبرها بخمس سنوات وبضعة أشهر ، فالذى لا شك فيه أن كلا منهما شهد طفولة الآخر وعرفه أوثق معرفة منـــذ بدأ كل منهما يعى الحيـــاة والأسماء والأشخاص .

كان عزام قد أجمع أمره على الزواج من مجيدة منذ بدأت مراهقته وعرف كما يعرف الناس جميعا أن الشاب ينبغى أن يتزوج .

ويخيل اليه أن مجيدة كانت تدرك ما أجمع عليه أمره دون أن يشير الى ذلك بكلمة . وكانت الأسرة جميعا تدرك هذا المصير ولكن أحدا منها لم يذكره لآخر ، كان أمرا مقررا فى داخل كل فرد من أفراد الأسرة حتى لقد ظنوا أن الحديث فى شأنه عبث لا معنى له . ولا يستطيع عزام أن يذكر الآن وهو فى غمرة هذه الذكريات ان كان أحب مجيدة ذلك الحب الجارف الذى قرأ عنه والذى شهده يحيط باخوانه وزملائه ، أم أن اعتبار مجيدة هى زوجته المقبلة جعل حبه لها من نوع آخر لا يعرفه الا قليل من الناس ، أولئك الذين تشابهت ظروف حياتهم وظروف الحياة التى نما فيها عزام . كان حبه لها أمرا مفروغا منه ليس فيه الوجد ، وفيم الوجد وهو يعلم أن شيئا لن يقف فى سبيل زواجهما ؟ ولا فيه الهيام ولا السهد فما كان هناك داع اليهما . ربما كان يتشوق لرؤيتها ، ولكن أليس الشوق أمرا طبيعيا بين أفراد الأسرة الواحدة ؟

وهكذا كان يعيش حياته فى القاهرة فى اطمئنان على مستقبل البيت الذى سيقيمه للزوجية ، وكان يسعى حياته فى طهر ، لأنه كان يرى أن هذا هو الأولى به والأخلق .

ثم ظهرت ترمين . فاذا الحياة عنـــده تسفر عن وجه من المتعة لم يتصور مقدارها قط قبل ليلته هذه فى الأريزونا .

ذهب مع ترمين الى شقتها . وحين حان موعد انصرافه تحير ماذا يفعل ، وبخبرة المرأة المتمرسة قالت له :

ـ فلوس لا أقبل منك . ولكن أحضـــر لى هـــدية معك فى المرة القـــادمة .

مرة قادمة ... فكر قليلا وما لبثت متعته الجديدة أن صاحت به :

ـ ماذا بك ؟ وهل فى هذا تردد ؟
وقالت نرمين :
ـ أم تراك لم تنبسط ولن تكون هناك مرة قادمة ؟
وصاح من فور الغريزة :
ـ بل مرات ومرات ·· المهم ألا تصرفينى أنت ·
ـ لا ·· اسمع ·· أنا أعرف أنك فى السنة النهائية وأعرف أنك دائما من الأوائل ·· وحتى أضمن دوام الصلة بيننا لا أحب أن أكون سببا فى تأخرك عن التفوق ·
وصمت عزام قليلا ·· فقد واجه العقل الغريزة وقال :
ـ كلام معقول ·
وأكملت نرمين :
ـ من الطبيعى أن ترفه عن نفسك فى كل يوم خميس ·
ـ معقول ·
ـ اذن فموعدنا الساعة الثامنة كل يوم خميس ·

استمرت العلاقة كما اتفقا أن تكون ، وكان يغدق عليها الهدايا ولكنها هدايا طلاب على أية حال وان كانت لا تخلو من ذكاء ، فكان يحاول دائما أن تكون هديته من الذهب وبدلا من أن يأتى لها كل أسبوع بهدية هزيلة يأتى لها كل شهر بما يوازى أربعة جنيهات ذهبية · وكان الجنيه الذهبى فى ذلك الحين بخمسة جنيهات · وكثرت مطالبه بعض الشىء من أبيه ، وكان الأب ذكيا يدرك ما قد يحتاج اليه الشباب من بعض الانفاق · ولم يكن الأب واسع الثراء · ولكن المال لم يكن مشكلة بالنسبة اليه على كل حال ، وكذلك كان الأمر بالنسبة لأخيه أيضا ·

كان يوم خميس ·· لا يزال عزام يذكره وكأنه مر بالأمس القريب · وذهب فى موعده الى نرمين · وكانت الجلسة تبدأ بينهما بالحديث مع كأس ويسكى ، وكان لا يزيد عن الكأس قط وكان الحديث يتناول أمورا خلقتها الزيارات المتكررة · ولم يكن بينهما فى الحديث جسور مشتركة فلكل منهما حياته البعيدة كل البعد عن حياة الآخر · كان هو يذاكر بجدية كاملة واذا أراد أن يروح عن نفسه فديوان شعر لشاعر من القدماء أو شوقى أو حافظ · وكان معجبا بشوقى غاية الاعجاب وكان يعتبره أعظم شاعر فى التاريخ العربى قديمه وحديثه · وكان يقرأ كل ما يظهر لأدباء

عصره أولئك الذى نشأ الأدب العربى الحديث على أيديهم طه حسين ومحمد حسين هيكل والعقاد والمازنى وأحمد أمين وتوفيق الحكيم ومحمود تيمور والزيات والرافعى . وكان جيل عزام يتلقف أدب هؤلاء نقطة نقطة أو كتابا كتابا . كان جيله أشبه ما يكون بالجالسين على أبواب المطابع يختطفون كل كتاب يظهر ، وهكذا كان الماء يصل اليهم رذاذا غير منهمر . فلم يكن العمالقة قد أكملوا أدبهم بعد وانما كانوا يصنعونه . وفى هذه الفترة التى يعيش عزام فى ذكرياتها ظهرت مطالع روايات نجيب محفوظ وقصصه وقصص محمود البدوى ويوسف جوهر وأمين يوسف غراب ويوسف السباعى القصيرة ، وبدأ جيل عزام يتعرف عليهم . ولكن كل هذا كان لا يمد هواة الأدب بمدد الينبوع الدائم الجريان ، فكان عزام يقرأ مع هؤلاء كتب التراث مثل الأغانى والعقد الفريد والعمدة وغيرها ويقرأ الشعر العربى القديم والحديث وهو مدد لا ينفد . والشعر ليس كالرواية . فقد يستطيع الهاوى أن يقرأ القصيدة مائة مرة ثم يعود اليها أما الرواية فهى مرة واحدة فان أعجبته غاية الاعجاب فمرتين .

كانت هكذا حياة عزام . ففيم كان يمكن أن يجرى الحديث بينه وبين نرمين وهى لا تعرف اسما واحدا من كل هذه الأسماء الا ربما هيكل باشا ، لأنه كان وزيرا وكانت طبعا لا تدرى لماذا أصبح وزيرا ولا تعرف أى صلة بينه وبين الأدب . بل هى لا تعرف عن الأدب شيئا الا ما تقوله عنه مجلات تلك الأيام مثل المصور وآخر ساعة وروز اليوسف . ومع هذا التنافر فى الاهتمامات نشأ نوع من الحديث بين عزام ونرمين . وكان الحديث ممتعا لكليهما . فقد كانت تروى له عن صديقاتها وصلاتهن وأصدقائهن ، وكان يروى لها عن زملائه وعن بيته وعن أبيه وعن أمه وعن مجيدة وعن عمه عزت .

فى ذلك الخميس الذى لا ينساه صنعت له كأس الويسكى وصنعت لنفسها كأسا وجلسا وبدأت تقول :

ــ هيه ... ما الأخبار ؟

ــ أخبار السياسة ؟

ــ أعوذ بالله لا أكره شيئا قدها .

ــ الأخبار يا ستى أن عمى عزت كان يزورنا من يومين .

ــ وهيه وما أخباره ؟

ــ الحظ يحالفه فى هذه الأيام ويتغلب على كل منافسيه فى الطاولة وكسب الشهر الماضى خمسة جنيهات من الطاولة وحدها .

ـ أصبح ثريا اذن ٠
ـ أضاعها فى الضمنة ٠٠
وضحكت نرمين وهى تقول كلمتها المأثورة :
ـ شربات ٠
وقال عزام وعلى وجه غلالة من الجدية :
ـ أتعرفين يا نرمين ٠٠ أنا لا أحسد أحدا فى حياتى الا عمى عزت ؟
ـ أعوذ بالله ٠٠ أنت قلبك لبن حليب لا يمكن أن يحسد أبدا ٠
ـ لا ٠٠ فعلا أنا أحسده ٠
ـ أنت تحسده ؟
ـ نعم ٠٠ عمى عزت
ـ أنت تحبـــه ؟
ـ لا أفرق بينه وبين أبى مطلقا ولكنى أحسده !
ـ أنت تعنى شيئا لا أفهمه فحب وحسد لا يجتمعان
ـ ربما كان المعنى الذى أقصده لا تعبر عنه كلمة الحسد التعبير الدقيق ٠
ـ اذن ٠
ـ أتمنى أن أكون مثله ٠
ـ يا شيخ لا قدر الله ٠
ـ ولمـــاذا ؟
ـ بل قل لى أنت لماذا تريد هذا الذى تريد ؟
ـ لا أحمل هما ٠٠ طيب ٠٠ لا أزعل من أحد ولا أجعل أحدا يزعل منى الدنيا عندى طاولة وضمنة وتسلية زوجتى تحمل هم البيت وأخى يشرف على الأرض وأنا أسعد خلق الله ٠

ونظرت اليه نرمين مليا وبدأت مطالع دموع تفور الى عينيها وهى تقول :
ـ أهذه حياة ؟
ـ وما الحياة ؟
ـ أى شىء الا هذا ٠
ـ أرى فى عينيك ٠٠٠
ـ نعــــم ٠
ـ هل ذكرك حديثى بشىء ؟

ـ كان أبى مثل عمك ٠٠ الا أنه كان يغامر بمبالغ طائلة حتى أضاع ثروته كلها ٠

ـ بالطبع ليس هذا الذى أقصده ٠

ـ وكانت النتيجة ما ترى ٠٠ وهو على قيد الحياة ويعرف المهنة التى أحترفها ؟

ـ ولكن عمى شىء آخر ٠
ـ عمك لن يضيع ثروته ولكنه يضيع حياته ٠
وتماسكت نرمين وغاضت الدموع ٠

ـ ولكنه سعيد ولم يؤذ أحدا فى حياته وربما أعان بعض الناس ٠

ـ لا تؤاخذنى ٠٠ الحمار أيضا سعيد ٠٠ والثور سعيد ٠٠ فى الحياة لابد أن يكون هناك فرق بين الانسان والحيوان ٠٠ والحيوان أيضا لا يؤذى أحدا ٠٠ وان كان عمك أعان أحدا فربما تكون هذه هى الحسنة الوحيدة فى حياته ٠٠ أتراها تكفى ؟!

ـ عمى شخص محترم بين الناس وهو صديق لصديقه يعينه عند الحاجة ورجل طيب بمعنى الكلمة ٠

وصمتت نرمين لحظات قصارا وقالت :

ـ عندما يقترب أجله ٠٠ أطال الله عمره ، ويحتويه الفراش الذى يقدمه الى السماء وينظر خلفه ٠٠ بماذا يستطيع أن يلقى فى نفسه سعادة ؟ انه صنع شيئا ذا قيمة ٠٠ كل ما سيذكره المارس الذى تغلب به على أحد أصدقائه ٠

ـ لحظة ويصبح عند الذى لا ينفع عنده مال ولا بنون ٠
ـ هذه اللحظة هى العمر كله ٠٠ هى وداع حياة بأكملها ٠

وكان الذهول يستولى على عزام كلما تحدثت نرمين حتى اذا انتهت الى جملتها الأخيرة وجد نفسه يحتضنها فى قوة :

ـ أنت تخفين بكأس الويسكى الذى نشربه ثروة من الانسانية ٠
ـ لا أطلع عليها الا من أحب ٠
ـ اذن ٠
ـ نعم أحبك ٠٠ ولكن أرد نفسى عن حبك ٠
ولم يسأل لماذا وانما يطرق ثم يرفع رأسه :

ـ نرمين أنا نلت اليوم من المتعة ما يزيد على كل الأيام التى التقينا فيها . كأنما تجمعت أيامنا كلهـا وتضاعفت مئات المرات اليوم . أنا سأنصرف .

واحتضنها كما لم يحتضنها من قبـل ، وقبـل جبهتها وخـديها وانصرف . وتركها وفى نفسها مشاعر ليست غريبة عليها ولكنها لاتريد أن تصدقها .

★★★

نزل الى الشارع وبحث عن تليفون ووجده عند بائع سجائر وكلم والدته :

ـ نينـا .

ـ أين أنت ؟

ـ أنا فى الشارع .

ـ مالك .. خـير .. انت قلت انك ستتأخر ؟

ـ اسمعى ولا تستغربى .

ـ خـير .. خوفتنى ؟

ـ ليس هناك شىء مطلقا ولكنى أريد ان أرى أبى .

ـ ماذا به ؟ هل سمعت عنه شيئا ؟

ـ من أين أسمع . التليفون بجانبك ولو كان هناك شىء لا قدر الله لعرفت أنت قبلى .

ـ أنا لا أفهم .

ـ أتاتين معى اليه ؟

ـ الآن ؟

ـ الآن ..

ـ كيف ستذهب ؟

ـ سأستأجر سيارة .

ـ أمرك عجيب .. على كل حال وماله .. خذنى معك .

ـ هذا فعلا أحسن .

ـ لكن يا عزام الامتحان اقترب وهذا ليسانس وأخشى أن يغضب أبوك الحاج .

ـ انه سواد الليل وبكره تتغدى هنا فى مصر .

ـ الأمر لله .. وتقول لى لا تستغربى .

– ستعرفين كل شىء هناك ٠
– هناك ؟!
– هنـاك ٠

★★★

حين وصل الى بيت أبيه فى البلدة كانت الساعة قد تجاوزت الحادية عشرة بدقائق ٠ وتعجب الحاج عبد المجيد ، ولكن حين رأى ابنه وزوجته سالمين لم يمس مشاعره قلق ٠ انفرد بهما فورا ولم يتمهل عزام بل سارع قائلا :

– أبى أريدك أن تخطب لى ٠
– أخطب لك ٠٠ من ؟
– مجيدة طبعا ٠٠٠ وهل يمكن أن أخطب الا مجيدة ؟

وازداد تعجب الحاج :

– تجر أمك فى عز الليل وتأتى الى الساعة الحادية عشرة من مصر لأخطب لك مجيدة !
– ولم لا ؟
– وهل علمت أنها ستخطب الليلة الى أحد آخر ؟
– طبعا لا ٠
– الكل يعلم أنها لك وأنت لها ٠
– أعـــرف ٠
– فما هذا الهبل الذى تصنعه ؟

وكأنما كان عزام فى غمرة وأفاق ٠٠٠ ماذا صنع ؟!

وماذا يقول لأبيه الآن وهو يعلم أن أباه يعهده دائما عاقلا متزنا لا يأتى شيئا فى غير روية وتفكير ٠

أيقول له انه وجد نفسه فى لحظة حاسمة من حياته أن عليه أن يختار بين أن يكون انسانا ذا قيمة فى المجتمع يحترم انسانيته وما وهب الله له من عقل ومن حرية فى الاختيـــار وبين أن يكون انسانا يبحث عن المتعة وحـــدها ٠

أيقول له انه أحب تلك الصلة بينه وبين نرمين وخشى أن يتمادى فيها فيحس دائما أن ضميره غير راض عنه فهو من نفسه فى عذاب وهو من متعته فى هناء ٠ وأنه أراد الليلة وفورا أن يختار الهناء النفسى لا الهناء الحسى ٠

أيقول له انه يعد نفسه لأن يكون قاضيا وان القاضى اذا لم يكن شريفا فى داخله فهيهات له أن يكون شريفا فى أحكامه .

ماذا يقول ؟ أطرق طويلا ثم رفع رأسه الى أبيه :

ـ أنا آسف يا بابا .

ـ لابد أن تكون آسفا .

ـ فعلا آسف .

وقالت الأم :

ـ أتأتى بى فى الظلام لهذا ؟! الله يخيبك يا عزام يا ابن بطنى .

قال عزام مرة أخرى :

ـ يا نينا اعتبريها جنونة وقامت بدماغى .

وقال الأب فى تؤدة :

ـ ثم أنت الآن داخل على امتحان الليسانس .. فلماذا لا تنتظر حتى تأخذ الشهادة ؟

وقال عزام فى حسم :

ـ أنت تعرف أننى سآخذها .

ـ وهل تريد أن أخطبها لك الآن أم أنتظر حتى الصباح ؟

ـ هذا اليك .

ـ الأمر سيان .

ومد يده الى التليفون وطلب أخاه فى الزقازيق وصاح :

ـ عـزت .

ـ خير يا أخويا الحاج هل هناك شىء ؟

ـ انت نمت ؟

ـ أنا داخل من النادى الآن فقط

ـ طيب اسمع يا سيدى .

وروى له ما صنع عزام .. وتمت الخطبة .

★★★

حين عاد عزام الى القاهرة اشترى هدية ثمينة بخمسين جنيها وذهب الى بيت نرمين فى وقت كان واثقا أنه لن يجدها فيه . وفتح الباب بالمفتاح الذى معه وترك الهدية فى مكان لا تخطئه العين فى البهو ومع الهـدية المفتاح ، ولم يكتب شيئا وحين عادت نرمين ووجدت الهدية والمفتاح عرفت كل شىء وأدركت أن مشاعرها يوم تركها لم تخادعها .

★★★

منذ ذلك الحين البعيد وعزام يحن الى تلك الأيام غير البريئة ويحس بها تدغدغ حواسه · ويحس فى نفسه شوقا اليها تواقا الى مرحها · حتى اذا جلس على كرسى النيابة الذى أصبح كرسى القضاء أصبح عزام الذى يعرفه الناس ، ولا يعرفون عنه الا البعد كل البعد عن مواطن الشبهات ·

كان انسانين فى انسان ونفسين فى نفس وقلبين فى قلب · وضميرين فى ضمير · ضمير يهون عليه اللهو والمتعة حتى وان تبعها سكوت على الباطل ورضا بالخطيئة على أى لون لها · وضمير هو الأصيل فيه ، طريقه الحق وسبيله انى أخاف الله رب العالمين ·

وكانت آراؤه فى كل شىء تنشد المثل الأعلى ، ولكنه كان يغفر فى نفسه لمن يحيد عنها حتى وان حكم عليه بأحكام القانون · فالانسان فيه يعرف ضعف الانسان ويرحمه ويغفر له · والقاضى فيه يعرف حق القانون ويستقر فى نفسه فى ثقة تقترب من ثقة الايمان بالله أن العالم بغير قانون فوضى ، الغابة خير منها · فالغابة وهى الغابة لها قانون ، أما اذا غفا القانون فى دولة أو ناله مساس من استهانة فالحياة كلها ضياع ·



(٣)

ولد وجدان في عام ١٩٥٠ ، فحين جاءت الثورة كان طفلا يحملونه على الأكتاف · وحين بلغ السادسة رأى الشعب في حالة ثورة لا يعرف أسبابها ورأى أباه في حالة حزن وأسى لم يكن أيضا يعرف لهما سببا في ذلك الحين ثم رأى الشعب يتحول من ثورة في الشوارع والطرقات الى جنون فرحة تعم الجميع الا أباه الذي ظل حزينا دون أن يدرى وجدان لماذا يجد أباه دائما في حالة تختلف عما يراه في المدرسة والشارع ؟ يذكر طبعا أن المدرسين قالوا لهم شيئا عن تأميم القناة ويذكر أنه كان هناك أمر للجميع أن يفرحوا ففرحوا · ثم قالوا لهم العدوان الثلاثي وتحالف قوى الشر ، وكان يسمع الألفاظ ويرددها دون أن يدرى ماذا يقال له ؟ حتى لقد دخل أبوه عليه مرة في البيت ووجده يقول لمربيته :

ـ يحيا التحالف الثلاثي ·

وتسمر أبوه مكانه ووجم هنيهة ثم انطلق يقهقه وهو يقول له :

ـ وقعتك سوداء ·

ـ هكذا علمونا في المدرسة ·

ويصيح الأب وهو يضحك :

ـ لا يمكن ·

ـ التحالف الثلاثي يا بابا ·

ـ يسقط يا وجدان علموك في المدرسة أنه يسقط ولا يحيا ·

ـ وهل أعرف يا بابا ؟ نقول يسقط كثيرا ولا نعرف لماذا ؟ ونقول يحيا كثيرا ولا نعرف لماذا ؟ حاجة تلخبط ·

ويقول أبوه وهو يضحك لا يزال :

ـ نعم لكن اللخبطة في هذه المسائل تؤدى الى مصائب لا يعلمها الا الله ·

ــ مصائب لمن يا بابا ؟
ــ طبعا لك أنت لا يمكن ··· كل المصائب ستكون على دماغي أنا ·
ــ اذن يسقط التحالف الثلاثي ·
ــ أتعرف أحسن شيء يا وجدان ؟
ــ نعم يا بابا ؟
ــ نحن يابني لا شأن لنا ·
ــ أليست بلدنا ؟ ألسنا الشعب ؟
ــ لم تعد بلد الشعب يابني ·· انها بلد شخص واحد ·· ونحن لا شأن لنا ·
ــ اذن فلا أقول يسقط ؟
ــ ولا يحيا ·
وقال وجدان في براءة وفي غير مبالاة :
أحسن واحنا مالنا ··· بلاش أحسن ·· واحنا مالنا ·

وذهل يومذاك عزام فقد أحس أن الذي قاله الطفل في براءة من غير فهم والذي ردده كأنه ببغاء كان ضمير الشعب بأكمله حتى أولئك الذين يصرخون في الشوارع بالهتافات الموضوعة على ألسنتهم ·

وحين بلغ وجدان الثامنة رأى فرحا مجنونا يندلع في المدرسة والشوارع وتحيا الوحدة وتحيا سوريا وكانت سن وجدان تجعله يعي بعض الشيء ولكن الكلمات لم تكن واضحة المعالم بالنسبة اليه ·

وحين وقع الانفصال بدأت رأسه تدور وهي ترى تناقضا عجيبا في بيانات الانفصال · كان يعجب كيف يحدث الانفصال في سوريا وينزل الحاكم عقابه على مصر ؟!

وحين أعلنت حرب اليمن كان قد بدأ يقرأ الجرائد · وكان في أشد الحيرة، الأفراح تملأ الجرائد بالانتصارات · والأحزان تملأ بيوت مصر على القتلى وعلى مصير مصر ·

كان وجدان حائرا ولكنه لم يكن رافضا للحكم · فهو لم يعرف غيره حتى يرفضه ، بل ربما تصور أن دول العالم كلها تحكم على هذا المنوال · ولم يكن أبوه يتصور أنه يستطيع أن يناقشه · ولكنه كان يفهم من أحاديث أبيه مع أمه أن أباه رافض · وكان يسمع من زملائه في المدرسة أن آباءهم رافضون هم أيضا · واقتنع هو وزملاؤه أنهم جيل الثورة وأن آباءهم جيل

متخلف يدين بالولاء للملك الفاسد وللأحزاب المستغلة المؤلفة من الساسة المحترفين ٠

وحين أعلن الحكم الثورة الثانية على الاقطاع كان وجدان قد بلغ سنا تسمح له بالمناقشة ٠ ولهذا تصدى لأبيه حين وجده ثائرا ثورة عارمة غاضبا كل الغضب لا يكف عن مهاجمة ما يحدث لأعراض الناس وحياتهم وكرامتهم ٠

قال لأبيه :

ـ أليس من حق الثورة أن تحمى نفسها ؟!

ـ تحمى نفسها من ماذا ؟!

ـ من أعدائها ٠

ـ أين هـم ؟

ـ هؤلاء الاقطاعيون ٠

ـ ماذا يملكون ؟

ـ المـال ٠

ـ ألم تأخذ الثورة أموالهم ؟

ـ ولكنها وجدت عندهم غيره ٠

ـ وان كان هذا صحيحا فما الذى يستطيعون أن يصنعوه به ؟

ـ يستطيعون أن يحاربوا الثورة بالمال ٠

ـ ثورة يحميها جيش بأكمله يحاربها بضعة أفراد ببقايا مال تتوهم الثورة أنهم يملكونه ٠

ـ أهى تتوهم ؟!

ـ لا شك ٠٠٠ بعد قوانين الاصلاح الزراعى والمصادرات والتأميم والاستيلاء أى ثروات يمكن أن تبقى ؟

ـ بابا أنا أعرف أنك قمة فى العدل ٠٠ ولست أنا فقط الذى يقول عنك هذا ، بل كل من يعرفك ٠٠ ثم ان الثورة لم تمس شيئا من أرضك ولا من أرض أمى ٠

ـ أرضنا معا أقل من كل القوانين ٠

ـ ولكنى مع ذلك أخاف أن يكون كرهك للثورة سببه أنها جعلت الفلاحين أصحاب كرامة ٠

وأوشك عزام أن يغضب ولكنه مال الى بعض الهدوء وهو يرى ابنه يحاول أن يستنتج ويحاول أن يناقش :

ـ الفلاحون أصحاب كرامة طول حياتهم ٠٠ وكانت صلتهم بأصحاب الأرض صلة مشاركة ٠٠ والكرامة لا يعطيها أحد لأحد ٠٠ الكرامة بذرة فى النفس لا تزول عن صاحبها مهما ناله من ظلم ٠٠ والبلاء الذى يقع اليوم يقع على الفلاحين ، لأن كل المصريين فلاحون ٠ ولم يكن بينهم أحد لا يعتبر فلاحا الا الأسرة المالكة ، لأنهـا أسرة غبيـة لم تحـاول أن تلتحم بالشعب ، بل كونت لنفسها طبقة مستقلة وأحاطت نفسها بسور من العظمة الكاذبة وابتعدت عن الشعب حتى اللغة العربية لغة الشعب لم تحاول أن تتعلمها ٠٠ تعلمت لغات العالم أجمع ولم تحاول أن تتعلم لغة البلاد التى جعلت منها أسرة مالكة ٠

وفى فرحة غامرة صاح وجدان :

ـ الله ٠٠ بابا ٠٠ اذن فأنت لا تحب الملك ٠

ـ وما الذى جعلك تظن أننى أحبه ٠

ـ زملائى يقولون : ان آباءنا جيل ملكى يرفض الثورة ٠

ـ بل اننى أكره الملك وأعتقد أنه هو السبب الرئيسى فيما حل بنا ٠٠ ولكنى يابنى أكره الظلم ٠٠ ليس لأننى قاض ولكن لأننى انسان ٠

ـ أترى فى الاستيلاء على بعض الأموال ظلما ؟

وقال القاضى :

ـ الاستيلاء على مليم ليس لك ظلم ٠٠ هكذا شرع الله ومن شريعة الله جاء القانون والقانون يطبق لينشر العدالة وما لا يتفق مع العدالة ظلم ، ويا ليت الأمر وقف عند الاستيلاء على الأموال وانما تعداه الى الاعتداء على أعراض الناس ٠٠٠ أتتصور أن ترى أمك عارية أمام شهود يهددك أحدهم بالاعتداء عليها ؟

وانتفض وجدان قافزا صائحا :

ـ لا ٠٠ لا ٠٠ لا ٠

ـ ألم تسمع أنهم يصنعون هذا ؟

ـ انه تشنيع ٠

ـ يا ليت يا وجدان يابنى يا ليت ٠٠ ولكنى أنا أعرف فأعضـاء النيابة فى هذه الأماكن هم الذين يخبروننى ٠٠ انهم يعرفون كل ما يقع فى البلاد فى الأرياف والسجون والمعتقلات ٠

ـ لا يمكن غير معقول لا يمكن ٠

ـ والاعتداء على الأرواح ٠٠ والاعتداء على الكرامات وبيد من ؟ بيد الحكم الذى قال انه وهب الكرامة للشعب المصرى ٠

— ولكن أتنكر يا أبى ان اسم مصر أصبح على كل لسان ؟

— قل لى يا وجدان أيهما المهم الشهرة أم نوع الشهرة ؟

— لا أفهم ٠

— أقصد هل هو شيء عظيم أن تصبح لصا شهيرا وقاتلا شهيرا ؟

— طبعا لا ٠

— اذن المهم هو نوع الشـهرة ٠٠٠ أن تشـتهر بالأمانة بالحق بالخلق٠٠انظر الى شهرتنا قلنا لرئيس أمريكا اذا لم يعجبه البحر الأبيض يشرب من البحر الأحمر وترجموه هناك بالانجليزية فليذهب رئيس أمريكا الى الجحيم ٠٠ ورئيس الدولة هو رمزها والاعتداء عليه اعتداء على الدولة كلها ٠٠ وهكذا هاجمنا أقوى دولة في العالم ، وربما في التاريخ ولم نترك زميلتها في القوة فهاجمنا رئيس الاتحـاد السوفيتي وقلنا عن الشعب الانجليزى تحكمه امرأة وقلنا للشعب الألمانى ينفلق لن ندفع له دينه ، وقلنا ان موقف المدين أقوى من موقف الدائن وفي الساحة العربية عيرنا الملك حسين باسم والدته ولا أدرى أى عيب أن يكون اسمها زين ، واعتدينا على ملك بلاد الاسلام المقدسة الرجل الوقور الذى يحظى بالتقدير من كل العالم وتحدثنا عن ذقنه ٠٠ وبهذا يا وجدان يابنى نلنا الشهرة ٠ ولم نكتف بهذا بل أقحمنا أنفسنا في حروب لا شأن لنا بها ونحن شعب فقير ولكننا مع ذلك أخذنا الأموال التى يجب أن تنفق على مرافقنا من كهرباء وماء وصرف وتليفونات ننفقها فى حرب اليمن والكونغو ومالى ٠ وبهذا يابنى نلنا الشهرة ٠٠ أتعجبك هذه الشهرة ؟!

وأطرق وجدان لحظات في وجوم شديد ثم قال :

— يا أبى اننى من جيل نشأ فى هذه الثورة ٠٠ وهى أملى وان فقدت أملى فيها فقدت أملى في مصر ٠٠ أنا أصغر من أن أناقشك ولكننى مازلت مقتنعا أن الثورة ورئيسها هما أملنا الوحيد ٠

— وأنا يابنى لن أحاول أن أخيب أملك ٠٠ ولكنى أرجـو أيضـا ألا تخيب الثورة نفسها ثقتك فيها فليس هناك أبشع من جيل بلا أمل ٠

وحين وقعت كارثة ٦٧ قال وجدان لأبيه :

— اليوم يا بابا أصبحنا جيلا بلا أمل ٠

ونظر الى أبيه فوجد الدموع تجرى مدرارا على وجنتيه ٠

— تبكي يا أبى ٠٠ ألم تكن تتوقع ؟!

— فرق كبير يا وجدان يابنى بين توقع الكارثة ووقوعها ٠

منذ ذلك الحين لم تعد السياسة تشغل وجدان . بل انه فى كثير من الأحيان كان يقرأ الجرائد من آخرها ولا يكاد يلقى نظرة على الصفحة الأولى فيها .

وسار وجدان طريقه فى الدراسة وحصل على ليسانس الحقوق فى عام ١٩٧١ وكان لابد أن يؤدى الخدمة العسكرية .

وارتمى مع زملائه خريجى المدارس على شاطىء القنال يرون الممر المائى العظيم الذى حفره أجدادهم والذى سالت من أجله الدماء منذ قريب والعدو اليهودى على الشاطىء الآخر منه ينعم به وتشتعل فى نفوس الشباب نيران لا يعرفها الا من زار هـذه المناطق فى تلك الأيام السود الداكنة السواد . اذا تمثل الخزى فى أرض ما فهو هذا المكان واذا تجسد العار محسوسا ملموسا فهو هذا المكان . واذا اجتمع الجهل والغباء والحمق والفجور لتكون أشياء ترى بالعين فهى هذا المكان .

خيانة القيادة للشعب كانت هـذا المكان ، استهانة صاحب القرار بأصحاب المصير كانت هذا المكان .

جملة قرآنية كانت دائمة الوجيب فى قلب وجدان فى هذه الايام حين يصف سبحانه وتعالى من شاء له عذاب جهنم بقوله لا يموت فيهـا ولا يحيا . كان الشاب هناك فى جهنم من الخزى والعار والجهل والغباء والحمق والفجور والخيانة ثم هو لا يموت هناك ولا يحيا . وكان كل شاب قد أصبح والموت فى سبيل مصر حين عاد اليها اسمها مصر أملا .. وأعجب شىء أن يصبح الموت وهو الموت أملا وأعجب من ذلك أنهم يعلمون أنه أمل مستحيل التحقيق ويذكر منهم من يحب الشعر بيت المتنبى الخالد العملاق :

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا
وحسب المنـايا أن يكن أمـانيا

سيناء أرض مصر ومسرى النبيين والمتشرفة بذكر كتاب الله لها ومجلى روحانية مصر ومبعث الفخر لنا نحن المصريين ، ان أرضنا مصر أثيرة عند صاحب العرش ذى الجلال والاكرام يدنسها شراذم كانت فى الأرض بددا تتسول الانتماء الى وطن أى وطن ، والشباب من جيل وجدان يشهدون بأعينهم كيف تنتهك أعز حرماتهم ؟ وكيف تدنس الأرض الطهر ؟ وهم يعرفون التاريخ ويا ليتهم كانوا لا يعرفون . فالجرح فى نفوسهم يزداد فى كل لحظة عمقا حتى يبلغ الأغوار البعيدة من كرامتهم المصرية ، وحتى يدمر أحلامهم الوردية التى موهتها عليهم الدعاية الكاذبة والهتاف الصارخ

واللافتات التى يتبينون اليوم أنها كانت مرفوعة على فراغ فنكستها الكارثة • ويسخرون من أيامهم الماضية ويقول قائلهم للآخر : لم تكن الحرب هى النكسة وانما كانت نوعا من الخزى والعار لا تعرف اللغة له وصفا ، لأن اللغة لم تشهد له مثلا • انما النكسة كانت تنكيس هذه اللافتات ليتضح أنها كانت تخفى وراءها اللاشىء الا الاعتداء على أعراض الناس وحرمات الدين وكرامات الانسان وأمجاد مصر • ويجد الشباب نفسه يصلى • ويتجه الى السماء يسألها العون على ما يلاقون فقد ضاقت بهم الأرض أن تنبت لهم أملا ولو كان من سراب •

هناك يتجه الشباب الى الله وقد رسخ فى الثوابت من يقينهم أنه لا يردهم الى كرامة الانسانية الا معجزة •• وهو وحده سبحانه القادر أن يصنع هذه المعجزة •

سنتان والشباب من زملاء وجدان فى هذا الجحيم يموت بما يرى ويحيا بلا اله الا الله وبمحمد رسول الله • سنتان كلمة تكتب فى خمسة أحرف وتنطق فى هنيهة من زمن ولكنهما مرتا بهم هناك واللحظة تزحزح اللحظة فلا تتزحزح والدقيقة تدفع الدقيقة فلا تمضى •

ثم أصدر السادات القرار • ثم جاءت الأوامر بالحرب ، ثم صدق الله عباده أبناء مصر وعده ، وتم العبور من تاريخ الى تاريخ ومن زمن الى زمن ومن هوان الى كرامة ، ودوت الله أكبر بالنصر لتظل طنينا عاليا فى أسماع الحاضر والمستقبل ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها وما عليها •

★★★

كان عزام فى أثناء الحرب ملهوفا لهفة أب يحب ابنه ويعجب به ويعتبره وأخاه أمله الوحيد الذى يعيش له • وكان فى الوقت نفسه فخورا أن ابنه يشارك فى هذه الحرب التى بدأت تباشيرها بعلامات الانتصار •

أما مجيدة فكانت بين الأمهات عجبا •• كان الذعر يفتت نفسها • وكان الرعب يسد عليها أقطارالحياة ، وكان قلبها لهفة ولحظات أيامها قلقا مبيدا آخذا ••• انها الأم • ولكنها بكل قوة المرأة وبكل ثقافة العلم وبكل عزم مصر لا تبدى لزوجها الا الثبات والاشراق والأمل والرضاء بحكم الله مرحبة بما يأتى به • وعند ثباتها يجد عزام المرفأ ويخفى وقد كان عاجزا أن يخفى ويتماسك وقد كان أضعف من أن يتماسك لولا زوجته مجيـــدة •

أما ياسر فقد كان مذعورا لا يخفى ذعره • وكلما شهد ثبات أمه وقناع الصلابة على كيان أبيه عجب من أمرهما•أتراهما لا يحباننا ؟! أترانا

وأخى عندهما عبئا يسرهما أن ينزاح نصفه ؟! ولكن انهما فيما نرى منهما هما الحب والاشفاق والايثـــار والتضـحية فى سبيلنا وتكليف النفس بما لا تطيق فى سبيل ابتسامة منى أو من أخى ٠

وغاب عن ياسر أن الايمان فى نفس أمه وأبيه يفعل من العجائب التى يحسبها أمثاله ممن يحسبون الحياة أرقاما ما لا يستطيع هو أن يفهم وما يستخيل عليه أن يصل الى أسراره ٠



(٤)

عمل وجدان فى مكتب الأستاذ اسماعيل العدوى . وهو مكتب من أكبر مكاتب المحاماة . فما كاد ينهى خدمته العسكرية حتى راح يعمل فى المكتب ، وكان أبوه متفقا مع الأستاذ اسماعيل من قبل أن يقضى وجدان فترة التمرين عنده .

وبدأ وجدان يكتب المذكرات ، وبدأ يتذكر القانون شيئا فشيئا فسنتان فى الميدان كفيلتان بأن تجعلاه ينسى الكثير . ولولا أنه كان يصحب معه بعض كتب القانون لكان قد نسى أنه تخرج فى كلية الحقوق .

وممارسة المحاماه أمر مختلف كل الاختلاف عن الدراسة النظرية التى يتلقاها الطالب فى الكلية . ولكن فضل الكلية يتضح فى أن المحامى تحت التمرين ما يلبث فى بضعة شهور أن يلم بأسرار العمل ويتقن مبادىء العمل فى المحاكم ، وقد قصد اسماعيل العدوى أن يجعل وجدان يكتب المذكرات حتى يخفف عنه رهبة لقاء المحكمة . فهى رهبة يعرف كل من عمل بالمحاماة مداها .

لاحظ وجدان أن بعض المذكرات التى يطلب اليه أن يكتبها لا تتفق دائما مع الحق ، ووجد نفسه فى صراع . وكان فى كل مرة ينشب فى نفسه هذا الصراع يقصد الى الأستاذ اسماعيل ويناقشه فى القضية . ولم يكن اسماعيل يجشمه عناء المناقشة وانما كان فى كل بساطة يقول له :

ـ اترك لى هذه القضية وخذ هذه .

وتكرر هذا الحوار القصير فوجد وجدان نفسه يقول لاسماعيل بعد أن طلب اليه أن يترك قضية حاول أن يناقشه فيها :

ـ أتراك يا أستاذ اسماعيل تعاملنى معامة خاصة ، لأن أبى صديقك؟
ـ مطلقا أنا لا أعاملك معاملة خاصة .

ـ اذن فلماذا لا تناقشنى فى القضايا التى أعرضها عليك ؟
ـ هذه هى أصول العمل .
ـ هذه هى الأصول ؟

ـ أولا أنت فى أول عهدك بالمحاماة ولابد أن تقتنع كل الاقتناع بالقضية التى تترافع فيها حتى ولو كانت المرافعة مكتوبة ٠

ـ ولماذا لا تحـاول أن تقنعنى أنت ؟ فلابد أنك وأنت من أكبر المحـامين فى مصر قبلت هـذه القضية لأسباب قانونية تجعلها مرجحة الكسب ٠

ـ هذه هى الخطوة التالية ٠٠ حين تتقن كتابة المذكرات من ناحية الشكل وأجد مذكراتك قد أحاطت بكل النقاط القوية فى القضية وردت على مواطن الضعف فيها بالنسبة لنا تأتى مرحلة مناقشتك ٠

ـ أشكرك ٠٠ أنا فعلا اقتنعت ٠

ـ ان كونك ابن صديقى سيجعلنى أضغط عليك بما لا أفعل مع المحامين الآخرين الذين يعملون معى فلا تخف ٠

ـ شـــكرا ٠

استراح وجدان لما قاله له أستاذه ووجده معقولا يتمشى مع منطق الأمور ٠ وهكذا أصبح يكتب المذكرات التى يطمئن فيها الى العدالة المطلقة ٠ فسعد بأيامه هذه سعادة لا مثيل لها ٠ واطمأن به ضميره لا ينازعه ولا يثير عليه ثائرة من شك ٠

★★★

كان وجدان جالسا فى مكتبه المخصص له فى مكتب الأستاذ اسماعيل العدوى حين طرق الباب ودخل عبد السميع وكيل المكتب :

ـ أهلا عبد السميع ٠

ـ أهلا بك يا سعادة البك ٠٠ بالخارج آنســة عندها قضية فى الاصلاح الزراعى ٠٠ استأذنت لها البك فأمر أن تقابلها أنت ٠

ـ عجيبة ٠

ـ لا عجب هناك ٠

ـ لمـــاذا ؟

ـ يبدو أن والدها كان صـــديق البك ويبـــدو أن المكتب سيطلع بالقضية بلا شىء ٠٠

ـ بلاش ٠ ٠

ـ آه ٠٠ من القضايا التى نسميها قضية مكتب ٠

ــ وهل هذا يعنى ألا يقابلها الأستاذ اسماعيل ؟

ــ هو عادة يقابل للاتفاق على الأتعاب ٠٠ والقضية هذه بلا أتعاب ففيم المقابلة ووجع القلب ؟

ــ ألم تقل ان أباها صديقه ؟

ــ أقول كان صديقه ٠

ــ يعنى ٠

ــ يعنى أبوها تعيش انت ٠

ــ ما زلت لا أرى معنى ألا يقابلها ٠٠ بل لعل مقابلتها أصبحت أكثر وجـــوبا ٠

ــ هذا عند المحامين الطيبين أمثالك ٠

ــ تقصد تقول السذج أمثالى ٠

ــ العفو يا سعادة البك ٠

ــ وبلا عفو أيضا ٠٠ عبد السميع لابد أن أرى الأستاذ أولا قبل أن أقابل الآنسة التى تنتظر ٠٠ فأنا لا أتصور أن أقابل زبائن فهذا من شأن صاحب المكتب وحده فى المقابلة الأولى وأخشى ان تكون أنت قد فهمت خطأ ٠

وابتسم عبد السميع ابتسامة ساخرة مستخفة وحاول أن يخفيهـا وقال :

ــ أنا يا وجدان بك وكيل محـام من أكثر من عشرين سنة ومثلى لا يخطىء الفهم أبدا ٠٠ وعلى كل حال سعادتك تفضل قابل البك ٠٠

وقصد وجدان الى مكتب اسماعيل :

ــ مساء الخير ٠٠ أهلا وجدان ٠٠ هيه هل قابلت بالآنسة ميرفت ؟

ــ اذن فعبد السميع لم يخطىء ٠

ــ ولماذا تصورت أنه أخطأ ؟

وقال وجدان فى تردد :

ــ موكل جديد وطبيعى أن تقابله حضرتك ٠

ــ عجيبة انك مع حداثة عملك فى المحاماة تعرف آداب المهنة هذه المعرفة ٠٠ على كل حال أشكرك ٠٠ أولا انت انسان شريف غاية الشرف ، بل لعلك مبالغ بعض الشىء فى الشرف ولا يمكن أن يحاول مثلك أن يأخذ موكلا من المكتب لحسابه الخاص مثلما يفعل بعض المحامين تحت التمرين وثانيا والد الآنسة ميرفت رحمة الله عليه كان صديقى وقد كلمتنى والدتها أمس واتفقت معها أن تأتى ميرفت اليك وتسلمك أوراق القضية ٠٠ والمكتب لن يتقاضى أتعابا على القضية ٠

ـ حسنا .. سأذهب لمقابلتها اذن ٠

ـ اقرأ الملف وأخبرني عن رأيك فيه ٠

وخرج وجـــدان من مكتب الأســتاذ اسماعيل وقصـــد الى مكتب عبد السميع وبهره وهو على عتبــة الباب وجه ملاك يشــع فيه نور فيه مصالحة مع الحياة وتملكته نورانية شفيفة وردد في نفسه ٠ سبحان الخلاق العظيم ، وأوشك أن يلحظ الجالسون جميعا ما ارتسم على وجهه من بهر ٠ أما عبد السميع فقد أدرك في اللحظة الأولى ما أصاب الأستاذ ٠ ووقف عبد السميع ومرت لحظات قبل أن يقول وجدان :

ـ عبد السميع :

ـ أفندم يا وجدان بك ٠

ـ الآنسة ميرفت تتفضل في مكتبي ٠

واستقر به المقام على الكرسي ولكن ذرات كيانه جميعا كانت مشغولة بهذا الجمال الذي رآه عند عبد السميع والذي لا يعرف عنه شيئا والذي منعه مكانه في المكتب وحياؤه أن يحاول التعرف به ٠

وطرق الباب ودلفت ميرفت الى حجرة المكتب .. انها ..

ـ أنت ؟!

ـ أتعرفني ؟

وتلعثم لحظات ثم قال :

ـ لا ... أبدا ... مطلقا ... ولكن الحقيقة يا آنسة أنت حين رأيتك الآن في مكتب عبد السميع لم أتمالك نفسي من الاعجاب والتسبيح بصنع الله جل جلاله ... أنا لم أقل هذا الكلام لأحد قط .. ولا أظن أنني سأقوله لأحد أبدا ، ولذلك أرجوك أن تنسيه وتعتبريه مجرد ابداء رأى لا شك انك سمعت مثله كثيرا ..

ابتسمت فكأن السماء أرسلت الى قلب وجدان لحنا لم يسمعه أحد من قبل ٠ وتماسك ٠ وقالت ميرفت :

ـ أكذب عليك لو قلت لم أسمع مديحا من قبل .. ولكن الحقيقة لم أشعر أنه صادر عن صدق وشرف مثلما أشعر الآن .. وأكذب أيضا اذا لم أقل لك انني سعيدة بما أرى وما أسمع ٠

ـ الحمد لله ... والآن هل أنت مجرد رسول أم موكل

ـ لا أفهم ٠

ـ أعني هل ستسلمينني أوراق القضية وأقرؤها أنا أم ستشرحين

القضية ؟ ربما تكون الوالدة هى التى تعنى بهذه الشئون وأنت لا شأن لك ٠

ـ ماذا تظننى يا أستاذ ؟ انى محامية مثلك ٠

ـ صحيح ؟ غير معقول ٠

ـ أنا تخرجت فى آخر دفعة وبتقدير أيضا ٠

ـ ولماذا لا تعملين ؟

ـ سأعمل طبعا فقط أعطى نفسى بعض الوقت ٠

ـ ألف مبروك ٠٠٠ وما القضية ؟ لا شك أنك تعرفين أسرارها جميعا ٠

ـ انها شغل البيت الشاغل منذ ست سنوات ، وربما دخلت أنا كلية الحقوق من أجل هذه القضية ٠

ـ هل هى معقدة ؟

ـ هى بسيطة بساطة تجعلها فى غاية التعقيد ٠

ـ لقد بدأت شغل المحامين فعلا ٠

ـ حين صدر القانون ٥٠ لسنة ١٩٦٩ كان أبى وأمى يملكان أكثر من المائة فدان بحوالى مائة وسبعين فدانا ٠

ـ يا خبر ٠

ـ منها عشرون فدانا لأمى والباقى لأبى ٠٠ أجروا التنسيق وابقوا لأمى أرضها وقبل أن تتم الاجراءات توفى أبى ٠

ـ البقية فى حياتك ٠

ـ شكرا ٠٠ وهنا تبدأ القضية التى ستضطلع بها ٠

ـ وأين كانت القضية طوال هذه السنوات ؟

ـ فى مكتب محام يعلم أننا أصبحنا فقراء أهمل القضية غاية الاهمال ٠٠ كان دائم التأجيل لها بينما أعتقد أنا أنها تنتهى فى جلستين ٠

ـ ولماذا قلت جلستين ولم تقولى جلسة واحدة ولو على سبيل المبالغة المعروفة فى هذا السياق ؟

ـ لأن القضية لابد أن تنظر فى لجان الطعن فى مصلحة الضرائب وفى محاكم الاصلاح الزراعى ٠

ـ كيف ؟

ـ استولى الاصلاح الزراعى على الأرض الزائدة ٠

ـ معقول .

ـ وقعت مصلحة الضرائب الحجز على بقية الأرض المحتفظ بها وفاء لضريبة التركات معتبرة أن أبى حين مات كان يملك الأرض كلها التى احتفظ بها والتى استولى عليها الاصلاح الزراعى .

ـ ما هذا ؟ أهذا معقول ؟!

ـ لم تعترف مصلحة الضرائب بالاستيلاء وقدرت ضريبة التركات على هذا الأساس .

ـ هناك سؤال يفرض نفسه

ـ طبيعى .. ولك أن تسأله .. نعيش من العشرين فدانا التى تملكها أمى .. وخالى أعـزب فجعلنـا نعيش معه وأجـرت أمى شقتنا مفروشة .

ـ سبحانه لا يقفل بابا الا فتح آخر .

ـ الحمد لله .

★★★

لم تعمل ميرفت وانما تزوجت من وجدان بعد أن عرف عنها كل شىء .

★★★

استمر وجدان فى العمل بالمكتب ولكن الأمور راحت تنكشف له ومرت السنتان اللتان لابد منهما للتمرين الا أن وجدان فى السنة الأخيرة كان فى صراع قاتل مع نفسه .

لقد أصبحت قضايا المكتب جميعا أو أغلبها على الأقل بين يديه .. لا ، ما هكذا ينبغي أن تكون المحاماة .

وقال أبوه :

ـ ولكن من يدافع عن المجرم اذا لم يدافع المحامى ؟!

ـ يدافع بالحق

ـ أيمكن هذا ؟

ـ هذا ما يجب .

ـ أتظن أنك تستطيع أن تستمر ؟

ـ في مكتب غير مكتبى .. مستحيل .

ـ ماذا تريد من المحامى ؟ أن يرفض القضية الخاسرة .

ـ هذا ممكن .

ـ أليس من واجبه أن يحاول اقالة عثرة المخطىء لعله يستقيم ؟

ـ يطلب التخفيف ولا يغير الحقائق .. هذا في القضايا الجنائية ..

أما في القضايا المدنية فعليه أن يقف في جانب الحق . واذا رأى موقف موكله ضعيفا فعليه أن ينصحه بالصلح .. أو يتخلى عن القضية .

ــ ما هو عمل المحامى فى رأيك ؟

ــ أن يقدم للقضاء وجهة النظر الأخرى .. سواء كان ذلك فى القضايا الجنائية أم القضايا المدنية .

ــ هذا تعريف دقيق .

ــ على أن يكون شريفا .. فالقاضي إنسان وعمل النيابة والمحاماة فى الجنايات أن يقدما وجهتى النظر .. أما فى القضايا المدنية فعلى كل محام أن يفتح أمام القاضى جوانب القضية من وجهة نظر موكله .. بالحق .. على هذا أقسمنا .. وبهذا ينبغى أن نلتزم .

ــ أتريد أن تكون نبيا ؟!

ــ أنا جزء منك .. وأنا لا أحاول أن أصلح الآخرين ولكن أحاول أنا أن أكون شريفا .. النبى يصلح الآخرين أنا لا أفكر فى هذا كل ما أحاوله ألا أقوم أنا بعمل وأنا غير مقتنع به .

ــ قبل أن تؤدى الخدمة العسكرية كنا اتفقنا أن تعيد التفكير .

ــ أذكر هذا الحوار ولكننى كنت مصمما .. ومن أين لى أن أعرف سراديب المحاماة .

ــ أنا كنت أعرفها .

ــ وأنت خير من يعرف أن الانسان يجب أن يخوض تجربته بنفسه .

ــ لو أن الأبناء انتفعوا بتجارب الآباء لأصبحت الدنيا نعيما مطلقا .

ــ وبما أنها دنيا وليست عليا فلابد فيها من الخطأ ، ولو انتفع الناس بتجارب من قبلهم لانتفى الخطأ وأصبحت جنة لا أرضا .

ــ هذا حق .. والآن ماذا ترى ؟

ــ لو فتحت مكتبا فلن يدخله أحد .. فمن يعرفنى حتى يأتى الى مكتبى .

ــ وهذا ذكاء منك .

ــ اذن فليس أمامى الا النيابة فأنا الآن محام ابتدائى فلأعمل فى النيابة بأقدميتى مؤقتا ثم أعود للمحاماة .

ـ لا أظن أن هناك صعوبة فى ذلك ، فالنيابة والقضاء فى حاجة دائمة الى عناصر جديدة مستوفاة لشروطها ٠

ـ أعلم ذلك ٠

ـ أتحب أن أكلم أحدا ؟

ـ أطال الله عمرك ٠٠٠ لا أظن الأمر محتاجا الى كلام من سعادتك ٠٠ سأتولى أنا الأمر ، وأعتقد أن تقديرى فى التخرج ومشاركتى فى المعركة وعملى فى المحاماة ستكون جميعا شفيعا لى ٠٠٠ وطبعا اسم سعادتك سيفتح لى جميع الطرق ٠٠ وأنا لن أستعمله ولكنه هو سيعمل وحده ٠٠ فالانتساب الى قاض شريف شرف فى ذاته ٠

ـ على بركة الله ٠



النيابة خصم شريف هكذا تعلم المتخرجون في كلية الحقوق ، وقد وجد فيها وجدان مكانا يتفق وأخلاقه ، وهكذا لم يكن عجيبا أن يقبل على عمله الجديد فى حماس ورضا · وبدأ يعمل فى التحقيقات وتبين له أن عمل يوم واحد فى النيابة يكسبه من الخبرة قدر ما يكسبه فى مكتب المحامى مهما يكن شهيرا فى شهور عدة ·

تواءمت نفس وجدان مع عمله وازداد سعادة أن عرفت بشرته بأنها حامل · فالدنيا أمامه كلها جميلة · لا ينغصها إلا مناقشاته المستمرة مع ياسر حول نظرة كل منهما الى الحياة الا أنه سرعان ما يزيح عن نفســه ما يستشعره من ضيق فى نقاشه مع ياسر · فهو يعلم أن الآراء المطلقة شىء يختلف كل الاختلاف عن تصرفات الانسان ·

فاذا تحدث وجدان مع أبيه عن ياسر · رآه يصمت ويسبح بعينيه في فراغ ويخيل الى وجدان أن أباه انتقل الى زمن آخر · ويقول وجدان :

ــ ولكنــك تعـرف أن الآراء المطلقة لا تعبـر عن الخلق الحقيقى للانسان ، فقد يكون الانسان شريفـا كل الشرف ومع ذلك يدافع عن التصرفات غير السليمة ، وياسر الآن فى عصر نجح فيه كثيرون بوسائل غير كريمة ·

ويصمت الأب طويلا ويعجب بوجدان ، ومن اين له أن يدرك ما يدور بنفس والده ؟ ويقول الأب :

ــ لا أرجو من الله شيئا الا أن يكون رأيك هذا صحيحا مع ياسر يا وجدان ·

ويصمت عزام مرة أخرى ويعود وجدان الى العجب ومن أين له أن يعلم هذه الهاجسة التى تلح فى نفس أبيه أن يكون ياسر هو الوجه الآخر له الذى عاش عمره يحن اليه ويقمعه حتى نجح فى محوه من حياته ؟ من أين لوجدان أن يعرف ماضى أبيه مع نرمين وحنين أبيه فى هذه السنوات الطويلة الى هذه الأيام العربيدة فى حياته هذا الحنين الذى ينتهى دائما بأن

يصبح عدما مع ذكريات كثيرة وآمال فاسقة وأفكار رعناء كلها حمق تراود النفس الانسانية الدائمة التقلب ثم ما تلبث أن تمحى ، ومضة من خاطر ما لاح حتى اختفى ٠

فاذا طال صمت عزام قال له وجدان :

ــ ان ياسر ابنك ٠٠ ولابد أن يكون ابنك شريفا ٠

وتصيب الكلمة عزام فى المكان الذى يخشاه ٠ وكم كرر وجدان المسكين هذه الكلمة وهو يظن أنها تسعد أباه ولا يدرى أنه بها يزيد أباه خوفا على ابنه ٠ فلم يكن أحد يعلم أن عزام كان فى وقت ما شخصين فى شخص وضميرين فى ضمير واقبالا واحجاما فى وقت معا وعربدة وتعبدا فى لحظة واحدة ٠

ويقول عزام :

ــ ماذا ترى مفهوم الشرف عندك ؟

ــ نقاء النفس وتوافق العمل مع الضمير ٠

ــ لقد ضيقت على نفسك وعلى الناس ٠٠٠ كان الله فى عونك ٠

ــ فماذا تراه أنت ؟

ــ ربما أكون أنا الجانى عليك يابنى يا وجدان ــ فأنا أيضا أراه كما تراه ٠٠ ولكن هناك كثيرون يرون أن الدوران حول الحياة ٠ وقبول الحيلة ٠ والبحث عن الأحسن من الناحية المادية هو الحياة ٠ ويطمئنون أنفسهم أنهم ما داموا هم لا يسرقون ولا يرتشون ولا يرتكبون ما يحرمه القانون فهم شرفاء وأنهم أذكى الناس فى هذه الحياة ٠٠ وأنهم فهموها فى حين جهلها مثلك ومثلى ٠

ــ وماذا ترى فى هؤلاء ؟

ــ لو عرضت على قضاياهم فى محكمة القانون برأتهم ولو عرضت على قضاياهم فى دنيا الضمير حكمت عليهم بالعقاب !

★★★

كان ياسر قد تخرج فى كلية التجارة وأدى الخدمة العسكرية وقد استطاع بصداقته مع رؤسائه من الضباط والجنود أن يجعلها خدمة هينة لا تعب فيها ولا نصب ٠ وكان يبيت أغلب الليالى فى بيته ٠ وكان وهو فى الخدمة العسكرية يخطط لمصيره ٠ وانتهى به الرأى أن خير مكان له بنك من البنوك الأجنبية الجديدة ولن يجد عسرا فى العمل به بما له من

أبوة فليس المستشار وظيفة هينة في الحياة وبما يملك أيضا من لغة أجنبية يتقنها كل الاتقان ٠

وصح ما توقعه ٠ وتسلم عمله فى البنك البريطانى الدولى فور انتهائه من الخدمة ٠

البنك الأجنبى حياة مستقلة عن الحياة فى مصر ٠ المرتبات خيالية ولكنهم يأخذون من الموظف عملا أكثر بكثير من مرتباتهم الهائلة ٠ فالمواعيد محددة والعمل طوال اليوم لا يجـد الموظف لحظة خالية فهم حين قدروا مرتباتهم كانوا يعلمون أنهم الكاسبون ٠ وهم يختارون لوظائفهم فى حرية مطلقة ٠ وبطبيعة الحال كثيرا ما تكون للوساطة يد فى هذا الاختيار ٠ ولكن البنك أيضا يقدر أن يكون صاحب هذه الوساطة شخصا يستطيع أن يستفيد منه البنك الفائدة المرجوة ٠

★★★

ـ فاذا أودع شخصا ما ـ مثلا ـ مليون جنيه فى البنك وطلب أن يعين ابنه أو ابنته فى البنك كيف يجرؤ البنك أن يرفض له مطلبه ؟!

وهكذا كان زملاء ياسر من نوع خاص يستحيل أن يجتمعوا فى مكان واحد ، فكلهم هناك صاحب شفيع ان لم يكن شفيعا من مال فهو شفيع من منصب ٠ والمال دائما يكون مالا جما ٠ والمنصب غالبا ما يكون منصبا ذا خطر ٠ وهكذا وجد ياسر نفسه محاطا بقوم أغلبهم أغنى منه مئات ان لم يكن آلاف المرات ، أو هو محاط بمن آباؤهم لا يقلون عن أبيه مكانة وخطر شان ٠



(٦)

الحاج خليل المعلاوى نشأ في قرية منشأة البكرى فى محافظة الغربية ، والعجيب فى شانه أنه نفر من الفلاحة مع ان أباه ترك له فدانين وست قراريط باعها وفتح فى طنطا محلا لقطع غيار سيارات الحرث . وهو عمل نادرا ما يقبل عليه فلاح ، لأنه يحتاج الى خبرة ميكانيكية . ولكن يبدو أن الحاج خليل كان هاويا لسيارات الحرث فى صغره . وكان يمشى مع السائقين أينما حرثوا فعرف هذه القطع واتخذ خطوته الجريئة هذه دون أن يستشير أحدا وفتح المحل . ودهش أبناء القرية جميعا حين وجدوا أن خليل المعلاوى الذى أصبح الحاج خليل نجح فى عمله نجاحا باهرا وعادت عليه هذه التجارة بالمال الموفور .

وكان فى القرية ابن عمه نجيب المعلاوى وكان يعمل سمسارا فى الحبوب وسمسار الحبوب أقل السماسرة دخلا . فالحبوب ليست مرتفعة الثمن عادة ثم ان المدى الذى تتراوح فيه أثمانها محدود . ولهذا فما يناله السمسار أيضا محدود . يكفيه ذل السؤال ولا يصل به أبدا الى حال من الغنى أو مشابه للغنى . وكان لنجيب ابن هو صفوت وكان نجيب حريصا غاية الحرص على أن يعلم ابنه هذا . ولكن صفوت أيضا كان حريصا على اللعب حرصا لم يجد معه اصرار أبيه . وبين تنافر الحرصين من الأب وابنه حصل صفوت على الابتدائية وهو فى السابعة عشرة من عمره وقد كانوا يحصلون على الابتدائية فى ذلك الحين فى سن تتراوح بين العاشرة والثالثة عشرة على الأكثر . وهكذا لم يجد نجيب مناصا من أن يفقد الأمل تماما فى تعليم صفوت وصحبه الى الحاج خليل المعلاوى .

ـ يمسك حساباتك وهو خير من الغريب .

ـ أنا عندى كاتب حسابات .. ولكن لا أستطيع أن أرفض لابن عمي طلبا .. سأجعله يقف معي فى المحل ويناول الزبائن .

ـ افعل ما تشوفه ، المهم ألا يقعد فى البيت كالعمل الردى .

وعمل صفوت مع الحاج خليل وما هى الا سنوات قلائل حتى أدرك سر الصنعة وعرف كل المشترين . بل لقد تعرف أيضا على التجار الذين

يشترى منهم عمه خليل . وبدأ هو نفسه يمارس تجارة صغيرة من حجرته التى استأجرها فى طنطا . ومرت سنوات قلائل أخرى واختفى صفوت من طنطا تماما دون أن يعرف أبوه أو الحاج خليل أين ذهب .

كان مع خيبته فى المدرسة شعلة من الذكاء فى التجارة . فما أن وجد فى يده مبلغا من المال يصلح رأس مال صغيرا حتى قصد الى القاهرة . ونزل من القطار الذى ركبه باكر الصباح الى وكالة البلح . وكان يعرف طريقه كل المعرفة . ذهب الى المعلم أخنوخ حنا :

- صباح الخير يا معلم .
- أهلا صفوت .
- تذكر حديثنا عن المحل الذى وعدت أن تجده لى .
- هل جهزت المبلغ ؟
- كله .
- تعال معى .

واستأجر شبه حجرة فى وكالة البلح . وكانت تجارة قطع الغيار فى هذه السنوات قد انتقلت الى وكالة البلح بعد أن أقفل النظام منافذ الاستيراد .

وانتعشت حال صفوت وراح ماله يزداد زيادة جنونية وكان من بين زبائنه رياض البحراوى وهو شاب فى كلية التجارة كان أبوه زكريا صاحب عمائر وحين ضاقت الحياة على أمثاله ضاقت عليه معهم الا أنه لم يقع تحت طائلة الحراسة ولا انتزع منه ملك فاستطاع أن يشترى لابنه رياض سيارة صغيرة قديمة فكان طبيعيا أن يشترى لها رياض قطع غيار لاصلاحها فهى دائما فى حاجة الى اصلاح .

ومع كثرة تردده على صفوت تعرف صفوت على العائلة وما كانت سيارة الأب بأحسن حالا من سيارة الابن فهى أيضا تحتاج الى كثير من الاصلاح والى كثير من قطع الغيار .

دعا رياض صفوت الى البيت وهناك رأى أخت رياض حنان وتمنى أن يتزوجها وكان صفوت حسن الملامح وكان يحاول دائما أن يبدو فى ملبس نظيف فهو منذ أصبح صاحب تجارة يحرص أن يبدو فى أحسن صورة ينتقم بحسن ملبسه من أيام عمله مع الحاج خليل حين كان يلبس الجلباب والطاقية فى الصيف ثم لا يزيد هذا الملبس شيئا فى الشتاء الى جاكتة متهرئة . أما اليوم فهو يشترى أحسن الأقمشة بل انه أيضا

يحرص أن يكون عماله فى أحسن مظهر فمعطف أصفر خفيف فى الصيف ومعطف أزرق ثقيل فى الشتاء .. أما العمال الذين لا يراهم الزبائن فحال ملابسهم شر من حال ملبسه هو حين كان عند الحاج خليل المعلاوى .

زيارة ثم زيارتان ثم قال صفوت لزكريا :

ـ أنا حاصل على الابتدائية .

وقال زكريا :

ـ وأنا حاصل على الابتدائية .

وقال صفوت :

ـ لعلك لم تتصور كم أكسب اليوم ؟

ـ بل أكاد أتصور .

ـ لا تستطيع .

ـ لهذه الدرجة !!

ـ أنا لولا القوانين التى تحكمنا لبنيت عمارة فى الزمالك أو جاردن سيتى .

ـ لهذه الدرجة !!

ـ ولكن الظروف التى نحن فيها تحتم على أن أعيش فى شقة قديمة وأضع أموالى فى خزينة حديدية فى بيتى لا يستطيع أحد أن يراها أو يعرف مكانها حتى ولو كان العفريت ابن العفريتة .

ـ هذا الكلام طريق الى كلام آخر ؟

ـ ما رأيك ؟

ـ أكمل الكلام .

ـ لقد فهمته .

ـ فى مثل هذه الحالة لا يكفى الفهم لابد من التصريح .

ـ حنـــان .

ـ والله ...

ـ طبعا أنا لن أستطيع أن أقول اننى ابن بك أو ابن باشا .. واذا حصل نصيب ستعرف عنى كل شىء .. أنا أبى سمسار حبوب فى منشأة البكرى فى الغربيـــة .. لم أنفع فى التعليم ونفعت فى تجارتى هـــذه ماذا ترى .. ؟

ـ وهل أنا ابن بك أو ابن باشا .. أنا أيضا كنت تاجر جملة اقفلت تجارتى بعد الثورة بسنتين وأعيش على ريع ثلاث عمارات .

ـ أنا الحمد لله فى غنى عن مالك .

ـ اسمع يابنى ... ان كان الرأى لى وحدى لقرأت معك الفاتحة الآن .. ولكن البنت متعلمة .

ـ أهي متعلمة ؟

ـ يعنى مثلنا كذا أنا وأنت .

ـ الحمد لله .

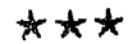
ـ ولابد من أخذ رأيها .

ـ الأمر لك .

وتم الزواج وأنجب صفوت من حنان سوسن عام ٥٦ . وتخرجت سوسن عام ١٩٧٦ فى كلية الآداب قسم اللغة الانجليزية .

وبين مولدها وتخرجها كان أبوها أصبح يملك ما يزيد عن العشرين مليونا من الجنيهات . فانه ما أن رأى بوادر الخير تهب على السوق حتى عمل فى استيراد السيارات وتصدير الأحذية . وراحت ثروته تتضاعف بصورة سرطانية فى جنون . فكل الأموال التى كانت حبيسة مثل أمواله فى خزائن الظلام عرفت طريقها الى الحياة وانفجرت الثروات وفجرت فى وقت معا . وعلماء الاقتصاد يقولون الجنيه فى الخزنة ورقة ولكنه فى السوق حياة . وهكذا دبت الحياة فى الورق بصورة وحشية . وأصبحت الألوف من الجنيهات لا يملكها الا الفقراء المساكين الذين يحاولون بها فى جهد مستميت أن يعيشوا مستورين .

وهكذا كان من الطبيعى أن تصبح سوسن صفوت المعلاوى زميلة لياسر عزام أبو الفضل فى البنك البريطانى الدولى يحرسها فى وظيفتها ، ويمكن أقدامها فى البنك ثلاثة ملايين من الجنيهات الاسترلينية مودعة باسم أبيها فى خزائن البنك . وهى من بعد ومن قبل موظفة لتشغل فراغها، فالصباح بالنسبة اليها فارغ وهى تحب أن تشغله بشىء وما دامت ابنة صفوت بك تريد أن تشغل فراغها فلابد أن يكون ما يشغل فراغها أمرا يتفق وكرامة صفوت بك المالية . وليس أقل من البنك البريطانى الدولى .



(٧)

سأله وجدان :

ـ أهى جميلة ؟

ـ فى نظرى .

ـ وفى المقاييس العامة ؟

ـ مقبولة .

ـ ولماذا لا تتزوج من جميلة ؟

ـ جميلة وعشرون مليونا فى وقت واحد ... أنا لست طماعا الى هذا الحد .

ـ وما شأنك أنت بهذه الملايين .. انها ملك أبيها أليس كذلك ؟

ـ سترى حين أتزوجها أنه لا يملك منها شيئا .

ـ ألم تفكر فى جمعها ؟

ـ اذا لم يكن جمعها عن طريق شريف فهذا شأنك أنت بصفتك وكيل نيابة وليس من شأنى .

ـ قد يكون الطريق غير شريف والأدلة على الجريمة غير موجودة .

ـ اذن فهو ذكى أذكى من القوانين العاجزة .

ـ وهو أيضا بلا ضمير .

ـ مسألة الضمير هذه من اختصاص الله وحده سبحانه وتعالى .

ـ ونحن .

ـ لنا ما نراه .

ـ فأنت مطمئن .

ـ أنا أعطى لكل ذى حق حقه . هو صاحب عشرين مليون جنيه فهو عبقرى ، هو غير شريف هذا من شأن القانون .. هو استطاع أن يتغلب على القانون هو ذكى ... ضميره أمر لا يعلمه الا الله ... أهذا منطق فيه شك ؟

ـ اذن ففير الشريف الذى يسرق ويهرب من القانون شريف عندك ؟

ـ حتى يصدر ضده حكم .
ـ وهل ستعيش على حساب زوجتك ؟
ـ وأى بأس في ذلك ؟
ـ ألا ترى فى ذلك بأسا ؟
ـ لقد عشنا أناوأنت على حساب أبينا أليس كذلك ؟
ـ أترى انفاق الزوجة على زوجها مثل انفاق الأب على ابنه ؟!
ـ ألا يربطنى بها رباط شرعى ؟

ـ هذا الرباط الشرعى يحتم عليك أن تنفق أنت عليها لا أن تنفق هى عليك .

ـ لا فرق .
ـ هذا رأيك ؟
ـ واضح أنه رأيى والا ما قلته .

★★★

وسأله أبوه :
ـ هل تحبها ؟
ـ الحب يأتى بعد الزواج
ـ واذا لم يأت ؟
ـ سأجعله يأتى غصبا عنه .
ـ نعم أعرف ... وهل تحبك ؟
ـ لم أسألها
ـ وكيف ستتزوجها ؟
ـ ستطلبها لى سعادتك .
ـ وان سألها أبوها ورفضت ؟

ـ عرفت أصل أبيها وجدها .. انها أسرة يهمها كل الأهمية أن تناسب مستشارا .

ـ أنا أعد نفسى للمعاش .
ـ هذا لا يهم فى شىء .. المهم اللقب .

ـ ان كان هذا صحيحا بالنسبة لأبيها وأسرتها ماذا يكون موقفك اذا لم يكن هذا رأيها .

ـ تقصـــد ... ؟
ـ نعم أقصد أن تكون مرتبطة عاطفيا بشاب تعرفه قبلك مثلا .

ـ مستحيل ٠
ـ تبدو واثقا ؟
ـ لو كانت كذلك ما قبلت تقربى منها وتلميحى لها ٠
ـ لقد أعددت لكل شيء عدته ؟
ـ أعتقد ذلك ٠
ـ أنا لست مرتاحا لهذا الزواج ٠
ـ ولكن هل تمانع فيه ؟
ـ هل سألت والدتك ؟
وقالت مجيدة :

ـ لو كان وجدان هو الذى يطلب هذا الزواج ما ترددت فى قبوله أما أنت ٠٠٠

ـ ما الفرق ؟
ـ الفرق بعيد ٠
ـ مثل ماذا ؟
ـ أنت الموازين عندك كلها فلوس ٠
ـ وهل فى هذا عيب ؟
ـ عيب كبير ٠
ـ أى عيب فى هذا ؟
ـ الفلوس خائنة ٠
ـ والقلوب خائنة ٠
ـ ولكن الشرف لا يخون والضمير لا يخون ٠٠ حين أراد وجدان الزواج تزوج فتاة مستورة ولكن كان واثقا من كل شيء حولها ٠

ـ ومن قال لك اننى لست واثقا من كل شيء حول سوسن ؟

ـ أنت سألت عن مالها وعن الطريقة التى توصلك اليها ولم تسأل عن شيء آخر ٠

وذهل ياسر لحظات هو يقول دون وعى :
ـ كيف عرفت ؟
ـ أنت ابنى ٠٠ اذا لم أعرفك أنا فمن يعرفك ؟!
ـ اذن فأنت لا توافقين على الزواج ؟

ـ وهذا أيضا لا أستطيع أن أقوله فأنا لا أعرف عن البنت شيئا يسيء اليها الا أن ثروة أبيها غير طبيعية وان رأى غيرى هذا حسنة فأنا أراها شيئا يثير الخوف ولكنه على كل حال لا يصلح سببا للرفض ٠

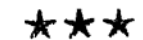
- اذن ٠

- نتوكل على الله ٠

وصح كل ما توقعه ياسر ٠٠ سعدت سوسن بالزواج من ياسر فهو جميل الطلعة ممشوق القوام ، وهو ابن سعادة المستشار ٠ وما دامت هى تفتخر بأنه ابن المستشار ففخر أبيها وامها أكبر وأعظم ٠٠ فالمال موفور وما كانت الاسرة فى حاجة الا الى نسب مرموق يرتفع به مكانها فى المجتمع وتم لها ما أرادت ٠

دفع ياسر المهر خمسة آلاف جنيه فاذا بهذه الآلاف الخمسة تصنع المعجزات شقة ثمنها مائة وعشرون ألف جنيه ملك أبيها وخصصت لهما ٠ وفرش وديكور يفوق المائة ألف جنيه بآلاف اخرى لا تستحق أن تذكر فى زحام هذه المبالغ الفلكية ٠

وبعد أن تم الزواج بشهرين تقدم عزام بطلب اجازة المعاش وكأنما أحس ان لقبه أدى المطلوب منه أو ربما أحس أن ابنه تاجر بهذا اللقب فأحب أن يصبح المستشار السابق بدلا من المستشار فقط ٠



(٨)

أنجبت ميرفت لوجدان ولدهما الأول بعد أن تأخرت فى الانجاب بعض سنوات · وسمى ابنه عزام وسعد الأب بالانجاب والتسمية معه أما مجيدة فكانت تقول :

ـ أنا جدته من ناحيتين ·· ميرفت بنتى مثلما وجدان ابنى ·

وحزم وجدان أمره على شيء ولكنه أبى أن يفاتح فيه أباه أو أمه فى الشهور الأولى من مولد عزام الصغير حتى لا ينغص عليهما الفرحة · ثم انتهز فرصة خلوه بأبيه وقال له :

ـ أريد أن أبحث عن شقة ·

جزع الأب جزعا حقيقيا وقال له :

ـ ولماذا يابنى لا قدر الله ؟

ـ عزام الآن لعبة لك ولسته ولكنه ما يلبث أن يكبر ويصبح مصدر ازعاج لكما وأنتما الآن لا تحتملان طفلا فى سنه يعيش معكما بالبيت ·

ـ هل طلبت منك ميرفت هذا ؟

ـ أنت تعرف أننى لا أكذب ·

ـ نعم أعرف هذا ·

ـ اذن فميرفت لا تعرف أننى سأطلب هذا الطلب أو أفكر فيه ·

ـ واذن فاسمع ·· أنا منذ خرجت على المعاش وأنا أترقب مولد ابنك هذا وحين جاء أحسست أن حياتى تجددت به فلماذا تريد أن تحرمنى من هذا الشعور ؟

وطفرت الدموع الى عينيه ودخلت مجيدة فجأة ورأت الموقف الحائر من وجدان والحزين من عزام :

ـ ماذا كفى الله الشر ؟

وتمالك عزام نفسه وهو يقول :

ـ تعالى شوفى ابنك ماذا يقول ·
وقال وجدان :

ـ لا داعى ··· نتكلم فى هذا فى وقت آخر ·
وقالت مجيدة :

ـ لماذا أكنت زوجة ابيك ؟ ماذا قلت لأبيك حتى جعلته بهذه الحالة ؟

ـ يريد أن يترك البيت ·
ودقت صدرها وهى تقول :
ـ ماذا ؟
وقال وجدان :
ـ أخشى أن يزعجكما عزام ·

ـ اذن اترك البيت وحدك ان كنت تريد أما ميرفت وعزام فباقيان معى ·
وعلا صوتها وهى تقول :

ـ أهكذا يا جدان ؟ ألأنى أحب زوجتك كل هذا الحب تريد أن تحرمنى منها ومن ابنها ؟

وسمعت ميرفت الصوت المرتفع الذى لم تتعود سماعه فى هذا البيت، وسارعت الى مصدره وعرفت موضوع النقاش والتفتت الى وجدان :

ـ ماذا تظننى عندك ، قطعة من أثاث ؟ كيف سمحت لنفسك أن تتكلم فى هذا الموضوع دون أن تستشيرنى ؟

وأطرق وجدان وقد أحس أنه أخطأ فى حق زوجته :
ـ أنا آسف ·
وقال الأب :
ـ وهذا الموضوع لا يفتح مرة أخرى ·
وقال وجدان :
ـ أمـــرك ·

★★★

وحين خلت ميرفت بوجدان قالت له :

ـ أليس معنى طلبك أنك تريد عشرة آلاف جنيه أو ثمانية على الأقل لتدفعها خلو رجل ؟

وذهل وجدان وأوشك أن يصيح :

ـ أنا أدفع خلو رجل ·· أنا وكيل نيابة ·

ـ عجيبة ·· اذن فكنت تريد أن تشترى شقة ·

وعجب وجدان من نفسه وقال :

ـ ولا فكرت فى هـذا أيضـا ··· ومن أين لنا بثمنها ؟ ·· كل ما فكرت فيه أننى خفت أن يزعج عزام أبى أو أمى ·

وقالت ميرفت :

ـ يا ليت الدنيا كلها مثل أبيك وأمك ·· انهما يحبان عزام أكثر من حبك له ·· والحقيقة أننى لا أستطيع أن أترك نينه أبدا أمى وهى أمى لا تعاملنى معاملتها لى ·· اننى اذا تركتها تجـد نفسها لائصة فى البيت ·· اننى أنا الذى أقوم بكل شىء هنا ·

ضميرك هذا يرتكب أخطاء كبيرة دون أن يفكر ·· وأنت الآن البك وكيل النيابة والبك وكيل النيابة لا يجوز له أن يخطىء ·

وابتسمت ··

ونظر اليها طويلا وابتسم وهو يقول :

ـ أطال الله عمرك لى ولعزام ولست عزام ولجد عزام ·



بدأ وجدان مرافعاته وسمع القضاة لغة يندر أن يسمعوا مثلها . عربية واضحة بينة الملامح ، وفي نفس الوقت دقيقة في التعبير حادة في الاشارة لا تلجأ الى الحلية لمجرد الحلية ولا تحاول الاستعراض . انتيم جلية الملامح أسانيدها القانونية مستقيمة ليس فيها تعنت أو تحيف على النص أو الواقعة .

وسرعان ما أصبح أعضاء النيابات يتنادون في الجلسات التي يترافع فيها وجدان . وأصبحت مرافعاته حديث المستشارين والقضاة واخوانه من أعضاء النيابة .

وبدأ المختصون يندبونه للقضايا التي تحتاج الى مرافعة ذات شأن وأحس وجدان أخيرا أنه يحقق ذاته . فلا شيء يخالف ضميره واذا لم يرض عن اتهام في قضية طلب حفظها . ونسي وجدان ما كان ينتويه من عودة للمحاماة ، أو تناساه . وأصبح المجرم اذا عرف ان وجدان سيترافع ضد زميل له يقول له ضمنت السجن حتى وان كان محاميك الهلباوي . وتبلغه هذه الأقوال فيعتز بها وتبلغ عزام فيشعر بزهو وتوشك الدموع أن تطفر الى عينيه من الفرح ويقول لنفسه ، الآباء وحدهم في الحياة هم الذين يتمنون أن يكون أبناؤهم خيرا منهم ولعلهم بهذا يحسون بأن أجمل أجزاء فيهم أصبحت خيرا منهم فمشاعر الأب تتعاظم حتى يحس أنه وابنه جسم واحد مثلما هم روح واحدة .

الأم تفرح وتنتشي وتفاخر بمن أنجبت ولكن الأب يشعر وكأنه هو الذي صنع ما يمتدحه الناس في ابنه ويكاد يحس أنه أحق بالتهنئة من ابنه نفسه أليس ابنه هذا جزءا من روحه ؟ فليكن هو جزءا من روح ابنه . وعزام معذور حين تحيط به الفرحة بهذه الصورة فأن يبرع وجدان في نفس الميدان الذي كان يعمل فيه أبوه أمر يجعل فرحة الأب مضاعفة لانه يعرف أسرار هذا الميدان ويعرف المواهب المتعددة والجهد الخارق والحرص على اللفظة والاشارة والانتباه الى نغمة الصوت من غلظة الى رقة ومن لين الى قسوة ، والى درجة ارتفاع الصوت ودرجة انخفاضه التي يجب أن يلم بها جميعا وكيل النيابة المترافع حتى يصل الى تلك المكانة التي تجعله مثار

اعجاب منصة القضاء وأعضاء النيابة ومثار رعب المجرم ومصدرا من مصادر يأسه .

ولم يكن عجيبا أن يسمع صفوت حمو ياسر بهذا النجاح الذى حققه وجدان .

ويدق جرس التليفون فى مكتب وجدان :

ــ نعم ... من ؟

ــ أنا يا أخى نسيبك الذى لم تشرفه فى البيت حتى الآن .

ــ من يا أفندم ؟

ــ أنا صفوت .

ــ أهلا صفوت بك مرحبا .. أنا تحت أمرك .

ــ نتعشى معا هذا الأسبوع .. مرت شهور على النسب ولم تشرفنا .

ــ لا مانع مطلقا من سيكون معنا يا صفوت بك ؟

ــ كثيرون ممن سمعوا عن مرافعاتك وقرءوها فى الجرائد وأعجبوا بها ويتمنون أن يتعرفوا بسعادتك .

ــ ما رأيك يا صفوت بك أن تكون العزومة عائلية ما دامت المرة الأولى التى نتشرف فيها بدعوة منك والأيام جائية كثيرة .

ــ أمرك ... سعادة الوالد والوالدة سيشرفان طبعا واذا أذنت لى صديق أو صديقان أعتبرهما كاخوة .

ــ أمـرك .

ــ العزومة على شرفك بمناسبة القضايا العظيمة التى ترافعت فيها فمتى تحب أن تشرف ؟

ــ والله يوم الخميس غالبا هو أنسب الأيام بالنسبة لى .

ــ علم وينفذ يا سعادة البيه يوم الخميس وسأكلم سعادة الوالد وحنان ستكلم الهانم والست الوالدة .

لم يكن وجدان يكثر من الذهاب الى ياسر فوكيل النيابة بطبيعة عمله قل أن يجد وقت فراغ ولكن العجيب أن زوجته ميرفت أيضا كانت قليلة الزيارة لسوسن . لم يكن وجدان قد تنبه الى هذه الحقيقة الا حين كلمه صفوت هذه المكالمة وحين عاد الى البيت أراد أن يخبر ميرفت بالدعوة فاذا بها تخبره أن الست حنان قد دعتها فعلا كما آكدت سوسن الدعوة وذكره اسم سوسن لما انتبه اليه وسألها :

ــ أراك قليلة الزيارة لسوسن ؟

ـ فعلا ٠

ـ لماذا ؟

ـ أنت تعرف أنني لست من هواة الزيارة وهي تعمل كل صباح في البنك ٠

ـ ميرفت ٠٠٠ ليس هذا هو السبب ؟

ـ هل ستعمل وكيل نيابة في المحكمة وفي البيت ؟

ـ لا والله انما فقط أردت أن أعرف ٠

ـ الحقيقة أننا لم نرفع الكلفة بيننا تماما ٠ فهي على كل حال جديدة علينا والزيارات الكثيرة تبدأ قليلة حتى يتعود بعضنا على الآخر ٠

ـ ولا هذا هو السبب ؟

ـ حتى أكثر من الزيارة لابد أن أشعر حين أزورها أنني في بيتي وأنها لا تفكر في مواعيد أخرى تجعل الزيارة محـددة الزمن وهذا أمر يحتاج الى وقت ٠٠ وسوسن مشغولة دائما بمواعيد أخرى ان لم يكن الكوافير فصديقات أخريات في النادي ٠٠ وهي تلعب سـكواش أيضا ٠٠ أما في الصباح فهي موظفة في البنك كما تعلم ٠

ـ هذا هو السبب ٠٠ انها نوع آخر غيرك ٠

ـ لا تخش شيئا سنتعود على بعضنا البعض ٠

ـ كل ما في الأمر أنني عارضت ياسر في زواجه ولا أحب أن يشعر من ناحيتي الآن بما يضايقه ٠٠ لقد تزوج وقضى الأمر ٠٠ والزيجة في ذاتها حتى الآن ليس فيها عيوب واضحة فليظل ياسر أخي فأنا واثق أنه سيحتاج الى ولا أحب أن يتردد اذا احتاج الى أن يفاتحني ٠

ـ معقول ٠٠ حاضر ٠٠

★★★

ذهب عزام ومجيدة ووجدان وميرفت الى دعوة العشاء ٠ وتساءل في نفسه وهو يصعد المصعد ٠٠ فيم سيكون الحديث ؟ وسرعان ما جـاء الجواب ٠ هذا رجل صنع الملايين ألا يستطيع أن يجد موضوع كلام يعجب جماعة من السذج أمثالنا ٠ لن يعدم وسيلة لخلق موضوع اذا لم نتكلم نحن ٠

كان الترحيب حارا بسعادة المستشار وبالسيدة حرمه وبسعادة وكيل النيابة والسيدة حرمه ٠ وبدا ياسر وهو ينظر الى المفروشات الفـاخرة

والثريات الهائلة والتهاويل على الحائط والتحف على المناضد آنه يريد أن يقول لأخيه ولأبيه ولأمه : هيه أرأيتم ان ابنكم وقع واقفا .

وكان بين المدعوين غريبان قدمهما صفوت على أنهما صديقان له لصيقان ثم عرف وجدان بعد ذلك أنهما يملكان شركة للتصدير وأنهما كانا بسبيلهما الى توقيع عقد مع صفوت فأراد أن يتفاخر أمامهما بنسبه الجديد .

ودار الحديث فى كل شيء . وبطبيعة الحال بدأ بمديح من عزام للمفروشات وحين أجاب صفوت أدرك وجدان أنه شخص غاية فى الذكاء قال :

ـ تعرف سعادتك الابيسون الذى تجلس اليه هذا كان لقطة لا مثيل لها ، ملك لتاجر صديقى كان معروضا عند عبد اللطيف شهدى وحين عرضه على عرفته فقد زرت صاحبه عدة مرات وجلست عليه عنده . طلب فى الطقم عشرة قلت ثمانية آلاف وأنا أعرف أن صديقى كان داخلا فى صفقة يحتاج فيها الى مال سائل من أى طريق واشتريت الطاقم .

لعلك تتعجب يا سعادة البك كيف عرف فلاح مثلى بدأ فى وكالة البلح الابيسون والكريستوفل وما أشبه ؟ أنا كنت صديقا لتاجر لبنانى اسمه عطار . كان الله يرحمه لا يفيق من السكر وأنا والحمد لله لا اشرب كنت أجلس معه دائما يشرب هو وآكل أنا المزة ويتكلم عن هذه الأشياء ولم أكن سمعت عنها ، ابيسون مركيت رى كريستوفل والخشب المطعم بالنحاس ويسمونه البول كله عرفته منه .

وقالت حنان :

ـ أكان لابد أن تذكر وكالة البلح ؟

ـ اسمعى يا بنت زكريا بك ... الذى يتنكر لأصله لا حاضر له .. ولا تعملى نفسك ذكية يا أختى .. عزام بك سأل عنا قبل الزواج وان لم يكن هو سأل فوجدان بك وأعضاء النيابة يعرفون التائه فما بالك بالشيء الذى يعرفه الجميع ، وإن لم يكونا قد سألا فهما مخطئان وحاشا لله أن يخطىء سعادة المستشار وهو يزوج ابنه أو يخطىء سعادة وكيل النيابة وهو يزوج أخاه الأصغر .

وقهقه الجميع بالضحك فالحديث بسيط وفيه صدق وفيه ذكاء . ذلك الذكاء الذى يخفى نوعا خطيرا من المكر ، فشر المكر ذاك الذى يخفيه الحديث الساذج الواضح الطيبة .. وأكمل صفوت :

ـ تعرف سعادتك كل هذه التحف أعرف أصلها وفصلها بعد الذي تعلمته من عطار الله يرحمه وهو يسكر ·· ولذلك فتجار التحف يتعاملون معي معاملة الند للند ولا يحاولون أن يضحكوا على أبدا ·

وقالت حنان زوجته وهى تضحك فى فرح شديد :

ـ يا أخى دوشتنا بالتحف وأنا عندى بشرى عظيمة للست مجيدة وسعادة البك المستشار وسعادة وكيل النيابة ·

وابتسم عزام فى وقار وفرح :

ـ البشرى التى تجمعنـــا لابد أننـــا سنصبح أنا ومجيدة جدين وسيصبح وجدان عما ·

وقهقهت حنان :

ـ اسم النبى حارسك وضامنك مستشار عرفها قبل أن تنطق بها ·

ـ ولم تستطع مجيدة أن تخفى فرحها ·

ـ هكذا بسرعة يا بنت يا سوسن ·

ـ وماذ أعمل يا تنت ؟

وقامت الأسرة تقبل الأم المنتظرة وزوجها ·

★★★

(١٠)

كان من الطبيعى أن يضع وجدان التليفون فى حجرته فى المساء فقد كان كثيرا ما يستدعى فى أعماق الليل للتحقيق فى حوادث وكان الأب والأم فى غنى عن التليفون فى مثل هذه الساعات من الليل بل لعلهما كانا فى حاجة الى من يبعده عنهما ٠

ودق جرس التليفون فى حجرة نوم وجدان وصحا كما صحت ميرفت وأجاب هو :

ــ سعادتك وجدان بك أبو الفضل ؟

ــ نعم أنا ٠

ــ أنا وهبى رشوان من قسم الهرم ٠

ــ أهلا وسهلا ٠

ــ أخو سعادتك ياسر أبو الفضل ؟

ــ نعــــم ٠

ــ هل تسمح بتشريفنا ٠

ــ مسافة الطريق ٠

ــ شــــكرا ٠

ولم تسأله ميرفت الى أين ولكنه قال لها :

ــ حادثة ٠

وكأنما خشى أن تكون سمعت اسم أخيه وقالت ميرفت دون اهتمام :

ــ شىء تعودنا عليه ٠

★★★

كيف ذهب ياسر الى الشرطة ؟ أمر يحتاج الى أن نعود الى بضعة أسابيع يوم كان ياسر وسوسن مدعوين للعشاء والسهرة عند صديقهما حمدى السلولى وقبلا السهرة واشترت سوسن الفستان الذى ستذهب به حتى كان اليوم المحدد عاد ياسر من البنك ليجد سوسن تقول له :

ــ ياسر اذهب وحدك الى السهرة ٠

ــ لمــــاذا ؟

ـ لا ادرى ربما للحمل دخل فى الأمر ٠٠ ليس لى مزاج وأشعر بدوخة وصداع ٠

ـ أعتــــذر ؟

ـ لا اذا اعتذرت ستجعلنى أذهب غصبا عنى ٠٠ حمدى شاب ممتاز وأحب أن تكون علاقتك به طيبة ٠

ـ أمرك اروح وأمرى الى الله ٠

وذهب ياسر وكان عشـــاء كالذى تعود أن يراه منذ عرف هـــذه الدعوات ٠ شرب للويسكى غالبا أو لغيره من العوامل المساعدة من الجين أو الكمبارى الى قرب الحادية عشرة أو بعدها بقليل ثم العشاء أما السمر والحديث فطول السهرة طبعا ٠ الا أن هذا العشاء بالذات تميز بشىء لا يتكرر كثيرا فى الدعوات الأخرى ٠ كانت الراقصة الناشئة التى بدأت تلمع أخيرا مها رمزى مدعوة الى الحفل ٠ بطبيعة الحال التف حولها الشبان وراحت توزع عليهم القليل الذى تعلمته فى عالم الليل ٠٠ ألم أقل لك انها ما زالت فى أول الطريق ؟

وقال لها حمدى :

ـ الآنسة العظيمة مها رمزى هى وحدها صاحبة الأمر فى تحديد الموعد الذى تتناولون فيه العشاء ٠

وقالت أصوات مازحة : هذا تحيز ٠ وآخرون هذا استبداد ٠٠ وهذا طغيان ٠٠ وقالت مها :

ـ ألا تحبون أن أكون أنا المستبدة وأنتم الرعية ؟

وتعالت الأصوات : ونعم الاستبداد وأهلا وسهلا ويحيا الاستبداد ٠

وقالت :

ـ خلاص ٠٠ أنا التى أقول متى نأكل ٠

وتعالت الأصوات : الأمر مطاع ٠٠ وتحت الأمر ٠٠ ولا لزوم للأكل كله ٠٠ وصاح أحدهم بصوت طغى على الجميع :

ـ بشرط ٠

وقالت مها :

ـ ليس لأحد أن يشترط على ٠

وقال الصوت :

ـ اذن برجاء ٠

وقالت مها فى دلال ساذج :

ـ تقبل الرجاوات اذا أعجبتنا ٠

وصاح صاحب الصوت ولم يكن الا ياسر :

ـ رقصة ٠٠ نرى رقصة ٠

ونظرت اليه مليا ٠ وكانت قد عرفت عنه كل شيء ٠ عرفت انه أخو وكيل نيابة مهم وعرفت أنه نسيب مليونير فاحش الثراء ٠٠٠ عرفت كل شيء ٠ وحين قدمه اليها حمدي في العشاء أعجبت بصورته وقوامه وملبسه فحين طلب اليها الرقص نظرت اليه مليا ثم غمزت له بعينها وهي تقول :

ـ لأجل خاطرك انت بالذات أرقص ٠

وهتفت أصوات : تحيا المحسوبية ٠ تحيا الخواطر ٠٠ وسارع ياسر الى ملفعته وذهب اليها وقام بربط الحزام حول وسطها وعدلت رباطه وأدير التسجيل وراحت مها ترقص على تصفيق الحضور أكثر مما ترقص على موسيقى المسجل ٠

وانتهى الرقص وبدأ الاعداد للعشاء وراحت العيون السكرانة تتطلع الى حجرة المائدة ٠ وفي خبرة أدرك كل من ياسر ومها أنهما يستطيعان أن يختلسا بضع كلمات فان تكن مها قليلة خبرة بمهنة الرقص فما هي بقليلة خبرة بمهنة المرأة ٠

ـ متى ستتركين العشاء ؟ ٠

ـ عندما تحب ٠

ـ الآن ٠

ـ قد يلحظون ٠

ـ نتظاهر بأننا معهم على العشاء وننصرف ٠

ـ معقول ٠

وتم الأمر على ما اتفقا عليه ٠ وفي المصعد :

ـ معك سيارة ٠

ـ معي ٠

ـ وأنا معي سيارة ٠

ـ تتركها أنت ؟

ـ وهو كذلك ٠

وحين أصبحا في الطريق قال لها :

ـ هذه سيارتي ٠

ـ مرسيدس آخر موديل طبعا ياعم ·
ـ تحت أمرك ·
ـ هى من الليلة تحت أمرى فعلا ·
ـ فعــــلا ·
ـ بكم اشتريتها ؟

وركبا سيارتها ولم تكن قد أصبحت مرسيدس بعد وانما هى تحبو نحوها وأجاب السؤال :

ـ أنا لا أشترى ·
ـ طبعا يا بخت من كان النقيب خاله ·
ـ أو حماه ·

وضحكا وهى تقول :

ـ هدية منه ؟
ـ يوم الصباحية ·· الى أين أنت ذاهبة ؟
ـ الى الشقة عندى ·
ـ حلو
ـ ما زال أمامى أكثر من ساعة نقضيها معا ·

★★★

فى البيت قبيل خروجهما قال لها :

ـ أترين أن أؤجر شقة لنا ؟
ـ كم كنت ستدفع فى الايجار ؟
ـ مائة جنيه ·
ـ قل مائة وخمسون ·
ـ مثـــلا ·
ـ أؤجر لك شقتى هذه وتدفع لى المبلغ ··· ألم تكن ستؤجرها لى
ـ أنا وأنت فقط ؟
ـ طبعـــا ·
ـ ان عرفت أخرى قتلتك ·· أنا لست مثل زوجتك تضحك على · الخادمة تأتى فى الصباح ومن بعد الظهر الى اليوم التالى وحدى ·
ـ عظيم تبقى المسألة فى بيتها ·
ـ اذن اتفقنا ·
ـ وهذا هو المقدم ·

وأعطاها مائة وخمسين جنيها · فقد كانت الأموال تجرى فى يده لا يعرف كيف ينفقها ؟ فبعد الشهر الأول من الزواج أخبرته زوجته :

ـ أبى سيعطينا ألفى جنيه فى الشهر ·

ـ يعطيك أنت ؟

ـ ألست أنا وأنت واحدا ؟

ـ طبعـــا ·

ـ اذن أنا سأضع المبلغ فى هذا الدرج ويكون معك مفتاح وما تريده خذه وما أريده آخذه ·

ـ وان نفـــد ؟

ـ يأتى غيره ·

وهكذا أصـــبح مرتبه الكبير الذى يتقاضاه من البنك شيئا ضئيلا لا يستحق الذكر · فقد أدرك صفوت أن حالة ياسر المالية لن تحتمل المظاهر التى يفرضها عليه زواجه بابنته وطلب الى ابنته أن تقول له ما قالت متصورا أن اعطاءه مالا لياسر بطريقة أخرى قد تغض من كرامته ·

وهكذا لم يكن فى اعطاء ياسر مائة وخمسين جنيها لمها أى عسر عليه

وأصبح ياسر يتردد على مها فى أغلب أيام الأسبوع قبل أن تذهب الى الكباريه · الا أن هذا لم يكن يمنعه أن يذهب الى الكباريه مرة فى الأسبوع أو مرتين فقد كانت سوسن من هذا النوع الذى لا يحاسب زوجه وكان يكفيه أن يقول لها انه سيسهر ليلته مع بعض أصدقاء حتى توافق دون حتى أن تسأله عن هؤلاء الأصدقاء ·

وكانت مهـــا فى كل ليلة يأتى فيها الى الكباريه تخرج معه فهو لا يأتى فجأة وانما يتفقان على ألا تأخذ سيارتها وتكون واثقة أنها ستجد سيارته أو سيارة حميه لا فرق ـ لتصل بها الى منزلها ·

★★★

بعد هذه المقدمة نستطيع الآن أن نروى الحادث الذى أقض مضجع وجدان المسكين ·

كان الكباريه زاخرا برواده · وكانت هنـــاك منضدة يجلس اليها جماعة من المصريين · يتصدر أحدهم المائدة وينفق ببذخ واضح · وحين ظهرت مها لتؤدى رقصتها تركها ترقص بضع دقائق ثم قام اليها وألبسها عقـــدا من العقود الجديدة التى لم تعدها الحيـــاة الا فى هذه الســـنوات الأخيرة · كان عقدا بألف جنيه موزعة أوراقه ذات المائة جنيه على دائر العقد

وقبلته مها وخلعت العقد وأعطتــه للطبال واستمرت فى الرقص . بين تصفيق المنضدة وزياطها .

ومضت دقائق أخرى وقام اليها المعلم تيسير أبو العزم وألبسها عقدا آخر من نفس النوع . وتقاضى القبلة وزياط المنضدة وقعد .

وانتهت مها من الرقص ودخلت الى حجرتها لتغير ملابسها وتقاسمت الألفى جنيه مع صاحبة الملهى والموسيقيين وخرجت قاصدة الى المنضدة التى يجلس اليها ياسر الذى قام وهو يقول لها :

ـ أنا غير مرتاح لهذه الجماعة هيا بنا .

ـ ولا أنا هيا بنا .

وهما بالخروج واذا بالمعلم تيسير أبو العزم وجمـاعته يعترضون طريقهما .

ـ الى أين يا ست ؟

وقال ياسر محاولا أن يحميها :

ـ وانت مالك .

وقال تيسير :

ـ يا أفندى انت الذى لا مال لك .. أما أنا فقد قدمت ألفى جنيه نقوطا كل مائة تنطح مائة وأنا يا أخى لا أكلمك .

وقال ياسر :

ـ وهل معنى هذا أن تمنعها من الخروج ؟

ـ لا .. العفو .. انما أظن أنه من باب الذوق أن تأتى وتجلس مع الثور الذى دفع لها ألفى جنيه فى خمس دقائق .

ـ وهل هذا أمر ؟ وهل ما دمت دفعت نقوطا تتحكم فيها ؟

ـ انت كل كم يوم تأتى اليها ولا تدفع قرشا ولا عشرة ثم تأخذها جاهزة آخر الليل ونحن نرمى الآلاف ولا ننال ولو جلسة .. طيب كلمة .. طيب ضحكة ..

طبعا كان الناس قد تجمعوا حـولهم . وكان المشرف على الكباريه الخبير خبرة واسعة بهذه الأحوال قد أبلغ الشرطة ولكن قبل أن تأتى الشرطة .

قال ياسر :

ـ هذا تهجم هذه وقاحة .

وقال تيسير :

ـ أما عجائب يا اخواننا ٠٠ الوقاحة أن تدفع وتطلب الأخذ ٠٠ أم تأخذ ولا تدفع ٠

وتصايحت جماعة تيسير وضرب أحدهم ياسر صفعة حاسمة ٠ وهكذا أصبح من الحكمة أن يتدخل فتوات الكباريه فى شكل محاولة للصلح هيأت الفرصة للشرطة أن تاتى فى الوقت المناسب وتأخذ الجميع الى القسم ٠

وعرف الضابط ياسر من بطاقته وساله عن تليفون أخيه ٠ وهكذا دق جرس التليفون فى حجرة وجدان وهكذا وجد المسكين نفسه فى قسم الشرطة ٠

وكان الضابط قد صرف تيسير أبو العزم بعد أن هدده بالحبس اذا عاد لمثل ما فعل ، فحين جاء وجدان حياه الضابط فى تلطف ٠

ـ المسألة لم تكن محتاجة تشريف سعادتك مجرد خناقة عادية الا أننى حين عرفت شخصية ياسر أحببت أن أقول له شيئا أمامك ٠

وكان وجدان فى حالة من الألم غاية فى الحدة ٠ فهو لم يتصور نفسه قط قادما الى قسم الشرطة ليتسلم أخاه ، وهذا التباعد بين منهجه فى الحياة وبين ما هو فيه جعله يوشك أن ينهار ٠ قد يتصور أن يذهب الى ياسر فى حادثة مرور بسيارته الجديدة أو فى مشكلة روتين أما تشابك فى كباريه بينه وبين سكارى من أجل راقصة ٠٠ كان فى دوار ولكن ما قاله الضابط بعد ذلك جعله يفيق على حقيقة أبشع ٠٠ قال الضابط :

ـ يا وجدان بك أنا أقول لأخيك ياسر أمامك ان حماه كل ليلة يظل يدخن الحشيش فى شقته الى الصباح ٠٠ ولولا اننا نعلم أنه لا يتاجر فى المواد المخدرة لألقينا عليه القبض ولكن الرائحة فاحت وأصبح سكوتنا أمرا فى غاية الصعوبة بالنسبة الينا ٠

وارتج على ياسر وازدادت حيرته وهو يرى الأثر المروع الذى ارتسم على وجه أخيه وساد الصمت لحظات ثم قال وجدان :

ـ أشكرك يا وهبى بك وأرجو أن تترك لى أنا هذه المسألة ٠

ـ شكرا يا وجدان بك وآسف لازعاجك ٠٠٠ مع السلامة ٠

وحين خرج وجدان من القسم ومعه ياسر ومها لم يلتفت اليهما وانما ركب سيارته الصغيرة التى أهداها له أبوه بعد أن عاد من الميدان ٠ وتوجه الى البيت والفجر يؤذن يدعو المؤمنين الى الصلاة ٠

وفى الصباح كان من الطبيعى أن يذهب ياسر الى وجدان فى عمله . وكانت الحجرة خالية بهما .

ــ هل أحسست زوجتك بشىء ؟

ــ لا .

ــ أتأخذ أموالها لتنفقها على الراقصات ؟

ــ ولماذا خلقت أموالها اذا لم تكن للانفاق على الراقصات ؟

ــ أهذا منطق .

ــ انما اخترت زواج المال لأتمتع به .

ــ لأول مرة أضطر أن أقول لك انك أوقح بكثير مما كنت أعتقد .

ــ أنت تعيش فى دنيا خاصة بك لم يعد باقيا من معالمها الا أنت وقلة ساذجة لا تدرى شيئا مما يحيط بها .

ووجم وجدان ... يبدو أن كلام أخيه حقيقة كانت خافية عنه . انه لا يريد الا أن يكون انسانا سويا لا يعتدى على حق أحد ولا على كرامته ولا يعتدى أحد على حقه أو كرامته ، ولكن يبدو أن هذا المطلب الذى يراه يسيرا غاية اليسر بسيطا كل البساطة مستحيل التنفيذ . ماذا صنع هو حتى يذهب ليرى أخاه فى موقف الأمس ولا شك أن الضابط يعرف كل الحقائق عن أخيه وعن زواجه وعن تصرفاته وعلاقاته ؟ وماذا صنع هو حتى يكون نسيبا لشخص لم يتدخل فى اختياره بل كان يعارض فى نسبه ويصبح بسببه موضع احتقار من الشرطة والمجتمع .

أفاق من خواطره وقال لأخيه :

ــ ماذا تريد الآن لماذا جئت ؟

ــ لا شىء ... مجرد أن أراك وأعتذر عن ازعاجك .

ــ لا عليك .. هذا ازعاج أنا متعود عليه وليس الازعاج ما يؤلمنى ولكن الذى روعنى أن أراك حيث رأيتك بالأمس وروعنى أيضا ما قال الضابط عن حميك .

ــ ماذا ستفعل معه ؟

ــ هذا شأنى .

ــ أرجوك .. لا تغضبه .

ــ أيضا هذا شأنى .. وعلى كل حال لا تخف هذا نوع لا يغضب أبدا .

ـ على كل حال السلام عليكم ٠
ـ مع السلامة ٠

★★★

طلب وجدان التليفون :
ـ صفوت بك ؟
ـ أنـا ٠
ـ أنا وجدان هل أستطيع أن أراك ؟
ـ تحت أمرك طبعا ٠٠ هل هناك شيء ؟
ـ حين نلتقي أقول لك ٠
ـ تشرفني في البيت ؟
ـ لا ٠
ـ أجيء اليك في النيابة ؟
ـ ولا في البيت ٠٠
ـ اذن ٠
ـ نلتقي في مكان عام ٠
ـ في الهيلتون ؟
ـ الساعة السادسة اليوم ٠

★★★

ـ يا سعادة الوكيل نحن تجار ولنا أعداء كثيرون في السوق وهذه اشاعات ٠

ـ يا صفوت بك الشرطة لا تخلق اشاعات ولا تتصرف بنـــاء على اشاعات٠٠والذي فهمته أنهم يراعون النسب الذي بيننا٠٠وأنا لا أستطيع أن أتحمل هذا ولا أقبله ٠٠ نحن أسرة عشنا محترمين ولا نرضى أن يمس أحد سمعتنا التي قدمنا عمرنا لنحافظ عليها ٠

ـ يا سعادة البك ٠

ـ اسمع ٠٠ أظن ليس من المعقول أن أستقيل من النيابة لتشرب سعادتك الحشيش !! أصبح الناس يقولون لك يا بك ٠٠ يا أخي احترم نفسك على الأقل قدر احترام الناس لك ٠

ـ يا بك هذا كلام كبير ٠٠ وواضح أن سعادتك تعيش في دنيـا أخرى ٠٠ الحشيش لا يشربه اليوم الا أمثالي البكوات ٠٠ كلمة بك اليوم ليس مصدرها المرسوم وانما مصدرها الباكو ٠

ـ الباكو ؟!

ـ باكو الآلاف من الجنيهات ٠

ـ هذه دنياكم ٠

ـ دنيا الناس اليوم ٠٠ ولكنك أنت تعيش فى دنيا أخرى ولا داعى للكلام ٠

ـ فهل أنت مصمم اذن أن تظل على ما أنت عليه ؟

ـ طبعا من أجل خاطرك لن أجعلك تسمع عنى شيئا من هذه الناحية ٠٠ وانما كل ما فى الأمر أننى لاحظت أنك تتكلم بمنطق أصبح غريبا على الزمن ٠٠ وأحببت أن أكسب فيك ثوابا حتى تصحو على الزمن الجديد ٠

ـ وفر عليك ثوابك ٠٠٠ أنا عضو فى النيابة وقضايا الرشوة والسرقة والتهرب من الضرائب والتحايل على القانون هى عملى ٠٠ ولكن ليس هذا هو المجتمع ٠٠ والذين يفعلون ذلك كانوا موجودين فى كل زمان وهم موجودون الآن فى كل دولة ٠

ـ ليس بهذه الصورة ٠

ـ بل ربما بصورة أبشع ٠٠ ولكن أؤكد لك أن الشرفاء هم الأغلبية، اننا نسمع عن القلة ، لأن القلة هى التى تخرق العرف العام ٠ أما الذين لا نسمع عنهم شيئا فهم الأغلبية الساحقة وعددهم لا يقارن بالمجرمين والحشاشين ٠ لا تطمئن نفسك أنك ابن زمنك ٠ أنت شذوذ فى الزمن ولم يخل زمن من شذوذ ٠٠ كل ما يؤلمنى أن الصالحين وهم الكثرة يتعثرون أثناء سيرهم عبر الحياة فى الأشرار وهم القلة وهكذا يقع الظلم على المجتمع بأسره مع أنه فى مجموعه برىء ٠٠ عن اذنك يا صفوت بك ٠٠ سلام عليكم ٠

وقام وانصرف ٠٠

★★★

(١١)

لم يذكر وجدان شيئا من كل هذا الذى حدث لأبيه ولا لامه ولا لزوجته ، وقصد وجدان أن يكثر من زيارته لياسر وكان يصحب معه ميرفت بأمل منه أن يحاول ياسر أن يجعل علاقاته فى طى الكتمان . على الأقل فلم يكن وجدان من السذاجة الى درجة يعتقد معها ان ياسر سينقلب الى شخص آخر لمجرد مشاجرة فى كباريه . فما هكذا ياسر . فالأمر بالنسبة اليه ليس تجربة عابرة وانما هو طريق حياة . انه يحب ان يعيش هكذا وان كانت قلة المال قبل الزواج تحول بينه وبين احلامه فها هو ذا المال يجرى فى يده مجرى الماء فأى شىء يمكن أن يقف فى سبيله الآن .

كان وجدان يحب أن يجلس الى أبيه فقد كان الحديث معه متعة . كان التفاهم بينهما تاما وكانت اللغة التى يتحدثان بها واحدة وكانت والدته وزوجتـــه تشاركانهما فى الجلســة . وكانت أمه بذكائها وبطول معاشرتها لأبيه تشاطرهما الحديث مشاطرة واعية أما ميرفت فقد كانت بطبيعة ثقافتها تعلق على ما يدور بين المستشار المتمرس ووكيل النيابة الحديث من مناقشات توشك أن تكون مدارسات .

التأمت الجلسة فى يوم كان وجدان فيه متخففا من العمل . وكان عزام غير راغب فى الخروج . وكانت الأحاديث الجارية فى هذه الأيام حول محاكمة الذين أثروا ثراء مروعا مستغلين ظروف قراباتهم أو مقدمين رشاوى الى المسئولين .

قال وجدان :

ــ هذه ظاهرة خطيرة .

وقال عزام :

ــ أتراها كذلك ؟

وقال وجدان :

ــ بل أراها فى غاية الخطورة يا بابا .

وقال الأب :

ــ لا أعتقد ذلك .

وسكتت ميرفت واثقة أن وراء كلام عزام ما يؤيده فهى تعلم أنه لا يلقى الكلام على عواهنه ٠ ولكن مجيدة بطبيعة مناقشة الزوجة لزوجها قالت :

ــ كيف هذا يا عزام ؟ لا ٠٠ أنا من رأى وجدان ٠

وقال عزام فى هدوء :

ــ الجرائد جعلت هذه القضايا أشياء خارقة للعادة ٠٠ وجعلت منها انهيارا لاقتصاد الوطن وجعلت منها جرائم لم يسبق لها مثيل ٠٠ فالذى أقصده أن الأمر ليس بالخطورة التى تصورها به الصحافة ٠

وقال وجدان :

ــ كيف ؟ أتعرف سعادتك أننى منتدب في المرافعة فى قضية تهرب من الضرائب ؟

ــ أكذا ؟ عظيم سأحضر المرافعة ٠

ــ طبعا يهمنى جدا أن تحضرها سعادتك ٠٠ وأنا الآن أعدها ولن أعرضها عليك حتى تصبح مفاجأة لك وأنت تسمعها ٠

ــ وهو كذلك ٠

ــ ولكن هذا لا يمنع أن أرجع اليك فى بعض الوقائع لتعاوننى فى التكييف القانونى ٠

ــ الوقائع سأعرفها من الجرائد وحديثك معى فيها لن يقلل من جمال المفاجأة عندما أسمع مرافعتك ٠

ــ أرجو أن تجد هذا الجمال ٠

ــ المؤكد أننى سأجده ٠٠ بقلب الأب ان لم يكن بخبرة المستشار ٠

ــ وأنا أحب عندك الشعورين معا ٠٠٠ نعود لموضوعنا ألا ترى سعادتك أن عدد الذين يقدمون للمحاكمة أعظم كثيرا مما كنا نتوقع ؟ وأن فى هذا تهديدا لاقتصاد مصر ؟

ــ أنت محق فى أن فيها تهديدا لاقتصاد مصر ولكن ليس لما تراه أنت ٠

ــ كيف ؟

ــ أين تجد التهديد ؟

ـ أجده فى أن هناك كثيرين انتهزوا فرصة الانفتاح وانقضوا على أموال الدولة وحقوقها واستغل بعض منهم قراباته ، وهذا بلا شك يضيع على الدولة أموالا ضخمة ٠

ـ هنا أختلف معك ٠٠ أولا وقبل أن أذكر لك موضع الخلاف بينى وبينك لابد أن نتفق أن كل دولة فيها الكثيرون من أمثال هؤلاء ويتواءم العدد مع كبر الدولة وصغرها وضخامة اقتصادها وضآلته ٠ فهؤلاء موجودون فى أمريكا وفى انجلترا وفى فرنسا وفى كل دولة ٠٠ بل هم موجودون أيضا فى روسيا التى لا انفتاح فيها ٠

ـ نعم لا شك فى ذلك ٠

ـ الفارق بيننا وبينهم أن النظام الاقتصادى الذى بدأنا الأخذ به يخالف النظرية الشيوعية التى سار عليها اقتصادنا طوال الفترة الماضية ٠٠ قبل الانفتاح كانت سرقات أضخم من هذه تقع وانما تقع بأيدى الحكام وحدهم فهى تقع فى السر واذا عرفها واحد فانه يعلم مصيره ان هو حاول اذاعتها أو الكلام عنها ٠

ـ هذا صحيح ٠

ـ ولهذا فسرقة الأفراد من غير الحكام أصبحت بالنسبة الينا شيئا جديدا لا يعرفه الجيل الحالى ٠٠ قد كان قبل الثورة موجودا بصورة ضعيفة باهتة ، لأن البرلمان كان رقيبا عنيدا يصعب مع وجوده الفجور فى السرقة ٠

ـ وهذا حق أيضا ٠

ـ ثم اننا نحن حتى اليوم ليس لنا نظام اقتصادى واضح فلا نحن نماثل حرية الدول الديموقراطية كل المماثلة ولا نحن أبقينا على النظام المغلق الذى تمثله الدول الشيوعية ٠ نحن نظام لا نظام له واضحا ٠ ومجىء التجربة الاقتصادية جعل الذى يقع الآن أمرا غريبا لمن عاش فى وضع اقتصادى مغلق قرابة عشرين سنة ٠

ـ كل هذا صحيح ٠

ـ من طبيعة النظام الجديد أن يوجد معه أمثال هؤلاء المستغلين ٠٠ ومن الطبيعى أن يحاكموا ويحكم على المذنب فيهم والقانون كما تعلم مانع رادع ٠٠ فهذه الأحكام كانت من طبيعتها ستجعل الآخرين يفكرون كثيرا قبل أن يقدموا على هذه الجرائم مرة أخرى ٠

ـ أنا أوافق .

ـ الذى أختلف معك فيه أن تهديد الاقتصاد ليس آتيا من الجرائم نفسها ، لأن مرتكبيها سينالون جزاءهم وانما هو آت من الضجة التى تثيرها الصحف حول هذه القضايا مما يجعل رأس المال الأجنبى يخاف ويجعل العاملين فى الاقتصاد عندنا سواء فى القطاع العام أو القطاع الخاص فى حالة رعب أن يقعوا فى خطأ غير مقصود يؤدى بهم الى هذه الفضائح التى لا يصلح منها بعد ذلك الحكم ببراءتهم .

ونظر وجدان الى والدته وقال لها :

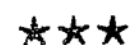
ـ أرأيت يا نينا ان سعادة المستشار كان قد فكر كثيرا قبل أن يصدر حكمه ؟ واننى أنا وأنت تعجلنا فى المعارضة بينما ميرفت الماكرة تروت فى الأمر وانتظرت الحيثيات .

وضحكوا وأكمل عزام :

ـ وهكذا أظهرت الصحف بما صنعت أنهـا تستغل الانفتاح الاقتصادى لتنقض به على الانفتاح السياسى ولم يلتفت كثير من الكتاب وفى غمرة اندفاعهم أن البديل عن الانفتاح الاقتصادى هو النظام الشيوعى .

ولهذا كنت ترانى أرى كتابة الشيوعيين متفقة تماما مع مذهبهم حين يهاجمون الانفتاح وكنت أضحك كثيرا وأنا أرى كتابا كبارا من أصحاب الرأى الحر أوقعهم الشيوعيون فى الفخ وجعلوهم يهاجمون الانفتاح . وهم لا يدرون أنهم بما يكتبون انما يهاجمون الحرية التى عاشـوا يدافعون عنها . والتى عانوا من غيابها القهر والهوان وسفك الدماء .

وأراد عزام أن يستطرد لولا أن دق جرس التليفون واستدعى وجدان الى مكتبه .



متولى عبد القادر هو وكيل أعمال صفوت المعلاوى فى جميع أعماله . وقد بدأ يعمل معه منذ أنشأ مكتبه . ولم يكن صفوت يضيق عليه وانما كان يكرمه ويعطيه ما يعتقد أنه يكفيه ويزيد .

وكان ابن متولى الأكبر حسان قد نال بكالوريوس الصيدلة . وخطب أيضا فتاة من زميلاته . فوجد الأب متولى نفسه محتاجا الى مبلغ خيالى يواجه به مطلبين أساسيين لابنه حسان : المطلب الأول ثمن شقة فلم تعد هناك شقق بخلو رجل بعد المحاكمات المتتالية لأصحاب العمارات الذين يتقاضون خلو الرجل . ومعنى ثمن شقة ثلاثون ألفا من الجنيهات .

أما المطلب الثانى وهو طبيعى أيضا فخلو رجل لدكان كبير فى شارع رئيسى ليفتح الدكتور حسان صيدلية وخلو الرجل هنا ممكن ، لأن الذى سيتقاضاه هو المستأجر لا المالك . والمستأجر يستطيع دائما أن يتهرب من عقوبة الخلو . ومهما يكن التناقض يدعو الضحك المرير فى هذا الشأن فهو واقع . المستأجر يستطيع أن ينال خلو الرجل لتركه لمكان لا يملكه والمالك لا يستطيع الافلات من عقوبة الجريمة نفسها اذا هو تقاضى خلو رجل لعقار يملكه ! وكلا الشخصين مستغل لا شك فى استغلاله ولكن يظل التناقض مع ذلك يدعو الى الضحك المرير .

وهكذا وجد متولى عبد القادر نفسه فى حاجة الى مائة الف جنيه ليتزوج ابنه وهذا حق له مشروع وليفتح لنفسه صيدلية وهذا أيضا حق له مشروع .

ولو كان حسان يجد أباه مضيقا عليه فى الرزق . ولو لم يكن حسان يعلم أن أباه يعمل عند من تفوق ثروته عشرات الملايين لرضى أن يبحث عن شقة فى هذه العمائر التى يسمونها الاسكان الشعبى . ولرضى أيضا أن يظل كما هو أجيرا فى صيدلية . ولكن وأبوه وكيل لصفوت المعلاوى فان من حقه أن يطمع الى ملك بيت وصيدلية . فان أباه الذى استطاع أن يشترى له سيارة اهو فى أول عهده بالجامعة لابد قادر على أن يشترى له كل ما تطوف حوله آماله .

ومتولى يدرك هذا جميعا · وهو ذئب عجوز مرن على العمليات المالية من كل لون لها · وهو يعرف صفوت المعلاوى كما لا يعرفه أبوه أو أهله وذووه ! فهو يراه حيث لا يراه أحد · ويعرف كيف ينقض على السوق انقضاض وحش كاسر لا يرعى حرمة ولا يقف به خلق ولا يرده شرف أو تعطف قلبه رحمة · وفى أثناء العمليات التجارية لا يكون الحديث من صفوت الا الى متولى · وفى هذه الأحاديث تتضح نظرية صفوت فى الحياة وفى التجارة وفى المال · وهى نظرية لا حداثة فيها وهو حين يقولها لا ينشىء فكرا اقتصاديا أو انسانيا أو اجتماعيا جديدا وانما هو يسفر فقط عن انتمائه الى هذه الأفكار التى عرفتها البشرية منذ قتل قابيل أخاه هابيل · وقد رأى متولى أنه ما دام وكيل صفوت فمن الطبيعى أن يكون من حزبه وما دام الأمر كذلك فمتى تنقلب النظرية الى عمل اذا لم تنقلب وهو فى موقفه هذا من ابنه الذى يحرص دائما على أن يرضيه شأن كل أب يحب ابنه · وان كان هو يختلف عن الآباء الآخرين فهذا الاختلاف سببه صفوت · فهو قد تعود أن يجد المال ليستجيب لرغبات ولده · وقد كان ما يحتاجه ابنه قبل الموقف الأخير هذا أمرا يدخل فى دائرة الاستطاعة دون أن يحتاج متولى الى طريق فيه غدر · أما اليوم فهيهات فانه اذا لم يلجأ الى النظريات التى يعتنقها صفوت فلا خروج له من مأزقه هذا ·

وفكر متولى أن يواجه صفوت ويشرح له الموقف · ولكن هذه الفكرة ما لبثت أن أصبحت موضع سخرية من متولى نفسه · أيقول لصفوت أريد مائة ألف جنيه ؟ ·· فيقول له وماله تفضل · أيتصور هذا ؟ ·· أيدخل هذا الرأى فى حيز المعقول ؟ انه لو فعل ذلك فان الأمر لن يعدو واحدة من اثنتين : اما أن يطرده صفوت من العمل فورا ويصدر أوامره فى الشركة ألا يقترب منها متولى أو يتصل بأحد يعمل فيها · هذه واحدة وهى بصفوت خليقة وبه أشبه · أما الأخرى فهى أن يتظاهر صفوت بالقبول وأنه على استعداد لشراء الشقة وفتح الصيدلية لحسان الذى هو بمثابة ابنه ويظل يماطله حتى يحصل على ما عنده من أوراق هو يعلم مدى خطورتها ثم يعصف به بعد ذلك · وقد تصلح هذه الفكرة لصفوت اذا قدر أن متولى لا يجسر على طلب هذا المبلغ الجسيم الا بعد أن يكون قد أعد عدته وتسلح بكل ما يصل به الى غايته ·

ومتولى يعرف أن صفوت لن تفوته خطورة ما يحتفظ به متولى من أسرار · ولكن متولى مهما تكن حاجته الى المال شديدة الا أنه يخاف المواجهة ولا يشك لحظة أنه اذا واجه صفوت الذى عاش معه هذه السنوات ــ وهو بموقف منفذ الأوامر فى حين صفوت فى مكان مصدر هذه الأوامر ــ فانه لن

يلبث أن تنهار منه العزيمة وربما انقض عليه صفوت واستخلص من بين براثنه كل ما يحتاج اليه ليحصل على هذا القدر من المال .

رجل عجوز متولى . يجيد احكام الخطة وقد كان يشارك صفوت في الاعداد للعمليات التجارية . بل انه كان أحيانا يقوم بالاعداد الكامل للضربة المالية . فاذا كان يصنع هذا ويصيب النجاح وهو يفكر لغيره فكيف يجوز له أن يخطىء أو يقعد به السعى وهو يعمل لنفسه ؟! وهل ابنه الا نفسه وأعز ؟!

رأى متولى الصحف تنقض على الذين يتاجرون باقتصاد الدولة . ورأى بين المتهمين أشخاصا لم يكن يتصور أن أحدا يجرؤ على المساس بهم . اذن فالأمر جد لا هزل فيه . واذن فالمعتدون على أموال الدولة مصيرهم الوبال والسجن أو يردوا للدولة حقها .

وعرف أن أجهزة الأمن والنيابة العامة لا ترحم أحدا وأن الاشارة العابرة تكفى حتى تبدأ أجهزة المحافظة على أموال الدولة فى التحرى . فاذا وجدت بصيصا من حق أو شعاعا من احتمال صدق واجهوا المتهم وتركوا عليه أن يثبت عكس ما هو متهم به اذا كان يملك الى هذا الاثبات سبيلا .

وحين دق جرس التليفون ليستدعى وجدان لم يكن يعلم أن الأمر يتصل بصفوت من أى سبيل . وحين وصل الى مقر النيابة قدم اليه زميله البلاغ الذى قدم الى الجهات المختصة ومعه التحريات التى تثبت أن صفوت قد قام بعمليات تجارية قدم عنها معلومات غير صحيحة كان من نتيجتها أنه حجب نصف مليون جنيه هى حق الدولة كضريبة أرباح تجارية . واستولى هو على المبلغ بدلا من الدولة . وقرأ وجدان الأوراق فى عناية ثم رفع رأسه الى زميله :

— ولماذا استدعيتنى ؟

وابتسم زميله :

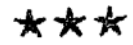
— لا تغضب هذا عرف بيننا .. اذا وجهنا التهمة الى شخص له صلة بواحد من أسرة النيابة فاننا نخطره من باب التذوق فلا تعجب .

— ألف شكر .. وماذا أملك أن أقول الا حسبى الله ونعم الوكيل . ولكن هذه الصلة موهومة .

— كيف ؟

ـ هذا الشخص حمو أخى .. فأنا لم أختره ليكون حماى وانما اختاره أخى .. ثم هو نسيب وليس قريبا والحمد لله فمع شكرى الموفور لك اسمح لى أن أعود أنا الى بيتى وسعادتك تتخذ من الاجراءات ما تراه .

وقد كان صفوت مشغولا فى هذه الساعة مشغولية غاية فى الضخامة فقد كان يعد مع زوجته حنان وابنته سوسن ـ وليس مع ياسر ـ أسماء المدعوين والطلبات التى يحتاجون اليها بمناسبة الاحتفال بمولد الحفيد الأول لسعادة صفوت بك المعلاوى والذى استقر الأمر على تسميته صفوت تخليدا لاسم رأس الثراء فى العائلة التى تفضل فسجل شقة سوسن باسم حفيده كما أودع باسمه شهادة استثمار بنصف مليون جنيه . وحين دق جرس الباب لم يكن يتصور بحال من الأحوال أن يد العدالة هى التى تدق الجرس .



فى هذه المرة لم يستطع وجدان أن يخفى عن أبيه السبب الذى ذهب من أجله الى النيابة · ولم يعجب وجدان حين استقبل أبوه النبأ وكأنه لا يعرف شيئا عن صفوت بك يتصل به بأسباب مصاهرة ·

كان كالطود الراسخ وهو يقول فى وقار :

ـ أمر كنت أنتظره بين لحظة وأخرى ·

بل ان وجدان لم يعجب أيضا حين قالت أمه :

ـ وماذا كنا ننتظـر من نسب كهـذا ·· أتظننى فرحت بالشقة وشهادات الاستثمار ؟ لا وشرفك لا أنا فرحت ولا عرفت هذه الأموال ان تعطينى أى طمأنينة ·

صنف آخر من الناس أمه وأبوه · صنف رأى الكرامة فى الشرف ولم يتصور أن المال يصنع كرامة ·

وهكذا وجدان · ولكنه مع ذلك لم يستطع أن يكون فى هدوء أبيه وأمه · فان السن وانتساب الأسرة الى منصة القضاء جعل الأبوين كالجبال الرواسى · كانت التجارب بالنسبة اليهما قد جعلت منهما حجارة كريمة كالماس لا تخف ولا يضيع لها وقار ·

أما هو فهو لم يبلغ بعد ما بلغاه من رسوخ وشمم فوجد الغم يملأ نفسـه ·

لماذا كتب عليه أن يختار أخوه هذه الأسرة ؟ بل ولماذا كتب عليه أن يكون أخوه بهذه النظريات التى لا يرى لها أثرا فى بيت أبيه ·

ما موقفه أمام زملائه · ربما قدروا أنه هو لا شأن له وأن ما يصنعه حمو أخيه لا صلة له به · وهذا حق ، ولكنه هو كان يتمنى أن يكون كل ما يحيط به شريفا · ومتى أعطت الحياة الانسان كل ما يتمنى ؟!

أحست ميرفت ما يعانيه زوجها :

ـ أعرف أن كل ما يمكن أن أقوله لك تعرفه ·

ـ لا شىء يقال يا ميرفت ٠

ـ فقط كلمة واحدة ٠٠٠ انظر الى عمى عزام بك والى نينا ٠

ـ كنت أتمنى أن أكون مثلهما ٠

ـ فكن ٠

ـ أتظنين أننى أستطيع ؟

ـ اذا لم تستطع اليوم فان الأيام ستجعلك تستطيع شئت هذا أم أبيت ٠

دق جرس التليفون فى حجرة وجدان وأجاب ٠

ـ نعم أنا ٠

وجاءه صوت لا يعرفه يقول له :

ـ يا سعادة البك أنا متولى عبد القادر وكيل أعمال صفوت بك ٠

ـ ولماذا تطلبنى ؟ وكيف تجوؤ على الاتصال بى ؟ اقفل السكة فورا ٠

ـ يا بك اهدأ واسمع الكلام لآخره ٠

ـ أنا ليس بينى وبينك كلام ٠

ـ أنا أكلمك بصفات كثيرة ومن المصلحة العامة والخاصة أن تسمع ٠

ـ لا أريد أن أسمع ٠

ـ حتى لو عرفت أننى أنا الذى بلغت عن صفوت ٠

ـ ماذا ؟

ـ اسمع اذن ٠٠ صفوت متهرب من مبالغ أكبر من هذه بكثير وعندى المستندات ٠٠ وعندى مستندات أيضا أنه يهرب أموالا الى الخارج وعنده حسابات فى بلدين فى أوروبا ٠

ـ يا جدع أنت هل جننت ؟ ولماذا لا تبلغ رسميا ؟ وأنا ما شأنى ٠

ـ يا سعادة البك اسمع الكلام لآخره ٠٠ عليك أن تبلغ أخاك أنه اذا لم يدفع لى مائة ألف جنيه فى ظرف أسبوع فستتصل هذه الأوراق للنيابة فورا ٠

ـ أنا سأبلغ عنك أنت ٠٠ أنت قاطع طريق وتستعمل وكيل نيابة فى معاونتك ٠

ـ ولهذا كلمتك فى التليفون .. اذا بلغت عنى سأقول أن آخرين أحبوا أن يستغلوا الفرصة ويدخلونى فى موضوع لا شأن لى به .. واذا لم تخبر أخاك أصبحت جريمة نسيبك تهرب من الضرائب وتهريب أموال الى الخارج وأنت أشرف واحد أعرفه فى كل المتصلين بأخيك .. وهذه التهم لن تمس أحدا منهم ، لأنهم جميعـا والحمد لله بلا شرف الا أنت وطبعا السيد الوالد .

ـ أتريدنى أن أدافع عن شرفى بارتكاب جريمة .

ـ أى جريمة يا سعادة البك .

ـ أساعد مجرما على الابتزاز وهو فى نفس الوقت يتستر على جرائم من واجبى التبليغ عنها ؟

ـ تبلغ عن ماذا ؟ اذا بلغت عنهـا دون أن أقدم مستنداتى من يثبت أى شىء على صفوت .. هذه جرائم أنا وحدى الذى أملك الدليل عليها .. وأظن لا يصح أن يقول سعادة وكيل النيابة كلاما لا يستطيع اثباته ولا يملك أى دليل عليه .. السلام عليكم يا سعادة البك أنا آسف .. ولكنى محتاج الى هذا المبلغ فى أشياء شريفة وربما يجعلك هذا مرتاح الضمير بعض الشىء ... السلام عليكم .

★★★

ضاقت الدنيا بى ، لأن نسيب أخى متهم فكيف أفعل الآن وأنا على وشك ارتكاب عدة جرائم ؟ اشتراك فى ابتزاز وتستر على جريمة تهرب من الضرائب ؟ أأتستر على جريمة تهريب أموال الى دول أجنبية .

أستقيل .

أستقيل .

أستقيل .

ـ وماذا أعمل اذا أنا استقلت ؟

محاميا .. محاميا ؟! محاميا ؟!

هل أنسى يوم جاءنى الزبون ليوكلنى فى قضية ضرائب كان سيعطينى مقدم أتعاب ألف جنيه ومثلها مؤخر أتعاب وقد رفض أن يوكل صـاحب المكتب وأصر على توكيلى أنا بالذات ؟ ويومها استأذنت اسماعيل بك وقبل وحين اطلعت على القضية قلت للوكيل :

ـ لماذا جئت لى أنا بالذات ؟

ـ شهرة سعادتك .

ـ أنا لا شهرة لى .. أنت تعلم أن مأمور الضرائب الذى عنده أوراقك صديقى .. هذه قضية وساطة .. أنا لا أقبل قضية وساطة ..

وأريد أن أعمل محاميا ..

والحكاية الأخرى .. الألعن .. والأدهى .. يوم اشترك عبد المطلب ابن مربيتى دادة رئيفة فى جريمة قتل .. وجاءنى أخوه فوزى لأترافع عنه مقدرا طبعا أننى لن أتقاضى أتعابا وكانت قضية شهيرة وكان من شأنها أن تعطينى فرصة ليذيع اسمى وقرأتها ووجدت القرائن جميعها ضد المتهم ووجدته معترفا فى محضر الشرطة وان كان رجع عن اعترافه فى محضر النيابة .. وكان اسماعيل العدوى يقول لى دائما أنت لا شأن لك بالمتهم .. ان صلتك بالدوسية .. هو الذى يتكلم معك .. اياك أن تسأل متهما ان كان ارتكب الجريمة أم لا .. فهو اما سيكذب عليك وحينئذ لن تستفيد شيئا واما أن يقول لك انه ارتكب الجريمة وحينئذ سيصبح العبء عليك فى المرافعة أكبر من أن تطيقه وخصوصا مع ضميرك اليقظ هذا .. ولم أكن مقتنعا بهذه النصيحة .. فأنا لا أتصور نفسى أترافع عن باطل أبدا . وحين جاء فوزى ليسألنى رأيى سألته :

ـ لماذا لم تعط القضية للأستاذ اسماعيل العدوى نفسه ؟

ـ ومن أين لنا بأتعابه ؟

وفكرت قليلا .. كنت أتمنى أن أترافع فى هذه القضية .. وقد قبل الأستاذ اسماعيل أن تكون القضية لى ، بل كان سعيدا أن تكون أول قضية أترافع فيها فى محكمة الجنايات ، جناية قتل مع سبق الاصرار ووعدنى أن يعاوننى فى القضية .

لو كنت أتغاضى عن ضميرى قليلا لقبلت القضية ومن يدرى ربما كنت بها اليوم واحدا من كبار المحامين .. فقد كنت محاميا موفقا فى المحكمة دائما .. أما فى التعامل مع الزبائن ... وجدت نفسى أسأل فوزى :

ـ هل ارتكب أخوك الجريمة ؟

وتردد قليلا ثم قال :

ـ نعـــم .

ودون تفكير قلت له :

ـ اننا أقسمنا اليمين الا نكذب فأنا مستعد أن أترافع فى قضية أخيك وأطلب تخفيف الحكم ، لا البراءة فاذا قبلت هذا أنت ووالدتك أنا مستعد .

ـ أرد عليك .

ولم يرتد الى بعد ذلك قط .

أى محام أريد أن أكون .. اننى حين قلت اننى لا أريد أن أفتح مكتبا لم أكن خائفا من عدم الشهرة أو من بطء البداية وانما كنت خائفا من نفسى .. واليوم وأنا أفكر فى الاستقالة من النيابة لابد لى أن أواجه نفسى .. لا أستطيع مخادعة نفسى .. أنا لا أصلح محاميا .. وما كنت لأترك النيابة حتى ولو لم أوفق فيها هذا التوفيق .

أستقيل من النيابة ؟!

ماذا أعمل ... أجلس فى البيت .. أبحث لى عن مقهى .

ماذا أعمل ؟ .. أذهب الى الأرض ؟ .. وماذا أعمل فيها ؟ انها الآن أقل من أن تحتاج الى اشراف .. وماذا أفهم أنا فى الزراعة ؟ اذا ذهبت ضاع الريع .

ماذا أعمل الآن مع هذا المجرم الذى يريد أن يورطنى فى جرائم أنا لا شأن لى بها ؟ أنا أعرف ماذا أعمل ...

نعم أعرف ماذا أعمل .

ان أحدا لم يكلمنى .. من أين أعرف أنا متولى هذا وكيف أعرف أن هذا صوته .. هل أستطيع التجاهل ؟ هيهات .

أنا أعرف ماذا سأفعل .

أنا لن أبلغ أخى شيئا فليست هـذه وظيفتى وانما سأبلغ رئيس النيابة غدا بهذا الحديث وأترك له التصرف .. هذه هى وظيفتى كممثل للعـــدالة .

وكان الفجر قد طلع فقام وجدان من جوار ميرفت التى لم تعرف شيئا عن الدوامة التى ألقى اليها زوجها بهذا الرنين الذى أصدره التليفون قبل أن تتهيأ هى وزوجها للنوم .. نامت هى وواجه وجدان الليل كله وحـــده .

صلى وجدان الفجر .. واتخذ سمته الى مكتب رئيس النيابة .

★★★

(١٤)

صنع متولى ما صنع وأدرك أنه لابد أن يترك القاهرة بضعة أيام على الأقل .. فقد كان على يقين أنه أثار على نفسه ثائرة النيابة العامة والأمن كما أودى بصفوت في داهية .. وواجه صفوت النيابة بجراءة يحتاجها الشرفاء فلا يجدونها .. لا شيء عندى أخاف عليه ، اذا ضاع المال أستطيع أن أعيده في أقل من سنة .. والحمـد لله لا شرف ولا مجـد ولا شيء أخشاه .. البنت الوحيدة عندها ما يكفيها وزيادة وان أخذوا مالها يكفيها هي وزوجها وابنهما صفوت الشقة ونصف المليون التي أودعتها باسمه .. وهذا اسمه صفوت ياسر أبو الفضل فلا شأن له بالعلاوى ولا شأن لى به .. وزوجتي عندها ما يكفيها فان أخذوا ما أعطيته لها فيكفيها مال أبيها .

فأى شيء يمكن أن يهز منى شعرة ؟!

جلس في التحقيق .. وعرف التهمة وبعد أسئلة وأجوبة قال وكيل النيابة المحقق :

ـ أنت متهم بالتهرب من ضرائب تقدر بنصف مليون وخمسة وستين ألفا من الجنيهات ؟

وأجاب في هدوء ، ثابت وكأنه يتحدث عن ملاليم :

ـ أنا أعمل في مبالغ كبيرة وهذه أخطاء حسابية يمكن مراجعتها وأنا مستعد أن أقدم أوراقى مع المحاسب الى النيابة وفى نفس الوقت أنا مستعد لأن أدفع المبلغ موضوع الخلاف جميعه للضرائب فان ثبتت التهمة فهو لها وان لم تثبت يخصم المبلغ مما قد يستحق للضرائب بعد ذلك .

وجد وكيل النيابة نفسه أمام حجة لا مناقشة لها وسأله :

ـ متى تدفع المبلغ ؟

ـ الآن .

ـ هل هو معك ؟

ـ في بيتى .

ـ تذهب في الحراسة وتأتى به ؟

ـ فـورا ٠

وأفرج عن صفوت وعاد في اليوم التالى الى مكتبه وبعد الظهر كان يقيم الحفل لصفوت الحفيد ٠٠ أدرك أن متولى وراء كل هذا فقال لياسر في الحفل :

ـ حين ينتهى الحفل ابق ، أنا أريدك ٠

ـ أمـــرك ٠

وخلت بهما الغرفة ٠

ـ أتعرف من وراء هذا جميعه ؟

ـ أنا لم أر متولى في مكانه اليوم بالمكتب حين زرتك ولم يأت الى الحفل ٠

ـ لا يخشى عليك ٠٠٠ هو متولى ٠٠٠ أصله في هذه الأيام محتاج لمبلغ كبير وكان يخشى أن يطلبه منى لضخامته ٠

ـ كـــم ؟

ـ حوالى مائة ألف ٠

ـ كـــم ٠٠٠ ؟!

ـ يريد أن يزوج ابنه حسان ويفتح له صيدلية يعمل بها هو وزوجته الذى تزوجها من الكلية ٠

ـ وهل كنت ستعطى له هذا المبلغ لو طلبه ؟!

ـ طبعا المال كله مستحيل ولكننى كنت سأعاونه بمبلغ وأشترى له الشقة بسلفة من البنك بضمان الشقة وضمانتى ٠

ـ ولماذا لم تقل له هذا قبل أن يتصرف هذا التصرف ؟

ـ أولا أنا أردت أن أعـرف كيف سيتصرف ؟ فمثلى أن لم يكن واثقا من الذين يعملون معه يتعرض لخطورة فظيعة ٠ وثانيا المبلغ الذى دفعته اليوم للضرائب كنت أنوى أن أدفعه ، لأن المحاسب الذى يعمل معى لم يكن مطمئنا للمستندات المقدمة في هذه العملية وقلت له سيكون المبلغ جاهزا وفى اللحظة التى ستخطرنى فيها أن أدفعه سأدفعه ٠٠ وهكذا ترى أننى لم أخسر شيئا ٠٠ المبلغ حق الضرائب فعلا ولم أكن أستطيع أن أخفى أمره ٠٠ كسبت أننى عرفت متولى ٠

ـ وماذا أنت صانع به ؟

ـ لى وسائل كثيرة ٠٠ ان حماك لا تتوقف صلاته برجال الأعمال ٠٠

بل ان له صلات قوية بجماعات أخرى تقوم حياتها على وسائل لا تتصورها ٠

ـ بالطبع الأسرار التى عند متولى ٠

ـ تودى فى ستين داهية ٠٠ يعرف أموالى فى الخارج ويعرف كل العمليات الأخرى التى لم أدفع ضرائبها ٠

ـ فلماذا لا تحاول أن ترضيه ؟

ـ وهذا ما أردتك له ٠٠٠ يا أخى ما الذى يعجبك فى المدعوق البنك الذى تعمل به ٠٠ أنا تارك سوسن هناك لتلعب وتشغل نفسها ٠٠ انما أنت لماذا لا تتركه وتعمل معى ؟

ـ ولماذا لا أعمل معك دون أن أتركه ؟ أنت تأتى الى المكتب فى الصباح وأنا آتى بعد الظهر ٠٠ وتكون أسرارك فى يدى أنا يعنى فى يدك أنت ولا يتحكم فينا كلب مثل متولى هذا ٠

ـ أنا فى عرضك ٠

ـ توكل على الله ٠

ـ والآن كيف ستعثر على متولى ؟

ـ فى بيته ٠

ـ وهل تتصور أن يكون فى بيته ؟

ـ أين اذن ؟

ـ تأخذ حسنين السائق وسيقودك الى بيته فى السنبلاوين ٠٠ قطعا هو مختبىء هناك ٠

ـ متى ؟

ـ الآن ٠

ـ الآن يظن أننا خائفون ٠٠ وأنك مقبوض عليك ألا ترى أن نؤجل الأمر للصباح ٠

ـ الآن أفضل فهو سيعرف أنه تم الافراج عنى قطعا ٠٠ فلا شك أن له أعوانا فى المكتب أبلغوه ٠٠ وقد يترك السنبلاوين فى الفجر ان لم يكن تركها الليلة ٠

ـ وأين تظنه ذهب ؟

ـ الى بيته بالاسكندرية وحسنين يعرفه

ـ وماذا تريد أن تقول له ؟

ـ ما رأيك أنت ؟

ـ نقول له كل طلباته مجابة ٠

ـ أولا هو لن يصدق ٠٠ ثانيا لن يكتفي ٠

ـ اذن فماذا نقول له ؟

ـ قل له ٠٠٠

★★★

وجده في السنبلاوين واختلى به ٠

ـ لماذا لم تقل لصفوت بك ما تريده ؟

ـ أبعد هذا العمر كله أتصور أن صفوت بك أطلب منه مبلغا كهذا يعطيه لى فى هات وخد ؟

ـ وهل ما تفعله أنت يصح بعد العمر الذى تتكلم عنه ٠

ـ هو يعرف كل شيء عن الموقف الذى أنا فيه ٠٠ لماذا لم يفتح معى الموضوع ؟ انه أراد أن يذلنى ويمرغنى تحت رجليه ٠

ـ لعله اعتقد أن عندك الوسائل لمواجهة هذا الموقف ٠

ـ انه يعرف كم كوب من الماء أشربه فى اليـوم !! فكيف لا يعرف أنه ليس أمامى أى وسيلة ؟! لن أنسى له موقفه هذا أبدا ٠

ـ وتكون النتيجة أن تخون العمر

ـ لا خيانة ولا يحزنون ٠٠ المسألة أننى قدمت له عمرى فلا أقل من أن يقف الى جانبى لأقيم حياة ابنى ولا ينتهز الفرصة ليعتصر كرامتى أمام ابنى الشخص الوحيد الذى أريد أن أظل أمامه ذا كرامة ٠

ـ واذا وافق ؟

ـ اذن فيا دار ما دخلك شر ٠

ـ هو موافق ٠

ـ نعم ولكن هناك شروط

ـ ما هى ؟

ـ أنا أعرف صلات صفوت بك بالمجرمين والقتلة ٠ أوافق أنا من هنا وآخذ المبلغ ويقتلنى حتى يستولى على الأوراق الأخرى التى عندى ٠

ـ ماذا تقول ؟

- ما سمعت يا ياسر بك .. ولهذا أنا أبلغك أنني أمنت نفسي :

- أمنت نفسك !

- ألم يقل لك أخوك وجدان بك اني كلمته ؟

- وجدان ... وما دخل وجدان في هذا ؟!

- أنا تظاهرت أنني أريده أن يتدخل في الموضوع ويكلمك وأنا أعرف أنه رجل شريف وأنه لن يصحح شيئا من هذا ، ولكني أردت من هذا الرجل الشريف أن يكون على علم بكل شيء حتى اذا حدث لى حادث وضربتني سيارة أو وقعت من فوق عمارة يكون وجدان بك ابو الفضل وكيل النيابة على علم بكل شيء وهو في هذه الحالة لن يهمه الا الحق ولن يفكر لا في نسب ولا في خلافه .. بل أنا متأكد الآن أنه أبلغ الأمر للنيابة .

- يا نهارك أسود .

- لا تغضب هكذا يا ياسر بك أنت لا تعرف ماذا صنع نسيبك في حياته لكي يكون هذه الثروة .. ضرب السيارات والرمي من أعلى العمارات أشياء ليست جديدة عليه .

- هل أنت جاد ؟

- وهناك أشياء أخرى سأقولها لك في وقتها

- متى وقتها ؟

- أنا أعرفه .. أنا صاحي جدا يا ياسر بك .. اطمئن لي تكسب .. تكسب مني أكثر مما تكسب من نسيبك .

- ما هذا الكلام يا متولي ؟

- اسمع كلامي ... المهم .. نتكلم في الشروط .

- قـــل .

- عقد عمل بيني وبينه بنفس المرتب لا يزيد الا مائة جنيه في الشهر .

- بسيطة .

- تقول له كل ما قلته لك وتزيد عليه أن المستندات عندي في المكتب ، انما صورها عندي .

- طبعـــا .

- تخبره أنني أبلغت وجدان بك .. واذا وصل الى المبلغ غدا

سأكلم وجدان بك وأكذب نفسى فى كل ما قلته .. وأريدك انت أن تكون الواسطة بينى وبين صفوت حتى تنتهى هذه الحكاية .

ـ هل ستبقى هنا ؟

ـ لا .. تجدنى بكره فى بيتى بعد الظهر

صفوت الذى لم يهتز ولم تنخلع له أصبع وهو يدفع للضرائب نصف مليون وخمسة وستين ألفا من الجنيهات انقلب أمام ياسر الى وحش كاسر حبيس فى الحديد .

ـ يريد أن يذلنى الولد متولى .. ولا مليم ... والله العظيم ثلاثة ولا مليم .

وتركه ياسر ليهدأ وراح يحدثه عن أشياء بعيدة كل البعد عما هما فيه وصفوت مدرك ما يحاول ياسر أن يقوم به من تهدئته .. حتى اذا رأى أن الوقت أصبح مناسبا . ضحك فى وجه ياسر وهو يقول :

ـ أصدقت ثورتى ؟

وفزع ياسر منتفضا عن الكرسى وهو يصيح :

ـ ماذا ؟

ـ هذا شغل

. شغل .

ـ يابنى الذى يثور لا يكون الثروة التى كونتها .. تعلم أن هذه الثورات نصنعها عندما يحتاج اليها العمل .. انما نحن فى داخلنا لا نثور أبدا .. واذا حاولت نفوسنا الثورة زجرناها فى عنف فلا تظهر ثورتها وتستكين رغم أنفها .

ـ وما لزومها .. وليس فى الغرفة الا أنا وأنت ؟!

ـ هكذا أريدك أن تنقلها الى متولى .

ـ ولكن ألا تخاف من متولى ؟

ـ بل أنا مرعوب منــه ولكنه اذا عرف هــذا زحت أنا فى أكبر مصيبة .

ـ وماذا تريد أن يعرف ؟

ـ أننى ثائر ورافض وأنك تحاول أن تهدئنى .. وتقدم له اليوم جزءا من المبلغ وبعد أسبوعين أو شهر نعطيه جزءا آخر بحيث يعرف أنه

هو المحتاج الينا ولسنا نحن المحتاجين اليه ·· ولا تذهب اليه فورا بل انتظر بضعة أيام ·

★★★

وقال متولى :

ـ عشرون ألف ·· ماذا أصنع بها ؟! الثورة هذا أنا أعرفها جيدا يا ياسر بك ··

اسمع يابنى يا ياسر ·· قل له كلمتين :

أولا : أنا أعرف كيف أجعله يثور ثورة حقيقية ويصبح بين الناس مثل الكلب الأجرب ·

ثانيا : لا يظن أننى اذا لم أحصل على النقود منه بالرضا سأعجز عن الحصول عليها بالحكومة ، فالنسبة المئوية التى سأحصل عليها من التبليغ عن تهربه من الضرائب وتهريبه للأموال أكبر بكثير من المائة ألف جنيه ·

وحينئذ ثار ياسر ثورة حقيقية .

ـ ما هذا يا رجل ؟! لماذا أنت بهذه السفالة ؟ الرجل يريد أن يساعدك ·

ويقاطعه متولى :

ـ سفالة ·· سفالة يا ياسر ·· لقد اشتراك بضاعة وتدافع عنه ·

ـ فشرت ·

ـ بل فشرت أنت ·· أنت لا تعرف ما يجرى وراءك ·

ـ ماذا يجرى ؟!

صمت متولى وكأنما أفاق الى حقيقة لم يكن ذاكرها وقال له :

ـ أنا آسف يا ياسر بك يابنى ·· أنا آسف ·· أنا فى دوامة هذه الأيام فلا تؤاخذنى ·

ـ ماذا يجرى ورائى ؟

فكر متولى كثيرا يبحث عن شىء يقوله فقد قال كلمة اذا لم يشرحها لن يمكنه من بعد أن يصل بحديث الى ياسر أبدا · طال صمته ثم قال فى لمحة من خاطر :

ـ ألم يعرض عليك صفوت أن تعمل معه ؟

وبهت ياسر فقد كان الحديث بينه وبين صفوت ولم يكن أحد حاضرا . فكيف عرف ؟! لعل الموظفين أخبروه أن ياسر يذهب الى المكتب يوميا ولكن هذا لم يستمر الا بضعة أيام قليلة وهو لم يباشر أى عمل . ولم يدرك ياسر أن متولى استنتج وحده أن يعرض صفوت على زوج ابنته أن يعمل معه وقال فى نفسه القى بها ولعلها تصيب فأصابت وسترت عليه ما أراد أن يخفيه عن ياسر الآن وما لعله يخبره به بعد ذلك إذا احتاج الأمر وقال ياسر :

ـ من أخبرك ؟

ـ لست أنت المقصود بالعمل .. انه يريدك أن تعمل ، لأن أخاك وكيل نيابة ولان أباك مستشار سابق وكل الذين يعملون فى القضاء يعرفونه ويراعون خاطره .

وصمت ياسر قليلا . ثم قال :

ـ المهم اقبل هذا المبلغ الآن .

وأطرق متولى . وقد أدرك أن صفوت يريد أن يؤمن نفسه ويريد فسحة من الوقت ليقتله . وكان متولى أيضا فى حاجة الى هذه الفسحة من الوقت لينفذ تدبيره الذى أحكمه . وقال متولى :

ـ وماله أقبله .

ـ وتقوم معى الى صفوت بك .

ـ وأقوم معك الى صفوت بك .

ورأى ياسر عجبا ..

صفوت يلقف متولى ويحتضنه وهو يصيح به ضاحكا فى فرح :

ـ وهل تستغنى عنى عمرك يا ابن الكلب ؟

ويقهقه متولى وهو يحتضن صفوت :

ـ خدامك طول عمرى .. وهل أستغنى عن تراب رجليك ؟

ثم رأى ياسر ما هو أعجب . دمعات من عين صفوت صافحتها دمعات من عين متولى . كم هو ضئيل شأن الممثلين على خشبات المسارح وفى السينما والتليفزيون بجانب هؤلاء الممثلين على مسرح المال .

★★★

(١٥)

حين تفاوض رئيس النيابة ووجدان الرأى فيما رواه له وجدان عن مكالمة متولى انتهى الرأى بينهما انهما لا يملكان ازاءها الا الصمت بعد ابلاغ الأمن العام ، ليكون متولى تحت المراقبة وقد أبلغ رئيس النيابة الجهات المختصة وانتهى الأمر فى النيابة عند ذلك ٠

ولم تكن مفاجأة لوجدان أن يزوره ياسر فى البيت بعد يومين من مكالمة متولى لوجدان ٠ وحاول ياسر أن يفتح الحديث فكان رد وجدان حاسما ومريرا ٠

ـ أرجوك ابعدنى عن هذا المستنقع الذى يسبح فيه حموك وموظفوه ٠٠ ويكفينى خجلى أمام كل من يعرف صلتى به ٠

ـ هل الخلاف مع الضرائب يدعو الى هذا الكلام الجارح ؟

ـ أنت تعرف ما يدعو الى هذا الكلام الذى يعبر بعض التعبير عما أنا فيه ٠٠ وربما يكفيك أن تعلم أننى فكرت فى الاستقالة ٠٠ وأنا متمسك بالنيابة ، لأنها المرفأ الوحيد لى من حياة مثل حياتك وحياة جيلى ٠٠ فلا مرفأ لى من هذه الحياة الا بأن أحاكم الحياة ٠

ـ أنت تبالغ

ـ أنا شخص لا أريد شيئا الا أن يكون اسمى واسم أسرتى سليما من كل ما يشين ٠٠ وكنت أعتقد أن هذا مطلب يسير على الحياة أن تحققه لى مادمت أنا لا أرتكب اثما ومادام أبى خرج على المعاش شريفا ٠٠ ومادمت أنت حتى قبل زواجك فى حالة مالية تستطيع أن تفى بحاجاتك المشروعة مع البحبوحة فى العيش وبالطبع دون كباريهات ٠٠ ولكن الحياة ترفض أن أنال هذا المطلب ٠٠ وتصر على أن أتعرض لأشياء لم أكن أتصور فى يوم من الأيام أن أتعرض لها ٠

ـ ما كل هذا يا وجدان أمن أجل مكالمة تليفونية كان يمكن أن تأتيك من أى انسان تغضب كل هذا الغضب ٠

ـ اذا جاءتنى من أى انسان ما اهتممت لحظة .. فوظيفتى هى أن أتلقى البلاغات ، اما أن يلجأ الى موظف عند حميك ليطلب منى أن أشاركه فى جريمة ابتزاز فهذا هو ما يحزننى ، وأكرر لك ان هذا هو ما جعلنى أفكر فى الاستقالة .. وأعرف بعد ذلك أن متولى كلمنى ليحمى نفسه من القتل .. فحموك اذن قاتل أيضا .

ـ وما ذنب نسيبى ان متولى كلمك ؟

ـ انها ليست جريمة واحدة التى رواها متولى لى دون أن يشعر . انها سلسلة جرائم حياة أخرى غير الحياة التى أتصور أن يعيشها أخى . عالم أعرفه كوكيل نيابة ولا أتصور أننى عضو فى أسرته .. ياسر ، اعمل معروف فى ولنبتعد عن هذا الحديث .. أصبح الكلام الآن لا داعى له فقد أصبحت أبا لطفل من هذه الأسرة والحديث الآن لن يفيد شيئا الا أن يزيدنى ألما ويجعلنى أقول لك عن حميك ما أعتقد أنه شديد عليك .. وهو الآن جد ابنك .

ـ على كل حال نحن سوينا الموضوع .

ـ لا أعتقد أنكم سويتم شيئا .

ـ فعلا والله .. الأمر انتهى .

ـ هيهات . ان ما سمعته فى التليفون يجعلنى واثقا أن هذا الأمر لن ينتهى الا بمصيبة كبرى .

ـ يا راجل لا قدر الله .

ـ أرجو ألا يقدر الله . ولكننى واثق أنه قدر فعلا وستريك الأيام اننى على حق .

★★★

مر شهران ولم يفكر صفوت أن يدفع شيئا لمتولى غير المبلغ الذى أعطاه له عن طريق ياسر . وأدرك متولى انه يريد أن يطلب منه . ويريد أن يجعل منه كلبا يبصبص بذيله للمأكل فى يد صفوت . وحسان لا يسكت على متولى واليوم الذى يمر يوما على الناس يمر عاما على متولى .

دخل متولى الى مكتب ياسر فى الشركة :

ـ ماذا جرى يا ياسر بك ؟

ـ نعم ... فيم .

ـ أنت الآخر نسيب فيم ؟ ألم تقل لى أسبوعين أو شهر على الأكثر ؟

ـ آه صحيح .

ـ وانت ماذا يهمك ... لو كنت فى الجحيم الذى أنا فيه أمام ابنى وأمه .

ـ أيلح عليك حسان .

ـ حسان يلح بالصمت وأمه تلح بالشتم .

ـ أنا آسف ياعم متولى .. الحق على أنا .

ـ يا ياسر يابنى المبلغ الذى يبدو كبيرا بالنسبة لصفوت أقل من ملاليم .

ـ أعـرف .

ـ اذن فالمسألة اذلال ؟

ـ يا رجل لا تقل هذا .

ـ هى اذلال .. وأنا أعرف .

ـ تعرف .

ـ نعم أعرف انه يريد أن يذلنى .. وأنا قابل ، لأننى أرى أن الطريق معه هو أقرب الطرق من ناحية الوقت .. ولكن عند اللزوم ملعون أبو حسان وأم احسان وأنا أعرف كيف أحصل على أضعاف هذا المبلغ .

ـ غدا صباحا يكون الأمر انتهى وأحضرت لك ما تريد .

★★★

قال ياسر لصفوت :

ـ لماذا لا تعطيه المبلغ كله وتخلص ؟

ـ وبماذا أمسكه بعد ذلك ؟

ـ بمرتبه ، بحاجته اليك . انه سينفق المبلغ فورا وسيصبح فى حاجة الى مرتبه منك ليعيش .

ـ يتهيألك هذا ابن كلب .. سيبقى من المبلغ شيئا ويسوق العوج ويعود الى التهديد .

ـ يا عمى صفوت ما دام الرجل ابن كلب كمـا تقول ألا نحايله أحسن .

ـ هذا لو كنت عبيطا مثلك .. هذه الأصناف أنا تربيت فيهـا وأعرفها كما أعرف نفسى .. اتركنى أعامله المعاملة التى تضمن لى أن يظل محتاجا الى .

ـ ماذا تعنى ؟

ـ أعنى خذ هذا المبلغ واعطه له .

وفتح الخزنة وأعطى ياسر مبلغا نظر فيه ياسر وقال لصفوت مذهولا :

ـ ما هذا ؟ خمسة آلاف جنيه ؟

ـ نعم .

ـ وهل هذا معقول . رجل يطلب منك ثمانين ألف جنيه تعطيه خمسة .. طيب اجعلها عشرين مثل أول مرة .

ـ اسمع كلامى انت .. خمسة وسيرجوك هو أن أزيدها الى عشرة وأنت تقول انك ستحاول معى وستحلفنى بصفوت الصغير أعطيك خمسة أخرى وهكذا .

ـ يا عمى الرجل أنت لا تعرف حالته .. الشر فى عينيه ويقول انك تريد أن تذله .

ـ اذن فهو يعرف .

ـ يا عمى صفوت أنا طبعا لست فى خبرتك ولا فى عشرها ولكن الذى أراه من متولى مخيف .

ـ هذا لأنك جديد فى الصنعة .

ـ الانسان لا يحتاج أن يكون جديدا فى صنعة أو قديما فيها ليعرف الشر فى عيون الناس .

ـ افعل ما أقوله لك وسترى أن عمك على حق .

ـ أمرك .

★★★

أمسك متولى المبلغ ونظر الى ياسر :

ـ ما هذا ؟!

ـ لا عليك .. الخزنة ساعة ما كلمته لم يكن فيها الا هذا المبلغ .

ـ نعم ؟!

ـ كذا والله .

ـ اسمع يا ياسر بك اذا كنت تريد أن تصبح فى غنى صفوت فلا تأخذ عنه الصنعة .

ـ ماذا تقول ؟

ـ أنت تزوجت ابنته من أجل المال طبعا · هل كنت عمرك رأيتها الا شهرا وبضعة أيام فى البنك ؟

ـ هل جننت يا رجل وأنا ما ذنبى حتى تتطاول على ؟

ـ لأنك لا ذنب لك أقول لك ما أقول الآن ·

ـ أنت من عائلة كلها ناس أشراف · أخوك لم يخبرك وبلغ النيابة أنا عارف لأننى الآن تحت الرقابة وهذا ما أردته من ابلاغ أخيك ·· وأبوك خرج على المعاش ولم يكون ثروة فأنت من عائلة كلها أشراف وأنا مشفق عليك ·

ـ أنا ما دخلى فى غضبك ·

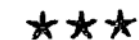
ـ اسمع الكلام لآخره ·

ـ أهناك كلام آخر ·

ـ أنا لم أقل شيئا ·

ـ أنا لا أريد أن أسمع شيئا ·· سلام عليكم ·

وخرج ياسر مغضبا ولم يسمع شيئا · مع أنه كان سيسمع عجبا ·



مخلوق عجيب هذا الانسان لا يعرف أبدا ماذا يريد . وكلما وهبت له الحياة من نعم نظر الى ما لا ينبغى له أن ينظر اليه . وهكذا تسقط الحضارات . فحين تبلغ دولة القمة فى مجدها تنظر الى ما لا تطيق فتنفجر من داخلها وتزول حضارتها ويسقط مجدها وتحل مكانها حضارة أخرى .

والدول كل الدول هى مجموعة من الأناس . والانسان هو العامل الأساسى فيها . وهو هو الذى يرتفع بمجد دولته حتى يبلغ بها أعلى عليين وهو هو الذى يمزقها فينخفض بها الى أسفل سافلين .

وسبحان بارىء النفوس العالم بأسرارها يقول لنبيه عليه الصلاة والسلام : « ولسوف يعطيك ربك فترضى » فهو سبحانه يعلم أن الانسان لا يرضى ، ولهذا وعد نبيه والمتقين بالرضى لا بالعطاء . والرضى أقصى ما يطلبه الانسان عند نفسه . وغاية ما يتمناه مخلوق من الخالق . فقد يكون الانسان ذا ثروة لا تحصى . فاذا نسج الرضى ثيابه على نفس انسان جعل منه أغنى الناس طرا وان كان لا يملك قوت يومه .

فالحياة حين تعطى فتغدق وتمنع الرضى فانها تكون قد حرمت من أعطته وأغدقت كل شىء ، انه لا يملك شيئا . انه فقير معدم . وهو وماله ومجده هباءة .

وان أعطت السطوة والشهرة والجبروت وحجبت الرضى فالطاغية الجبار المتكبر المتغطرس ذو السطوة قطعة حقيرة من الهمل لا يساوى شيئا . وهو نفسه الذى يحقر نفسه . وان نفسه هى التى تدمر له نفســه .

هكذا الانسان . وهكذا حطم الانسان الدول .

وهكذا سوسن بنت صفوت المعلاوى . عندها المال لا تعرف ماذا تصنع به ووهب الله لها وجها ليس فيه عوج ولا قبح وتزوجت من فتى جميل الطلعة متعلم . وهى وحيدة أبيها . وهى لا تعلم شيئا عن علاقات زوجها

بالراقصات أو الكباريهات وهي لا ترى منه الا حبا · هي عندها كل شيء الا الرضى ·

هو لم يعرفني الا من البنك · ولم تمر على معرفتنا الا أسابيع لم تكتمل شهورا فما الذى جعله يطلب منى أن ألقاه ؟! طبعا اعرف أنا ابنة من ؟ لا ··· لا أظن انه أحب جمالى · ان مثله يستطيع ان يعرف من هي أجمل مني · يقولون ان للجمال مقاييس تختلف من رجل الى رجل · ولابد أن الأمر كذلك والا ما تزوجت الكثرة الكاثرة من البنات · نراهن قبيحات غاية القبح ويراهن أزواجهن جميلات غاية الجمال ، أما هو فأعتقد أنه تزوجني للمال · لا بأس في هذا نعم فمال أبي جزء من مقومات شخصيتي · ولكنني أحب أن يحبني الرجل لنفسي·لي أنا···ليس لمال أبي ولا لسيارتي ولا لأي شيء الا أنا · فأنا أستحق أن يحبني الرجل من أجلي أنا ·

مثلا ياهر حمدى في النادى ·· يغازلني ·· أنا أرده ، من الطبيعي أن أرده في أول الأمر ·· تعلم الاسكواش خصيصا ليلعب معي · وما البأس ·· باهر حمدى ليس فقيرا ·· وان كان هو يعلم أنه لن يتزوجني فهو يغازلني بعد أن تزوجت ·· ولا يمكن أن يفكر في الزواج مني وأنا زوجة جديدة ·· وطبعا هو لا يطمع أن ينال مني مالا ·· بل انني منذ لعبت معه الاسكواش أصبح يقدم لي الهدايا · هدايا بسيطة ولكنها معبرة ·· زجاجة برفان ·· ايشارب ·· فيها تعبير ·· فيها حب ··· حب لي أنا ·

لم أرد الهدايا ·· وأصبحت أقبل غزله ·· وتمادى ··

★★★

حين نقل ياسر الحديث الى صفوت :

ـ أتظل طول عملك عبيطا ؟

ـ لمـــاذا ؟

ـ لماذا لم تسمح له ؟

ـ ماذا أسمع ؟

ـ انه يريد أن يعرض عليك صفقة ويجعلك تعتمد على نفسك حتى تقف معه ضدى ·

ـ وما حاجته الى ذلك ؟

ـ حتى لا تجعلني أذله ·

ـ لم تعجبني طريقة الكلام ·

ـ أتريد أن يسمعك غناء ؟

ـ وماذا ترى ؟

ـ لا شيء ٠٠٠ اسكت الآن ٠٠٠ اذا كان مصرا هو الذى سيسعى اليـك ٠

فى المكتب وياسر جالس فى الحجرة التى خصصت له والتى جرى فيها حديثه الأخير مع متولى سمع ياسر طرقا على الباب ولم ينتظر الطارق بل دخل ولم يسـمح لياسر أن يقول شيئا وانما قال وهو يقفل البـاب بالمفتـاح :

ـ لا تقل شيئا حتى تسمع ٠

ـ كلامك جارح ٠

ـ هكذا الحقيقة دائما ٠ وما سأقوله أشد ايلاما ، هل أنت رجل تحتمل أم أنصرف ؟

ـ أحتمل ماذا ؟

ـ زوجتك تخونك ٠

واندلع ياسر قافزا عن الكرسى :

ـ ألهذا الحد ؟!

وجلس متولى وقال فى هدوء :

ـ اجلس واسمع ٠

ـ أنا لا أقبل ٠

ـ تقبل ماذا ؟ وهل ترانى أقدم لك وجهـة نظـر ؟! أنا أقدم لك حقيقة والحقيقة حقيقة سواء قبلتها أم لم تقبلها ٠

ـ ألأنك غاضب من ٠٠٠ ؟

ويقاطعه متولى :

ـ اذا كان ما أقوله لمجرد الغضب أكون أهبل ٠٠ أنا أقول لك حقيقة وأريد لك الخير مع ذلك واذا استمعت الى ستعرف ان كنت معك أم عليك ٠

ـ وماذا يمكن أن أسمع ٠٠ ليس أمامى الا الطلاق ؟

ـ هكذا ٠٠ بهذه السرعة ٠

ـ لا طبعا ٠٠ بمجرد أن أتأكد ٠

ـ وكيف تريد أن تتأكد ؟

ـ هذا بيدك أنت ٠

ـ طيب اسمع الكلام المفيد ٠٠ هى تخونك مع ولد اسمه ياسر حمدى تلعب معه فى النادى ٠٠ وشقته أمام النادى مباشرة ٠٠ قبل اللعب يخرجـان معـا ويذهبان الى شقته التى يعيش فيها وحده ثم يعودان الى اللعب ٠٠ والذى رأى هذا لم يسكت وانما حكى للنادى والكل يعرفون ويتندرون بك ٠

ـ أولاد الكلب ٠

ـ ومالهم هم حتى تشتمهم ؟

ـ اذن أراقبها ؟

ـ وحـــدك ؟

ـ بالطبع ٠٠ هذا أمر لا أتصور أن يعرفه أحد ٠

ـ فاذا تأكدت ؟

ـ أطلقهـــا ٠

ـ وتضيع عليك الشقة وشهادات استثمار بنصف مليون جنيه ٠

ـ وماذا تريدنى أن أصنع ؟!

ـ لما جئت لى فى السنبلاوين كنت سأقول لك ولكننى تذكرت أن سوسن نفساء وأنك لا تستطيع أن تتأكد الا بعد أن تزول مدة النفاس ٠ وقد بدأت المقابلات فعلا ويمكنك أن تفعل الآن ما يحفظ لك المال والشقة ٠

ـ كيف ؟

ـ ألا تعرف ضابط شرطة صديقك ؟

ـ أعرف طبعا ٠

ـ تخبره ٠

★★★

حين قالت سوسن لوالدتها انها ذاهبة الى النادى بعد الظهر لتلعب سكواش كان ياسر بجانب التليفون بعيدا عن الجميع ٠ طلب رقما وقال جملة واحدة :

ـ أنا ياسر اليوم الساعة الخامسة ٠

★★★

وضبط الزوج زوجته فى حالة تلبس بمعاونة الشرطة وحرر المحضر ·

وقال ياسر لأمه :

ـ هذا ابنى صفوت أنت التى تربينه لا أمه ·

ـ وهل عرفت كيف أربى أباه حتى أربيه ؟! النهاية الولد ما ذنبه هذا قدرنا نحن هات الولد ·

★★★

وقال وجدان لياسر :

ـ أما كان الأولى أن تطلق دون هذه الفضيحة التى سيواجهها ابنك حتى يكبر ؟

ـ وأترك هذه الأم تربيه ؟!

ـ لا يا ياسر أنت طمعت فى مال الولد وفى الشقة ·

ـ أنـا ·

ـ لا عليك ·· لقد عملتها وما كان كان ·

★★★

قال وجدان لأبيه :

ـ قدمت استقالتى اليوم ·

ـ أعرف أنك كنت ستفعل هذا ·· مسكين أنت يا ابنى تعيش فى زمن لا يحتملك !

ـ أنا كنت أريد فقط أن أظل نظيفا ·· أنا لا أدعى المثل العليـا ولا أحاول أن أغير شيئا مما حولى ·· كل ما كنت أطمح اليه أن أسير طريقى أنا نظيفا ولكن الطريق ملىء بالأصداف القاطعة كحد الموس وأنا حافى القدمين لأنى لا أحاول أن أخدع الناس بغير حقيقتى ·

ـ اسمع يا وجدان ··· حين يبلغ الشر إقصاه اطمئن !!

ـ وكيف ؟

ـ لابد أن ينحسر ··· شهور وربما عام أو عامان وتنحسر هذه الموجة وتعود الى مكانك فى النيابة ·

ـ أتظن أن حزنى من أجـل النيابة وحدها ؟ حزنى من أجـل أخى وجيل أخى الذى هو جيلى ·

ـ أعرف ٠٠٠ ولهذا أبشرك أن هذه الموجة لابد أن تنحسر فكما أن للخير موجات للشر موجات ثم تنحسر ٠٠ الحياة لا تستطيع أن تسير في هذا المستوى الا لفترة ثم تبدل هي نفسها بنفسها ٠٠ والناس هم الحياة والناس هم الذين سيجدون أنفسهم سائرين على نفس الأصداف القاطعة التي سرت عليها ٠ وسيعرفون أنهم حفاة وأن أحذيتهم خداع ، حين يجدون أقدامهم كلها ممزقة كنفوسهم سترى ٠٠ هم تمزقت نفوسهم وأنت لم تتمزق منك سوى الأقدام ٠ وسرعان ما تزول جراحك ٠٠٠

ـ أبي أتعرف ؟

ـ أعرف أنك واحد من جيلك وما دام فيه مثلك فلا تخش عليه ٠

ـ أحس أن ما تقوله هو الحقيقة ٠٠٠ أبي أتعرف ؟

ـ ماذا ؟

ـ اني أرجو الله ألا يطول انتظاري ٠٠ ولكني واثق ثقتي بالله وبك ٠٠ انك على حق ٠٠ واني سأعود لأعمل وكيلا للنائب العام ٠

((تمت))

الحياة لنا

« مسرحية »

إهـــداء

الى أبى دسوقى أباظة باشا
ترددت فى أن أرفع هــذا الكتاب اليك فانى
أخشى ألا أكــون قد بلغت به المســتوى الذى
ترضاه ، ولكن ما أسرع ما زايلنى هذا التردد
فمن يقبل منى اذا لم تقبل أنت ؟!
فاليك فى أقدس جوار

ابنــك

ثروت

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

أقدم هذا الكتاب الى القراء ، فكرة لا مسرحية ، ومشكلة قديمة لا رواية ذات تمهيد وقمة وحل · المواقف فيها قائمة للدفاع عن فكرة بعينها ، فلا يأخذن على المشتغلون بالمسرح أننى لم أراع الفن المسرحى كاملا فى مواقفى ، ولم أعمد الى أن تثير نهاية هذه المواقف الشكوك والتخمينات فيما قد يحدث فى الموقف الذى يليه ، بل ضحيت بكل هذا لأجلو الفكرة التى كتبت من أجلها المسرحية كلها · وكثيرا ما كنت أتوقف فى مفرق الطريقين بين اظهار الفكرة ومراعاة المسرح فلا يطول بى التوقف ، بل كنت أسير قدما فى الطريق الذى يوضح الفكرة التى أكتب لها ·

كان هذا فيما يتصل بالمسرحية ذاتها ، أما فيما يتعلق بأشخاصها فقد قصدت الى الدقة فى تصويرهم بحيث لا تلتوى منى الشخصية ولا تنماع حتى اذا تحولت الشخصية من طريق الى طريق ، بينت ـ قدر الجهد ـ أسباب هذا التحول ودوافعه · ولا شك أن تحليل الشخصيات التى أردت بها القصة ، كان ضمن الأهداف التى قصدت اليها من الكتابة ·

والقصة فى مجموعها خيالية كما سيتضح للقارىء · وهذا يوسع لى أن أرسم من الشخصيات ما يحلو لى ، ملتزما ـ بطبيعة الحال ـ القيود الطبيعية ، فقد يرى قارىء ـ مثلا ـ أن شخصية مجدى شخصية مثالية لا توجد فى القرن العشرين ، بينما أرى أنا أنها تمثل المثالية العملية التى تسود الفلسفة الأخلاقية فى القرن العشرين · وعلى كل حال هل هناك ما يمنعنا

من الأمل في وجود مثلها ؟! واني في هذا أسير مع القائلين : ان وظيفة الكاتب هي أن يرسم الشخصيات تنبض بالنبضات الانسانية التي نعرفها ، وليس حتما على الكاتب أن يختار شخصياته من واقع الحياة نفسها ، بل له أن يضفي عليها من آماله ونظرياته ما يريد ٠

وقد اخترت لأسلوب الكتابة اللغة العربية البسيطة ، لعل المتحاملين على اللغة العربية يخففون الوطأة بعض الشيء ، فهي لغة تستطيع أن تصل الى الجميع ٠ اذا حاول الكتاب أن يصلوا بها الى العامة وصلوا ، واذا كان هذا يكلفهم بعض الجهد ، فلابد للكتاب أن يجهدوا ما داموا قد اختاروا لأنفسهم مهنة لا راحة فيها ٠

على أن اللغة العربية ــ والحمد لله ــ سوف تبقى على الزمان مهما يحاول الزمان أن يغض منها ، فالكاتب باللغة العامية في مصر يكتب لمصر فقط ، بل لعله يكتب للقاهرة وحدها ٠ أما الكاتب باللغة العربية ، فالعالم العربي كله يستطيع أن يقرأ له ويفهم عنه ، وان الجمال الذي تضفيه لغة القرآن على الكتابة لتتقاصر دونه كل اللغات العامية في العالم ، ومهما يقل القائلون فان الناحية الجمالية في الفن كانت وما زالت وسوف تظل من أهم مقومات الفنون ٠

ثروت

الحياة لنا

● الفصل الأول

المنظر الأول

« منزل حمدى بك العباسى . غرفة الصالون تجلس بها تحية ومعها ابنة خالتها سناء .. الأثاث منسق فى ذوق جميل وهو أنيق ولكن ليس بالغ الأناقة .. الوقت صباحا .. تحية مضطربة بعض الشيء وقريبتها تحدثها » .

سناء : وتمت الخطبة .

تحية : صحيح ؟

سناء : وحياتك .

تحية : حب كبير ؟

سناء : جدا .. تصورى خطبها يوم الخمس الفائت ، ويريد أن يتزوج بعد شهر !

تحية : يا سلام ! وفيم كل هذه السرعة ؟

سناء : الحب يا حبيبتى .

تحية : هيه يا سناء .. أحيانا الحب يمنع من الزواج !

سناء : كلام فارغ .. الحب يعمل المستحيل ..

تحية : صحيح يعمل المستحيل ، ولكننى لا أراه يعمل الغنى أبدا .. يظهر يا سناء أن الغنى أكثر من المستحيل !

سناء : من قال ؟ الغنى نتيجة طبيعية للاجتهاد .. والاجتهاد نتيجة طبيعية للحب .

تحية : أنت غلطانة يا سناء .

سناء : أنت الغلطانة .

تحية : تقصدين خطيتى ؟

سناء : طبعا أقصد خطبتك .. أنت مخطوبة من سنتين .

تحية : أبى يمنع ابراهيم من التوظف بالحكومة .

سناء : وماله ؟!

تحية : والله يا سناء أنا عارفة كل الظروف المحيطة بى وبابراهيم وأعرف أنه لو اجتهد لابد أن يصل .

سناء : وساكتة ؟

تحية : وساكتة ياسناء ، ابراهيم يعتقد أنه لن ينجح الا اذا توظف .

(تدخل أم تحية اجلال هانم وهى سيدة وقور ذكية)

اجلال : ماذا جرى يا بنات ؟ الكلام طال بينكم .

تحية : والله يا أمى الكلام جر بعضه .

اجلال : وسناء ما ذنبها تقعد بين أربعة جدران .. ؟ انزلى يا بنتى للجنينة .

سناء : أبدا ، والله هنا هواء والجو لطيف .

اجلال : على كيفك .. يا ترى العجائز لها مكان هنا ؟

سناء : أهلا وسهلا .. أنت الخير والبركة .

اجلال : (وهى تقعد) ابراهيم يجىء اليوم يا ترى ؟

تحية : أظن يا أمى ..

اجلال : شاب طيب وابن حلال .

سناء : صحيح يا خالتى .. لكن ابن حلال ليست كافية .

اجلال : (متعجبة) ليست كافية ؟!

سناء : طبعا ، ومالنا نحن اذا كان ابن حلال أو لا ، ما دام لا يتكلم فى الخطبة التى عفنت .

اجلال : سبحان الله يابنتى .. كل انسان له ظروفه .

سناء : وظروفنا نحن يا خالتى .. ؟! أليست لنا ظروف نحن أيضا ؟

اجلال : لا أفهم ما تقصدين .

سناء : أقصد شابا يخطب أختى ويسكت بعد الخطبة سنتين .. ومن الخطيبة .. ؟ تحية .. ؟ فتاة كل شاب يتمناها .. طيب يتركها هو اليوم .. ولا أقول غدا .. بل اليوم يسعى لها ألف خطيب .

تحية : (فى غضب) لا .. لا يا سناء .. الا أن يتركنى .. هى المسألة زواج .. لا يا حبيبتى .. ليس هكذا الكلام .. الا أن يتركنى أنا لو كنت أريد هذا ما تأخر .

سناء : فاهمة ·· فاهمة ·· حب ··

تحية : طبعا ·· وما العيب ·· ؟ لو لم يكن الحب لما قبلت الخطبة ·

اجلال : الله ·· بنت ·· هكذا أمامى ؟!

تحية : أنت عارفة قبل الكل أن حبى لابراهيم هو وحده الذى نعتمد عليه فى حياتنا ·

سناء : يا حبيبتى ·· أين هى حياتك هذه ؟ كل كلامى من أجل حياتك هذه ·· أريدها ·· أريد أن أرى بيتك ·· حياتك ·· أولادك ·

تحية : لا ·· لا يا سناء ·· المسألة زادت ·· هذا شىء وهذا شىء ·· انه تأخر ·· أو معذور ، مسألة أخرى غير أنى أترك خطيبى ·

سناء : كيفك ·

تحية : طبعا كيفى ··

سناء : والله لولا أنى منتظرة أخى مجدى لزعلت وتركتك ··

تحية : يا سلام ·· كل هذا لأنى أحب خطيبى ؟

سناء : على كيفك ·

تحية : عارفة ·· قلتها الآن ·

(يدخل مجدى وهو شاب انيق وسيم فيسمع آخر النقاش)

مجدى : أعوذ بالله ! كلما رأيتكما سمعت الخناق ·

تحية : أهلا ·· أهلا بالكاتب الكبير والمحامى الشهير والأديب ··

مجدى : (فى تصنع العظمة) أعرف كل القابى يا سيدتى ، فلا تتعبى نفسك فى ذكرها ·

اجلال : بسم الله الرحمن الرحيم ·· ماله يتكلم وكأنه لويس الحادى عشر ؟!

مجدى : وماله لويس الحادى عشر أو حتى السادس عشر ؟

تحية : لا ·· ربنا يحفظك من السادس عشر يابن خالتى ·

مجدى : يا ستى ·· ربنا يحفظنا منك أولا ·

تحية : الله ·· بذمتك أنا عملت لك حاجة ؟

مجدى : لا ·· ولكن الاستقبال لم يكن يبعث على الاطمئنان ·

اجلال : عجيبة ·· لم يكن ينقصها الا أن تنحنى وتتقدم خطوة الى الأمام وأخرى الى الوراء وتقبل الأرض !

مجدى : يا خالتى ·· تحية لا تتقدم لى بألقابى هذه الا لتتبعها باغاظتى ·

تحية : لا والله ·· قرأت لك كتابك الأخير وأعجبت به حقا ·· أعجبت به

فعلا ٠٠ ثم قرأت مقالك فى الجريدة ٠٠ ثم قرأت نقدا لكتابك كله مديح لك وللكتاب ٠٠ فالحقيقة أنني انتظرت حتى أراك ، لأقدم اعجـــابى ٠

مجدى : صحيح أعجبك ؟

تحية : صحيح والله ٠

مجدى : (فى تعاظم مرة أخرى) أعرف ٠٠ أعرف ٠٠ الكل معجب به فلماذا لا تعجبين ٠٠ ؟ ومن أنت حتى لا تعجبى به ! ٠٠

تحية : أنا غلطانه ٠٠ كان يجب أن أقول الحق اذن ٠

مجدى : (مقاطعا) فى عرضك ٠٠ ان الله لغنى عن حقك هذا ٠٠ الكذب أحسن ٠٠ واظبى على الكذب ٠

اجلال : يا أخى شغلتنى عن ضيوف عمك ٠

سناء : ضيوف عمى ؟

اجلال : عندنا اليوم أصدقاء عمك سيتناولون الغداء معه ٠

سناء : طيب ٠٠ وماذا ستفعلين ٠٠ ؟

اجلال : ماذا سأفعل ٠٠ ؟! أقف فى المطبخ وأشرف (تقوم) على فكرة يا مجدى أنت وسناء ٠٠ الغداء عندنا اليوم ٠

مجدى : من غير دعوة يا خالتى ٠٠ من غير دعوة ٠٠ وهل يعقل أن نترك وليمة بحالها ؟

سناء : عظيم ٠٠ أنا سأعمل بأكلى وأشرف معك يا خالتى ٠

(تخرج اجلال وسناء ويبقى بالمسرح مجدى وتحية)

مجدى : قولى لى ٠٠ لماذا زعلت سناء ؟

تحية : عبيطة ٠

مجدى : سناء ٠٠ ؟ لا ٠٠ جايز فيها العيوب كلها ٠٠ الا أنها عبيطة ٠٠ والظاهر ــ والله أعلم ــ أن غيرها هو العبيط ٠

تحية : الى من تقصد ياسى مجدى ؟ ماذا جرى ؟ أنت وأختك اليوم ٠٠٠

مجدى : (مقاطعا) ياستى أنت حرة ٠٠ لا أنا ولا أختى ٠٠ أين الدكتور ؟

تحية : ابراهيم ؟ ٠٠ أظنه سيكون فى العيادة بعد قليل ٠٠ لماذا ٠٠ ؟

مجدى : تذكرته فقط ٠

تحية : لا ٠٠ لابد من سبب ٠

مجدى : نعم ٠٠ ألف سبب ٠٠ ان لم تكلميه أنت ، تكلمت أنا ٠

تحية : تكلمت ٠٠ ؟ تكلمت فيم ؟

مجدى : فى خطبتك ٠

تحية : فى خطبتى ؟

مجدى : نعـــم ٠

تحية : ماذا تقصد ؟

مجدى : أعنى اذا لم يكمل الزواج ٠٠ وسريعا ٠٠ فسأخطبك أنا ٠

تحية : مجدى ٠

مجدى : (مازحا) وماله ياستى ٠٠ والا بالله كيف يمكن أن أجعله يحس بطول المدة ، الا اذا هددته هذا التهديد ٠٠ ؟

تحية : لعله يعلم بطول هذه المدة أكثر منك ومنى !!

مجدى : والله ان كانت الأمور تؤخذ بالظواهر ٠٠ وهذا هو الغالب لأن الخافى لا يعلمه الا الله ٠٠ فالظواهر كلهـا ليست فى مصـلحة الدكتور ٠

تحية : والله يا مجدى هو شاب طيب ومخلص ، لكن ظروفه كلها تعسة ٠

مجدى : أنا لا أعرف شيئا اسمه ظروف ٠٠ كلنا نقابل فى حياتنا الظروف السيئة ٠٠ ولكن ما الحياة ان لم نلق هذه الظروف ونتغلب عليها ٠٠ ؟ هذه الحياة لنا ٠٠ نحن سادتها ٠٠ نحن من نتحكم فيها ولا يمكن مطلقا أن نتركها تتحكم فينا ٠

تحية : أنت تسرق من نفسك يا أستاذ مجدى ٠٠ هذا الكلام فى كتابك الأخير ٠٠ ألم أقل لك اننى قرأته ؟

مجدى : لا والله يا تحية ، هذه هى الحقيقة ٠

تحية : نحن نتحكم فى الحياة ٠٠ ؟

مجدى : نعم ٠٠ نحن ٠٠ الانســان ٠٠ لقد خلقت الحياة له ، فهو من يتحكم فيها ٠

تحية : فلماذا لا نتحكم فى جنسنا ٠٠ ؟ لماذا خلقت امـرأة ولم أكن رجلا ٠٠ ؟! ولماذا اسمى تحية ٠٠ ؟! كيف عرفت الحياة أنى أحب هذا الاسم ؟ ولماذا سأموت يوم تشاء الحياة ٠٠ ؟ ولعلها تختار تماما الوقت الذى أريد أن أحيا فيه ٠

مجدى : يا حبيبتى ٠٠ هذه ليست الحياة ٠٠ انها تمهيدات الحياة ٠٠ الولادة تمهيد للحياة ، والموت نهاية لها ٠٠ نحن غير مخيرين فى المقدمات أو النهايات ٠٠ والا فتصورى بربك لو أن الأمر عرض

عليك قبل ولادتك فرأيت أن تكوني رجلا ، ثم اختار هذا الطريق من بعدك كل الأناث ؟! أى حياة سنلقاها اذن ٠٠ ؟ ان الحياة لن تمكث الا بمقدار حياة هؤلاء الرجال ٠٠ على أنه لو كان الأمر كذلك، واختـارت أمك أن تكون رجلا ، لما ولدت أنت ، ولتعطلت حـركة الحياة نهائيا ٠ فجنس واحد لا يكفى ٠٠ أما اسمك فاسألى عنه أمك وأباك ، فهما من اختارا وهما انسان ٠٠ وأنا أتكلم عن الانسان ككل ، لا أقصدك أنت وأنا فقط ٠٠ أما موتك فانه لابد أن يكون رغم أنفك ٠٠ والا لو كان الأمر اختيارا لما تركت الحياة أبدا ، ومن ذلك الذى يترك حياة هو واثق منها الى حياة أخرى لا يعرف عنهـا شيئا ٠٠ تصورى لو أن الناس لم يموتوا من عهد جدنا آدم وستنا حواء ٠٠ كانت الحياة تصبح مصيبة كبرى ، وأين هذه الأرض التى تحتمل كل هؤلاء ٠٠ ؟ ومن أين يأكلون ٠٠ ؟

تحية : اذن فنحن لسنا سادة الحياة كما تقول !

مجدى : بل نحن سادتها ٠٠ انما الحياة هى هذه الفترة الواقعة بين الولادة والموت ٠٠ بل الحياة الحقيقية هى التى تبدأ مع الادراك وتنتهى معه ٠٠ فترة الادراك هى الحياة ٠٠ وهذه الحياة هى التى نتحكم فيها ٠٠ أما منذ الولادة حتى الادراك ، فان أبوينا وأهلينا هم من يتحكمون فينا ٠٠ وأظنك توافقين على أنهم آدميون ٠

تحية : أستغفر الله العظيم ٠

مجدى : أستغفره من كل ذنب ٠٠ ولكن ماذا قلت ؟

تحية : تزعم أننا نتحكم فى الدنيا ولا تستغفر ربك ٠

مجدى : ان ما أقوله هو غاية الايمان ٠٠ وهل يعقل أن يكون الأمر غير ذلك ٠٠ ؟

تحية : كيف ٠٠ ؟

مجدى : تصورى لو أنك قلت لخادمك : اكسر هذا الكوب ، ثم كسره ، أتراك تعاقبينه بعد ذلك ٠٠ ؟

تحية : لا طبعـا ٠

مجدى : فاذا كنت أيها الانسان الحقير فى عدلك تدركين ذلك ٠٠ فكيف بالله مصدر العدالة ٠٠ ؟ كيف يمكن أن يكتب على أن أشرب الخمر ثم يعاقبنى على شرب الخمر ؟ لابد أنى مخير فى أفعالى والا لما وقع الله على الجزاء ٠

تحية : الله ٠٠ مجدى أتكلمنى عن الاختيار ٠٠ ماذا ٠٠ ؟ أتراك أصبحت فيلسوفا أيضا ٠٠ ؟ هذا ما كان ينقصك ٠

مجدى : جزاك الله ٠٠ القضية تنتظرنى وأنت لا تسكتين ٠

تحية : أنا التى لا أسكت ٠٠ ؟ طيب اذهب ٠٠ ولكن انتظر ٠

مجدى : ماذا ؟

تحية : سأذهب معك ٠

مجدى : الى المحكمة ٠

تحية : الى ابراهيم ٠

مجدى : (مصدوما) لا ٠٠ اذهبى انت فى سيارة أجرة ٠٠ أنا لا أطيق ٠

تحية : لا تطيق ٠٠ ؟ لا تطيق ماذا ٠٠ ؟

مجدى : لا أطيق انتظارك حتى تلبسى ٠٠ القضية يا هانم ٠٠ القضية ٠٠ السلام عليكم ٠

(يخرج وتجلس تحية سارحة بعض الوقت حتى تدخل سناء)

سناء : الله ٠٠ ماذا جرى ٠٠ ؟ أين مجدى ٠٠ ؟

تحية : ذهب الى المحكمة ٠٠ ؟

سناء : صحيح ٠٠ هو قال : انه سيستطيع أن يهرب ساعة من المحكمة ثم يعود ٠

تحية : (سارحة) صحيح ٠٠ ؟

سناء : (فى نفس النغمة) صحيح ٠

تحية : سناء ٠٠ أخوك عبقرى ٠

سناء : أعرف ٠٠ وكان يجب أن تعرفى هذا من زمن بعيد ٠

تحية : لو عرف كم هدانى الى أشياء فى هذه الدقائق ٠

سناء : هداك الله الى الصراط المستقيم ٠٠ ؟

تحية : نعم ٠٠ الى الصراط المستقيم فى حياتى ٠٠ سناء ٠٠ أنا خارجة ٠

سناء : الى أين ٠٠ ؟

تحية : الى ابراهيم ٠

سناء : (فى يأس) ابراهيـم ٠

ســـتار

المنظر الثانى

« المنظر غرفة طبيب غاية فى الحقارة ، بها سرير كشف خلف « برافان » قديم به قماش رخيص ومكتب قديم متهالك ، الغرفة ذات باب واحد . . التمورجى ينظف الحجرة فى تراخ شديد وكسل) .

التمورجى : والله الشعراء أحيانا لهم كلام حكم . . العطار . . العطار . . آه العطار لا يفسد ما أصلحه الدهر . . طيب ماذا تعمل الريشة أو المسحة فى هذه المكسرات ؟!

(يدق جرس الباب)

التمورجى : أهلا . . والله زمان .

(يخرج ويغيب لحظة ويعود مرة أخرى)

التمورجى : فرجت . . جاء أول زبون . . أول زبون . . لا هو مضطر . . ولا هو مصاب فى حادثة تحت العيادة . . ولا هو صديق فقير . . زبون . . زبون خالص ، زبون فقط بدون تعليق . (يدق جرس الباب مرة أخرى ويغيب لحظة ويعود) زبون آخر . . زبون . . (لا يكمل الكلمة لأن جرس الباب يدق) لا . . الجرس تعب . . الشغل كثر مرة واحدة ، وهو من زمان لا يشتغل . . لا يمكن طبعا أن يكون زبون ثالث . . أما لو كان ، فانى سأترك الباب مفتوحا . . (يخرج ويعود) ماذا جرى ؟ . . أيكون الدكتور اشتهر . . ؟ ولكن فى يوم واحد يشتهر . . ؟ أيكون ارتكب حادثة ، والجرايد نشرت اسمه . . ؟ متى ارتكب الحادثة . . ؟ لقد كان هنا حتى الساعة الواحدة ظهرا يا عالم . . ماذاجرى . . ؟ (ينظر من الباب) زبون رابع . . خامس . . سادس . . سـ . . الدكتور . . الدكتور . . الدكـ

« يدخل الدكتور . . شاب فى مقتبل العمر يلبس حلة قديمة يحاول جهده أن تظهر نظيفة مادام لا يمكن أن تظهر أنيقة »

الدكتور : (لا يلتفت الى رقص التمورجى) من هؤلاء . . ؟

التمورجى : زبائن .

الدكتور : (مندهشا) من ٠٠ ؟٠٠

التمورجي : زبائن ٠٠ زبائن ٠٠ والله زبائن ٠٠ لا هم أصدقاء ولا هم مصابون تحت العيادة ٠٠ ولا هم جيران ٠٠ زبائن ٠٠ زبائن ٠

الدكتور : وماذا جاء بهم ٠٠ ؟

التمورجي : ربنـــا ٠

الدكتور : كل هؤلاء ٠٠ ؟

التمورجي : كلهم ٠٠ هيه نبتدىء يا دكتور

الدكتور : نبتدىء ٠

التمورجي : (يفتح الباب فى زهو) الأول ٠٠ أنت ٠٠ تفضل ٠

(يدخل الزبون ويكون الدكتور قد جلس الى مكتبه بعد ان يكون قد أعد الكرسى أمام المكتب فى احتفاء كبير) ٠

الدكتور : أهلا ٠٠ تفضل (يشير الى الكرسى) ٠

الزبون : زاد فضلك يا دكتور ٠٠

الدكتور : نعم ٠٠ ؟ خـير ٠

الزبون : والله يا دكتور لو كان خير ما جئت لك ٠

الدكتور : (يغتصب ضحكة) ان شاء الله خير ٠

الزبون : يا دكتور أنا عيان ٠

الدكتور : طيب ٠٠ أنا لا أنتظر أن تكون صاحب قضية !

الزبون : المرض لازمنى سنتين ٠

الدكتور : عظيم ٠٠ وما المرض ٠٠ ٠٠ ؟

الزبون : المرض ٠٠ ؟

الدكتور : نعم ٠٠ المرض !!

الزبون : لابد أن تعرف المرض ٠٠ ؟

الدكتور : طبعـــا ٠

الزبون : أنا متزوج من عشر سنوات ، ومنذ سنتين (يسكت) ٠

الدكتور : أقول المرض !

الزبون : المرض ٠٠ المرض ٠٠ لقد قلت لك المرض ٠٠ متزوج ٠٠ و ٠٠ مريض ٠

الدكتور : آه ٠٠ فهمت ٠٠ طيب ٠٠ تفضل ٠٠

الزبون : أين أتفضل ٠٠ ؟ هل شفيت ٠٠ ؟

الدكتور : شفيت ٠٠ كيف تشفى ٠٠ ؟ اننا لم نعمل شيئا ٠

الزبون : اذن فأتفضل الى أين ٠٠ ؟ هنا عظيم ٠

الدكتور : لا ·· تفضل على سرير الكشف ·

الزبون : ماذا ·· ؟ سرير ماذا ·· ؟ هل أنت أيضا لك سرير كشف ؟ مصيبة !! ·

الدكتور : طبعا ·· لى سرير كشف ·

الزبون : آه ·· جائز ·· انها أول مرة أجىء الى دكتور مثلك ·

الدكتور : لا ·· انت أعصابك منهارة ·

الزبون : يا سلام ·· ! أنا عارف هذا من أول دكتور ·

الدكتور : طيب ·· نم ··

الزبون : (مندهشا) وأنام أيضا ·· ؟

الدكتور : طبعـا ·

الزبون : نمنا ·

الدكتور : اخلع البنطلون ·

الزبون : البنطلون ··؟ لا ·· أنت لست الدكتور ·· لابد أنك دكتور نصاب مثل كل الدكاترة الذين شفتهم !! لا يا سيدى حكاية خلع البنطلونات غلط أكيد !

الدكتور : غلط ؟! كيف أكشف عليك وأنت تلبس البنطلون ؟!

الزبون : ولماذا تكشف ؟!

الدكتور : وهل يمكن العلاج الا بالكشف ·· ؟

الزبون : العلاج ·· ؟ أنت من اياهم اذن ·· يقولون دكتور منوم مغناطيسى وتقول علاج ·· أنت منوم أو دكتور ·· ؟

الدكتور : منوم ؟ أنا منوم ·· ؟

الزبون : طبعا ·· وهل كنت أجىء لك الا وأنت منوم ·· ؟ أنا تركت الدكاترة من زمان بعيد ·· أنا أنهيتهم ·· أنهيتهم ·· فاهم ·· أنهيتهم على آخرهم ·

الدكتور : أى دكتور كنت تريده ·· ؟

الزبون : (يخرج جريدة من جيبه) هذا ·· هذا الدكتور ·

الدكتور : (يقرأ) يعلن الدكتور طهستان المنوم المغناطيسى المشهور أنه نقل عيادته الى شارع معروف رقم ١٢ وكل من يريد زيارته فليشرف فى هذا العنوان ·· الأشخاص والأشياء الضائعة و ··

الزبون : أليس هذا شارع معروف ·· ؟

الدكتور : لا ·· هذا شارع الشيخ معروف ·· ولكن أين طهستان من ابراهيـم ·· ؟

الزبون : وكيف أعرف ·· ؟ أنت لا تعلق اسمك على بابك ؟

الدكتور : ولكنى أعلقه على باب العمارة ·

الزبون : أنا سألت : الدكتور موجود ؟ قالوا سيأتى ، فدخلت ·· أما لافتتك على الباب فلم أقرأها ، لأنى لم أنتظر أن يكون الدكتور قد علق لافتة وهو لم ينقل الا اليوم ·

الدكتور : وهل تنوى حقا الذهاب الى الدكتور طهستان ·· ؟

الزبون : أنوى ·· ؟ لقد نويت فعلا وجئت وسأذهب اليه فى معروف والحاج معروف أو غير معروف ·· أنا ذاهب له على أى حال ·

الدكتور : أمرنا لله ، مع السلامة ·

الزبون : سلامة ·· ؟ سلامة من ·· ؟ هات الخمسين قرشا ·

الدكتور : آه صحيح ·· يا حسن ·· يا حسن ·

حسن : نعم يا دكتور ·

الدكتور : هل أخذت خمسين قرشا من الأفندى ·· ؟

حسن : طبعا ·· لماذا لا آخذ ·· ؟ أليست عيادة لها مصاريف ؟

الدكتور : لا تطول ·· هات الخمسين قرشا ·

حسن : أمرك ·· تفضل ·

الدكتور : تفضل يا أستاذ ·

الزبون : مع الشكر يا أخ ·· سلام عليكم ·

الدكتور : (يجلس متهالكا على الكرسى) وعليك السلام (ينظر الى حسن) رد الى الزبائن ما دفعوه ·

حسن : لماذا يا دكتور ·· ؟ ترفض الرزق يا دكتور ·· ؟

الدكتور : اسمع الكلام يا حسن ··

حسن : أمرك يا دكتور (يخرج حسن) ·

الدكتور : أيها القدر ·· أيها القدر ·

(يدخل حسن فرحا)

حسن : يا دكتور ·· الزبائن يرفضون ·· يتوسلون اليك يا دكتور أن تقابلهم ·

الدكتور : أخرج اليهم يا حسن ·

حسن : أحضرهم ·· ؟

الدكتور : اخرج اليهم وسأكلمهم من هنا ٠
حسن : أمرك يا دكتور ٠

(يخرج حسن)

الدكتور : (يفتح الباب بينه وبين الزبائن) يا حضرات ٠٠ أنا الدكتور ابراهيـم محسن ٠٠ طبيب باطنى ٠٠ ان كنتم تريدون الدكتـور طهستان فهو فى شارع الشيخ معروف ٠

(يرى الزبائن ينصرفون واحدا بعد الآخر)
(يقفل الدكتور الباب ويتهالك على الكرسى)
(يدخل حسن)

حسن : انصرفوا جميعا يا دكتور ٠
الدكتور : لم يبق أحد ٠٠ ؟
حسن : بل بقى ٠
الدكتور : زبون ٠٠ ؟
حسن : والله يا دكتور ٠٠ الله أعلم ٠
الدكتور : الله أعلم بكل شىء ٠٠ ولكن أنت ألا تعرفه ٠٠ ؟ أهو زبون ؟
حسن : ومن أين أدرى ٠٠ ؟ لقد كنت أحسب كل هؤلاء زبائن !
الدكتور : انهم زبائن نعم يا حسن ٠٠ ولكن فقط زبائن لشخص آخـر (ساخرا) لدكتور آخـر ٠
حسن : أحضره يا دكتور ٠٠ ؟
الدكتور : أحضره يا حسن ٠
حسن : (يفتح الباب) تفضل يا معلم ٠

(يدخل شخص يلبس ملابس بلدية)

الدكتور : من ٠٠ ؟ المعلم حسنين ٠٠ ؟
المعلم : أنا يا دكتور ٠
الدكتور : خير يا معلم ٠٠ ؟ أنا آسف تأخرت عليك هذا الشهر ٠
المعلم : الحقيقة يابنى أنا كنت أريد ٠
الدكتور : تريد ماذا يا معلم ٠٠ ؟
المعلم : أريد أن تكشف على ٠٠
الدكتور : أكشف عليك ٠٠ ؟ لماذا يا معلم ٠٠ ؟ كفى الله الشر ٠
المعلم : الحقيقة يابنى ٠٠ الحقيقة ٠
الدكتور : الحقيقة أنك رجل طيب ٠
المعلم : أشكرك يا دكتور ، لكن والنبى تكشف على يا دكتور ٠

الدكتور : لا يا معلم ·· عمى سيأتى من البلد اليوم ·· وأظن أنه سيحضر لى القرشين بعد ما باع القطن ·

المعلم : وما شأنى يا دكتور بالقطن وعمك ·· ؟ المهم أنك تكشف على ·

الدكتور : أنت تريدنى أن أكشف عليك حتى لا تكون العيادة خالية ·· أليس كذلك يا معلم ·· ؟

المعلم : لا حول الله يابنى ·· أنت دكتور وأنا عيـــان ·· وظيفتك أن تكشف على ·· اكشف يا دكتور ··

الدكتور : أمرك يا معلم ·· مم تشكو ·· ؟

المعلم : أشكو ·· أشكو ·· أشكو من صداع ·· نعم صداع شديد ومغص · نعم مغص شديد ·

الدكتور : طيب يا معلم ·· قم الى السرير ·

المعلم : أمرك يابنى ·

(يدخلان خلف البرافان)

الدكتور : نفس يا معلم ··· اثن رجليك ، ظهرك ·· يا معلم ·· عظيم ·

(يخرج الدكتور)

الدكتور : ليس بك شىء يا معلم ·

المعلم : (وهو ما زال خلف البرافان) ما هذا الكلام يا دكتور ·· ؟ أقول لك : صداع ومغص ، وتقول لى ليس بك شىء ·· ؟ يابنى اكتب لى دوا ·· الله يفتح عليك ·

الدكتور : أمرك يا معلم (يكتب) ·

المعلم : (يخرج حافظة نقوده) أنا لى يا دكتور ستة وثلاثون قرشا وأنت لك خمسون قرشا ، يكون الباقى لك أربعة عشر قرشا ها هى ·

الدكتور : يا معلم ·· هذا لا يصح ·· وهل يعقل أن آخذ منك ·· ؟

المعلم : والله والله ·· ان أم أولادى حرام على ان لم تأخذ حقك ··

الدكتور : يا معلم الناس لبعضهم ·

المعلم : نعم لبعضهم ·

الدكتور : طيب خذ نقودك ·

المعلم : لا يا دكتور الحق حق ، وأظن أيضا أنك لا ترضى أن أطلق أم حسنين ولو أنها أصبحت عجوزا (ويضحك) ·

الدكتور : (وفى عينيه بعض الدموع) أنت يا معلم حسنين يا جزار ، أرق انسان رأيته فى حياتى ·

المعلم : الله يبقيك ، هذا من ظرفك يا دكتور ٠٠ سلام عليكم ٠
الدكتور : وعليكم السلام يا معلم ٠٠ مع السلامة ٠

(يخرج المعلم)

الدكتور : (لنفسه) أيرضيك هذا أيها القدر ٠٠ ؟ أيرضيك أن يتصدق على الجزار ؟! الرجل لا يشكو شيئا ، ويجعلنى أكشف عليه ليعطينى أجرة الكشف ٠٠ راض أنت أيها القدر ؟! حسنبى الله ونعم الوكيل ٠٠ حسبى الله ونعم الوكيل ٠

(يدخل حسن)

حسن : يا دكتور ٠٠ بالخارج رجل عظيم يسأل عنك ٠
الدكتور : عظيـم ٠٠ ؟
حسن : عظيم جدا ٠
الدكتور : دعه يدخل ٠

(يدخل رجل يلبس الردنجوت ذو لحية كثة ويضع على رأسه عمـامة كبيرة)

الداخل : السلام عليكم ٠
الدكتور : وعليكم السلام ٠٠ نعم ٠
الداخل : أنا الدكتور طهستان ٠
الدكتور : أهلا وسهلا ٠٠ فرصة عظيمة يا سيد طه ٠
طهستان : أقول لك أنا الدكتور ٠
الدكتور : أهلا يا سيد طه ٠
طهستان : يعنى مصمم ٠٠ على كل حال جئت لأشكرك ٠
الدكتور : علام ٠٠ ؟
طهستان : على أنك أرسلت الى الزبائن ٠
الدكتور : هذا واجب يا سيد طه ٠
طهستان : ومن أجل هذا جئت أقدم لك خدمة ٠
الدكتور : خدمة ٠٠ ؟
طهستان : نعم خدمة ٠
الدكتور : وما هى ٠٠ ؟
طهستان : أنت ترسل الى المرضى الذين تجدهم ضعاف الشخصية يمكن للتنويم أن يؤثر فيهم ، وأنا أرسل لك المرضى الذين أجد بهم مرضا حقيقيا ، ما رأيك ٠٠ ؟
الدكتور : عظيـم ٠

طهستان : اتفقنا ٠٠ ؟

الدكتور : اتفقنا ٠٠ ولكن هناك مانعا بسيطا ، اسمه الشرف ٠

طهستان : دع الشرف اذن ينفعك ٠٠ لقد رأيت اليوم بنفسك كيف امتلأت عيادتك بزبائنى ، وحين قلت لهم : انك لست الدكتور طهستان انصرفوا جميعا ٠

الدكتور : وهل معنى تأثيرك فى المغفلين أن أتفق معك ٠٠ ؟

طهستان : أنت تتفق مع سمسـار ، تقـابل منـافع يا دكتـور ٠٠ أى عيب فى هذا ٠٠ ؟ أنت تخدمنى وأنا أخدمك ، والناس لبعضهم ٠

الدكتور : تقول لبعضهم ٠٠ ؟ صحيح ٠٠ ولكنك للأسف أنت دجال ٠

طهستان : لا ٠٠ دجال هذه لم أعرفها ، ولكننى أعرف أننى أملك العمارة التى أسكن بهـا ، وأنت لا تستطيع أن تدفع أجـرة الشقة التى تسكنها ٠

الدكتور : وهل يغير هذا من الحقيقة ٠٠ ؟

طهستان : الحقيقة هى ما تملك ٠

الدكتور : الحقيقة هى الواقع ٠

طهستان : والواقع أننى غنى وأنت فقير ٠

الدكتور : والواقع أننى دكتور وأنت دجال ٠

طهستان : تعال نخرج معا ٠

الدكتور : الى أين ٠٠ ؟

طهستان : الى أى مكان يعجبك ٠٠ الى الشارع ٠٠ الى القهوة ٠

الدكتور : وما السبب ٠٠ ؟

طهستان : لترى الحقيقة ٠٠ لتعرف الواقع ٠٠ ان النبى يقول : ألسنة الخلق أقلام الحق ٠

الدكتور : ان النبى يتكلم عن ألسنة الخلق البريئة من النفاق ، البعيدة عن التزلف ٠٠ مهما يمدحك الناس أمامك ، فانهم حين تنصرف عنهم سيقولون : دجال ، أما أنا فمهما قالوا عن فقرى فلن يستطيعوا الا أن يقولوا من ورائى وأمامى ، اننى دكتور تعلمت ، واجتهـدت ووصلت ٠

طهستان : (يضحك ضحكة ساخرة عالية) وصلت الى أين يا دكتور ٠٠ ؟ الى أين وصلت ٠٠؟ الى عيادة فى مكان كهذا ٠٠؟ خالية الا منك ٠٠؟ وصلت يا دكتور ٠٠ ؟ (يضحك) ٠٠ اللهم لا تجعل أحدا يصل

الى ما وصلت اليه يا دكتور ٠٠ أنت وصلت ؟ فمن اذن الذى لم يصل ٠٠ ؟ اسمع كلامى يا دكتور ٠٠ الغنى ٠٠ الشهرة ٠

الدكتور : (فى شبه تخاذل) الغنى ٠ الشهرة ٠

طهستان : انها خدمة أريد أن أؤديها لك ٠

الدكتور : وماذا تريد منى ٠٠ ؟

طهستان : لقد قلت لك ٠

الدكتور : ماذا تفعل اذا أرسلت أنت الزبائن ولم أرسلهم أنا ٠٠ ؟

طهستان : يكون الدجال وفى بوعده ، ويكون الشريف أخلف ٠

الدكتور : وما دخل الشرف ، وكلانا يسرق ٠٠ ؟

طهستان : نسرق ٠٠ ؟ نحن نسرق ٠٠ ؟

الدكتور : طبعا ٠٠ اننا أكثر من لصوص ٠٠ اللص يسرق المال أما نحن فنسرق الثقة ٠٠ نسرق اعتقاد الناس فينا ٠

طهستان : ولماذا ٠٠ ؟ أنت دكتور ، وأنا أرسل لك مرضى ٠

الدكتور : هذا صحيح ٠٠ ولكن هل أنا دكتور ماهر أو لا ٠٠ ؟ هل تعرف هـذا ٠٠ ؟

طهستان : على كل حال أنت دكتور ٠٠ فثقة الناس فى محلها ٠٠ أنا لا أرسلهم الى محام أو مهندس ٠٠ الى دكتور ٠٠

الدكتور : عظيم ٠٠ وأنا ٠٠ ؟

طهستان : دكتـــور ٠

الدكتور : أعرف ، ولكن ما موقفى أنا حين أرسل الناس اليك ٠٠ ؟

طهستان : (تظهر عليه الحيرة) أنت ٠٠ أنت ترسلهم الى منوم مشهور يا أخى ٠

الدكتور : على كل حال يا أخى طه ، أنا أشكرك لنيتك الطيبة ، ولكنى لا أستطيع ٠

طهستان : الغنى ٠٠ الشهرة ٠

الدكتور : أنت لا تعرف كم أنا محتاج لهذا الغنى ، ولكنى لا أستطيع ٠

طهستان : أنت حر ٠٠ سلام عليكم ٠

الدكتور : وعليكم السلام ٠

(يخرج ويدخل حسن)

حسن : يا دكتور ٠

الدكتور : خيرا يا حسن ٠

حسن : ومن أين الخير .. ؟ والله لو كان عندى ما تأخرت يا دكتور .
الدكتور : ما هو .. ؟
حسن : الزبون .. أقصد الخير .
الدكتور : ماذا تريد اذن .. ؟
حسن : خطيبتك يا دكتور .
الدكتور : خطيبتى .. ؟
حسن : خطيبتك .
الدكتور : دعها تدخل .
حسن : تفضلى يا ست هانم .

(تدخل تحية وقد بدا عليها التجهم)

الدكتور : أهلا تحية .
تحية : أهلا ابراهيم .
الدكتور : مالك يا تحية .. ؟
تحية : لا شيء .. ولكننى كنت أستمع الى حديث طويل .
الدكتور : عن .. ؟
تحية : عنك .
الدكتور : عنى أنا .. ؟
تحية : ليس عنك أنت بالذات .. عن الانسان عموما .
الدكتور : أهذا كل ما كان .. ؟
تحية : (فى استخفاف) نعم .. ونقاش آخر مع صديقة .
الدكتور : وماذا قالت .. ؟
تحية : كلام بنات .. ماذا تنتظر من بنتين تتكلمان .. ؟
الدكتور : أكاد أفهم .
تحية : ماذا ؟
الدكتور : موضوع الكلام .
تحية : يا أخى اترك هذا .. ماذا عملت أنت .. ؟
الدكتور : فيـم .. ؟
تحية : ماذا عملت بعد خروجك أمس .. ؟ لاحظت أنك كنت زعلان ..
الدكتور : زعلان ؟ .. لا .. أبدا .
تحية : لا .. قل الحق ..
الدكتور : والله يا تحية أنا فعلا كنت زعلان ، وما زلت .
تحية : خيرا .. جرى شيء .. ؟
الدكتور : وماذا يمكن أن يجرى أكثر من هذا .. ؟
تحية : وما هو هذا .. ؟

الدكتور : سنتان الآن ، وأنا خاطبك ، وأنت تنتظرين حتى أجمع المهر ٠٠ ماذا سنفعل ٠٠ ؟

تحية : أنا شخصيا لا مانع عندى أن أنتظر ٠٠ ولكن أنت يجب أن تعمل ٠

الدكتور : المسألة ليست مسألة مهر فقط ، وانما مسألة حياتنا بعد الزواج ؟ كيف سنعيش ٠٠ ؟

تحية : الحمد لله ٠٠ أبى غنى وأعتقد أنه يستطيع ٠٠٠

الدكتور : أن يساعدنا ٠٠ ؟

تحية : وما البأس ٠٠ ؟

الدكتور : الله ٠٠ الله ٠٠ أنا أعيش عالة على والدك ٠٠ ؟ أترضين هذا يا تحية ٠٠ ؟

تحية : وماذا بيدنا يا ابراهيم ٠٠ ؟

الدكتور : بيدنا أن نقنع أباك بمسألة ٠٠

تحية : الوظيفة ٠٠ ؟

الدكتور : نعم ٠

تحية : لا تتعب نفسك ٠٠ هذه مسألة أساسية ٠

الدكتور : يا عالم ٠٠ يا ناس ٠٠ طبيب يريد أن يعمل فى قصر العينى طبيبا ٠٠ هل هذا عيب ٠٠ ؟ هل هذا يضر بالشرف ٠٠ ؟ هل هذا يسىء الى السمعة ؟ ٠٠ هناك بحث عظيم أقوم به بم أكون كسبت الشهرة ٠

تحية : أنت تعرف أنه يكره الوظيفة ويكره سيرتها ٠

الدكتور : ولكنى أكره الفقر أيضا ، وأكره سيرته ٠٠ ماذا يمكننى أن أفعل ٠٠؟ حالة العيادة تزيدنى ارتباكا٠٠أنا أخسر فيها ولا أكسب، حرام أن أتركك أكثر من هذا ٠٠ أنا موقفى حرج جدا ٠

تحية : لابد لنا أن نتغلب على كل شىء ٠

الدكتور : نعم ولكن ٠٠ كيف ٠٠ ؟

تحية : سوف يأتى الصبح بعد الليل ٠

الدكتور : لابد أن تتحرك الأرض حتى يأتى الصبح ٠

تحية : لا يمكن أن نصل الى ما نأمل ونحن هادئون مستريحون بغير سعى ٠٠ اعمل ٠

الدكتور : أين ٠٠ ؟ كيف ٠٠ ؟

تحية : أنت سلبى خالص يا ابراهيم ٠

الدكتور : من أين يأتيني العمل ‥ ؟ اسمعي يا تحية ‥ أنا لا يمكن أن أرضى لنفسي هذا ٠

تحية : ماذا ‥ ؟

الدكتور : أن أحطم حياة الانسان الوحيد الذى أحبه ‥ لا يمكن أن أحطم حياتك ‥ لا أستطيع أن أغشك ‥ لا أمل مطلقا ‥ لا أمل ‥ ولا معنى أبدا أن تنتظرى انسانا فاشلا لا يستطيع أن يتحرر من فشله ‥ لا يمكن ٠

تحية : أحس فى كلامك شيئا غريبا ٠

الدكتور : اسمعي يا تحية ‥ يجب أن تعرفي أنه لا أمل من زواجنا وأنا على هذا الحال ‥

تحية : انك بكلامك هذا تفسخ الخطوبة ٠

الدكتور : اننى بكلامي هذا أنقذ مستقبلك ، أخاف أن يطول بنا الطريق الى الزواج وأنت لم ترتكبى جرما حتى أجنى عليك أنت أيضا ، ان القدر وأباك يتعاونان على فشلى ٠

تحية : لا يا دكتور ‥ هذا الكلام له معنى آخر ، وقد فهمته ، انك تفسخ الخطبة واننى أقبل ٠

الدكتور : لا ‥ أنا لم أفسخها بعد ‥ ولكننى سأحاول ٠

تحية : اذن فأنا أفسخها يا دكتور ‥ (تخرج) ٠

الدكتور : (مطرقا) أيها القدر ، أيها القدر العنيد ، أين أنت ‥ ؟

(يدخل شخص من جدار الغرفة ويقف صامتا)

أين أنت لأنتقم منك ، أو لأسأل على الأقل لماذا تعاملنى أنا دون سائر الناس هذه المعاملة الشائنة العنيفة ‥ ؟ أيها القدر (يرفع رأسه) من ‥ ؟ من أنت ‥ ؟

الشخص : أنا القدر ٠

الدكتور : أتهزأ بى ‥ ؟

الشخص : بل هذه الحقيقة ٠

الدكتور : فهل القدر انسان ‥ ؟

القدر : كان لابد لى أن أتخذ هذا المظهر حتى ترانى ولا تخاف ٠

الدكتور : فماذا تريد ‥ ؟

القدر : أنا ‥ لا أريد شيئا ‥ انه أنت الذى تريد ٠

الدكتور : أنـا ‥ ؟

القدر : نعم .. ألم تقل أين أنت أيها القدر .. ؟ لقد كنت شفوقا بك لدرجة أننى ظهرت لك بمجرد طلبك لى .

الدكتور : فأنت تعلم اذن ما أردتك بشأنه ..

القدر : انك تريد أن تنتقم منى ، وهذا ما لا يمكن أن تفعله .. ثم أنت تنازلت قليلا فأردت أن ترانى حتى تعرف لماذا .. ؟

الدكتور : نعم .. ! لماذا .. ؟ لماذا تفعل بى كل هذا .. ؟ ولماذا اخترتنى دون سائر الأطباء .. ؟ دون سائر الآدميين حتى تجعلنى فى مثل هذه الحال .. ؟

القدر : انه أنت .. الضعيف الخامل .

الدكتور : أنا خامل .. ؟ ألم أكن الأول فى كل سنين الانتقال فى كلية الطب .. ؟ ألم تكن أنت من أمرضنى فى امتحان السنة النهائية فنجحت بصعوبة .. ؟

القدر : وماذا كان مرضك .. ؟

الدكتور : (فى تردد) ضعف أعصاب .

القدر : (ساخرا) بمعنى آخر تخاذل .. خوف .. ضعف شخصية .

الدكتور : ألم تكن أنت وحدك من جعل أبى فقيرا .. لم يستطع أن يمدنى بالمـــال .. ؟

القدر : ان فقر أبيك شىء تسأل عنه أجدادك حين تنشطوا فى انجاب الذرية واستناموا فى توال الرزق .

الدكتور : ومن سواك الذى جعل أبا خطيبتى يخرج من الحكومة ساخطا عليها . فهو يأبى أن أدخلها .. وجعل توظفى فى الحكومة معناه فسخا لخطبتى .. ؟

القدر : (ساخرا) كلاكما أحمق .. هو أحمق فى تصرفه ، وأنت أحمق لأنك قبلت هذا التصرف .

الدكتور : (فى استخذاء) وماذا ترى الآن .. ؟

القدر : انك وحدك الذى تستطيع أن تنقذ نفسك .

الدكتور : كيف .. ؟

القدر : انظر فى أمر نفسك .. حدد العراقيل التى تقف فى سبيلك .. واعمل .

الدكتور : ماذا أعمل ‥ ؟

القدر : اعمل لنجاح نفسك .

الدكتور : خطيبتى ‥ أبوها .

القدر : (يبتسم) .

الدكتور : أعمل فى الحكومة ‥؟

القدر : (يبتسم فى رضا) .

الدكتور : البحث الذى بدأته ‥ انقاذ الآلاف من الأمراض ‥ الشهرة العلمية .

القدر : لا تكثر من الكلام ولكن اعمل .

الدكتور : آمال الشباب ‥ أحلام المستقبل .

القدر : (راضيا وهو يختفى فى الجدار) حققها ‥ واعمل .

ســــــتار

● الفصل الثانى

« غرفة الجلوس فى بيت تحية ·· وحمدي بك ابو تحية جالس الى نجيب صديقه الموظف »

نجيب : والله يا حمدى بك اشتقت لك جدا فقلت أزورك ·

حمدى : متشكر جدا يا نجيب بك ·· هيه ، وما أخبار المصلحة ·· ؟

نجيب : يا سيدى من يوم ما تركتها أصبحت مفسدة ·· أصبحت مصلحة شخصية ·· أصبحت عزبة ·

حمدى : أعرف ·· أعرف يا نجيب بك ·· وهل يمكن أن تقول غير هذا ؟! ·· انما أنا أسألك عن أخبارها فعلا ·

نجيب : والله كما تعرف ·· المدير الجديد غاضب دائما ولا أحد يكلمه ولا يكلم هو أحدا ··· والمصلحة ماشية أو واقفة ·· ولكن فى صمت على الحالين ·

حمدى : وما لزوم الكلام يا أخى ؟

نجيب : نتفاهم ·· نعرف ما يعجبه وما لا يعجبه ·· تفاهم يا سعادة البك ·· تفاهم ·

حمدى : الحمد لله ياسى نجيب ، تركنا الحكومة بكل ما فيها من دس ومن وقيعة ، وبكل ما فيها أيضا من حقارة ·

نجيب : حقارة يا حمدى بك !

حمدى : ماذا هل الكلمة غريبة عليك ·· ؟ نعم حقارة ، وهل نفاق الموظفين الا حقارة ·· ؟

نجيب : ولكننى لا أنافق يا حمدى بك ·

حمدى : سبحان الله وهل قلت لك انك تنافق ، كلهم ينافقون الوزير ان جاء ·· فان لم يكن الوزير فهم ينافقون وكيل الوزارة ·· فان لم ،

فهم يتعلقون بأسباب السكرتير أو الحاجب ·· نفاق ·· لم أعرف كيف أنافق فخرجت ··

نجيب : الواقع يا حمدى بك أن خروجك كان صلابة رأى منك فقط ·

حمدى : يا أخى هل عيب أن أحافظ على رأيى ·· ؟

نجيب : لم تكن المسألة محافظة على رأى وانما كان عنادا ·

حمدى : أى عناد ·· ؟

نجيب : صممت أن تكون أمور المصلحة فى يدك ولم ترض أن يرى وكيل الوزارة منها شيئا ، وأعتقد أن له عليك حق الاشراف ·

حمدى : الاشراف غير التدخل فى الشئون ·· فى شئون المصلحة نفسها ·

نجيب : نهايته ، لقد تركت الحكومة واسترحت من الوزير والوكيل والجميع ·

حمدى : ان شاء الله لن أكون فى الحكومة مرة أخرى ، أو فى أى عمل يتصل بها ·

نجيب : أحسنت ·

حمدى : انما عملت أكثر من هذا ·

نجيب : أكثر من هذا ·· ؟

حمدى : نعم لقد حرمت زوج ابنتى من التوظف بالحكومة ·

نجيب : وما مهنته ·· ؟

حمدى : دكتور ·

نجيب : ألم يشتغل بقصر العينى ·· ؟

حمدى : ولا هذا ·· لقد رفضت أن يتصل بالحكومة مطلقا ·

نجيب : وهل قبل ·· ؟

حمدى : طبعا قبل ·

نجيب : والنتيجة ·· ؟

حمدى : النتيجة أنه دكتور صاحب عيادة عظيمة ·

نجيب : عظيمة ·· !!

حمدى : (مترددا) عظيمة ·· نعم ·· الى حد ما ·

(تدخل زوجة حمدى بك اجلال هانم)

اجلال : حمدى ·

حمدى : خيرا يا اجلال ·· ؟

اجلال : أنا خارجة أزور عليه هانم ·

حمدى : وما المناسبة ·· ؟

اجلال : من غير مناسبة ٠٠ زيارة عادية ٠

حمدى : ما دام لا مناسبة فلا لزوم للزيارة ٠

اجلال : ما معنى هذا ٠٠ ؟

حمدى : معناه ابقى معى ٠

اجلال : اذن ٠

نجيب : (مقاطعا) تأذن لى أنصرف يا حمدى بك ٠٠ ؟

حمدى : لماذا يا أخى ٠٠ ؟

نجيب : والله عندى ميعاد ٠٠ لا مؤاخذة ٠

حمدى : أمرك يا سيدى ٠٠ مع السلامة ٠

اجلال : شرفت يا نجيب بك ٠٠ مع السلامة ٠

(يخرج نجيب)

اجلال : مالك يا حمــدى ؟ كلما أحببت زيارة واحــده من صـــاحباتى منعتنى ٠٠ ؟

حمدى : يا ستى أنا حر ٠

اجلال : حر ٠٠ ؟ نعم ٠٠ ولكنك غير منطقى ٠٠ ما معنى الحصار الذى تضربه على فى حين تترك تحية تخرج كما تريد وتدخل كما تشاء ٠٠ ألا تلاحظ أن هذا شذوذ غير مقبول ٠٠ ؟

حمدى : تحية أصبحت مسئولة من غيرى ٠

اجلال : من غيرك ٠٠ ؟ من غيرك هذا ٠٠ ؟

حمدى : من خطيبها ٠٠

اجلال : أهذا كلام ٠٠ ؟

حمدى : طبعا كلام ٠

اجلال : يا سعادة البك الأب مسئول عن ابنته ما دامت فى بيته ٠

حمدى : لا يا ستى ٠٠ أنا رأيى غير رأيك ، ما دام خطيبها رجل صالح ولن يتركها فهو مسئول عنها منذ اليوم ٠

اجلال : ومن أين عرفت أنه لن يتركها ٠٠ ؟

حمدى : قرأت معه الفاتحة ٠

اجلال : يا سلام يا حمدى ٠٠ أنت طيب جدا ٠

حمدى : لا يا هانم أنا فاهم جدا ٠

اجلال : أنت فاهم ٠٠ ؟

حمدى : جــــدا ٠

اجلال : فهل فهمت أن تحية رجعت من الخارج غاضبة ، وأنها تريد أن

تفسخ الخطبة ٠٠ ؟

حمدى : (مندهشا) ماذا ٠٠ ؟ تفسخ ماذا ٠٠ ؟

اجلال : الخطبة ٠

حمدى : متى ٠٠ ؟ كيف ٠٠ ؟ لماذا ٠٠ ؟ أين ٠٠ ؟

اجلال : اثبت يا رجل ٠

حمدى : تفعل بى هذا ؟ أنا حمدى العباسى ٠٠ أنا الذى ركلت الحكومة برجلى ، ابنتى تفعل بى هـــذا ٠٠ ؟ ماذا يقول الناس ٠٠ ؟ ماذا أفعل ٠٠ ؟

اجلال : صبرك يا حمدى ، الأمور لا تؤخذ هكذا ٠

حمدى : دبرينى يا اجلال ٠٠ ماذا أعمل ٠٠ ؟

اجلال : هدىء روعك ٠٠ وانتظر حتى تكلمك فى الموضوع ٠

حمدى : وهل تنوى أن تكلمنى ٠٠ ؟

اجلال : لقد طلبت منى أن أكلمك ولكنى رفضت ٠

حمدى : لمـــاذا ٠٠ ؟

اجلال : لعلها تهدأ وتسكت ، ولهذا طلبت أن أخرج حتى لا تلح على ٠

حمدى : ولكن لماذا ٠٠ ؟ ألم تقل السبب ٠٠ ؟

اجلال : والله يا حمدى لم أسألها ٠

حمدى : لم تسأليها ٠٠ ؟ لماذا لم تسأليها ٠٠ ؟

اجلال : لأنى أعرف السبب ٠٠ أعرفه تماما ٠

حمدى : وهو ٠٠ ؟

(يدخل ابراهيم ويظهر القدر من خلفه ، يلاحظ ان احدا لا يرى القدر الا ابراهيم) ٠

ابراهيم : مساء الخير يا عمى ٠٠ مساء الخير يا هانم ٠

حمدى : مساء الخير يابنى ٠٠ خيرا يا ابراهيم ٠٠ ؟

ابراهيم : خيرا يا عمى (مرتبكا) ٠

حمدى : (مرتبكا) خيرا يابنى ٠

ابراهيم : (مرتبكا) خيرا يا عمى ٠

حمدى : أهلا وسهلا (يحاول أن يخفى ارتباكه) ٠

ابراهيم : أهلا بك يا عمى ٠

حمدى : من أين ٠٠ ؟

ابراهيم : من العيادة ٠

حمدى : وكيف الحال ٠٠ ؟

ابراهيم : الحمد لله ٠

حمدى : الحمد لله .
ابراهيم : الذى لا يحمد على مكروه سواه .
حمدى : ماذا .. ؟
ابراهيم : أقول يا عمى الحمد لله الذى لا يحمد على مكروه سواه .
حمدى : أى مكروه يابنى كفى الله الشر .. ؟
ابراهيم : وهل بعد هذا مكروه .. ؟
حمدى : أفهمنى يابنى أنا لا أفهم .

(تدخل تحية)

تحية : أنا أفهمك يا أبى .
حمدى : أفهمى .
تحية : لقد كنت عند ابراهيم فى العيادة واتفقنا على فسخ الخطبة . ؟
حمدى : هو لعب عيال .. ؟ تفسخين الخطبة من غير علمى .. ؟
تحية : هذا ما حصل .
حمدى : طيب أفهمينى .. ما السبب .. ؟
تحية : من غير سبب .
حمدى : ماذا عملت يا ابراهيم .. ؟
ابراهيم : أنا يا عمى لم أفعل شيئا .
حمدى : كيف .. ؟
ابراهيم : انه أنت يا عمى الذى عمل .. ، انه أنت بيديك الذى فسخت خطبتنا .
حمدى : أنا .. ؟ أنا .. ؟ ماذا عملت .. ؟
ابراهيم : انه أنت (يتخاذل) .
القدر : تشجع .. قل .. انطق .
ابراهيم : نعم يا حمـدى بك .. انه أنت الذى فسخ خطبتنا .. أنا لا أستطيع الاستمرار على هذه الحال .
حمدى : أى حال .. ؟ أفهمنى يا أخى .. ما هذه الألغاز (فى عنف) انطق .
ابراهيم : العيادة (مترددا) العيادة .
حمدى : هه .. ؟ مالها العيادة .. ؟
القدر : يا أخى انطق .. قل .. مالها العيادة .. ؟
ابراهيم : العيادة لا تأتى بايجارها .

القدر : أكمل ·· وماذا أيضا ·· ؟

ابراهيم : نعم لا تأتي بايجارها ولا تفي بحاجتي الشخصية و ·· و ··

القدر : أكمل ·· أكمل ··

ابراهيم : نعم ·· وبطبيعة الحال لا يمكن أن أجمع منها المهر ·

حمدى : عظيم ·· ما شأني أنا بهذا جميعه ·· ؟

ابراهيم : (مرتبكا) ما شأنك ·· ؟ ما شأنك ·· ؟

القدر : مالك ارتبكت ·· انطق ·· شأن من اذن ان لم يكن شأنه ·· ؟

ابراهيم : نعم ·· شأن من اذن ان لم يكن شأنك ·· ؟

حمدى : شأني أنا ·· ؟

اجلال : ألم تفهم يا حمدى ·· ؟

ابراهيم : يا عمى ·· لابد أن أصرح لك ·· يا عمى ·

القدر : انطق ·

ابراهيم : لابد أن أعمل في الحكومة ·

حمدى : آه ·· الآن فهمت ·· مؤامرة مدبرة من خلفى ·· أنت وتحية ·· بل واجلال أيضا ·

تحية : لا يا أبي ·

حمدى : (ثائرا) أى لا ·· ؟ لقد دبرتم المؤامرة ولكن ·· هيهات أن تنجح ·· أسمعتم ؟ هيهات أن تنجح مؤامرتكم ··

اجلال : يا حمدى ·· المسألة مستقبل بنتنا ·

حمدى : تماما ، مستقبل بنتنا ، ولهذا لا أريد أن أهدمه ·· موظف حكومة ·· يعنى عبد ·· أنا لا أزوج ابنتي من عبد ·

اجلال : لا تنس يا حمدى أنك بقيت عشرين سنة موظفا بالحكومة ·

حمدى : نعم بقيت عشرين سنة عبدا ·· لقد خرجت من الحكومة فتلقفتني الشركات ، تركت مرتب مائة جنيه لأكسب خمسمائة جنيه في الشهر الواحد ·

اجلال : ولكن ابراهيم لا يستطيع أن يكسب هذه المبالغ ، فماذا يعمل ··؟

حمدى : يعمل ما يعجبه ، لا شأن لى بهذا ·· أنا أزوج ابنتي لرجل لا يعرف المكان الذى يستقر به ! هو اليوم في أسيوط ، يصبح غدا في أسوان ، وبعد غد في الاسكندرية ·· لا يا سيدى ، ابنتي لابد أن تبقى بجانبي ·· ابنتي الوحيدة يا أخى ·

اجلال : هذا هو السبب ·· ؟

حمدى : لا يا ستى ·· من قال ؟ من قال ان هذا هو السبب ·· ؟ هناك الف سبب وسبب ·· أنا أزوج بنتى من رجل محكوم عليه بالنفاق والكذب والتضليل ! أنا أزوج ابنتى من رجل لا يعف مصير نفسه ·· لا يا ستى ·· لا يمكن ·

ابراهيم : يا عمى المسألة ليست بهذه الخطورة ·· أنا سأعمل فى الحكومة مدة سنة واحدة ثم أستقيل ·

حمدى : قديمة يا حبيبى ، سنة تجر سنة ، وتبقى فى الحكومة ، أنا عارف حلاوتها يا سيدى ، مرتب بلا عمل ·· اللهم الا النفاق ، والتزلف، والترامى على أعتاب المدير والوزراء ·

ابراهيم : اذن تصرف يا عمى ·· أرشدنى ماذا أعمل ·· ؟

حمدى : أنت دكتور ، طبيب ، صاحب مهنة ، بل لعلك صاحب اشرف مهنة عرفها التاريخ ، تريد أن تقتل مهنتك ··؟ تقضى على علمك ··؟

ابراهيم : يا سيدى ان بقائى فى عيادتى هو القضاء على مهنتى وعلى علمى ·· بل هو القضاء على مستقبلى ·

اجلال : يا حمدى غير معقول ·· ان تمسكك برأيك يقضى على مستقبل اثنين ، أحدهما بنتك ·· بنتى ·

حمدى : لا يا هانم ·· القضاء على مستقبلها ، يكون بزواجها من موظف حكومة ·· لن يكون هذا ·· لن يكون هذا أبدا ·

(يدخل مجدى)

مجدى : السلام عليكم ·

أصوات : السلام ·

مجدى : خيرا يا جماعة ·· مالكم ·· ؟

ابراهيم : (غير ملتفت لمجدى) يا عمى ان منعى من التوظف ·· ان منعى من التوظف ··

القدر : انطق ·

حمدى : ليكن ما يكون ·· أنا يا أخى لا أمنعك من التوظف ·· ولكننى أمنع زوج ابنتى من التوظف ·· أنا يا أخى لا أزوج بنتى من موظف ولو ظلت بلا زواج ·

مجدى : (مندهشا) بلا زواج !

ابراهيم : اذن يا عمى ·

القدر : انطق ٠

ابراهيم : اذن يا عمى أنا مضطر لأن أخبرك أننى سأتوظف بالحكومة مهما كانت الموانع ٠٠ سلام عليكم (يخرج ويخرج القدر من خلفه) ٠

حمدى : أنت حر ٠

(ترتمى تحية على الكرسى باكية)

حمدى : ابكى ما شئت ، لن أغير رأيى من أجل خاطرك ٠٠ هه ٠٠ (يترك مكانه) عندما تفرغين دموعك قابلينى ٠٠ أنا فى حجرتى (يترك المسرح) ٠

اجلال : ظلمت البنت يا حمدى ٠٠ حسبنا الله ونعم الوكيل (تخرج) ٠

(لا يبقى بالمسرح غير مجدى وتحية)

مجدى : تحية ، اعقلى ٠٠ البكاء لا يفيد شيئا ٠

تحية : ماذا أعمل ٠٠ ؟ ماذا أعمل ٠٠ ؟

مجدى : اعملى أى شىء الا البكاء ٠٠ فلا أعتقد مطلقا أن دموعك ستفيد -

تحية : يا أخى يا مجدى اتركنى بعض الوقت ٠

مجدى : أنا مستعد أتركك كل الوقت ، لكن ما الفائدة ٠٠ ؟

تحية : (تبكى) ٠

مجدى : عظيم ٠٠ ابكى ٠٠ ابكى كما تشائين ، ولكن أنا سأذكر لك نظرية علمية استنتجتها أنا بالاستقراء ٠

تحية : (تبكى) ٠

مجدى : ألا تسألين عن هذه النظرية ٠٠ ؟

تحية : يا أخى ٠٠ أرجوك ٠٠

مجدى : أقولها لك من غير سؤال ٠٠ ثبت فعلا من الاحصاءات والاستقراءات التى قمت بها أنا شخصيا ٠٠ أنا الأستاذ مجدى رفعت المحامى الشهير ٠٠ شهير جدا والله ٠٠ ألم تقرئى الصحف اليوم ٠٠ لا ٠٠ أنت متأخرة جدا ٠

تحية : أرجوك يا مجدى ٠٠ أرجوك يا أخى ٠

مجدى : طيب ٠٠ أسكت ٠٠ (يسكت قليلا) ٠٠ لكن كيف أسكت قبل أن أذكر لك النتيجة العلمية التى وصلت اليها ؟ ٠٠ ثبت يا سيدتى من كل ما تقدم أن البكاء عديم الفائدة فى ارجاع ما يبكى عليه ٠٠ فلو أن انسانا وقع على الأرض فجرح فبكى بدلا من آن يذهب الى

الحكيم لتقيح الجرح رغم هذا البكاء ·· ومهما قلنا عن هذا الجرح انه قليل الأدب لا يرحم دموع العذارى أو غير العذارى ·· حتى ولو كان هذا الباكى رجلا عظيما نابغة ·· ومهما قلنا عن هذا الجرح انه قليل الذوق ، فان هذا جميعه لا يمنعه من التقيح كما قدمت ·· واذا ترك لشأنه بعد ذلك لازداد سوءا على سوء ·· ولن يوقف هذه الحالة الا أن يذهب صاحبه الى الدكتور ·· ؟

تحية : ألا ترى يا مجدى هذا الكرب ·· ؟ ومع هذا تضحك وتهزل ·· وكأن الأمر لا يهمك فى شىء ·

مجدى : لا يهمنى أنا يا تحية ·· أنا ·· ؟ فمن يهتم بك اذن اذا لم أهتم أنا ·· أنت عندى الدنيا كلها يا تحية ·

تحية : كلام ·

مجدى : بل حق والله ·· أنا لا أتكلم ، وانما هى يا تحية ومضة من اشراق يملأ نفسى أنت يا تحية كل شىء لى ·· أنت أملى ·· أملى الذى كان لى منذ كنا أطفالا نلعب فى الشارع ·· من أجلك تعلمت ومن أجلك كنت الأول فى كل مراحل تعليمى ·· ومن أجلك أرغمت المال أن يتدفق فى يدى والشهرة أن تصبح لى ·

تحية : مجدى ·· أنا آسفة ·

مجدى : (وقد صحا من خياله) آسفة ·· ؟ أنت آسفة ·· ؟ أتعلمين منذ كم سنة أريد أن أقول هذا الكلام ؟ أتذكرين يوما كنا نلعب الكرة فى الشــارع ووقعت وجــرحت واهتممت أنت بالجــرح ؟ لعلك لا تذكرين ، لأن رعاية الناس شىء فى طبيعتك ، ولعلك لا تذكرين لأنه من الطبيعى أن تهتمى بجرح ابن خالتك ولكن أنا أذكر ، ولن أنسى ·· أردت أن أقول لك يومذاك اننى سأكون أعظم انسان فى العالم من أجلك ·· وكنت أظن يومذاك أن أعظم انسان فى العالم هو الضابط ، ثم رأيتك لا تهتمين بالمظهر قدر اهتمامك بالحقيقة ·· ورأيتك عقلا مشرقا وعاطفة تشف ، فقلت هو العلم ما تريد فكنت الأول ، وكنت الأول فى الليسانس ، وخلتنى يومذاك أستطيع أن أقول لك ما قلته الآن ·· ؟ ولكننى فى طريقى اليك بعد أن عرفت النتيجة ، وبعد أن عرفت أننى الأول وبعد أن عرفت أننى سأعين معيدا فى الكلية ، فى طريقى اليك بعد أن عرفت هذا جميعه سمعت اثنين يتحادثان فاذا أحدهما يقول للآخر : وما الشهادة العالية ؟ ورقة لا قيمة لها ·· المهم هو المال ·· لم أكمل طريقى وانما عدت

الى الكلية . واعتذرت عن العمل بها ، واشتغلت بالمحاماة وانقطعت عن زيارتك الا نادرا حتى لا تكشفى ما أحاول أن أخفى ، كنت أعمل يومى كله فلا أنام ، وكنت أظل مع القضية الخاسرة حتى تصبح رابحة ٠٠ وكنت شريفا فيما أقبل من القضايا ، وحين وصلت الى المال . والى الشهرة ، وحين كنت فى طريقى اليك لأقول لك ما قلته الآن عرفت أنك خطبت ، فلم أقل ، وأصبحت أعمل لأنسى لماذا كنت أعمل قبل أن يخطبك الدكتور ٠٠ كنت حزينا أعرف أنك سبب حزنى ، وما كان لى أن أغضب منك فأنا لم أقل لك شيئا ، وكنت حاقدا على خطيبك ولكننى ساخط على حقدى ، فالرجل برىء لم يكن يعرف ما بنفسى ٠٠ ولم أعرف شعورا أقسى من الغضب على انسان تعرف أنه برىء٠٠والحقد على آخر تعلم أنه لم يسىء اليك٠٠أنت٠٠ أنت لا يحق لك أن تكونى آسفة ٠٠ اننى أنا الآسف ٠٠ والآسف دائمـــا .

تحية : مجدى ٠٠ مجدى ٠٠ ان انسانا فى العالم لا يمكن أن يقول شيئا يسبب هذه الحيرة التى أوقعتنى فيها الآن ٠٠ هل أفرح ٠٠ ؟ ولماذا لا ٠٠ ؟ فانك من أجلى قد أصبحت الأستاذ مجدى رفعت المحـامى المعروف ، والغنى الكريم ، والأديب الكبير ، ولكن من أجلى أنا أيضا أحسست بالفقر والحزن فى أسعد أوقات حياتك ، أحسست به يوم كنت الأول فى تخرجك ، وأحسست به يوم نلت الغنى ولم تستطع أن تنال يد من تحب ، وأصبحت شهيرا ولكن من تحب ٠٠ ولكن أنا ٠٠ لم ألتفت الى هذه الشهرة !

مجدى : لم يكن الغنى ما اردت ٠٠ ولم تكن الشهرة ما سعيت اليه ٠٠ انما أردتك أن تسمعى أنت عنى من غيرى ٠٠ تلك هى الشهرة التى أردتها لنفسى ٠٠ كتبت فى كل الجرائد والمجـلات لتقرئى اسمى فقرأته ولكن كنت ابنة خالتى وأنت تقرئينه ولم تكونى أبدا حبيبتى، كنت تهنئيننى على مقالاتى وكتبى وكنت تفرحين بها وبى ولعلك أيضا كنت تعتزين بها وبى ولكنك أبدا لم تحسى أنها منك أردتها أن تكون اليك فأخطأت الطريق .

تحية : (تبكى بكاء شديدا)

مجدى : (وكأنما يصحو) يا أستاذة أنا مضطر أن أذكر لك نظريتى مرة أخرى ، ثبت أن البكاء لا يفيد .

تحية : (تقاطعه بضحكة يشوبها البكاء وتقول بصوت يختلط فيه البكاء بالضحك) فهمنا يا أستاذ ٠٠ فهمنا .

مجدى : عظيم ·· وأذكر لك نظرية أخرى ·· ان فهم النظريات أمر يختلف كل الاختلاف عن تطبيقها ، ولابد لك حتى تظهرى فهمك للنظريات أن تطبقيها ·

تحية : ولكن يا سيد مجدى نظريتك هذه عليها اعتراض صغير ·

مجدى : وهو ·· ؟

تحية : ان الانسان فى أغلب الأحيان يعمل أشياء يعرف أنها لا تفيد ، بل وتضر ، ومع ذلك يعملها ·

مجدى : مثل ·· ؟

تحية : مثل هذه السيجارة التى تشعلها ·· تضر ولكنها تريح الأعصاب ، وكذلك البكاء لا يفيد ويضر ولكن يريح الأعصاب ·

مجدى : لا يا أستاذة ·· نظريتى لم تغفل هذا الاعتراض ·· البكاء عند اليأس راحة ·· ولابد منه فى هذه الأحوال ، وان نظريتى تحبذه وتوصى به ، وترغم عليه فى بعض الأحيـــان ، ولكن أين نحن من اليأس ·· ؟

تحية : هيه يا مجدى ·· وهل بعد هذا يأس ·· ؟ أما رأيت بعينك ·· أبى مصـــمم وابراهيم مصـــمم ·· وبين التصميمين يأس ·· يأس كامل ·

مجدى : اليأس لا يكون فى تصميم خطيبك أو والدك ، انما اليأس يكون فى نفسك ، وطبيعى أن تحس به الآن بعد هذه المناقشات الطويلة ، ولكن بعد دقائق نبتدى نفكر ونوجد من اليأس رجاء ·

تحية : الظاهر يا مجدى أنك متفائل جدا ·· ؟ الخطبة انفسخت يا حبيبى ·

مجدى : يا سلام ·· واذا انفسخت ألا تعود ·· ؟ انفسخت آمنا ·· ولكن من قال لك أن لا سبيل الى عودتها ·· ؟

تحية : يا سيدى واحد سيعين اليوم بالحكومة ويبقى بها على الأقل سنة ·

مجدى : ثم يعود ·

تحية : ألم أقل لك انك متفائل ·· ؟ وهل تظن أن أبى سينتظر هذه السنة ·· ان أول من يطلبنى منه سيقبله ·

مجدى : أنت تحبين ابراهيم يا تحية ·· ؟

تحية : (سارحة) أحبه ·· ؟ أحبه ·· ؟ (وكأنما أفاقت فجأة) بل أكرهه

رجل يفضل الوظيفة عني ، ويتركني ..

مجدى : آه .. انتظرى .. هو لم يفضل الوظيفة ، وانما خاف على مستقبله .

تحية : أيخاف على مستقبله ان تزوجني .. ؟

مجدى : آه من النسوان .. انت عارفة أن زواجك لا صلة له بمستقبله ان زواجك لن يأتي له بالمال .. ولابد من المال حتى يوفر لك السعادة .

تحية : ولكن الأمر كان سهلا عليه .. استطاع أن يختار في لحظة .. هو لا يحبني .

مجدى : فعدم حبك له ناتج اذن عن عدم حبه هو لك .. ؟

تحية : (تومىء برأسها له)

مجدى : فأنت تكرهينه .. ؟

تحية : (في حزم) نعـــم .

مجدى : اذن .. فأنا أخطبك .

تحية : (تتهاوى على الكرسى) مجدى .. ؟ أنت .. ؟ الآن ؟

مجدى : ولماذا لا .. ؟ قلت ان أباك سيقبل أى خاطب ، وأعتقد أننى أحسن من الغريب .. ؟ وقلت انك لا تحبين ابراهيم . وأعتقد أنك تستطيعين أن تحبيني .. ؟

تحية : اسمع يا مجدى .. أنا أعرف منذ سنوات أنك تحبني ، ان كلامك الذى لم تقله سمعته أنا من عينيك ، لم أسمعه كله ، ولكن سمعت بعضا منه ، ولكنى أقفلت عينى وأذنى لأننى أحببتك أخا ولم أرد أن أفقد هذه الأخوة بالزواج .. أريدك يا مجدى أخى فأنا لا أخ لى .

مجدى : (ساخرا) ولكنك لا زوج لك أيضا .. فلماذا لا تقبليننى زوجا وأخـــا .. ؟

تحية : انه لا يمكن للأخ أن يصبح زوجا .

مجدى : ليس هناك حب أخوى يمنع الحب الزوجى .

تحية : المسألة .. المسألة ..

مجدى : المسألة أنه لا يمكن للقلب أن يشغل بأكثر من واحد .

تحية : ماذا تعنى .. ؟

مجدى : أعنى أنك تحبين ابراهيم .

تحية : (فى تخاذل) نعم .. أحبه .

مجدى : (مقلدا صوتها) نعم ٠٠ أعرف ٠
تحية : والنتيجة ؟
مجدى : اقبلى خطبتى ٠
تحية : ماذا ٠٠ ؟
مجدى : اقبلى خطبتى ٠
تحية : هل جننت ٠٠ ؟

مجدى : جائز ٠٠ قد أكون مجنونا فى بعض الأحيان ٠٠ ولكننى الآن — على ما أعتقد — أعقل مخلوق على وجه البسيطة والمركبة أيضا ٠
تحية : لا أفهم ٠

مجدى : أنت تحبين ابراهيم ، وابراهيم محجوز لمدة سنة فى وظيفة ، وأبوك لا يزوجك من موظف ، وأبوك سيزوجك من أول خاطب ، وأنت خائفة أن يأتى الخاطب فى بحر السنة ، ويضيع ابراهيم الى الأبـد ٠

تحية : وأين الجديد فى هذا ٠٠ ؟
مجدى : أنـا ٠
تحية : أنت ماذا ٠٠ ؟
مجدى : أخطبك ٠
تحية : تخطبنى ٠٠ ؟
مجدى : أخطبك لمدة سنة ٠
تحية : (فرحة مندهشة) مجدى ٠
مجدى : وما البأس ٠٠ أولا أنا فقدت الأمل فى حبك غير الأخوى ، وأنا أحب أن أكون معك دائما ، أخطبك سنة أبقى معك فيها ، أطول وقت ممكن وبعد السنة أعيدك الى الأستاذ ابراهيم ٠
تحية : ولكن ٠٠ هذا الوضع ٠٠ ؟ ألا يؤلمك ٠٠ ؟
مجدى : بالعكس ٠٠ فمسألة التضحية من أجل الحبيب هذه مسألة يظهر عليها أنها مريحة فعلا ، وطالما كنت أحلم أن أراك فى مصيبة مصيبة كبيرة وأتقدم فأنقذك منها ٠٠ ثم أموت ٠٠ وها هى أحلامى تتحقق ، وان كانت المصيبة صغيرة ، وان كنت أنا لن أموت ، ولكن لا بأس ٠
تحية : مجدى ٠٠ ؟ أنت ٠٠
مجدى : أنبل مخلوق فى العالم ٠٠ عارف ، ولكن اعلمى يا حبيبتى ٠٠ يا خطيبتى ٠٠ أن أى انسان فى العالم لا يقدم الجميل الا وينتظر

من ورائه خيرا لنفسه ، واقل هذا الخير انه يحس بالسرور وهو يقدم هذا الجميل .. وأنا أحس بهـذا السرور . وهكذا ترى أن المسألة لا نبل فيها ولا كرم أخلاق ، أنا أقوم بعمل أنا مبسوط منه .

تحية : مجدى .. مجدى .. أنت .. أنت ..

مجدى : خطيبك .

(تدخل الأم وتسمع هاتين الجملتين الاخيرتين)

اجلال : مجدى .. صحيح .. ؟ صحيح يا تحية .. ؟

تحية : (فى فرح غامر) صحيح .. صحيح .

اجلال : أحمدك يارب .. أحمدك يارب .

(تجلس على الكرسي وكانما تخشى السقوط من الفرح).

ســـــتار

● الفصل الثالث

« الدكتور ابراهيم فى غرفة متواضعة فيها لوازمه فقط والدكتور يقرأ فى استغراق عميق حين يفتح الباب ويدخل منه صديقه الدكتور لطفى ».

ابراهيم : هيه يا لطفى .. ؟

لطفى : يا شيخ ابعد عنى ..

ابراهيم : خـــيرا .. ؟

لطفى : ومن أين الخير .. ؟ قلت لك لا فائدة ما دام هذا الدكتور يحسدك ويأبى عليك أن تعمل .

ابراهيم : يحسدنى .. ؟

لطفى : طبعـــا .

ابراهيم : لمـــاذا .. ؟

لطفى: أما انك رجل طيب .. كيف لا يحسدك وأنت منذ دخلت المستشفى والمرضى لا يطلبون الا أنت .. ؟

ابراهيم : وما ذنبى أنا يا أخى .. ؟ قرأت كثيرا ودرست .. والمريض فى نظرى محتاج يطلب العون على الشفاء وأنا أبذل جهدى واهتمامى وأعصابى .. المريض عندى ليس عملا حكوميا أؤديه .. ليس مذكرة أوقع عليها .. لا .. انسان .. أخى .. يريدنى ..

لطفى : عظيم .. عظيم .. ولكن من يمكنه أن يصل الى عقل الدكتور أو الى قلبه ليفهمه هذا .. وليجعلك تستعمل المعمل .

ابراهيم : والله لو كان ألف دكتور فى بعض لما استطاع أن يمنعنى عن أبحاثى ..

لطفى : عظيم .. ولكن ماذا تعمل .. ؟

ابراهيم : أعمل ..
لطفى : أين .. ؟
ابراهيم : أين .. ؟ هنا .
لطفى : هنا .. ؟ وأين المعمل هنا .. ؟
ابراهيم : أصنعه .. أنشئه .
لطفى : هنا .. ؟ وكيف .. ؟
ابراهيم : لطفى .. أنت لا تعرف ضرورة هذا البحث لى .. أمل كبير متعلق بى .. لابد أن أحققه .
لطفى : أمل كبير .. ؟
ابراهيم : أمل كبير ، وتضحية كبرى تقدم الى من شخصين حبيبين لى ..
لطفى : طيب .. وماذا تعمل .. ؟
ابراهيم : أنا آخذ كم مرتبا .. ؟
لطفى : خمسة عشر جنيها .
ابراهيم : ايجار بيت جنيهان .
لطفى : عظيــم .
ابراهيم : أكل وشرب ونور أربعة جنيهات
لطفى : أربعة جنيهات .. ؟!
ابراهيم : الفول العجيب فقط لا غير .. والجنيهات التسعة أقساط لمن يصنع لى معملا هنا .
لطفى : تسعة جنيهات .. ؟
ابراهيم : قليلة .. ؟
لطفى : نبحث .
ابراهيم : نبحث .. ؟ لا وقت عندنا للبحث .. قل نفعل .
لطفى : وأين تعمله .. ؟
ابراهيم : هنا .. فى هذه الحجرة .
لطفى : وأنت .. ؟ أين تنام .. ؟
ابراهيم : والله فكرة .. أنا سـأبيع السرير ، وهـذه المكسرات .. أنا لا أحتاج لغير دكة صغيرة أنام عليها .
لطفى : البحث خطير يا ابراهيم !
ابراهيم : نعم خطير .. انقاذ أرواح من الأمراض .. لابد أن أعمل .
لطفى : كان الله فى عونك .

ابراهيم : اننى فى شهرين قطعت أكثر من نصف المرحلة .
لطفى : عظيــم .
ابراهيم : هيا بنا ننزل ..
لطفى : الى أين .. ؟
ابراهيم : شيء عجيب .. نصنع العمل .
لطفى : لا يا عم .. أنا لا أستطيع ملاحقتك .
ابراهيم : ضعيف .. خامل .
لطفى : الله .. ماذا جرى .. ؟ تشتمنى .. ؟
ابراهيم : أنا لا أشتمك ، بل أصفك .
لطفى : أكرمك الله يا أخى .. هيا ننزل .. ننزل قبل اعتذار آخر .

(يخرجان من المسرح ويبقى المسرح خاليا بعض الوقت ثم تدخل تحية ومجدى)

تحية : ابراهيم .
مجدى : ليس هنا .
تحية : ويترك الباب مفتوحا .. ؟
مجدى : وعلام يخاف .. ؟
تحية : يا أخى دائما تهذر .. ؟
مجدى : وماله .. ؟
تحية : ألا تقدر الموقف الذى نقفه
مجدى : موقف عظيم .
تحية : عظيم .. ؟
مجدى : جــدا .
تحية : أبى يريد أن يكتب الكتاب وتقول موقف عظيم .. ؟
مجدى : وما البأس يا سيدتى فى أن يكتب كتابى عليك .. ؟
تحية : لا .. مجدى .. وحياتك أنا لا احتمل الألغاز الآن .
مجدى : يا تحية .. انها ليست ألغاز ! .. انها مسائل واضحة .
تحية : واضحة .. ؟
مجدى : ابراهيم أمام الطريق الطويل .. ثم أعتقد أننى شاب لا بأس بى .
تحية : آه .. اذن بدأت ترجع فى المعروف الذى تسديه .. ؟
مجدى : وأنا .. ؟
تحية : مجدى .. أنا آسفة .. أنا مقدرة الألم الذى تحس به .. ولكن ..
مجدى : نعم .. ؟ ولكن ماذا .. ؟
تحية : أنت تعرف .
مجدى : الحب .. ؟

تحية : وماله الحب ٠٠ ؟ أليس شيئا كبيرا ٠٠ ؟ أليس جديرا بكل تضحية ٠٠ ؟

مجدى : أعتقد أنه جدير ٠٠ جدير ٠٠ أمرى الى الله ٠٠ اذن فدبرينى ٠٠ ماذا أفعل فى مسألة كتب الكتاب هذه التى ظهرت أعراضها أخيرا على المحترم أبيك ٠

تحية : تذكر أنك تتكلم عن أبى ٠

مجدى : هذا موضوع لا يحتاج الى تذكر ٠٠ أنا عارفه ٠

تحية : عظيم ٠

مجدى : جدا ٠

تحية : لست أدرى ما الذى يجعله يسرع بكتب الكتاب معك أنت مع أنه كان صبورا غاية الصبر مع ابراهيم ٠٠ ؟

مجدى : أولا ٠٠ أبوك رجل نبيل ، وكان يعرف ظروف ابراهيم كما يعرف ظروفى ٠٠ ابراهيم كان يكون نفسه وأنا تكونت ، وثانيا الست والدتك بالصدفة خالتى فهى تستطيع أن تفاتحنى فى الموضوع دون حرج ، بينما لا تستطيع مفاتحة ابراهيم ٠

تحية : يعنى يا سيدى كان لابد لك أن تتكون هكذا سريعا ، وكان حتما أن تكون ابن خالتى أنت الآخر ٠٠ ؟

مجدى : والله هذه مسألة فاتتنى أن أدبرها قبل أن أتقدم لخطبتك ٠٠ آسف ٠٠ أقصد لحجزك ٠٠

تحية : النهاية ٠٠ ماذا سنفعل ٠٠ ؟

مجدى : أنا شخصيا عاجز ٠

تحية : كذاب ٠

مجدى : ولمـــاذا ٠٠ ؟

تحية : كذاب لأنك لا تريد أن تفكر فى حل ٠٠ أنت مبسوط من هذا العارض الذى منعك من اكمال تضحيتك ٠

مجدى : مبسوط أو زعلان مسألة لا أهمية لها فى الموضوع ٠٠ المهم أن نصل الى حل ٠

تحية : لو فكرت معى لوصلنا الى حل ٠

مجدى : أقسم لك أننى أفكر ٠

تحية : على كل حال أنا أعذرك لأنك لا تستطيع أن تكون مخلصا في التفكير ٠

مجدى : ويوم فكرت في حجزك ، الم أكن مخلصا في التفكير ٠٠ ؟

تحية : كنت متأثرا بحزني و ٠٠ و ٠٠ وبأشياء أخرى ٠٠ فأومضت الفكرة في ذهنك وبدافع من الطيبة لم تستطع أن تحبسها ٠

مجدى : والآن ٠٠ ؟

تحية : والآن تفكر في روية وهدوء ، وتستبعد الفكرة التي تراها ضد مصلحتك ، وتقيم أمامها كل العوائق والعراقيل ٠

مجدى : طيب يا أختي أصبحت طبيبة علم نفس على آخر الزمن ٠

تحية : طبعا ٠٠ الحقائق المختفية تؤلم اذا ظهرت ٠

مجدى : كلام فارغ ٠٠ وشرفك كلام فارغ ٠

تحية : أنا لا أنتظر أن تقول عنه مليان ، وان كان قسمك بشرفي لا لزوم له ٠

مجدى : آسف ٠

تحية : العفو ٠

(يسمع طرق على الباب)

تحية : تفضل ٠

(يدخل رجل يحمل أسبتة فيها زجاجات فارغة وأوعية)

الرجل : أهذا بيت الدكتور ابرهيم ٠٠ ؟

تحية : نعـــم ٠

الرجل : ولكنه لم يقل انني سأجد أحدا ٠

تحية : لا بأس نحن أصدقاء ٠

الرجل : لقد أرسلني أحمل هذه الأدوات

تحية : وأين هو ٠٠ ؟

الرجل : قال انه سيأتي بعد قليل ٠

تحية : وما هذه الأدوات ٠٠ ؟

الرجل : للمعمل ٠

تحية : طيب ٠٠ ضعها هنا ٠

الرجل : (يضع الأشياء) وأنا ٠٠ ؟ أين أنتظر ٠٠ ؟

تحية : بجانب الباب سأعمل لك فنجان قهوة ٠

الرجل : شكرا ·· لا أشربها ·

تحية : (تتنهد فى ارتياح وتقول لنفسها) الحمد لله ·

(يخرج الرجل)

مجدى : معمل ·· ؟ هنا ·· ؟ فى هذه الحجرة ·· ؟

تحية : لابد أنه ينوى اقامته هنا والا ما أرسل الرجل وطلب منه أن ينتظره ·

مجدى : والله شيء يفرح ·

تحية : انقلب ·· أصبح ايجابيا ·· صمم أن ينجح ·

مجدى : وسينجح ·

تحية : الحمد لله ·

مجدى : ولكن من أين له المال ·· ؟

تحية : لابد أن أساعده بكل قوتى ·

مجدى : لا ·· حذار أن تفعلى ·· هو يريد النجاح بيده وحده لا يريد يدا أخرى تساعده ·

تحية : ولكنه يقبل مساعدتك أنت فى ادعائك خطبتى ·

مجدى : بل لم يقبلها ·· انه فقط يقدرها ·· وهو يقسم فى صميم نفسه أن يرد لى معروفى هذا ، وان كلفه الأمر حياته ·

تحية : ولكنه يعرف أنك تعمل هذا من أجلى أنا ·

مجدى : ولكنه يعرف أننى أعاونه فى أعظم أمل له ·· وقد قال لى ان الانسانية ليست جديرة بهذا الاسم ان لم يكن بين أفرادها تعاون وأخوة ، وهذا التعاون هو محور الحياة ·· فلو تعاون الناس ما خاب أحد منهم ، وما ألقوا على الحظ والقدر أخطاءهم ·

تحية : نعم ·· هذا كلام من يحمل الجميل ويقدره وينوى رده ·

(يدخل ابراهيم)

ابراهيم : أهلا ·· أهلا ·· (يدخل معه الرجل الذى جاء بالأشياء) (للرجل) وحياتك فى شارع ابراهيم باشا بعض أشياء أخرى تركتها هناك ·· أرجوك أن تؤجر عربة وتحملها الى هنا حتى نرتب المعمل معا ·

الرجل : أمرك ·

ابراهيم : خذ ·· هاك أجرة العربة ·

الرجل : السلام عليكم ·

ابراهيم : وعليك السلام .

(يخرج الرجل ويواصل ابراهيم حديثه مع تحية)

تحية : ابراهيم .. أتقيم هنا معملا .. ؟

ابراهيم : نعـــم !

تحية : هذا شيء عظيم .. لكم أحب يا ابراهيم أن أساعدك .

ابراهيم : أكثر من مساعدتك هذه .. ؟ لا .. شكرا .

مجدى : والله يا ابراهيم كنا نحب أن نحتفل بمعملك ، الا أن هناك أمرا خطـيرا .

تحية : أبى يريد أن يكتب الكتاب حالا .. يظهر أن القدر يقف فى وجهنا دائمـــا .

ابراهيم : هذا ليس اسمه القدر .. وانما اسمه أبوك .. حمـدى بك العباسى ، وليس حمدى بك القدر .

تحية : المهم .. ما العمل .. ؟

ابراهيم : نحلها ان شاء الله .

تحية : عجيبة .. أراك وكأنك تعرف أن ليس هناك عقبة تستطيع أن تقف أمامك .

ابراهيم : عقبة وحيدة ، لا يستطيع الانسان أن يتغلب عليها .

تحية : وهى .. ؟

ابراهيم : الموت .

تحية : وكل ما عدا هذا .. ؟

ابراهيم : كل ما عدا هذا من صنع الانسان ، ويستطيع الانسان أن يتغلب عليه .

تحية : تغلب اذن على كتب الكتاب .

ابراهيم : سأتغلب .

مجدى : وحدك .. ؟

ابراهيم : وحدى أو مع غيرى .. المهم أن الانسان سيتغلب .

تحية : ألا تقول ان شاء الله .. ؟

ابراهيم : سبحانه كل شيء بمشيئته ، ولكنه دائما سبحانه يترك الانسان يتصرف فى أموره ، والا لما أعد له فى الآخرة ثوابا وجزاء .

تحية : وأين المشيئة اذن .. ؟

ابراهيم : انه يعرف ما سأعمله فى اللحظة القادمة ، ولكنه لم يأمرنى به ، وانما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ، وهو يريد أن

يتركنا أحرارا ليعد لنا الحساب ٠٠ ومشيئته هى أن يتركنا أحرارا ٠٠ تلك هى مشيئته ٠

تحية : (سارحة) سبحانه !

ابراهيم : (لمجدي) طبعا فاتحتك اجلال هانم في الموضوع بصفتها خالتك ٠

مجدى : قالت لى أنت والحمد لله تكونت وأظن لا مانع من ٠٠٠

ابراهيم : (مقاطعا) تكونت ٠٠ ؟

مجدى : أظن ذلك !

ابراهيم : ظن خاطىء ٠٠ غرور ٠

مجدى : غرور ٠٠ ؟

ابراهيم : (متجاوزا) اسمع ٠٠ ألم تقل لى يوما : انك فكرت فى دراسة الدكتوراه فى الحقوق ، وانك درست فعلا القسم الأول ؟

مجدى : نعم ٠٠ ! ولكن ٠٠

ابراهيم : حمدى بك غاوى علم ، ولو قلت له انك تريد أن تكمل دراسة الدكتوراه ٠

مجدى : أكملها ٠٠ ؟

ابراهيم : وما البأس ٠٠ ؟

مجدى : لا بأس ٠٠ ولكن ٠

ابراهيم : قل له انك عرضت الفكرة على تحية ، وأنها وافقت بسرور أن تؤجل الكتاب حتى تنال الدكتوراه ٠

مجدى : والله أعتقد أن حمدى بك لن يمانع ٠

ابراهيم : على العكس ، سيفرح بك كل الفرح ٠٠

تحية : أنت عبقرى ٠٠ هيا يا مجدى ٠

مجدى : الى أين ٠٠ ؟

تحية : الى أين ٠٠ ؟ الى أبى ٠٠ هيا ٠٠

(تجره وتخرج فى سرعة ـ يجلس ابراهيم مرتاحا باسما)

ابراهيم : هيه أيها القدر ٠

(يظهر القدر)

القدر : ماذا تريد ٠٠ ؟

ابراهيم : ما رأيك ٠٠ ؟

القدر : فيم ٠٠ ؟

ابراهيم : فيما أعمل ٠
القدر : أنت لم تعمل بعد ٠
ابراهيم : ولكننى عملت وأعمل وسأعمل ٠
القدر : الحياة لا تعرف سأعمل ٠٠ ولكنها تعرف عملت وأعمل ٠
ابراهيم : اذن !
القدر : اعمل ٠
ابراهيم : البحث خطير ٠٠ والجهد شديد ٠٠
القدر : اعمل ٠
ابراهيم : كن الى جانبى ٠
القدر : أنت وحدك الى جانب نفسك ٠
ابراهيم : وهؤلاء الذين يعاونوننى ٠٠ ؟
القدر : هؤلاء اخوانك فى الحياة يعملون بوحى أنفسهم ، وسيحتاجون اليك يوما ما ٠٠ وستكون لهم ٠٠ اعمل ٠
ابراهيم : هأنذا أعمل ٠

(يدخل الرجل الى المعمل حاملا اشياء اخرى عديدة وينتفض ابراهيم فى سرعة ليساعد الرجل ويختفى القدر وهو يقول) :

القدر : اعمل ٠

(يبدأ ابراهيم فى العمل فى همة ونشاط ، وينسدل الستار فى بطء)٠

ســـــتار

• الفصل الرابع

« عيادة الدكتور ابراهيم انيقة غاية الأناقة ، حسن واقف في وسط العيادة ينظف أثاثها في فرح وهمة ويغنى فى ابتهاج شديد ـ يدق جرس الباب »

حسن : أعوذ بالله ‥ ميعاد العيادة لم يبدأ يا عالم ‥ ابعدوا عنا الزبائن يا عالم ‥ هل خلا البلد من الدكاترة ‥ الأمر لله ‥

(يخرج حسن ويعود بعد لحظة ومعه مجدى)

حسن : أهلا سعادة البك المحامى ٠

مجدى : أهلا بك يا حسن ‥ أين الدكتور ‥ ؟

حسن : ميعاده بعد نصف ساعة ٠

مجدى : طيب ‥ أكلمه فى التليفون ٠

حسن : أمرك يا سعادة البك ٠

مجدى : (يضرب التليفون) آلو ‥ ابراهيم ‥ أنا يا سيدى ‥ أنا الخطيب مع وقف التنفيذ ‥ أهلا بك ‥ عندى أخبار مدهشة ‥ لا ‥ فى التليفون غير ممكن ‥ غير ممكن طبعا ‥ تحية ‥ تحية ستأتى حالا ‥ ننتظرك ‥ ؟ طبعا ‥ بسرعة ‥ سلام ٠

(يضع السماعة) (يدخل حسن)

حسن : قهوة يا سعادة البك الدكتور ‥ أحسن بن ‥

مجدى : طيب ياعم حسن ‥ لا بأس ٠

(يضرب جرس الباب ـ يذهب حسن يفتحه فتدخل تحية)

حسن : أهلا بالهانم ‥ أهلا وسهلا ‥

تحية : أهلا بك يا حسن ‥ والنبى فنجان قهوة ٠

حسن : حالا ‥

تحية : هيه ‥ كلمت ابراهيم يا مجدى ‥ ؟

مجدى : طبعـــا ٠٠ ؟
تحية : وعرف ٠٠ ؟
مجدى : فضلت أنتظر حتى يأتى ٠
تحية : طيب ٠٠ ننزل نشترى بعض حاجات ونرجع ٠
مجدى : أنت عصبية جدا ، القهوة على النار ٠٠ والدكتور على نار أخرى وفى غمضة عين سيكون معنا ٠
تحية : والله يا مجدى أنا محتارة ٠٠ كيف أشكرك ٠٠ ؟
مجدى : رجعنا للكلام القديم ٠٠ يا سيدتى العزيزة والله أنا الكسبان ٠
تحية : سنتان الآن وأنت تمثل على الناس ٠٠ على أبى وأمى بل أنت تمثل على وعلى نفسك ٠
مجدى : هواية ، أنا أحب التمثيل ٠٠ ؟
تحية : جائز ولكن أتعس الناس الذى يمثل على نفسه ٠٠
مجدى : أنا أولا لم أعترف أننى أمثل ٠٠ ولكن افرضى ٠٠ ما البأس ٠٠ ؟ أنا أمثل السـعادة ٠٠ والسـعادة غالبا فى أولها تمثيل ثم يتهيأ للانسان أن التمثيل حقيقـة ، ثم ٠٠ يصبح سعيدا حقيقـة بغير تمثيل ٠
تحية : أنت يا مسكين لا تمثل السعادة ٠٠ أنت تمثل على نفسك تمثل على قلبك ٠٠ تدعى أنه تخلص من حبى وهو كل يوم يصرخ بأعلى صـــوته أنك كاذب وأنه لا يزال على حبه القديم ولكنك بتمثيلك تخرسه حتى يخرس ٠٠ وتدعى السعادة ٠٠٠
مجدى : (مقاطعا) حتى أسعد ٠٠ وأى ضرر فى ذلك ٠٠ ؟ ان صراخ قلبى صحيح حقيقة هو يصرخ ويصرخ كثيرا ٠٠ الا أنه فى هذه الشهور الأخيرة أصيب المسكين بضجة فأصبح صوته الذى كان عاليا مرتفعا ، ضعيفا خافتا ، لا أسمعه الا اذا كنت وحدى ، وأسمعه حين أسمعه مستعطفا بعد أن كان آمرا ، وهكذا أحسست أننى تغلبت عليه ٠
تحية : يا صديقى الكبير ٠
مجدى : طبعا كبير ٠٠ ٠٠ ولا يمكن لواحد كبير مثلى أن يسمح لقلب ٠٠ مجرد قلب فى حجم قبضة اليد أن يتغلب على ٠٠
تحية : أخاف يا مجـدى أن أكون سببت لك من المتاعب أكبر مما كنت تنتظر ٠
مجدى : أقول الحق ٠٠ اننى فى أول الأمر لاقيت من هذه القبضة المسماة بالقلب متاعب كثيرة جدا ، ولكن حين رأيت الدكتور ابراهيم يبنى

مجـــده ويقيم مستقبله ، وحين أحسست به يشقى ليســعد بك ، ويبحث ليهدى اليك اسما ضخما ٠٠ وحين تخيلت ذلك البيت الذى سيضم الحب ، والمجد ، وحين تبينت السعادة التى ستكون ضمن محتويات هذا البيت ، حين رأيت هذا جميعه وأحسست به وجدت نفسي أبنى حياة ، أنشىء مستقبلا ، ليس فقط لك ولابراهيم ، بل لأولادكم وأولاد أولادكم ٠٠ أنا هـذا الانسان الصغير أنشىء لكم الحاضر والمستقبل ، أنا أقيم سـعادة وحبا ومجـدا وحياة داخل الحيـاة ٠٠ أنا ٠٠ ؟ الحق يا تحيـة وجدت متاعبى قليلة جدا ، ووجدت مكافأتى كبيرة جدا ٠٠

تحية : (تبكى من الفرح) صحيح يا مجدى ٠٠ ؟ صحيح ٠٠ ؟ مكافأتك كبيرة ٠٠ كبيرة جدا ، مكافأتك السعادة ٠

مجدى : شفت ٠٠ الحمد لله ٠

تحية : الحمد لله ، عرفت طريقك الى السعادة ٠

مجدى : ومعظم الناس لا يعرفون كيف يسعدون ٠٠ ويترقبون الفرص للشقاء ، حتى اذا أصبحوا أشقياء قالوا الحظ ٠٠ القدر ٠

تحية : ضعاف ٠

مجدى : ضعاف ٠

حسن : القهوة ٠٠ واحد سكر على الريحة ٠٠ وواحد سكر زيادة ٠

(ويضع فنجانا امام كل من الضيفين ، وفى اثناء ذلك يدخل الدكتور ابراهيم مبتهجا) ٠

ابراهيم : (شديد الابتهاج شديد اللهفة لمعرفة الأخبار) أهلا ٠٠ أهلا بخطيبتى وخطيب خطيبتى ٠

تحية : يا أخى تأخرت ٠

ابراهيم : أسعفونى بالأخبار ٠

تحية : لا وحياتك ٠٠ لابد من العمولة أولا ٠

ابراهيم : أنا فى عرضك ٠

تحية : زبون جديد ٠٠ عمولته أولا ٠

ابراهيم : لا ٠٠ أنا فى عرض من يبعد عنى الزبائن الآن ٠

مجدى : حتى ولو كان الزبون هو حمدى بك ؟!

ابراهيم : (مندهشا) حمدى بك العباسى ٠٠ ؟

مجدى : العباسى !

ابراهيم : أبو تحية ٠٠ ؟

مجدى : سبحان الله يا أخى ‥ لا ‥ أبو الشوارب ‥ ؟

ابراهيم : يعنى عرف ‥ ؟

مجدى : لا ‥ عرف هذه ، ستكون هنا !

ابراهيم : يعنى ‥ ؟

مجدى : يعنى قمنا بواجبنا ، فقم أنت بواجبك ٠

ابراهيم : كيف ‥ ؟

مجدى : الدكاترة كلهم أجمعوا على أنك أنت المختص فى مرض حمدى بك ‥ وكلهم أخبروا حمدى بك بهذا ٠

ابراهيم : بالذمة صحيح ‥ ؟

تحية : كان الدكتــور منهم ينتهى من الكشف ، ويقف فى منتهى الأدب قائلا : يا حمدى بك أنا آسف جدا ، الوحيد المختص فى مرضك هو الدكتــور ابراهيم محسن ‥ سعادتك تعرفه ‥ ؟ ان كنت لا تعرفه أكتب له ‥ هو شاب طيب جدا ٠

مجدى : فينفجر حمــدى بك صائحا ‥ خلاص لم يبق فى البلد غــير سى الدكتور ابراهيم ‥ ؟ طيب ‥ لن أراه ٠

تحية : ويظهر الدكتور الغريب دهشته ويخــرج ، ويأتى دكتور آخر ، ويتكرر نفس المشهد ٠

مجدى : الا أن المسألة زادت والآن هو مناه يشوفك ولكن مخه التركى ما زال يمنعه ٠

تحية : فاقترحت أنا ‥

مجدى : أنت ‥ ؟

تحية : يا أخى فوت ٠

مجدى : نهايته ‥ اقترحت ‥ اقترحت هى يا سيدى أن نرفع لافتتك من على الباب ونأتى به ويفاجأ بك داخل العيادة ‥ ستجعله يدفع الأجر مثل كل الزبائن ٠

ابراهيم : (فى غاية الفرح) عبقرية ‥ عبقرية والله ‥ يا حسن ‥ يا حسن اسمى المكتوب على الباب ٠

حسن : ماله ‥ ؟

ابراهيم : ينشال ‥ ينشال حالا ٠

حسن : ينشال ‥ ؟

ابراهيم : ينشال .
حسن : (ساخرا) وأحط اسمى .. ؟
ابراهيم : لا .. ينشال هو ولا تنحط أنت .
حسن : (يخرج مندهشا) .
ابراهيم : هل هناك أوامر أخرى .. ؟
مجدى : لا يا دكتور يا حلال المشاكل .
ابراهيم : ماذا تقصد .. ؟
مجدى : أقصد أنك أنت الذى كنت تطلب الى الدكاترة أن يقولوا هذا .
ابراهيم : (ضاحكا) تحية كانت تقول لى اسم الدكتور المقترح ، وبالصدفة كانوا جميعا أصدقائى .. والحقيقة أيضا أننى فعلا المختص ، وكلهم يعرفون هذا .
تحية : وطبعا كنت تشرح لهم الظروف .. ؟
ابراهيم : كلهم يعرفون الآن اننى أهرب من الزبائن ..
مجدى : طيب .. هيا يا تحية ..
تحية : نعم لنحضر لك المريض .
مجدى : الى اللقاء يا دكتور .
ابراهيم : الى اللقاء يا دكتور .

(يخرجان ويخلع ابراهيم الجاكتة ويلبس المعطف الأبيض ويدق الجرس ويدخل حسن)

ابراهيم : الأول .
حسن : حاضر .. وأحضر لك قهوة .. ؟
ابراهيم : عظيم .. وأسرع .

(يخرج حسن وبعد قليل يدخل طهستان)

ابراهيم : (فى ترحيب شديد) أهلا يا سيد طه .. والله زمان .
طه : (فى أدب شديد واحترام) أكرمك الله يا دكتور .
ابراهيم : شرفت يا سيد طه .. أهلا أهلا .. أين أنت يا رجل .. ؟
طه : فى الدنيا يا دكتور .
ابراهيم : وكيف حالها واياك يا سيد طه .. ؟
طه : الحمد لله .. هى من جهة المال ما زالت كما هى .. المغفلون كثيرون والحمد لله .

ابراهيم : هيه .. ؟ وهل عندك عرض جديد فى هذه المرة .. ؟
طه : (فى استخذاء) أنا آسف يا دكتور .. أنت انتصرت على .. اسمك يملأ الدنيا والحمد لله .

ابراهيم : الحمد لله ·· آمنت به وبالقوة التى وهبها للانسان فنجحت ·

طه : الحمد لله يا دكتور ··

ابراهيم : المهم هذه الزيارة لسبب ، أم تذكرت ··· ؟

طه : والله يا دكتور ان أردت الحق فهى لسبب ·

ابراهيم : خـــيرا ·· ؟

طه : مرض ···

ابراهيم : كفى الله الشر ·

طه : ترددت كثيرا قبل أن أجيء اليك ، ولكن كل الناس ، قالوا لا شفاء الا على يديك ·

ابراهيم : ولماذا ترددت ·· ؟

طه : لا أريد أن أرى هزيمتى فى انتصارك ·

ابراهيم : يا أخى وما الضرر ·· ؟ خلاف فى الرأى ·· هذا كل ما فى الأمر ·· وأؤكد لك أن أغلب الناس يميلون الى رأيك أنت ·

(يدخل حسن)

حسن : يا دكتور ·· يا دكتور الست تحية ·

ابراهيم : جاءت ·· ؟

حسن : نعم ·· ! هى ومعها رجل كبير ·

ابراهيم : عظيم ·· عظيم (يلتفت الى طه) يا سيد طه ·· هل يمكنك أن تنتظرنى نصف ساعة ·· ؟

طه : ساعتين ·

ابراهيم : ألف شكر ·

(يخرج طه)

ابراهيم : (لحسن) أدخلهم وأسرع (يخرج حسن) أخيرا شرفت يا حمدى بك ·· أخيرا ·

(لا يبقى بالمسرح غير مجدى وتحية)

حمدى : (يرى ابراهيم فيغضب ويحاول الرجوع) من ·· ؟ أنت ·· ؟ مؤامرة اذن ·· ؟ مؤامرة ·· ؟

تحية : لصحتك يا أبى ·· لصحتك ·

حمدى : لا أريدها يا ستى ·

ابراهيم : ما كل هذا الغضب يا عمى ·· ؟

حمدى : سبحان الله ·· ! ألا تعرف ·· ؟

ابراهيم : أعرف ماذا ٠٠ ؟ أعرف أنك منعتنى من الوظيفة ، وخالفت رأيك والحمد لله نجحت ووصلت الى المكانة التى أعتقد أنك تريدها لى ٠

حمدى : (فى ضعف وتردد) ولكنى ٠٠ ولكنى لم أكن أعرف أننى سأراك ٠٠ ولكن (كأنما تنبه الى شىء) أين مجدى ٠٠ ؟ (ثم يقول لتحية) مجدى خطيبك ، أليس هو من جاء بى الى هنا ٠٠ ؟ يتآمر معك ٠٠ ؟ لا ٠٠ لا تقولى انه كان يتآمر معك ٠

تحية : ولم لا يا أبى ؟

حمدى : خطيبك يتآمر معك ، ليخطبك شخص آخر ٠٠ من يصدق ٠٠ ؟

تحية : والله لا أظن أن أحدا يصدق ، ولكنها الحقيقة على كل حال ٠

حمدى : أية حقيقة ؟

تحية : الحقيقة أن مجدى كان يحجزنى حتى يكون ابراهيم نفسه ٠

حمدى : فمجدى اذن لا يحبك ؟

تحية : (وقد بان التأثر على وجهها) الله أعلم يا أبى ٠٠ الله أعلم ٠

حمدى : لعب عيال ٠٠ شغل صغار ٠

ابراهيم : (ضاحكا) لاحظ يا عمى ٠

حمدى : عمى فى عينك ٠

ابراهيم : أشكرك ٠٠٠ ولكن لاحظ يا عمى أن الثورة العصبية مضرة بك ٠

حمدى : يا أخى ما شأنك ؟

ابراهيم : ما شأنى ٠٠٠ ؟! انه شأنى أنا وحدى ٠٠ أنا من اليوم طبيبك الخاص ٠

حمدى : طبيبى ! ألماذا ؟! لماذا ؟!

ابراهيم : الخاص طبعا ٠٠٠ فأنا سأكون معك ليل نهار أراقبك دائما ، وأمنعك من أكل معين ، وأسمح لك بأكل معين ٠

حمدى : الله ٠٠ الله ٠٠ أتظن أنك تتزوجنى أنا ؟

ابراهيم : لا ، ولكنى سأكون ابنك ٠

حمدى : أمرك يا سيدى ٠٠ تحكم ياسى ابراهيم ٠٠ أمرك ، يعملها الصغار وتصيب الكبار ٠٠ (يقول وهو خارج) شغل عيال لعب صغار ٠

(يخرج)

ابراهيم : مع السلامة يا عمى ٠

تحية : (متخلفة) تجىء الليلة على العشا ٠

ابراهيم : (فرحا) طبعـا ٠

تحية : لا تتأخر .

ابراهيم : الله .. ابتدينا .

تحية : لا تتأخر .. سامع .

ابراهيم : حاضر .. أمرك .

(تخرج تحية)

ابراهيم : أشكرك أيها القدر ... أشكرك أيها القدر ... اسمح لى أن أراك لأشكرك .

(يظهر القدر)

القدر : ماذا تريد ؟

ابراهيم : ألم تعرف ؟

القدر : لم أفهم .

ابراهيم : ألم تفهم أننى أريد أن أشكرك .

القدر : والمناسبة ؟!

ابراهيم : هذه السعادة ... هذه السعادة كلها .

القدر : فأنت سعيدة ؟

ابراهيم : (وقد تنبه فى غمرة فرحه) أى سعادة تقصد ؟

القدر : السعادة الدائمة .

ابراهيم : وهل هنــاك سعادة دائمة ؟ انه لا سعادة بغير شقاء ... ان لم أحس بالشقاء لا أحس بالسعادة .

القدر : وأنت ألم تحس بالشقاء ؟

ابراهيم : بل أبدعت فى الشقاء فنونا ... ولكننى أقصد أننى حتى بعد أن نجحت ، لابد أن يغمر نفسى فى كثير من الأحيان شعور بالشقاء ، ثم ما يلبث وميض بالسعادة أن يشرق .. كما أحس الآن ، فاذا الدنيــا كلهــا آمال تحققت ، وآمال تزحم المستقبل فى طريقها الى التحقيق ، والسعادة أمل تحقق ، وأمل فى سبيله الى التحقيق .

القدر : عظيم وماذا تريد منى ؟

ابراهيم : أريد أن أشكرك .

القدر : وما شأنى أنا ؟

ابراهيم : انه أنت ...

القدر : بل أنت ..

ابراهيم : ألم تنقذنى من هذا الخمول الذى كنت أرزح فيه ... انه أنت من يستحق الشكر .

القدر : بل أنت الذى عملت وسعيت ، وانهم اخوانك من الناس عاونك بعضهم ، وحاربك بعضهم ، وانتصرت ٠٠ وانه الانســان دائمــا ولا شأن لى بك ٠

ابراهيم : فأنت على الأقل من نصحنى ٠

القدر : انها نصيحة قد تسمعها من أى انسان وما كنت لتعمل بها ٠٠ ولكن (ساخرا) رأيت القدر ينصح فخيل اليك ان مغاليق الغيب قد فتحت وعملت ٠

ابراهيم : وأنت ؟

القدر : أنا من ؟

ابراهيم : أنت القدر ٠

القدر : (منفجرا فى ضحكة ساخرة وهو يتقهقر نحو المكان الذى سيخرج منه) أيها المسكين ٠٠٠ أصدقت حقا أننى القدر ؟

ابراهيم : (ذاهلا) فمن أنت ؟

القدر : أنا أنت ٠٠٠ أنا نفسك ، تجسمت لك عند الشدة ٠٠٠ انه انت أيها المسكين الجبار ٠٠ انه أنت الانسان ٠٠ الانسان دائما ٠

ســـــتار


حياة الحياة
((مسرحية))

حياة الحياة

● الفصل الأول

المنظر : المسرح مقسم الى قسمين : حجرة هي جزء من بيت ، والقسم الثاني مقهى في عهد هارون الرشيد ، الوقت في الفجر المسرح مضاء اضاءة باهتة ، يسمع صياح الديك والأذان فيستمر الصمت حينا ثم تخرج السيدة جمالات وهي سيدة في منتصف العمر . يبدو عليها انها كانت نائمة . تتقدم الى النوافذ فتفتحها . فتضيء الحجرة بعض الشيء والأذان مستمر . المفروض في هذا الفصل أن يكون عبور الناس على المقهى مستمرا طوال الفصل بشكل قوى وملموس بحيث لا تكاد تمر دقيقة دون أن يمر عابر سبيل مرورا سريعا فيه لهفة وقلق واهتمام واصرار ويحسن ان يكون هؤلاء المارة لهم علامات مميزة في ملابسهم .

جمالات : الله أكبر الله أعظم صبحنا وصبح الملك لله يا فتاح يا عليم يا رزاق يا كريم ... (وتفتح دولابا وتخرج منه بعض الخبز وبعض أطباق تضعها على المائدة) يا قمر ... قمر ... قومى يا بنتى ساعدينى .. قمر ... قمر .

(وتدخل قمر الى المسرح وهى تغالب النوم)

قمر : نعم يا أم .

جمالات : ساعدينى يا بنتى .

قمر : فيم أساعدك يا أم ؟

جمالات : يوه ... ألا تعرفين فيم ... جهزى معى الفطور لأبيك .

قمر : يا أم توكلى على الله ... وهل هناك فطور حتى أجهزه ؟!

جمالات : لماذا ؟ البيت عامر والحمد لله ... هل جعت يوما ؟!

قمر : يا أم الجوع هو الأكل الذى نأكله .

جمالات : يا بنتى قولى يا فتاح يا كريم ... الأكل ملء البيت .

قمر : أين يا أم الأكل ؟ أتسمعين هذا أكلا ؟!

جمالات : ماذا أسميه اذن ؟!

قمر : وتريدين أن أساعدك أيضا ... بالذمة فيم أساعدك ؟! لقد جهزت أنت كل شيء في غمضة عين .

جمالات : وماله قفى معى وتظاهرى بأنك تخدمين أباك .. الرجال يحبون أن يروا نساء بيوتهم يخدمن طلباتهم ... اعملى كأنك تجهزين الأكل وكأنك مشغولة يفرح بك أبوك وأفرح أنا أيضا .

قمر : آه ... هذا ما تريدين اذن ...

جمالات : وهل هذا قليل ؟

قمر : قولى اذن هذا ولا تقولى جهزى الفطور .. فان الفطور دائما لا يحتاج الى تجهيز .

جمالات : يا أختى من يسمعك تقولين هذا الكلام يحسب أنك تطمعين فى عيشة القصور .

قمر : يا أم توكلى على الله ... مالنا وماللقصور .

جمالات : تحبين فتى معدما لا يحمل الا الكلام المزوق .

قمر : وماله يا أم اسماعيل ... أليس يعمل فى ديوان الخليفة ؟

جمالات : كاتب .

قمر : وما عيب الكاتب ؟

جمالات : بائع كلام .

قمر : ولكنه كلام جميل .

جمالات : يصنعه بأمر رئيس الديوان ثم لا يكسب الا بضعة دراهم ...

قمر : نعمة .

جمالات : دراهم اسماعيل نعمة وأكلنا لا يعجبك .

قمر : وهل قلت ان أكلنا لا يعجبنى ؟

جمالات : فماذا كنت تقولين من الصبح ؟

قمر : كل ما قلت ان الأكل عندنا لا يحتاج الى تجهيز .

جمالات : غدا نرى الأكل فى بيتك .

قمر : لن يكون أحسن من بيتك .

جمالات : فلماذا يا بنتى تصرين على هذا الزواج من هذا الفتى المنكود ؟! بذمتك ما الذى يعجبك فيه ؟!

قمر : هو .

جمالات : نعم ؟!

قمر : يعجبنى هو ... هو بكل شيء فيه ... طيب يحب الخير للناس ولا يفكر الا فى خير الجميع .

جمالات : كسبنا صلاة النبى ... وهل يملك الخير لنفسه حتى يقدمه للجميع ... أقرع ونزهى .

قمر : ليس المهم أن يقدم الخير للجميع ، انما المهم أن يحب الخير لهم .

جمالات : ومن أدراك أنه يقدم الخير لأحد اذا أصبح غنيا ؟ هذا يابنتى كلام الفقراء يقولونه ، لأنهم لا يملكون ما يعطونه ، أما اذا شبع فعلى حب الخير السلام .

قمر : لا يا أم .. انه ليس كذلك .

جمالات : ليس كذلك ... وكيف عرفت ؟

قمر : لقد كان غنيا وظل يوزع أمواله على الناس ...

جمالات : حتى أصبح على الحديدة ... خائب ... لو كان ذكيا لاستثمر هذا المال ثم أعطى منه للفقراء .

قمر : نعم ... لعلى أوافقك على هذا ... ليس اسماعيل ذكيا فى معاملة الأموال ولكنه طيب .

جمالات : وماذا ستفعلين بهذه الطيبة ؟

قمر : أعيش فى ظلها ... أتمتع بروحه الحلوة .

جمالات : وتجوعين ؟

قمر : لن أجوع ... ثم اننى يا أم تعودت على الجوع فى بيتنا ... لن تكون حياتى شرا مما هى الآن .

جمالات : وهذا سبب يجعلك تقبلينها ... يا بنتى أنت جميلة ... وألف يتمنى أن تكونى فى بيته ... طاوعينى يا قمر .

قمر : يا أم أهذا كلام يقال على الصبح ؟

جمالات : يابنتى وهل لنا فى الدنيا الا أنت ؟

قمر : على كل حال الأمر أمر أبى .

جمالات : أبوك فرحان بوظيفة اسماعيل .

قمر : أنا لا أعصى أمر أبى .

جمالات : لا تطمئنى كل الاطمئنان الى رأى أبيك ...

قمر : ماذا تقصدين ؟

جمالات : لا شيء . ولكن لاحظي دائما أنه لم يتقدم لك حتى الآن خير من اسماعيل .

قمر : تقصدين أنه لو ....

جمالات : أنا لا أقصد شيئا ... هيا نادى أباك ليتناول فطوره ...

(يظهر فى المقهى عمارة صبى المقهى ويبدأ برفع الكراسى واعداد المقهى لاستقبال الزوار)

عمارة : نرفع الكراسي وننظف المناضد ونعد الفناجين والذى نبيت فيه نصبح فيه والأرزاق على الله ..

(يغنى)

ولقــد قالت لجــارات لها

اذ تعرت ذات يوم تبترد

أكمـا ينعتنــى تبصــرنى

عمركن الله أم لا يقتصــد

لا يقتصد يا ستى لا يقتصد ... وهل هناك شاعر يقتصد ... لا يقتصد ولماذا يقتصدون ؟ هــل يدفعون فى الكلام فلوسا ؟ كله مجانا ... وهات يا شعر ورص يا شاعر فلماذا يقتصد ؟

(يعود الى الغناء)

فتضاحكن وقد قلن لها

حسن فى كل عين من تود

معلوم ... حسن فى كل عين من تود ... لو لم يكن حسن فى كل عين من تود كانت قمر تحب اسماعيل ! انما حسن فى كل عين من تود ... والله كلام حكم ... قل يا سيدى قل ... آه يا كلام ... وهل شفنا المصائب الا من الكلام ... اسماعيل يتكلم وقمر تحب ورحنا نحن فى داهية ... والصفقة خاسرة باذن الله .

(يترنم بالغناء دون ان يتكلم)

جمالات : يا بنتى نادى أباك ... لم تكن كلمة هذه .

قمر : يا أم لقد خوفتنى حتى أكاد أموت ....

جمالات : لمــاذا ؟

قمر : ألم تقولى ان أبى قد يغير رأيه ؟

جمالات : أكل هذا من أجل اسماعيل ؟
قمر : القلب وما يهوى يا أم ·

جمالات : هوى الشوم واللوم ··· لو كان غنيا ··· لو كان أنيقا ·· لو كان جميلا ·

قمر : لا يا أم لا حق لك ، هل رأيت فى حياتك أجمل من اسماعيل ؟
جمالات : اسماعيل جميل ؟!

قمر : فى عينى أنا ليس أجمل منه ·
جمالات : عمى فى عينك ··· فأنت اذن لا ترين أحدا ·

قمر : يا أم أنا أرى من الرجال أكثر مما ترى بنات بغداد جميعا ·· المقهى تعرض على فى كل يوم أشكالا وألوانا ·

جمالات : وكل من ترينهم فى المقهى اسماعيل أجمل منهم ·
قمر : فى مرة رأيت رجلا غنيا أنيق الهندام عظيم الشكل مهيب الطلعة فرحت أقارن بينه وبين اسماعيل ·
جمالات : وماذا كانت نتيجة المقارنة ؟

عمارة : (مغنيـا) حسن فى كل عين من تود ··· حسن فى كل عين من تود ·

قمر : قلت هذا غنى واسماعيل فقير ··· هذا وجيه واسماعيل (تصمت قليلا) ، شاب لا يعتنى بالوجاهة ، هذا شاب واسماعيل أيضـا شاب ، هذا لا أعرف عنه شيئا واسماعيل طيب ···

جمالات : اذن فالرجل الآخر أحسن ؟
قمر : أبـدا ·
جمالات : كيف ؟

قمر : اسماعيل هو من أحب ·· أتعرفين يا أم معنى كلمة أحب ؟ أحب ··· هـذه الكلمة البسيطة التى جعلت ليلى العامرية تعيش حتى الآن وجعلت لبنى تحيا معنا كأنهـا فى عصرنا هذا وجعلت بثينة واحدة من جيلنا ومن كل الأجيال التى سبقتنا حتى الآن وجعلت عزة أتعرفين يا أم عزة ؟

جمالات : حبيبة كثير ·

قمر : أتعرفين كثير يا أم ؟
جمالات : لا أطيق الشعر ولا الشعراء ·

قمر : أنا أتكلم عن كثير الرجل ··· أتعرفينه يا أم ؟

جمالات : وهل رأيتنى أقرأ أو أكتب ؟!

قمر : أعرف أنك لا تقرئين ولا تكتبين ولكن ألم تسمعى عنه ؟

جمالات : منك نستفيد ·

قمر : كان كثير قصيرا قبيحا دميما ·

جمالات : وبعـــد ·

قمر : ومع ذلك فقد أحبته عزة أشد من حبه لها ·

جمالات : كان شاعرا وكانت البنات فى ذلك الحين عقولهن فارغة ويفرحن بالشعر ··· أما اسماعيل ـ اسم النبى حارسه ـ لا يستطيع أن يكمل بيتا من الشعر ·

قمر : ليس المهم الشعر ·

جمالات : يا بنتى هل جئت بسيرة الشعر ··· ألست أنت التى ····

عمارة : (مقاطعا) حسن فى كل عين من تود ··· حسن فى كل عين من تود ·

قمر : المهم هو الحب الذى جعل هؤلاء الشعراء يقولون ··· ان الشعر الذى قالوه يا أم هو الكلام الذى أراد المحبون فى كل زمان ومكان أن يقولوه فقاله عنهم هؤلاء الشعراء ·· الحب يا أم هو الذى جعل هؤلاء الشعراء ينطقون ·

جمالات : يا أختى لا تقلقينى ··· أى شـــعر وأى كلام فارغ ألم ترى الشاعر نور الدين ملقى على المقهى ليل نهار يكتب الشعر فى مدح الخليفة ثم يكاد يموت من الجوع ؟

قمر : ولكنه سعيد ·

جمالات : سعيد ؟! أهذا البائس الشحاذ سعيد ؟! فمن اذن التعيس ؟!

قمر : الناس جميعا الا هو ·· انه حين يكتب شعره يصبح أسعد الناس جميعـــا ·

جمالات : يا أختى ومن أدراك ·· فهل كتبت الشعر أنت أيضا ؟!

قمر : أعرف ·· أعرف ··· انظرى الى نور الدين ·

جمالات : منجوس ومنحوس من يومه ·

قمر : هذا فى رأيك أنت أما اذا نظرت الى حقيقته ··· الى مقدار السعادة التى يعيش فيها ·

جمالات : مهرج ... أهذا ما يعجبك فيه ؟! مهرج .

قمر : بل سعيد ... شخص سعيد ... يحب أن يستقبل الحياة بالضحك دائما ...

جمالات : وهو مفلس ؟

قمر : وما يهمه .

جمالات : يترك أولاده جياعا عرايا وهو يضحك .

قمر : فهل اذا حزن يأتى لهم بالطعام والملبس ؟!

جمالات : على الأقل يصحو الى خيبته ... يبكى على حاله .

قمر : انه لو فعل لامتنع الأكل عن أولاده العمر كله .

جمالات : لا يا شيخه ؟

قمر : وحياتك .

جمالات : وكيف هذا وحياة أمك ؟

قمر : انه شخص يعتمد على صفاء روحه ... على روحانيته لو أصبحت روحه مظلمة ، لامتنع عليه أن يكتب شعرا فى مدح الخليفة ، ولأقفل فى وجهه باب الرزق الوحيد .

جمالات : ألا يكتب شعرا الا اذا ضحك ؟

قمر : الشعر الذى يعجب الخليفة لابد أن يضحك صاحبه ؟ لو أنه حزن ، وكتب الشعر لغضب عليه الخليفة ، ومنع عنه الرزق .

جمالات : والنبى يا بنتى رزق الهبل على المجانين صدق من قال... نادى أباك .

قمر : يا آبا (تخرج من المسرح) .

(يظل عمارة ينظف فى المقهى دغنيا يدخل بعض افراد للمسرح ويعبرونه الى الباب الآخر . يدخل ابو الحسن والد قمر) .

ابو الحسن : يا فتاح يا عليم يا رزاق يا كريم ... هيه يا قمر هل الفطار جاهز ؟

قمر : (تدخل خلفه) جاهز من الصبح يا أبى .

ابو الحسن : اطلعى الى المقهى شوفى ان كان عمارة أحسن تنظيفها أم لا .

قمر : أمرك يا أبى ... ألا تريد شيئا ؟

ابو الحسن : سلامتك .

(تخرج الى المقهى ـ يزداد النور فى المقهى ويخفت فى البيت)

قمر : صباح الخير يا عمارة ٠

عمارة : صباح النور يا ست الحسن والجمال ٠

قمر : هل نظفت المقهى ؟

عمارة : أصبحت كالفل أو كالياسمين ٠٠٠ من الصبح أنظف فيها وحياتك ان لم تكن مقهاك أنظف مقهى فى بغداد فأنا أستحق الضرب والاهانة ٠

قمر : وأين الزبائن ؟

عمارة : لم يأتوا بعد ٠٠٠ نحن ما زلنا فى أول النهار ٠

قمر : وأين الشيخ الذى أصبح يفتتح المقهى كل يوم ؟

عمارة : موعده لم يأت بعد ٠٠ اسكتى ٠٠ عرفت من هو ٠

قمر : صحيح ؟

عمارة : وحياتك ٠

قمر : مـن ؟

عمارة : تاجر من أكبر التجار ٠٠٠ غنى ٠٠٠ غناه فاحش ٠

قمر : وماذا يريد من مقهانا ؟!

عمارة : الله ٠٠٠ تعجبه المقهى ٠٠٠ ألا تعجبك المقهى ؟

قمر : فقط ٠٠٠ ألا يأتى الى هنا لأن المقهى تعجبه ؟!

عمارة : وماذا فى هذا ؟

قمر : ولد يا عمارة ٠٠٠ تخفى شيئا ٠

عمارة : الحقيقة ٠٠٠ نعم ٠٠٠ أخفى شيئا ٠

قمر : وما هو ؟

عمارة : الشيخ يحبك ٠

قمر : وهل رآنى ؟

عمارة : وهل يأتى هنا الا لأنه رآك ٠

قمر : هل جننت ؟

عمارة : وان جنت للحق وسنطنى ، لأكلم عم أبا الحسن ٠

قمر : وهل كلمته ؟

عمارة : وهل يعقل أن أفعل هذا دون أن أسألك ؟

قمر : ألا تعرف جوابى ؟

عمارة : أعـرفه ٠

قمر : فلماذا تسألنى اذن ؟!

(يمر بائع أشياء قديمة بالمقهى ينادى)

البائع : تحف وهدايا ... تحف ... هدايا وتحف ... هدايا .

عمارة : ياعم ... ياعم ... هل أصابك العمى فى نظرك ... هل ترى أحـدا فى المقهى حتى تنـادى ؟! قل يا صبح يا راجـل وتوكل على الله .

البائع : يابنى هذا عملى ... على أن أنادى والباقى على الله .

عمارة : ألا تنتظر حتى تجد أحدا تنادى له أم هو نداء والسلام ؟

البائع : عملى يا ابنى ... عملى أن أنادى ... تحف وهدايا تحف

(يخرج من الباب الآخر)

عمارة : لعلك تغـيرين رأيك .. هـل فى هــذا بأس ؟ الواجب أن أسألك .

قمر : اسمع ... لك منى دينار ولا تقل لأبى شيئا .

عمارة : لقد عرض هو عشرة دنانير .

قمر : ومن أين لى بالعشرة دنانير ؟

عمارة : من اسماعيل .

قمر : أنت أعلم بالحال .

عمارة : فلماذا تحبينه اذن ؟ قسما عظما بالله انى أكسب اكثر منه .. أيعجبك منه الحديث المزوق وقوله كنت مع الخليفة وجئت من عند الخليفة ؟! أهذا كل ما يعجبك منه ؟!

قمر : ولد يا عمارة ...

عمارة : (فى ثورة هينة) ألا تقول الحق ؟! الحق دائما ابن كلب بن على النـــاس .

قمر : ولد .

عمارة : سكتنا ، ماذا قلت فى الدنانير ؟

قمر : أعطيك كل شهر دينارا .

عمارة : على عشرة أشهر ؟! لمـاذا ؟! ما الذى يجعلنى أنتظر عشرة أشهر ؟! وراءنا مصاريف يا ست قمر والحال كما تعلمين .

قمر : أعطيك كل شهر دينارين .

عمارة : لا بأس من أجل خاطرك .

قمر : على شرط .

عمارة : وشرط أيضا !

قمر : تقول لهذا الرجل انى مخطوبة ، ولا تجعله يأتى الى هذا المقهى أبدا .

عمارة : وأطرد الزبائن أيضا !

قمر : هذا الزبون فقط .. لو عرف أبى بغناه صمم على زواجى منه ... هيه ماذا قلت ؟

عمارة : ولو عرف أننى طردته طردنى أنا واصبحت بلا عمل .

قمر : وهل ستطرده ؟

عمارة : ألست تريديننى أن أطرده ؟!

قمر : أنا لم أقل هذا ... كل ما فى الأمر أنك ستقول له اننى مخطوبة وان خطيبى رجل قاتل سفاك لا يتورع عن قتله لو عرف أنه يريد أن يتزوجنى ... و ... فقط .

عمارة : لا ... بسيطة ... فكيف يكون الطرد ان لم يكن هكذا ؟!

قمر : اذا فماذا ترى ؟

عمارة : سأقول له انك مخطوبة ... بالله ما الذى يعجبك فى اسماعيل ؟!

قمر : لا شأن لك ... ماذا ستقول للتاجر ؟

(يدخل اسماعيل الى المسرح)

عمارة : و ... و ... يا أهلا بالسيد اسماعيل ... يا أهلا بالكرم والذوق والكياسة والرياسة .

اسماعيل : كيف أنت يا عمارة ؟ صباح الخير يا قمر .

عمارة : أهلا ... أهلا .

قمر : كفى يا عمارة ... كفى ... ادهب .

عمارة : أذهب ! .. أذهب هكذا دون أن أعرف ماذا يريد السيد السند .

قمر : أهو زبون ؟

عمارة : طبعـــا .

قمر : (تلتفت الى اسماعيل) هل أنت زبون ؟!

اسماعيل : طبعا .

قمر : هل جننت يا عمارة ؟

اسماعيل : لمـــاذا ؟

قمر : ألا تعرف مكانه من البيت ؟

عمارة : مكانه من البيت أعرفه ... انما المقهى مقهى وليست بيتا .

قمر : هل جننت ؟

عمارة : والله ان جئت للحق نعم .

قمر : ولد .

عمارة : يا ست قمر خلى الطابق مستورا .

قمر : هذا لا يصح أبدا .

عمارة : وأنا ما ذنبى ؟

قمر : أتقصد أن ...

عمارة : نعـــم .

قمر : أبى .

عمارة : أبوك ينبحنى ان خرج طلب ولم يدفع ثمنه .

قمر : هل سألته عن اسماعيل ؟

عمارة : من غير سؤال ... نبه على ألا أسأله .

اسماعيل : (وقد كان يضحك طوال فترة الحديث) ماذا جرى يا قمر هى الحكاية تستحق كل هذا الاهتمام ؟

قمر : المسألة مسألة أصول .

اسماعيل : الأصل أن أدفع ثمن ما أريد فى المقهى .

عمارة : أبو الأصــول أنت والله ... أبو الأصــول يا ســيد اسماعيل يا عترة .

اسماعيل : هات فنجان قهوة ياعم عمارة .

عمارة : شفت .. وأنت ألا تريدين شيئا .

قمر : امش يا لكع .

(يذهب عمارة الى المكان الذى تعد فيه الطلبات)

اسماعيل : صباح الخير .

قمر : لم تذهب اليوم الى الديوان .

اسماعيل : ليس عندنا عمل اليوم قلت أنتهز فرصة الصباح والمقهى خالية لعلى أقعد معك على انفراد .

قمر : خير ما فعلت ... لقد كنت فعلا أريد أن أراك .

اسماعيل : أيأتى عليك وقت لا تريدين فيه أن ترينى ؟!

قمر : لا أدرى . ولكنى اليوم فعلا كنت أريد أن أراك .

اسماعيل : قولي لي ياقمر لماذا أجد كل الكلام الذي قيل في الحب قديما لا جدة فيه ولا طرافة ؟! كلما أردت أن أقول لك كم أحبك وجدت كلامي سخيفا لا يليق بك .

قمر : ألهذا لم تقل لي أحبك أبدا ؟!

اسماعيل : أرجو أن تعرفي مقدار حبي من تصرفي لا من كلام

قمر : وما عيب الكلام ؟! أليس صناعتك ؟

اسماعيل : هذه هي المصيبة ... لا أحب أن أصنع لك الكلام .

قمر : ولكنى أحب أن أسمعه منك .

اسماعيل : حتى ولو كان كلاما قديما قاله الناس قبلنا ملايين المرات .

قمر : نعـــم .

اسماعيل : قاله المنافق والكذاب وقاله المتكلف وقاله السخيف الذي يريد أن يخدع فتاة لا يحبها .

قمر : احب أن أسمعه منك .

اسماعيل : ولكن انا لا أحب أن أقوله لك .

قمر : اذن فانك لا تحبني .

اسماعيل : ماذا ؟

قمر : فلماذا لا تقول ؟

اسماعيل : لأنك عندي أكبر من أن أقول لك أحبك ... أنت أكبر من كلمة الحب ومن معنى الحب ... أنت حياتي التي تحيا بها حياتي ... أنت ...

قمر : اسكت ... لا تقل أكثر من هذا ... هذا ما كنت أريد أن أسمع .

اسماعيل : أكنت محتاجا لأن أقول هذا ، حتى تعرفي مقدار حبي ؟

قمر : لا ولكن كنت أنا محتاجة لأن أسمع منك هذا .

اسماعيل : لـــماذا ؟

قمر : لا أدري ... فقط كنت أريد أن أسمع هذا .

اسماعيل : يا حبي يا قمر الزمان .

قمر : يا حبي يا اسماعيل .

عمارة : القهوة .

اسماعيل : (وكأنه صحا من حلمه) ماذا ... آه ... شكرا .

عمارة : عفوا (ويظل واقفا) .

قمر : قال لك شكرا .

عمارة : وأنا قلت عفوا

قمر : فماذا تنتظر ؟! لقد قال لك شكرا .

عمارة : فقط شكرا هذه لا أستطيع أن أضعها فى جسباب أبيك .

اسماعيل : آه ... صحيح ... خذ ...

قمر : وماذا تريد أكثر من هذا ؟

عمارة : شكرا ... هذا حساب القهوة .

اسماعيل : آه صحيح ... خذ يا عمارة وهذا لك .

عمارة : (يأخذ ما يعطيه له اسماعيل ويطبق عليه يده ويقول فى استنكار) شكرا (وينصرف) حسن فى كل عين من تود .

اسماعيل : لعن الله الفقر يا قمر .

قمر : غنى النفس هو كل شيء ... وأنت يا اسماعيل أغنى النـــاس نفسـا .

اسماعيل : هذا كلام اخترعه الشعراء ، لأنهم فقراء .

قمر : ولكنه كلام صادق .

اسماعيل : لو كان صادقا ، لاحبنى عمارة ، ولكنه لا يحبنى .

قمر : ألا يكفى أن أحبك أنا .

اسماعيل : ان حبك لى هو النور الذى يضيء لى جنبات الحياة .

قمر : ألا يكفى هذا ؟

اسماعيل : لا ... لا يكفى .

قمر : الا يكفى ان يكون لك نور يضيء لك جنبات الحياة ؟!

اسماعيل : فى هذا النور أسير وفى سيرى أرى الناس فقراء تأكلهم الحياة أكلا وتطحنهم بأيامها طحنا عنيفا قاسيا وينظرون الى يريدون أن أعينهم ، وأنا لا أقدم لهم الا ما عندى من حيث طيب ، ومن مشاركة فى آلامهم ولكنهم أبدا لا يريدون هذا ... انهم يريدون من يرفع عن أعناقهم أظافر الفقر المفترسة السفاكة فلا يهمهم حديثى فى شيء ولا يحبوننى ... فالفقراء لا يحبون الفقراء يا قمر الزمان ... والأغنياء أيضا للأسف لا يحبون الفقراء .

قمر : قد يعطفون عليهم .

اسماعيل : الفقر يلهى الناس عن كل العواطف يا قمر الزمان .. الفقير يريد أن يطمئن على قوت يومه وغده ، وهو أبدا لا يستطيع أن يطمئن ... هو فى خوف من غده دائم ... واذا تسلط الخوف على النفس فهى هباء ... لا يستطيع الانسان أن يعمـل وهـو خائف يا قمر الزمان .

قمر : ولكن لعل الخوف هو الذى يجعله يعمل .

اسماعيل : اذا اطمأن الناس عملوا ، واذا أحاط بهم الذعر إنهارت منهم العزائم ·

قمر : ولكن لناس يعملون ·

اسماعيل : يعملون بجزء من عقولهم يسير أما الجزء الأكبر من نفوسهم وعقولهم فحبيس الخوف والذعر والقلق من الغد ومن الفقر ·

قمر : هكذا الحياة ·

اسماعيل : يجب أن تتغير الحياة ··· يجب أن يطمئن النـــاس ··· سترينهم حينئذ يعملون أعظم الأعمال وأروعها ·

قمر : ان لك أفكارا عجيبة ·

اسماعيل : وما فائدة الأفكار ؟

قمر : تجعلنى أحبك ·

اسماعيل : ولكنها لا تجعلنى أحصل لك على المهر !

قمر : ان هذه الأفكار تجعلك بين الناس منفردا ··· ليس للناس فيهم مثيل ···

اسماعيل : ولكنها لا تغنى الناس ولا تجعل الفقراء يحبوننى ·· بل هى حتى لا تجعلنى أحترم نفسى ··· مجرد أفكار ·· فقاعات فى المخ ··· فقاعات من الهواء تأتى وتقال ثم تمضى بلا أثر ·

قمر : ولكن جميع ما حققته الحياة كان نتيجة هذه الأفكار ·

اسماعيل : وما الذى حققته الحياة ؟! هذا الخوف للناس وهذا الفقر ··· وهذا الذعر ··· وهذا الكره ؟ ماذا حققت الحياة للناس ؟!

قمر : اسماعيل ··· أنى أحبك ·

اسماعيل : مع أنى فقــير ولا أستطيع أن أقدم لأبيك المهــر الذى يريد لنتزوج ·

قمر : ولكنى أحبك ·

اسماعيل : أرى الناس وأشقى بشقائهم وأتذكر حبك فكأنما ألقى واحة فى صحراء الشتاء وأقول فى نفسى ولكن الناس ليس لهم واحة مثل واحتى فأعود الى الشقاء ·

قمر : يشغلك الناس عن نفسك !

اسماعيل : اذا عشت معهم ولم أنشغل بهم فالحيوان أعظم منى شأنا ·

قمر : ولكن أحدا من الناس لا ينشغل بالناس مثلما تفعل ٠

اسماعيل : لا أدرى ، ولكن لعل حبى للشعر وللجمال يجعلنى أتمنى أن أرى الجمال فى الناس ٠

قمر : وهل لهذا وسيلة ؟

اسماعيل : لابد أن هناك وسيله ٠

قمر : أتعرفها ؟

اسماعيل : لو عرفتها ما شقيت ٠

قمر : أرى أحدهم قاصدا الى المقهى ٠٠٠ أراك بخير ٠

اسماعيل : أراك بخير ٠

(يدخل رجل تبدو عليه مظاهر الثراء ويجلس الى منضدة وينادى)

الزبون : يا عمارة ٠

عمارة : لبيك ٠٠٠ لبيك يا سيدى وسعديك ٠

الزبون : هل أعددت لى القهوة ؟

عمارة : من الصبح ٠

الزبون : هاتها لاعدمتك ٠

(يأتى عمارة بالقهوة ويضعها على المنضدة ويدور حول الرجل فينظر هذا اليه بعض الحين)

الزبون : تريد أن تقول شيئا ؟

عمارة : حديث بيننا لم يتم ٠

الزبون : أعرفه ٠

عمارة : لابد للحديث أن يتم يا مولانا ٠

الزبون : فليتم الحديث ٠

عمارة : قلت لى انك تاجر وغنى وقلت لى اطلب قمر الزمان دون أن تذكر اسمك ؟

الزبون : نعم فعلت ٠

عمارة : ولكنى يا سيدى لا أعرف اسمك ٠

الزبون : لا تعرف اسمى ؟

عمارة : ومن أين لى أن أعرفه وأنت لم تقله لى ٠

الزبون : ما توقعت أبدا أن صبيا فى مقهى لا يعرف اسم زبون فيها ٠٠٠ ان لهم مقدرة لا تتأتى الا لهم ٠٠٠ ما أن يأتى الزبون يوما وثانيا

حتى يكون اسمه وعنوانه وعمله وثروته وأولاده وزوجته معروفة للمقهى جميعا ٠

عمارة : الا أنت ٠

الزبون : كيف ؟

عمارة : الذى لا شك فيه أنك من مكان فى بغداد بعيد كل البعد عن هذه المنطقة سألت عنك زبائن المقهى أجمعين فما عرفك منهم أحد ٠٠٠ أو لعل عملك يتصل بناس لا يجلسون على مثل هذا المقهى ٠

الزبون : أحقـــا ؟

عمارة : وحياة رأسك ٠٠٠ ان لك لشأنا لا أدريه ٠٠٠

الزبون : اذن فأنت لا تعرفنى ؟

عمارة : المنطقة كلها لا تعرفك ٠

الزبون : وأنت اذن تريد أن تعرف من أنا ؟

عمارة : يا سيدى الناس لا يزوجون بناتهم لعابرى السبيل ٠

الزبون : انك تعرف أنى تاجر وأنى غنى ٠

عمارة : هراء ٠٠٠٠ من أين لى أن أعرف ؟ ألأنك قلت إنك تاجر ، وانك غنى تصبح تاجرا وغنيا ؟!

الزبون : وماذا تريدنى أن أفعل ؟

عمارة : لابد أن أعرف عنك كل شىء ٠

الزبون : وكيف ستصدقنى ان قلت لك ٠

عمارة : الحديث من سياقه يظهر صدقه أو كذبه ٠

الزبون : لعلى خبير فى الحديث ألفقه كما أشاء فيبدو أشد صـــدقا من الصـــدق ٠

عمارة : لو كان الصدق فيه واضحا كل الوضوح فهو كاذب أيضا ٠

الزبون : أنت محق فالحقيقة دائما تحمل جانبا من الخيال ٠

عمارة : الحياة أبرع من يستعمل الخيال فى تصرفاتها ٠

الزبون : لى حديث طويل ٠

عمارة : وماذا وراءنا ؟ الزبون الآخر الجالس هنـــاك منا وعلينـــا وقد دفع حسابه وبقشيشه الحقير وليس عندنا عمل والأشيا معدن ٠

الزبون : أليس عندك عمل على الاطلاق ؟

عمارة : الآن لا ٠

الزبون : ما أسعدك !

عمارة : عــــلام ؟

الزبون : تملك وقت فراغ

عمارة : أراك أكثر فراغا منى .

الزبون : ألأنى أجلس هنا ؟

عمارة : وهل بعد هذا فراغ ؟

الزبون : لا جعل الله أحدا ينشغل كشغلى .

عمارة : وفيم شغلك ، وأنت على المقهى منذ الصباح لا تتركها الا فى الظهيرة؟!

الزبون : التجارة يابنى شغلها كثير .

عمارة : أما تزال تعمل فى التجارة ؟

الزبون : ليل نهار .

عمارة : ونهار أيضا .

الزبون : ليل نهار .

عمارة : يا أخ هل أنت تعمل بالنهار ؟!

الزبون : أغلب عملى بالنهار .

عمارة : هنا على المقهى ؟!

الزبون : أى وحياتك .

عمارة : أعز الله حياتك !

الزبون : ألا تصدقنى ؟

عمارة : وكيف لا أصدقك ؟ وهل يصدقك غيرى ؟ انى أراك كل يوم وأنت تقطع نفسك من الشغل !

الزبون : أتسخر ؟

عمارة : ياعم أقسم بالله أننى ظننتك تركت التجارة منذ زمن بعيد ، وهل يعقل أن يترك تاجر دكانه فترة الصباح جميعا ويجلس الى المقهى ويظل مع ذلك يدعى أنه تاجر ؟!

الزبون : وهل قلت اننى صاحب دكان ؟!

عمارة : فأى نوع من التجارة أنت ؟!

الزبون : أنا أعظم التجار شأنا وأعلاهم مرتبة .

عمارة : تاجر جواهر أنت ؟

الزبون : بل أعظم .

عمارة : هل هناك أعظم من تجارة الجواهر ؟!

الزبون : تجارتى .

عمارة : وما هى ؟

الزبون : لا أقولها ··· لا أستطيع أن أقولها لك ·

عمارة : لعلك تتاجر فى ··· فى ··· فى المسروقات مثلا ؟

الزبون : أبدا ··· أبدا ·

عمارة : فأى نوع من التجارة أنت ؟

الزبون : يكفيك أن تعلم أننى أكسب مكاسب لا تخطر لك على بال ·

عمارة : سعيد أنت ؟

الزبون : بل أشقى عباد الله ·

عمارة : مع هذا الغنى !

الزبون : أنا يابنى فى رعب دائم ··· ولا سعادة مع رعب أبدا ·

عمارة : أى نوع من الرعب هذا ؟

الزبون : رعب الأغنياء ·

عمارة : وهل للاغنياء رعب ؟!

الزبون : أشد من رعب الفقراء ·

عمارة : اللهم رعبا كرعب الاغنياء !!

الزبون : اسكت ··· اسكت فأنت لا تعرف ·

عمارة : فعرفنى أنت ·

الزبون : رعب الغنى على أمواله وحرصه على الزيادة وخوفه من النقصان ·

عمارة : هذا جنون ·

الزبون : وهل الرعب الا جنون ؟

عمارة : والخلاصة ؟

الزبون : أى خلاصة ؟

عمارة : ألا تخبرنى ما عملك ؟

الزبون : لا أستطيع ·

عمارة : فماذا أقول لعم أبو الحسن ؟

الزبون : تاجـر ·

عمارة : تاجر ماذا ؟

الزبون : تاجر وغنى ·

عمارة : هذا لا يكفى ·

الزبون : أدفع مهرا ألفى دينار ·

عمارة : ألفى دينار ·

(يدخل الى المقهى نور الدين الشاعر ويتجه الى اسماعيل)

اسماعيل : أهلا نور الدين ، كيف الحال ؟

نور الدين : شر حال ·

اسماعيل : أعوذ بالله هكذا على الصبح ، ماذا جرى ؟
نور الدين : وهل يتعبنى الا الصبح يا اسماعيل .
اسماعيل : ما عيب الصبح ؟
نور الدين : أمل خائب ويوم جديد بهم جديد .
اسماعيل : أو يوم جديد بأمل جديد .
نور الدين : ومن أين الأمـل ؟! من أين ؟! أتصـدق بالله بتنـا بالأمس من غير عشاء ، وكنا فى وقت العشاء بغير غداء ، وكنا وقت الغداء بغير فطور وكنا وقت الفطور بغير عشاء ... ساقية يابنى من الجوع الأيام ساقية تخرج جوعا ... والأولاد أمامى لا أطيق أن أنظر اليهم ... جياع يا اسماعيل جياع !
اسماعيل : هذه أول مرة تشكو .
نور الدين : نعم لم أكن أشكو .
اسماعيل : كنت فى اليأس الشديد تضحك ، وتكتب الشعر ، وتنظـر الى الغد بعين باسمة .. هذه أول مرة تشكو .
نور الدين : أتعلم لماذا أشكو ؟
اسماعيل : لا .
نور الدين : أشكو ، لأننى أصبحت أشكو بدلا من أن أكتب الشعر .
اسماعيل : لا أفهم .
نور الدين : كانت لى القدرة دائما أن أفصل بين الشاعر فى نفسى والانسان، فان رأى الانسان نفسه جوعان وأولاده وزوجته جياع انفصل عنه الشاعر وكتب شعرا وجـاء بالنقود ، فيسكت الانسان وزجتـه وأولاده .
اسماعيل : فماذا جرى للشاعر ؟
نور الدين : تغلب عليه الانسان .
اسماعيل : تقصـد .
نور الدين : أقصـد أن الشاعر أيضا أصبح يبكى لجوع أبنائه وزوجتـه وجوعه .
اسماعل : وأين قدرتك على الفصل بين الشاعر والانسان ؟
نور الدين : لى يومان لم أستطع فيها أن أكمل بيتين من الشعر .
اسماعيل : يومـان .
نور الدين : قلت المطلع والشطر الأول من البيت الثانى ، ثم سكت ..

نور الدين : وقفت أجيل الطرف حولى فراغنى

مدامع فى عينى لا تنحدر

أهيب بها تهمى فتأبى ترفعا

ثم سكت ..

اسماعيل : هذا هو الشاعر فيك ... لا تخف فما دمت تحس بالترفع فأنت شاعر وستزول الأزمة .

نور الدين : يومان والأزمة مستحكمة .

اسماعيل : وما يومان .

نور الدين : اليومان ساعات طويلة من الجوع والألم بجوع أولادك والعجز عن اشباعهم . الساعة فى هذين اليومين دهور طويلة فانظر كم من الدهور مر فى اليومين .

اسماعيل : أعطيك نصف ما معى .

نور الدين : لا .

اسماعيل : لمـــاذا ؟

نور الدين : أخاف أن يتعود الشاعر على هذا ولا يقول الشعر بعد ذلك فنموت جميعا من الجوع .

اسماعيل : ان الشاعر فيك لم يصنع هذا معك الا مرة واحدة .

نور الدين : كل عادة تبدأ بمرة واحدة ... سلام عليكم .

اسماعيل : الى أين ؟

نور الدين : أسير فى الطريق حتى أكمل القصيدة .

اسماعيل : أنتظر ..

نور الدين : لا أنتظر ، فانك تغرينى ... والانسان والشاعر فى ضعفان ... لا ... لا أنتظر سلام عليكم .

(يخرج من المسرح)

عمارة : اذا كانت تجارتك لا تقال فلا شك أنها خطيرة .

الزبون : سوف تعرفها حين أريد ذلك .

عمارة : ولكن عم الحسن لابد أن يعرفها .

الزبون : اذا استطعت أن تتم هذه المسألة دون أن تعرف تجارتي .

عمارة : ماذا ؟

الزبون : مائة دينار !

(يدخل بائع الاشياء القديمة من الناحية التي يجلس بها اسماعيل)

البائع : تحف وهدايا تحف (يتقدم منا سماعيل) ألا تشتري مني شيئا يا سيد ؟

اسماعيل : شكرا .

البائع : اعتبرها صدقة فوذات الله العلية لم أذق الزاد منذ أيام ... لا أنا ولا أولادي .

اسماعيل : ماذا عندك ؟

البائع : ما تريد ... هذه أواني من الفضة .

اسماعيل : (ساخرا) الفضة .

البائع : وهذه أخرى من النحاس .

اسماعيل : وغيرها .

البائع : معي مصابيح جميلة .

اسماعيل : أريد مصباحا رخيصا .

البائع : خذ هذا .

اسماعيل : بكم ؟

البائع : عشرة دراهم .

اسماعيل : لا أستطيع فهو غالي الثمن .

البائع : انه جديد .

اسماعيل : لا يهمني أن يكون جديدا .

البائع : فخذ هذا .

اسماعيل : بكم ؟

البائع : بأربعة دراهم .

اسماعيل : هاته .

البائع : بارك الله فيك .

(يدفع له اسماعيل الثمن ويمضي البائع في طريقه)

البائع : تحف وهدايا تحف .

اسماعيل : انه من عهد نوح ... لا بأس لعلي اذا جلوته يصبح أنيقا المهم أن يضيء لي حجرتي ... ولكن أي جلاء ينفع فيه (يدلكه بيده) لا ... لا أظن أن أي جلاء سيفيد معه .

(يتقدم شخص الى منضدة اسماعيل ويجلس عليها في هدوء)

الشخص : نعـــم .

اسماعيل : أنعم الله عليك ... ماذا تريد ؟

الشخص : بل ماذا تريد أنت ؟

اسماعيل : ياعم أنا لا أعرفك .

الشخص : أنا خادم هذا المصباح .

اسماعيل : ماذا ؟!

الشخص : اذا مررت بأصبعك على هذا المصباح جئت اليك .

اسماعيل : نعم ... أتراني عبيطا ؟! أم أنت تريد أن تهزل ؟ قم يابنى الله يفتح عليك .

الشخص : أقوم ... أمرك (يقف) أين تريد أن أذهب ؟

اسماعيل : (في دهشة) هل أنت جاد ؟!

الشخص : يا سيدى أنا لا أستطيع أن أهزل .

اسماعيل : أنت عفريت .

الشخص : دعنا نقول انني خادم هذا المصباح

اسماعيل : حذار أن تكون ساخرا .

الشخص : عفوا مولاى ، انني خادمك .

اسماعيل : سمعنا بمثل هذا ولم نره .. ولكنهم كانوا يقولون ان عفريتا يشق الأرض أو السماء فيبدو عاليا مندلعا الى الفضاء ثم يقول شبيك لبيك عبدك وبين يديك .

الشخص : كان هذا ولكن رأينا أن هذا قد يخيف صاحب الشيء المرصود ... فانتهينا الى أن نتقـدم له في هدوء كما فعلت أنا ونسـأله عما يريد .

اسماعيل : معنى هذا اذن أنك تفعل كل ما أريد .

الشخص : كل ما تريد .

اسماعيل : لابد أن أتأكد .

الشخص : تأكد .

اسماعيل : ضع في جيب عمارة هذا كيسا من الذهب .

الشخص : لقد أصبح في جيبه كيس من الذهب .

اسماعيل : اجعله يحس به .

عمارة : (يضع يده على جيبه) ما هذا ... (يخرج الكيس) ما هذا ... (ينظر الى التاجر) هل وضعت هذا في جيبي ؟

التاجر : وضعت ماذا ؟

عمارة : هـــذا .

التاجر : كيس ؟ ماذا به ؟

عمارة : (يفتح الكيس) ذهب .. أنت فعلت هذا .

التاجر : أنا لا أحمل أكياسا من الذهب .

عمارة : اسمع أنا لا أحب أن أجن .

التاجر : وأنا لا أحب أن أبعثر أموالى .

عمارة : من أين جاءنى هذا ؟

التاجر : لا أدرى .

عمارة : ليس معنا أحد الا أنت ؟

التاجر : لعله هذا الجالس هناك أراد أن يمزح معك .

عمارة : من ؟! هذا ؟! اسماعيل ... انه فى حياته جميعا لم يخرج من جيبه عملة ذهبية ... ولا يعقل ... اسمع ... هديتك مقبولة على كل حال ولكن هذا كثير ، انه أكثر من مائة دينار .

التاجر : أنت اذن مصر على أننى أنا الذى وضعتها فى جيبك .

عمارة : اسمع ... أنا لا أملك الا عقلى وهو أملى فى مستقبلى فان أضعته منى فلن تتم لك الصفقة التى تريد ولن تجنى من هذا الا أن أصبح مجنونا يجرى فى الطرقات يتحسس جيبه لعل الذى أعطاه كيسا فى المرة الأولى يعطيه بعد ذلك دائما ... فقل لى وسريعا ... هل أنت الذى أسقطت هذا الكيس فى جيبى ؟

التاجر : اعتبره هدية منى .

عمارة : عظيم ... نعود الى حديثنا اذن .

اسماعيل : اذن فأنت تستطيع أن تفعل ما تشاء .

الخادم : عفوا ... اننى أستطيع أن أفعل ما تشاء أنت .

اسماعيل : أى شىء ؟

الخادم : أى شىء .

اسماعيل : هل تستطيع أن تجعل أهل بغداد جميعا سعداء ؟

الخادم : الا هذا .

اسماعيل : أرأيت .

الخادم : نحن لا نستطيع أن نقدم السعادة أو البؤس .

اسماعيل : فماذا تستطيع أن تقدم ؟

الخادم : الغنى أو الفقر فقط .

اسماعيل : هل نستطيع أن تكفى اهل بغداد جميعا ؟
الخادم : أستطيع .
اسماعيل : تقدم لهم جميعا ما يحتاجون من عيش ، ومأكل ، وملبس ؟
الخادم : أستطيع .
اسماعيل : منذ الآن ؟
الخادم : منذ هذه اللحظة .
اسماعيل : فافعل اذن .
الخادم : أفعل ... أتريد شيئا آخر .
اسماعيل : لا .
الخادم : ألا تريد شيئا لك أنت .
اسماعيل : انني من أهل بغداد ... ألست كذلك ؟!

الخادم : أعنى ألا تريد أن أبنى لك قصرا وأحضر لك الذهب والجواهر وما الى ذلك .

اسماعيل : لا ... لا أريد الا أن يشبع أهل هذه المدينة جميعا ولا يجوعوا أبـدا .

الخادم : أفعل ... ولكن لا شأن لى بسعادتهم .
اسماعيل : أشبعهم أنت ولا شأن لك بسعادتهم .
الخادم : أفعل .

(يهم الخادم بالانصراف فيناديه اسماعيل)

اسماعيل : انما قل لى .
الخادم : نعـــم .

اسماعيل : لماذا لم تفعل هذا من نفسك ؟! أكان لابد أن أدلك المصباح حتى تقوم بهذا العمل ؟! أتترك النـــاس جياعا عرايا ولا تمد يدك ، لعونهم الا حين أدلك المصباح .

الخادم : نحن نفعل ما نؤمر به .
اسماعيل : عجيب أمرك ... على كل حال مع السلامة .
الخادم : سلاما .

(ينصرف)

(يجلس اسماعيل فترة صامتا ويستمر النقاش بين عمارة والزبون دون حديث تبدو على اسماعيل امارات الفرح والاطمئنان يدخل أبو الحسن)

أبو الحسن : انت هنا يا اسماعيل ؟

اسماعيل : (يقف) صباح الخير ياعم أبا الحسن .

أبو الحسن : المقهى خالية ... المقهى خالية دائما .. وأريد أن أجهز لك عروسك .

اسماعيل : انها كثيرا ما تزدحم .

أبو الحسن : انها لا تزدحم أبدا ... لا تزدحم أبدا يا اسماعيل ...

اسماعيل : لكل عمل متاعبه ياعم أبا الحسن .

أبو الحسن : الا المقاهى فمتاعبها فوق الوصف .

اسماعيل : مع أن الناس يحبون المقاهى .

أبو الحسن : أى ناس ؟! انهم الفارغون الذين لا يملكون شيئا يطلبون الطلب الهائف ويشغلون الكرسى والنضد عشر ساعات .. ولمقاهى يابنى أبخات تجد مقهى حقيرا لا يساوى درهما ومع ذلك كل الناس تزدحم فيه كل وقت ومقهى نظيفا كمقهاى ولا يقصده الناس .

اسماعيل : أتعرف ياعم اسماعيل ما الذى ينقصك ؟

أبو الحسن : ماذا ؟

اسماعيل : أن تجعل لمقهاك هذا طابعا معينا ... شيئا بذاته يجعل الناس يقصدونه من أجله .

أبو الحسن : قل لى يابنى ما هذا الشىء ؟

اسماعيل : لا أعرف ... لو استطعت أن تستأجر مغنيا .

أبو الحسن : يابنى ومن أين أدفع له ؟

اسماعيل : الزبائن هم الذين سيدفعون له .

أبو الحسن : يابنى أنت أغنى الزبائن عندى ... رواد المقهى كلهم فقراء ، ولا يستطيعون أن يدفعوا شيئا .

اسماعيل : لا تخف ياعم أبو الحسن ... سيصبح الجميع أغنياء .

أبو الحسن : ماذا تقول ؟

اسماعيل : سيصبح الجميع أغنياء ... الجميع .

أبو الحسن : يابنى حكايتك لا تشبهها حكاية .

اسماعيل : كيف ؟

(يعلو صوت عمارة)

عمارة : لقد فهمت كل شىء وان كنت الى الآن لم أعرف من أنت .

التاجر : أبعد كل هذا الحديث لم تعرف من أنا ؟!

عمارة : لا ولكننى تأكدت أنك تاجر ٠

التاجر : كيف ؟

عمارة : تستطيع ان تأخذنى الى دجلة عطشان وترجع بى الى المقهى وأنا عطشان ما أزال ٠

التاجر : (ضاحكا) يابنى هل سألتنى عن شيء ولم أجبك ؟

عمارة : الشيء الوحيد الذى أردت أن أعرفه لم تقله لى ٠

التاجر : فيم أتاجر ؟

عمارة : فيم تتاجر ؟

عمارة : ألم أقل لك ٠

التاجر : هات لنا فنجان قهوة ٠

عمارة : أنا عارف أننى لن آخذ منك حقا ولا باطلا ٠

التاجر : يابنى هات القهوة ٠

(يقوم عمارة الى المكان الذى يعد فيه القهوة ويرجع وهو يصرخ حاملا العيش واللحم)

عمارة : طيب الكيس وقلنا التاجر وضعه لنا فى جيبنا طيب وهذا العيش واللحم ٠٠٠ وهذا العيش واللحم ٠٠٠ ؟!

أبو الحسن : مالك يا ولد يا عمارة ؟

عمارة : ان الجان والعفاريت وسكان البحار السبعة وأبناء طباق الأرضين يدبرون فى بغداد حدثا ضخما ٠٠٠ حدثا ضخما ٠

(يتجمع الناس حول عمارة بينما يضيء النور فى بيت ابى الحسن وتظهر جمالات وترى العيش واللحم على النضد الذى كانت تأكل عليه ٠٠ تظهر عليها الفرحة)

جمالات : يعمر بيتك يا أبا الحسن ٠٠٠ الله ٠٠٠ اللحم مطبوخ ٠٠٠ يعنى طبخى لا يعجبك ٠٠٠ من الذى طبخ لك اللحم ؟! والله لأجعل نهارك أسود من هباب الحلل ٠٠ طبخى لا يعجبك يا أبا الحسن ٠٠٠ بعد هذا العمر كله ٠٠٠ طيب ٠

(تخرج)

أبا الحسن ٠٠٠ أنت يا أبا الحسن

أبو الحسن : مالك يا جمالات ٠٠٠ أهذا وقته ؟

جمالات : من الذى طبخ لك هذا اللحم ؟

عمارة : (صارخا) اللحم ··· اللحم ··· انهم يدبرون شيئا فى بغداد ·
أبو الحسن : انتظر يا عمارة ، أين اللحم يا امرأة ؟!

جمالات : هذا اللحم الذى أحضرته ··· ألا يعجبك طبخى يا ضائع يا جائع حتى تأتى بلحم مطبوخ ·

أبو الحسن : (فى غيظ شديد) أى لحم يا جمالات أى لحم ؟!
جمالات : هذا اللحم ··· ألا تراه ؟ هذا اللحم ·

أبو الحسن : أنا ··· أنا (يبكى) أنا يا جمالات لم أحضر لحما ··· أنا لم أحضر لحما ·

عمارة : (صارخا) صلاة النبى أحسن من كل العفاريت ··· والمعلم لم يحضر لحما (يرقص) والمعلم لم يحضر لحما والمعلم لم يحضر لحما ··· والمعلم لم يحضر لحما ·

ستار

● الفصل الثانى

(يلاحظ ان الجالسين هم الذين كانوا يمرون مسرعين فى الفصل الأول — نفس المنظر الأول — اسماعيل ونور الدين — المكان مزدحم — خادم المقهى ليس عمارة)

اسماعيل : (فرحا) مرحبا يا صناجة العصر وشاعر الزمان

نور الدين : فرجت فرجا لا أول له ولا آخر ·

اسماعيل : من حيث لا تحتسب ·

نور الدين : وهل كان أحد يحتسب ··· من أين للناس هذا جميعة

اسماعيل : الأولاد الآن ·

نور الدين : (مقاطعا) شبع ودفء وملابس من صنع السماء ·

اسماعيل : وزوجتك ؟

نور الدين : كنساء بغداد جميعا ·· كاسية آكلة سعيدة ··· سعيدة ···

اسماعيل : سعيدة ؟

نور الدين : أتريد الحق ؟

اسماعيل : اذا شئت أن تقول ·

نور الدين : الغريب أنها ليست سعيدة ·

اسماعيل : كيف ؟

نور الدين : تريد الأكل والملبس منى آنا ··· وتريد أن تطبخ وتريد أن تشكو وتريد أن تلعن سنسفيل آبائى ولكنها لا تجد سببا لشىء من هذا أبدا فهى غير سعيدة ·

اسماعيل : هى اذن غير سعيدة لأنها غير شقية ؟

نور الدين : انها غير سعيدة ، لأنها لا تمارس انسانيتها ·

اسماعيل : الطبيخ والشتيمة والشكوى هى الانسانية ·

نور الدين : أجزاء من الحياة لا يمكن الاستغناء عنها ٠

اسماعيل : ولكن أنت سعيد ؟

نور الدين : أما أنا فسعيد غاية السعادة ٠

اسماعيل : أكل ومرعى وقلة صنعة ٠

نورالدين : لا أحمل هم شيء ٠٠٠ الأكل فيالبيت والأولاد في أرغد عيش والأشيا رضي والحمد لله ٠

اسماعيل : لا شغل الا الشعر والجمال وموسيقى الحياة الهائلة حولك ٠

نور الدين : (في نغمـــة يبين فيهـا نبرة من الحـزن) انا في سعادة لا مثيل لها ٠

اسماعيل : وطبعا أكملت الأبيات وصنعت بعدها قصائد وقصائد ٠

نور الدين : أي أبيات وأية قصائد ؟

اسماعيل : البيتان ٠٠٠ نظمت منهما بيتا وشطره ٠٠٠ طبعا أكملت البيت الناقص ٠

نور الدين : أنا لا أذكر شيئا عن هذين البيتين ٠

اسماعيل : لقد رويتها لي مرة واحدة ، ولكني حفظتهما :

وقفت أجيل الطرف حولي فراعني

مـدامع في عيني لا تنحـدر

أهيب بهـا تهمي فتأبى ترفعا

ثم لم تكمل ٠٠

نور الدين : نعم تذكرت ٠

اسماعيل : هل أكملت البيت الناقص ؟

نور الدين : لا لم أكمله ٠٠٠ لماذا أكمله ؟

اسماعيل : لأن البيت لابد أن يكمل ٠

نور الدين : لمـــاذا ؟

اسماعيل : لأن البيت لا يصبح بيتا حتى يكمل ٠

نور الدين : وما أهمية أن يصبح البيت بيتا ؟

(في أثناء هذا الحوار يلاحظ أن خادما غير عمارة يدور على الناس ، ويقدم لهم فناجين ، ولكنهم يردون الطلبات ، ويعطونه نقودا ، فيردها هو ايضا) ٠

اسماعيل : ليكون شعرا ٠

نور الدين : وماذا يحصل ان لم يصبح شعرا ؟

اسماعيل : ألا تحس أنك تريد أن تقول شعرا ؟ أنت ··· أنت ألا تريد أن تقول شعرا ؟

نور الدين : لا ·

اسماعيل : والشعر ؟!

نور الدين : ليذهب الى جهنم وبئس المصير ·

اسماعيل : لقد شبعت فلتقل الشعر الآن وأنت مطمئن ·

نور الدين : ومن أدراك أنني كنت أريد أن أطمئن ، لأقول الشعر ؟

اسماعيل : من منا لا يبحث عن الاطمئنان ؟

نور الدين : أبحث عن الاطمئنان نعم ، ولكن ألابد لى أن أقول الشعر ؟

اسماعيل : لقد خلقت لتقول الشعر ··· ما فائدتك في الحياة ان لم تقل الشعر ؟!

نور الدين : وما فائدة الشعر في الحياة ؟

اسماعيل : أنت الذى تقول هذا !

نور الدين : ولماذا لا أقوله ؟

اسماعيل : لقد عشت كل هذه الأيام التي مضت ، لأنك تقول الشعر ·

نور الدين : وهل هذا يعنى أن للشعر فائدة ؟!

اسماعيل : لك على الأقل هو ذو فائدة كبيرة ·

نور الدين : لأن هناك مغفلين يحبون أن يسمعوا مثلى يمدح أمثالهم ·

اسماعيل : حتى أنت تقول هذا !

نور الدين : انها الحقيقة ··· الحياة واقع والشعر زيف ··· زيف ··· الواقع لا يحب الزيف ··· الحياة لا تحب الشعر ·

اسماعيل : حياة بائسة حقيرة تلك التي تتحدث عنى ··· حياة مهيئة كالشجر الذابل كالبلبل الصامت كالنهر الجاف ·

نورالدين : (ضاحكا في سخرية) انه أنت الذى يحاول أن يقول الشعر ·

اسماعيل : يا ليتنى ··· يا ليت ··· ولكن كيف أقول ؟ انه أنت الذى تعرف كيف تقول ولكنك صامت ··· صامت ··· لماذا ؟! لماذا ؟! (ثائرا) ، لقد شبعت بعد جوع وأجنت ، وكنت قلقا فلماذا لا تقول ؟! لماذا ؟! لماذا يا نور الدين لماذا ؟!

نور الدين : أريد أن أعيش ··· أريد أن أحيا ·

اسماعيل : لا حياة لك بلا شعر ·

نور الدين : لا حياة لى مع الشعر ··· أريد أن أعيش هذه الحياة دون أن أتكلم ··· أعيشها كالناس ··· كهؤلاء الناس ··· لماذا أقول أنا ليطربوا هم ؟! لماذا أطرب معهم ؟! لماذا أكون أنا سلوتهم ولا أجد أنا من يسليني ؟!

اسماعيل : ولكنك ان سكت لا يجد الناس سلوى ·

نور الدين : ليذهبوا الى الجحيم ···

اسماعيل : ألا تجد السلوى فى قول الشعر ؟

نور الدين : أجد العناء والكد ··· أجد نفسى فى تيه من الألفاظ والمعانى فالدنيا أمامى لا شىء الا الكلمة والقافية ··· والمشـاعر المحترقة والأعصاب المشدودة ··· الى الجحيم فليذهب ··· الى الجحيم ···

اسماعيل : ولكن عندما تنتهى من البيت ··· عندما تجد اللفظة التى كنت تبحث عنها ، حين تكتب المعنى الذى تريد قوله ··· ألا تحس هذه الخفقة فى قلبك ، أنك خلقت شيئاً ؟ ألا تساوى هذه الخفقة الدنيا كلهـــا ؟

نور الدين : سئمت هذه الخفقة ·

اسماعيل : لا تستطيع ··· انها ولدت معك ··· جزء من كيانك ··· بعض من دمائك انها أنت ·

نور الدين : انى أعيش الآن ··· ألست كذلك ؟! انى أعيش ·

اسماعيل : الذى أراه أنك تموت ·

نور الدين : دعنى ··· دعنى ··· لا أريد أن أقول شيئا ··· ليس هنـ ما أقوله ، الناس شباع مكتسبون لا مشاكل لهم ، فلماذا أقول ؟!

اسماعيل : لأنك لابد أن تقول ·

نور الدين : ماذا أقول ؟

اسماعيل : افرح مع الناس ··· كن غناءهم فى اطمئنانهم كن ضحكتهم فى فرحهم ··· كن هؤلاء الناس جميعـا ··· كن أنت نشيدهم وأهازيجهم ·

نور الدين : الناس ··· أى ناس ؟!

اسماعيل : اخوانك ··· أبناء حياتك ·· جيرانك ··· وأصدقاؤك ··· هؤلاء الناس ·

نور الدين : أهم سعداء ؟

اسماعيل : انهم آمنون .

نور الدين : من أين لهم الأمن ؟

اسماعيل : الرزق يأتيهم كل يوم .

نور الدين : وهم أمنوا رزق الغد ؟

اسماعيل : لقد ضمنوا رزق اليوم .

نور الدين : ان القلق جزء من حياتنا نخلقه ان لم نجده ... انهم كما عهدتهم في رعب أن لا يأتيهم في الغد ما جاءهم اليوم من رزق .

اسماعيل : ولكنهم سعداء ... سعداء يا نور الدين ... أليسوا سعداء ؟

نور الدين : انهم يريدون أن يعملوا ... العمل هو الشيء الوحيد الذي يجعلهم لا يفكرون في القلق .

اسماعيل : ولكنهم سعداء يا نور الدين ... أليسوا كذلك يا نور الدين ؟ (في رجاء) انهم سعداء يا نور الدين أليسوا كذلك انهم سعداء ؟

نور الدين : لا أدرى ... لعلني أخرف ... نعم لعلهم سعداء لعلني أخرف ... ماذا يريدون أكثر من هذا ليكونوا سعداء ؟! نعم لابد انهم سعداء .

اسماعيل : (وقد هدأت نفسه) نعم انهم سعداء .

نور الدين : يجب أن يكونوا سعداء .

اسماعيل : فلماذا لا تغنى سعادتهم يا نور الدين ؟! غن سعادتهم .

نور الدين : ولكنى يا اسماعيل ... ولكنى ...

اسماعيل : ولكنك ماذا ؟

نور الدين : لا أريد أن أغنى .

اسماعيل : لا تريد !

نور الدين : (يقوم) لا أريد أن أغنى يا اسماعيل (يتجه الى الطريق لينصرف) .

اسماعيل : ألا تغنى يا نور الدين ؟ ألا تغنى ؟

نور الدين : أنت محق يا اسماعيل .. كان يجب أن اغنى ولكنى لا أريد .. لا أدرى لماذا ؟! ولكنى لا أريد .

(ينصرف)

اسماعيل : (يرفع صوته) ولكن يجب أن تغنى يا نور الدين يجب أن تغنى .. هه يجب أن تغني .

(يعلو صوت شخصين يجلسان على منضدة أخرى)

الأول : أرأيت ما فعله الولد عمارة ؟

الثانى : ترك المقهى وقعد فى البيت ·

الأول : عبيط ·

الثانى : ميمون أحسن منه ·

الأول : الولد عمارة كان خفيف الظل ·

الثانى : ولكنه كان طماعا ·

الأول : كل فتيان المقاهى طماعون ·

الثانى : ولكن ميمون لا يطمع ·

الأول : انه أشد طمعا من عمارة ·

الثانى : (يتثاءب) يا شيخ ·· انه يرفض أن يأخذ لنفسه نقودا ·

الأول : انه فقط يستطيع أن يخفى طمعه ·

الثانى : أو لعله لا يحتاج الى شىء ·

الأول : نعم فعلا انه لا يحتاج ·· ان أحدا من الناس لا يتحاج الى شىء ·

الثانى : اننا فى بغداد لا نحتاج الى شىء ·

الأول : انما قل لى ·

الثانى : أقول لك ·

الأول : كم مرة تبادلنا هذا الحديث ؟

الثانى : أى حديث ؟

الأول : هذا الحديث عن عمارة وعن ميمون وعن الناس فى بغداد ·

الثانى : لا أذكر ·· كثيرا ما تبادلناه ·

الأول : لقد أصبحنا نقوله بالحرف الواحد لا نغير فيه شيئا ·

الثانى : قل لى ·

الأول : أقول لك ·

الثانى : هل قلت ان الناس فى بغداد لا تحتاج الى شىء ؟

الأول : نعم ··· ألا تعرف هذا ؟

الثانى : اذن فلعل الناس فى غير بغداد يحتاجون ·

الأول : هل تريد أن تحتاج ؟

الثانى : لا ولكنى أريد الناس أن تحتاج الى ·

الأول : اذا احتاج اليك الناس فلابد أن تحتاج اليهم ·

الثانى : وما البأس أن أحتاج الى الناس ، ويحتاجوا الى ··· ألا تكون حياة جميلة هذه ؟ أحتاج الى الناس ويحتاجون الى ·

(يتقدم منها ميمون)

ميمون : قهوة ... على مزاجك يا عم عباس .
عباس : أنا لا أريد قهوة .
ميمون : اذا انتظرتك حتى تريد قضيت يومى كله بلا عمل .
عباس : وما الذى يحدث اذا قضيت يومك بلا عمل ؟ أحسن من من أنت ؟
ميمون : ولماذا لا تريد القهوة ياعم عباس ؟

عباس : (يصمت لحظة) والله يابنى لك حق ... لماذا لا أريد القهوة ؟ الظاهر اننى أصبحت أكسل حتى عن التفكير فى طلب شىء .. كسل ... أنا لا أريد قهوة ... أنا أكسل من أن أرفع الفنجان وأرشف القهوة .. و .. و .. الى آخر هذه الاجراءات السخيفة .

ميمون : اشربها على حسابى ياعم عباس ... تحية منى .

عباس : وهل ذكرت شيئا عن الحساب ؟! هل ذكرت شيئا عن الحساب يا عثمان ؟!

عثمان : أبدا ... هو يابنى كسلان .

(ينادى أحد الجالسين الى منضدة مجاورة على ميمون)

الزبون : ميمون ... يا ميمون .
ميمون : نعم ياعم سليمان ... نعم .
الزبون : تعال وأنا أريحك من مسألة القهوة .
ميمون : لا يمكن أن تريحنى ياعم سليمان .
سليمان : لمـــاذا ؟
ميمون : لأننى صنعت لك قهوة أنت الآخر .

(ينتقل ميمون الى منضدة سليمان)

سليمان : لا بأس عليك ... تعال .
سليمان : أعرض عليك اقتراحا .
ميمون : أنا تحت أمرك .
سليمان : تشرب أنت القهوتين .
ميمون : انها أربع قهاوى ؟
سليمان : أربع قهاوى ؟!
ميمون : أربع قهاوى .
سليمان : لا بأس اشربها أنت جميعا ، وأنا أدفع لك ثمنها بشرط .
ميمون : ما الشرط ؟
سليمان : أن تجعلنى أنا أصنع قهوتى .

أصوات : نعم ··· نعم ··· نريد نحن أن نصنع القهوة :

ميمون : انتظروا ·· انتظروا ·· على مهلكم ·· خذوا أنفاسكم ·· اذا صنعتم أنتم القهوة فماذا أصنع أنا ؟!

أصوات : تستريح ···

سليمان : تجلس على أحسن منضدة تعجبك ونخدمك نحن ·

ميمون : ان لذتى فى الحياة أن تنادينى وأجيبك ·

سليمان : وما الذى يجرى لو ناديت أنت وأجبت أنا ؟!

أصوات : كلنا نجيبه ··· كلنا نجيبه ·

ميمون : الحال ينقلب ··· الطبيعى أن يجلس الزبائن ويخدم ميمون

عباس : تتكلم وكأنك فى المقهى منذ أعوام ··· انك لم تأت الا فى اليوم الأخير أقصد فى اليوم الأغر الذى أصبحنا فيه لا نحتاج الى شىء ·

سليمان : لو كان عمارة هنا لقبل أن يجلس ونخدمه نحن ·

اسماعيل : ولكن هذا الوضع يكون شاذا يا اخوان ·

سليمان : وهل الوضع الذى نحن فيه طبيعى ·

اسماعيل : يا إخوان ···

(لا يلتفتون اليه)

سليمان : هيه ماذا قلت يا ميمون ؟

(قبل أن يجيب يدخل التاجر الغنى ـ ينتقل ميمون الى مكانه)

ميمون : انتظر حتى أرى ماذا يريد هذا الزبون الجديد ·

(يذهب الى التاجر)

ميمون : أوامر ·

التاجر : أين عمارة ؟

ميمون : زبون قديم حضرتك ·

التاجر : أعرف عمارة ·

ميمون : ترك عمارة المقهى

التاجر : لماذا ؟

ميمون : ولماذا يعمل ؟

التاجر : ولماذا تعمل أنت ؟

ميمون : لأن الناس لابد أن تعمل ·

التاجر : وعمارة أليس من الناس ؟!

ميمون : هذا شأنه ·

التاجر : أحضر لى فنجان قهوة .
ميمون : أمرك .

(يحاول ان يذهب الى حيث يصنع القهوة ولكن سليمان يسارع الى ندائه)

سليمان : اسمع يا ميمون ... ميمون .
ميمون : نعم .
سليمان : ماذا طلب ؟
ميمون : وماذا يهمك ؟
سليمان : أريد أن أعرف فقط ... ماذا طلب
ميمون : طلب قهوة .
سليمان : تأخذ كم وتجعلنى أنا أصنع القهوة ؟
ميمون : ياعم سليمان دعنا نشوف شغلنا .
سليمان : يا أخى وأنت ماذا يهمك ؟ القهوة ستعمل ، وستكون أحسن من قهوتك وستأخذ حسابها ثم أنت بعد ذلك ستأخذ بضعة دراهم من ثمن القهوة وبقشيشها .
ميمون : ياعم اتركنا لحالنا .
عباس : أهذا كلام يا ميمون ؟ ماذا يحصل لو جعلت الرجل يعمل فنجان قهوة من نفسه وأنا سأساعده ؟
ميمون : المعلم أبو الحسن يطردنى .
عباس : وماله ... ماذا يهمك لو طردك ؟!
ميمون : ماذا يهمنى ؟! أصبح مثلكما أبحث عن أى انسان يعطينى شغلة لوجه الله .
سليمان : الله يكسفك ... امش ... لا نريد شيئا من وشك .

(ينصرف اسماعيل ويدخل بائع قماش يبدأ بعرضه على المنضدة الأولى حيث يجلس عليها اثنان)

البائع : قماش من العال .
أحدهم : تعال .
البائع : يا أهلا يا مرحبا ... أنا خدامك ... أنا تحت أمرك .
المشترى : ماذا عندك من الأقمشة ؟
البائع : حرير من الهند وكتان من اليمن وصوف من افغانستان عندى ما تريد وما لا تريد ... عندى كل شيء .
الآخر : هل عندك شيء من الجوخ ؟

البائع : ان ما عندى من الجوخ لا يلبس منه الا الخليفة ... صنف جاء في قافلة الأمس ناعم كالحرير ... صقيل كأنه منسوج من خيوط الذهب .

الأول : أرنا شيئا من بضاعتك .

(البائع يفك الأقمشة ويبدأ فى العرض ويقاطعه الثانى)

الآخر : هل عندك قطيفة ؟

البائع : ناعمة كأحلام العذارى تنساب كأنما الماء يصفق فى الجداول .. ألوان منها وألوان .. أى لون تريد ؟

الأول : أرنا ما عندك .

(يبدأ التاجر فى عرض بضائعه بينما يدخل عمارة وتتعالى بعض اصوات من الجالسين)

أصوات : (متناثرة) عمارة ... عمارة .

(عمارة يسير الى التـــاجر فى حزم واصرار ويجلس على الكرسى المقابل له)

التاجر : أهلا عمارة ... أهلا ... سألت عنك عندما ..

عمارة : (مقاطعا) عرفتك .

التاجر : ماذا ؟

عمارة : عرفتك .

التاجر : ومالك تقولها وكأنك وجدتنى لصا أو قاطع طريق .

عمارة : يا ليتك كنت كذلك .

التاجر : اذن فأنت لم تعرفنى .

عمارة : بل عرفتك ... عرفت كل شيء عنك .

التاجر : أنا لا أخجل من عملى .

عمارة : ولكن النفس تشمئز منه .

التاجر : يا لك من غبى ... اننى لا أعامل الا الأثرياء والوزراء والملوك .

عمارة : ان هذا لا يعطى عملك البريق الذى تحاول أن تكسبه اياه .

التاجر : أنا تاجر الجمال ... أنا بائع الأنس ... أنا الذى أهب هذه النفوس التائهة فى بيداء الحيـــاة ماءها ورضاب السحر واشراق الجمال وخفقة الفؤاد وهمسة الهوى وخلجة الحنان .

عمارة : انك تتـــاجر فى النفوس ... فى البشر ... بئست هذه من تجـــارة .

التاجر : ليس فيما أعمل ما يغضب الله ٠
عمارة : لا تقل هذا ٠٠٠ لا تقل هذا ٠
التاجر : بل أقوله ٠٠٠ ليس فيما أعمل ما يغضب الله ٠
عمارة : تتمسك بالظاهر ولا تتطلع الى العميق البعيد من أحكام الله ٠٠٠ انه لا يحب الرق ٠٠٠ انه يمقته ٠٠٠ ألم يجعل فك رقبة تقربا الى الله ؟
التاجر : لو أراد لمنع ٠
عمارة : أراد أن يمتحن أمثالك ٠٠٠ يريد أن يرى هؤلاء الذين يتاجرون فى اخوانهم ٠
التاجر : تجارة حلال ٠
عمارة : تبيع النفوس ٠٠٠ نفوس البشر ٠
التاجر : أنقل الفتاة من المهانة الى العز ومن الفقر الى الغنى ٠
عمارة : ليس مع العبودية عز ولا غنى ٠
التاجر : هل شكون اليك ؟
عمارة : وهل الحرية تريد شكوى ؟! انها الحرية بغيرها لا حيـــاة ٠٠
التاجر : هل شكون اليك ؟
عمارة : هل يشكو القتيل وهو قتيل ٠٠٠ ان من تسلب حريته يجد المصيبة أعظم من الشكوى ٠
التاجر : فأنت اذن لن تسعى لى فى الزواج من قمر الزمان ؟
عمارة : أنا لا أريد أن أعرفك ٠
التاجر : أعطيك ما تطلبه ٠
عمارة : خذ هذا الكيس أولا ٠
التاجر : أى كيس ؟!
عمارة : ذلك الذى وضعته فى جيبى ٠
التاجر : أنا لم أضع شيئا فى جيبك ٠
عمارة : خـــذه ٠
التاجر : انه ليس لى ٠
عمارة : فمن أين جاءنى ؟!
التاجر : هل بعد هذه الأعاجيب التى نعيش فيها تسألنى ؟!
عمارة : انهم لا يعطون مالا ٠
التاجر : وهل أدرى ماذا يعطون وماذا لا يعطون ؟
عمارة : انهم لا يعطون مالا وأنا لن أبقى هذا الكيس فى حوزتى ٠

التاجر : ولكنه ليس ملكي ·

عمارة : الواقع انني لست واثقا أنك صاحبه ، ولكن مجرد الشكك يجعلني أصر على أن أرده لك ·

التاجر : فأنت مصر ؟

عمارة : غاية الاصرار ·

(يترك له الكيس فيضعه التاجر في جيبه)

التاجر : وقمر الزمان ؟

عمارة : سأعمل كل جهـدي ان شاء الله على أن تتزوج من أي انسـان الا أنت ·

التاجر : أجاد فيما تقول ؟

عمارة : سوف ترى ·

(يقوم ويتجه الى حيث تصنع القهوة)

التاجر : تعال يا عمارة ·

عمارة : (دون أن يلتفت اليه) أنا لا أعرفك ·

ميمون : أنت عمارة ·

عمارة : نعم أنا عمارة ··· من أنت ؟

ميمون : أنا الذي حللت مكانك الكل يسأل عنك ·

عمارة : وها قد جئت ، فماذا تنوي أن تعمل ؟

ميمون : سأستمر في عملي ·

عمارة : لن أطردك من عملك ولكن عليك أن تساعدني ·

ميمون : تتكلم وكأنك صاحب العمل !

عمارة : أنا صاحب العمل ·

ميمون : بل صاحبه من يملكه ·

عمارة : لقد نشأت هنا ولا أذكر ماذا كنت قبل أن أعمل في هذا المقهى أتظن أن أبا الحسن سيطردني ويبقيك ·

ميمون : فماذا ترى ؟

عمارة : تساعدني ·

ميمون : أمري الى الله ·

بائع الأقمشة : فأنتما اذن لن تشتريا شيئا ·

أحدهم : قل ··· هل اشترى منك أحد شيئا منذ ··· منذ ··· منذ ··· هذا الذي نحن فيه ؟

البائع : اشتر أنت منى ولا تدفع .

أحدهم : لا أدفع !

البائع : أقيده عليك ... الى ميسرة .

أحدهم : وهل هناك ميسرة أكثر من هذا !؟

البائع : فاشتر .

الآخر : ولماذا نشترى ؟

البائع : لأنى أريد أن أبيع .

الآخر : ولكننا نحن لا نريد أن نشترى .

البائع : ولماذا لا تريدون ؟

الآخر : لقد نلنا من الشراء كل ما نطمع فيه .

البائع : أنت لم تشتر شيئا .

الآخر : لقد قضينا وقتا طويلا معك فى الحديث والفرجة وهذا أقصى ما نطمح اليه .

البائع : ولكنى أريد أن أبيع .

الآخر : ابحث عن غيرنا .

البائع : أعطيك قطعة بلا ثمن .

الآخر : بلا ثمن ؟!

البائع : بلا ثمن .

الآخر : وماذا ؟!

البائع : تشترى منى قطعة أخرى مقابل ذلك .

الآخر : وماذا نفعل بها .. نحن لا نحتاج الى قماش

(اسماعيل يقترب من البائع والزبائن)

اسماعيل : أجائع أنت يا أخى ؟

البائع : ان بيتى فى بغداد ...

اسماعيل : ففى بيتك طعام .

البائع : نعـــم .

اسماعيل : وكساء .

البائع : قلت لك ان بيتى فى بغداد .

اسماعيل : فما هذا الا اصرار منك على البيع

البائع : وماذا أفعل اذا كنت لا أبيع .

اسماعيل : تعيش سعيدا .

البائع : وكيف أعيش وأنا لا أعمل

(تطفأ انوار المقهى ... ويضاء بيت ابى الحسن جمالات وقمر الزمان)

جمالات : أقوم أجهز المائدة .

قمر : أقوم معك .

جمالات : لا ... لا أريد منك عونا .

قمر : كيف ... كيف يا أم ؟

جمالات : منذ بدأ هذا الوارد الجديد وأنا أريد أن أعمل .

قمر : كنت تفعلين بى الأفاعيل ، لأساعدك .

جمالات : كان هناك ما تساعدينني فيه .

قمر : الأكل بلا لحم .

جمالات : ولكن كنا نصنعه بأيدينا .

قمر : كان لذيذا .

جمالات : كان لذيذا ... ما رأيك ان هذا الطعام الذى يجيئنا لا طعم له .

قمر : لأننا لا نصنعه .

جمالات : قطعا .

قمر : من الذى يصنعه يا أم ؟

جمالات : سلام قول من رب رحيم ، يابنتى ونحن مالنا ومالهم .

قمر : ولكنا نأكله .

جمالات : وهل نستطيع ألا نأكله ؟!

قمر : أقوم أنظف البيت .

جمالات : لقد نظفته اليوم ثلاث مرات .

قمر : أنظفه رابعة .

جمالات : بل جهزى أنت المائدة وسأنظف أنا البيت .

قمر : نظفى ... نظفى ما شئت فلن يترك الملل نفسك .

جمالات : أشعر براحة وأنا أنظف البيت .

قمر : هذا اذا كان قذرا ... ولكنك لن تشعرى بالراحة وأنت تنظفين الشيء النظيف ... لن تشعرى بهذه السعادة التى تعودت أن تشعرى بها حين تمرين بالمسحة فاذا بالشيء المترب القذر قد أصبح نظيفا ... ستمرين بالمسحة وستظل الأشياء كما هى لن تضفى عليها هذه اللمسة السحرية التى تعودت أن تضفيها عليها حين تكون قذرة ثم تصبح نظيفة .

جمالات : لا أفهم شيئا مما تقولين .

قمر : لماذا ننظف ؟

جمالات : لتصبح الأشياء نظيفة .

قمر : لا ... ولكن لنشعر بأن عملنا يأتى بنتيجته .

جمالات : لا أفهم .

قمر : يا أم ان العمل الذى لا يأتى بنتيجته لا طعم له .

جمالات : (فى ضجر) جهزى المائدة وسأنظف البيت .

(تدخل جمالات وتبدأ قمر فى تجهيز المائدة ، ولكنها لا تكاد حتى يدخل عمارة)

قمر : من ؟ عمارة ... هل عدت ؟

عمارة : كان لابد أن أعود .

قمر : المقهى بدونك شيء آخر .

عمارة : كل شيء أصبح شيئا آخر يا ست قمر .

قمر : ولكنك عدت .

عمارة : ولكن الأمور لم تعد .

قمر : ماذا جرى للناس يا عمارة ؟

عمارة : لا يستطيع أن يحل المشكلة التى نحن فيها الا فلسفة اسماعيل

قمر : اسماعيل ... لم أره منذ بدأت هذه الحكاية .

عمارة : انه يأتى الى المقهى .

قمر : ولكن لا أراه .

عمارة : كيف ؟

قمر : أصبح لا يأتى الا والمقهى مزدحمة .

عمارة : أيقصد هذا ؟

قمر : وكيف أعرف ؟

عمارة : ألم يدخل الى هنا أبدا ؟

قمر : منذ ذلك اليوم لم يدخل أبدا .

عمارة : ماذا به ؟

قمر : أراه من وراء الباب .. ذاهل هو دائما ... يتسمع ما يقوله الناس ويشارك من لا يعرفهم الحديث ولا ينظر الى بابى أبدا .

عمارة : عجيب أمره .

قمر : لقد فكرت أن أرسل اليه .

عمارة : ولماذا لم تفعلى ؟

قمر : لم تكن أنت هنا .

عمارة : لم أكن أحب اسماعيل .

قمر : ثم ماذا حدث ؟

عمارة : التاجر الذى ....

قمر : نعم التاجر الذى كنت تحبه .

عمارة : فجعت فيه .

قمر : هل مات ؟

عمارة : يا ليته ٠

قمر : اذن ٠٠٠٠

عمارة : عرفت تجارته ٠

قمر : ألم تكن تعرفها ؟

عمارة : تاجر رقيق ٠

قمر : تاجر جوار ؟

عمارة : بياع نفس بشرية ٠

قمر : فهو اذن تاجر رقيق ٠

عمارة : ماذا بك ؟ كان الأمر يسيء اليك ٠

قمر : ولماذا يسيء الى ؟

عمارة : يشترى الناس ويبيعهم ٠

قمر : هذه صناعته ٠

عمارة : أترضين به زوجا ؟

قمر : انا لا أرضى به زوجا ولو كان الخليفة ٠

عمارة : اذن فما لك تهللت بالفرح ؟

قمر : أعجبنى أن يخطبنى ٠

عمارة : وما الذى يعجبك فى هذا ؟

قمر : يا غبى ٠٠٠ ألا تفهم ؟

عمارة : أفهمينى ٠

قمر : ان الجمال هو بضاعته ٠٠٠ صناعته ٠٠٠ فاذا كان قد اختارنى لنفسه ، أفلا يعنى هذا شيئا ؟!

عمارة : انك جميلة ٠

قمر : أرأيت ؟!

عمارة : أو لم تكونى عارفة أنك جميلة ؟!

قمر : فرق بين أن أعرف وبين أن يقول تاجر الجمال انه يريدنى لنفسه ٠

عمارة : ويلى من النساء ٠

قمر : والآن ماذا تريدنى أن أفعل ؟

عمارة : أن تتزوجى اسماعيل ٠

قمر : وهل كنت أنتظر أمرك ؟!

عمارة : لا ٠٠٠ ولكنى أردت أن أقول هذا فقط ٠

قمر : يا لك من غبى ٠

(يطرق الباب فيذهب عمارة ويفتحه)

عمارة : من .. سيدى اسماعيل .
اسماعيل : أنت هنا يا عمارة ؟
عمارة : تستطيع أن تعتبرنى لست هنا .
اسماعيل : بل انى أريدك .
عمارة : تريدنى أنا .
اسماعيل : طاب مساؤك يا قمر الزمان .
قمر : الحمد لله أنك ما زلت تذكر اسمى .
اسماعيل : (ذاهلا) الحمد لله .
عمارة : تريدنى قلت .
اسماعيل : نعـــم .

عمارة : انها هنا وحـدها للحظـات الله يعلم متى تنتهى ... ألا تزال تريدنى ؟!

اسماعيل : قل لى يا عمارة ... هل أنت مسرور ؟!
عمارة : وماذا يهمك ؟
اسماعيل : أريد أن أعرف هل أنت راض عن هذه الحال هنا فى بغداد ؟
عمارة : العجيب أننى لا أدرى ... اننا نحيا فى حلم .
اسماعيل : أهو حلم سعيد ؟

عمارة : لست أدرى يا سيدى اسماعيل ولكن يبدو أن الناس تحب أن تظل الأحلام أحلاما والحقائق حقائق .

اسماعيل : أصحيح هذا ؟
قمر : نعم صحيح .
اسماعيل : هل أنت واثقة يا قمر الزمان ؟
قمر : الناس يحبون أن تظل الحياة حياة والأحلام أحلاما .

عمارة : غبت عن المقهى فلم أسترح وعدت اليها فشعرت أننى أتنفس الهواء الذى يجب أن أتنفسه .

اسماعيل : شكرا يا عمارة ... اذهب أنت .
عمارة : أهذا ما كنت تريدنى فيه ؟
اسماعيل : شكرا يا عمارة .

(يخرج عمارة وينهار اسماعيل على الكرسى)

قمر : ألهذا غبت عن المقهى ؟
اسماعيل : حسبت الناس ستجن من الفرح .

قمر : وماذا وجدت ؟
اسماعيل : فرحوا يوما ويومين ثم ...
قمر : أنت ماذا يهمك ؟
اسماعيل : يهمنى الناس يا قمر الزمان .
قمر : وماذا تستطيع أن تفعل ؟
اسماعيل : لقد فعلت وأستطيع أن أفعل .
قمر : أنت ... أنت الذى فعلت .
اسماعيل : نعم لقد فعلت .
قمر : فعلت ... ماذا فعلت ؟
اسماعيل : لم أبح بسرى هذا لأحد ... نعم لقد فعلت .
قمر : كيف ؟
اسماعيل : لا يهمك كيف .
قمر : كيف لا يهمنى ؟
اسماعيل : المهم أننى فعلت .
قمر : وماذا تنوى أن تفعل الآن ؟
اسماعيل : لا أدرى .
قمر : من أنت حتى تغير أقدار الناس ؟!
اسماعيل : حاولت أن أسعدهم .
قمر : انهم لا يحبون سعادة لا يصنعونها بأيديهم .
اسماعيل : حاولت أن أعينهم .
قمر : متى قالوا لك انهم يريدون عونك .
اسماعيل : أطعمت الجائع وكسوت العريان .
قمر : وهدمت الحياة فكسل الكادح ونام اليقظان وكف عن السعى الناس وانعدمت من الحياة معانى الحياة .
اسماعيل : لقد كف نور الدين عن قول الشعر .
قمر : الناس لا تقول الشعر فى حياة راكدة .
اسماعيل : وكف الناس عن العمل .
قمر : ولماذا يعملون ؟!
اسماعيل : لقد هيأت لهم كل ما كان يسعون اليه .
قمر : فهم لا يسعون .
اسماعيل : أعيد الحياة كما كانت ؟
قمر : جريمة أكبر .

اسماعيل : (مذعورا) ماذا ··· ماذا قلت ؟

قمر : لقد رأوا أحلامهم وهي حقيقة ··· انهم يفجعون فى هذا النوع من الحياة ان زال عنهم ·

اسماعيل : ولكنهم غير راضين عنه ·

قمر : ولكنهم تعودوه ·

اسماعيل : لماذا لا ترجع الأحلام أحلاما كما كانت ؟

قمر : لأنها أصبحت حقيقة ·

اسماعيل : ماذا فعلت ؟

قمر : مسكين أنت ، لقد تلاعبت بحياة الناس فلابد أن تحمل وزرك ·

اسماعيل : ماذا أفعل ؟

قمر : لو كنت فقيرا وأردت أن تتزوج منى وسألتنى ماذا أفعل لقلت لك نسعى معا ولتمض بنا الحياة الى غاياتها ، أما الآن وأنت تجعل من نفسك منظما للحياة فعليك وحدك أن تجد الحل ·

اسماعيل : أقتل نفسى ؟

قمر : هروب ··· وهروب لا يفيد ·

اسماعيل : قمر الزمان هل بوسعك أن تكتمى سرى هذا ؟

قمر : أما هذا فلست بحاجة أن تقوله لى فما كنت لأذيع سرا أودعتنى أنت أمانته ·

اسماعيل : يارب ماذا أفعل ؟

قمر : لا ملجأ لك الا هو ·

اسماعيل : يارب ·

(تطفأ أضواء البيت ويضاء النور على المقهى)

التاجر : يا عمارة ·

عمارة : يا ميمون اذهب الى هذا الرجل ، فانظر ماذا يريد ؟

(ميمون يذهب الى التاجر)

ميمون : أمرك يا سيدى ·

التاجر : أريد عمارة ·

ميمون : وأنا لا أنفع ·

التاجر : يا ليتك يابنى كنت تنفع ·

ميمون : أمـــرك ·

(يذهب ميمون الى عمارة)

ميمون : انه يريدك أنت .

عمارة : وأنا لا أريده .

ميمون : وهل هذا شغل ؟!

عمارة : هكذا أشتغل أنا .

ميمون : ولكن عملنا هنا أن تطيع أوامر الزبائن .

عمارة : والله لم يبق الا هذا .. أتعلمني أنت الشغل هنا ؟!

ميمون : هذا لا يحتاج الى تعليم .

عمارة : طيب .... أمرك .

(يذهب عمارة الى التاجر)

عمارة : وبعدك ... يا سيدى أنا لا أريد أن أكلمك .

التاجر : اقعـــد .

عمارة : قل لى .... لماذا تريدنى أنا بالذات أن أتكلم فى هذا الموضوع .

التاجر : ألم تفهم ؟

عمارة : الذى أفهمه أنك تاجر عظيم ، وأنك تستطيع أن تتقدم الى أبى قمر وتخطبها دون هذه المقدمات السخيفة مع صبى المقهى .

التاجر : ألم تفهم ؟!

عمارة : لا وربك لم أفهم .

التاجر : عجيبــة !

عمارة : بل العجيبة أنك تريدنى أن أفهم أشياء لم تقلها .

التاجر : لم أقلها ، لأنى واثق أنك ستفعلها .

عمارة : ما هى ؟

التاجر : الاجراءات اللازمة .

عمارة : وما هى ؟

التاجر : ألم تعملها ؟

عمارة : أنا على كل حال لن أعمل شيئا لصالحك أبدا .

التاجر : حتى وان كنت سأقدم اليك جارية هدية .

عمارة : آه ... هذا اذن هو العرض الجديد .

التاجر : ما رأيك .

عمارة : ياعم الله يفتح عليك ... أتريدنى أنا أن أملك جارية ؟!

التاجر : وماله ... الغذاء والكساء مكفولان والحمد لله وأنت شاب فى ريعان الشباب ...

عمارة : (مقاطعا) اسمع أنا لن أصنع شيئا لصالحك أبدا ٠

التاجر : طيب اترك هذه الحكاية الآن ٠٠٠ أفهمت أولا لماذا كلمتك أنت ولم أتكلم أباها ؟

عمارة : لا وحياتك لم أفهم ٠

التاجر : قدرت أنك لن تكلم أباها حتى تسألها هى أولا ٠

عمارة : آه ٠

التاجر : هل سألتها ؟

عمارة : أتريدنى اذن أن أكون عامل بريد الغرام ؟!

التاجر : مجرد سؤال ٠٠

عمارة : ان أباها ٠٠٠٠

التاجر : دع أباها ٠٠٠٠

عمارة : انه هو الذى ٠٠٠

التاجر : يابنى أنا تاجر ٠٠٠ أتظننى لا أعرف كيف يخطب الناس زوجاتهم ؟!

عمارة : فلماذا لا تتركنى اذن ؟

التاجر : يابنى تاجر الجوارى يعرف أسرار النساء ٠٠٠ أنا لا أضمن أن أتزوج فتاة لا تريد هى الزواج منى ٠

عمارة : هذا اذن ما كنت تريده منى ؟

التاجر : وما أزال أريده ٠

عمارة : اسمع أيها الرجل ان لم تترك هذه المقهى فى الحال سأفضح أمرك للزبائن أجمعين ٠

التاجر : أتهديد هذا ؟

عمارة : لن تقوم اذن ؟

التاجر : اننى أستطيع أن أشترى هذه المقهى بزبائنها ٠

عمارة : (بصوت مرتفع) تاجر أنفس بشرية ٠

(يلتفت الزبائن ويستمر)

عمارة : تاجر جوار ٠

(ينتبه الزبائن ويقدمون اليه فى بشاشة وترحيب)

أحدهم : ماذا ؟

آخر : تاجر الأنس والصفاء ·

عمارة : ماذا ·

(يخرج اسماعيل فيجد الزبائن مجتمعين على التاجر)

اسماعيل : عمارة ··· ماذا يصنع هؤلاء ؟

عمارة : يشترون الجوارى ·

اسماعيل : ماذا ؟!

عمارة : طبعا ما دام الغذاء والكساء قد توفر لهم فماذا يصنعون ان لم يشتروا الجوارى ؟

اسماعيل : غفرانك يارب ··· أهذا ما صنعت ؟! أهذا ما صنعت ؟!

ســـــتار

● الفصل الثالث

(المقهى • اسماعيل على احد المناضد ذاهلا ، الوقت ليل والظلام يكاد يكون دامسا . وكراسى المقهى ومناضدها مكومة فى احد الجوانب)

اسماعيل : ماذا فعلت ؟ ! ماذا فعلت ؟ ! ماذا فعلت ؟ !

(يفتح باب البيت لتخرج منه قمر الزمان)

قمر : من •••• من هنا ؟

اسماعيل : ماذا فعلت يا قمر ؟! ماذا فعلت ؟ !

قمر : اسماعيل ••• أما زلت هنا ؟

اسماعيل : ألم تتوقعى أن تجدينى •

قمر : لا أدرى ••• يخيل الى أننى توقعت •

اسماعيل : ماذا فعلت يا قمر ؟!

قمر : لعبت بالحياة •

اسماعيل : فانتقمت منى الحياة ••

قمر : هكذا تفعل بكل من يلعب بها •

اسماعيل : أنت لا تعرفين كم أتعذب •

قمر : بل أعرف ••• فما خرجت الآن ، الا لأننى توقعت ان أجدك تتعذب وحدك هنا •

اسماعيل : وبعد يا قمر ؟

قمر : كم أتمنى أن أجد سبيلا لاجابتك •

اسماعيل : لماذا لا أعيد الناس الى ما كانوا عليه ؟

قمر : يتركون هذه الحيـاة الوادعة الهانئة ، ليعودوا الى الكد والتعب والقلق •

اسماعيل : ولكنهم يضيقون بهذه الحياة الوادعة الهانئة •

قمر : لأنهم يحيون فيها •

اسماعيل : فهذا خير لهم وهم لا يعلمون ٠

قمر : بل الخير لهم أن يختاروا هم حياتهم ٠

اسماعيل : لقد حرت معك ٠

قمر : لقد اخترت أنت لنفسك هذه الحيرة ٠

اسماعيل : فلأتركهم اذن يعودوا الى الحياة التى اختاروها ؟

قمر : لقد أصبحت هذه الحياة التى صنعتها لهم جزءا من الاختيار ٠٠ انها حياة كانوا يحلمون بها ، ولم يتوقعوا أن توجد لهم حقيقة ، أما وقد وجدت فسيظلون اذا ذهبت عنهم يتوقون الى العودة اليها ٠

اسماعيل : ولكنهم كرهوها ٠٠٠ مقتوها ٠٠٠

قمر : لأنهم أصبحوا لا يعملون ٠

اسماعيل : ولا يقلقون أيضا ٠

قمر : من قال لك انهم لا يحبون القلق ؟

اسماعيل : أيحب الناس القلق ؟!

قمر : اذا نجوا منه وصلوا الى الأمان ٠

اسماعيل : فحياتهم اليوم أمان ٠

قمر : ولكنه أمان بلا قلق ٠

اسماعيل : هل هناك أمان مع القلق ؟!

قمر : لابد من القلق ، حتى نشعر بالأمان ٠٠٠ لا لذة للأمان اذا لم يسبقه قلق ، اذا لم يوجد القلق بحث عنه الناس ٠٠٠ القلق هو الذى يحركهم هو عنصر الحياة فى حياتهم ٠

اسماعيل : ماذا فعلت ؟! ماذا فعلت ؟!

قمر : لابد أن تفعل شيئا غير هذا السؤال الذى تكرره دائما ٠

اسماعيل : انك تقفلين أمامى الطرق ٠

قمر : أى الطرق ؟

اسماعيل : أنا الآن لا أملك الا واحدة من اثنتين : اما أن يظل الناس كما هم ، وهذا ما لا أحتمل ، واما أن يعودوا الى ما كانوا ٠

قمر : وهذا ما لا يحتمل الناس ٠

اسماعيل : لكم أتمنى يكون هذا الذى أنا فيه حلما ثقيلا ضاريا ثم أصحو فاذا كل ما كان فيه أضغاث وخرافة ٠

قمر : اسماعيل ٠

اسماعيل : ماذا ؟

قمر : ألا تستطيع ··· لا ··· لا أظن ·

اسماعيل : ماذا ؟ قولى ·

قمر : ما أحسب هذا ممكنا ·

اسماعيل : قولى لعلنى استطيع أن أجعله ممكنا ·

قمر : لا ··· لا يمكن ·

اسماعيل : وهل هذا الذى نحن فيه كان ممكنا ؟!

قمر : نعم ··· ولكن ·

اسماعيل : قولى ·

قمر : لقد أوشك الفجر أن يظهر ·

اسماعيل : وما صلة هذا بما نحن فيه ؟

قمر : اسمع ··· هل تستطيع أن تجعل الناس ينسون هذه الأيام التى عاشوها فى ظل حياتك الجديدة ؟

اسماعيل : ماذا ؟

قمر : اذا فعلت خرجت من هذه الكارثة ·

اسماعيل : لا أدرى ···

قمر : اذن فحاول ·

اسماعيل : اسمعى سترييننى أتكلم وحدى ·· أتخافين ؟

قمر : لا ····

اسماعيل : ليكن اذن ·

(يخرج اسماعيل المصباح من جيبه ، ويمر بيده عليه · فيأتى خادم المصباح ويجلس فى هدوء الى جانب اسماعيل)

اسماعيل : قل لى ·

الخادم : تحت أمرك ·

اسماعيل : طبعا تستطيع أن توقف الغذاء والكساء من التوزيع ·

الخادم : طبعـــا ·

اسماعيل : طبعا ·· فقطع الخير أسهل من مواصلته ·

قمر : هل كان خيرا ؟

اسماعيل : لا أدرى ·

قمر : أمازلت لا تدرى ؟!

اسماعيل : النهاية (يلتفت الى الخادم) أيمكن أن تجعل الناس ينسون هذه الأيام التى كانوا يتلقون فيها الغذاء والكساء ؟

الخادم : ماذا ؟
اسماعيل : هل تستطيع ؟
الخادم : كل الناس ؟
قمر : لا ... لا يا اسماعيل ... ليس كل الناس .
اسماعيل : كيف ؟
قمر : يجب أن نظل أنا وأنت متذكرين .
اسماعيل : ماذا ؟
قمر : لو نسيت هذه الأيام ستحاول التجربة مرة أخرى .
اسماعيل : لا ... لا ... أبدا .
قمر : تقول هذا ، لأنك عرفتها ولكنك ان نسيت فمن يدرى .
اسماعيل : هيه .. ماذا قلت ؟
الخادم : أستطيع أن أجعل الناس جميعها تنسى .
اسماعيل : أتستطيع أن تتركنى أنا وقمر .
الخادم : أستطيع أن أترك هذا البيت .
اسماعيل : البيت جميعه ؟
قمر : البيت جميعه لا .
اسماعيل : ماذا قلت ؟
قمر : لو ظلت أمى ذاكرة جنت .
اسماعيل : كيف ؟
قمر : قد يستطيع أبى أن ينسى ولو أنه أسعد شخص بما حدث أما ...
اسماعيل : تقولين ان أباك أسعد شخص بما حدث ؟
قمر : طبعــــا .
اسماعيل : كيف ؟
قمر : الناس لا يتركون المقهى صباح مساء فكيف لا يكون سعيدا ؟
اسماعيل : ولكن ألا يهمه تعاسة الناس ؟
قمر : بل تهمه المكاسب التى يجنيها لقد ربح فى هذه الأيام ما لم يجمعه فى شهور .
اسماعيل : عجيبة هذه الحياة ... كل طريق فيها ينتفع به ناس ويضر به آخرون .
قمر : أهذا وقت تفلسف ؟! قد أستطيع أن أقنع أبى ، وقد يرى من الحكمة أن ينسى ، فهو تاجر ويخشى أن يظن الناس به الجنون ، أما أمى فلا حيلة لى معها لابد أن تنسى مع الناس ، والا صدقت على كلام أبى وجن كلاهما معا .

اسماعيل : وكيف تجعلين أباك فى مكان وأمك فى مكان ؟

قمر : لا أدرى ٠

اسماعيل : لابد من حل سريع ٠٠ الفجر يقترب ويجب أن ننتهى من هذا الأمر فورا ٠

قمر : اسأل صاحبك ، متى يجعل الناس ينسون ؟

الخادم : أستطيع ذلك فى أى وقت أريد ٠

اسماعيل : فى أى وقت ؟

قمر : سأحاول محاولة ٠٠٠ ستخرج أمى الآن لا تجعلها تراك ٠

الخادم : لن تراك ٠

(تدخل قمر الى بيتها وتعبر المسرح وتدلف من الباب وما تلبث ان تعود ومعها أمها وعلى أمها آثار النوم)

جمالات : ما الذى أيقظك الآن ؟

قمر : هذا لا يهم الآن المهم أن تذهبى الى الكوخ ٠

جمالات : ماذا أفعل ؟

قمر : سيوزعون الخبز هناك اليوم ٠

جمالات : لمـــاذا ؟

قمر : أتريدين أن ترفضى دعوة من بسم الله الرحمن الرحيم ؟

جمالات : لا ٠٠٠ لا ٠٠٠ وهل أستطيع ؟

قمر : اذن ٠

جمالات : أقول لأبيك ونذهب معا ٠

قمر : ولكن أبى لن يذهب معك ٠

جمالات : لمـــاذا ؟

قمر : متى رأيته يصدق الكلام عن بسم الله الرحمن الرحيم ؟

جمالات : آه ٠٠ صدقت ٠٠٠ رأسه كالحجر ٠٠٠ طول عمره لا يسمع كلامى فى أى شىء ٠٠٠ تصورى قلت له يوما ٠٠٠

قمر : ماذا جرى يا أم هل ستتركين بسم الله الرحمن الرحيم ينتظرون وتروين لى عن أبى ؟

جمالات : آه ٠٠٠ نسيت ٠٠٠ اذن أذهب ٠٠٠ أضع هدومى على وأخرج ٠

قمر : أى هدوم ؟ هل سينتظرون ؟!

جمالات : أخرج هكذا ؟

قمر : من سيراك ؟

جمالات : على رأيك ٠٠٠ أذهب هكذا ٠

جمالات : اخرج هكذا ؟

جمالات : تأتين معى طبعا ؟

قمر : ماذا ؟! وأنا ماذا أفعل معك ؟!

جمالات : أذهب وحدى ؟!

قمر : أليس هذا خيرا من أن يستيقظ أبى ، فلا يجد أحدا منا هنا ؟

جمالات : (فى شىء من الخوف) أذهب وحدى .

قمر : لن تكونى وحدك ... ستكون نساء كثيرات .

جمالات : أواثقة أنت ؟

قمر : كل الثقة .

جمالات : أذهب .. لاحظى أباك ... قولى له ان صحا اننى عائدة توا .

قمر : سأفعل ... اذهبى .

جمالات : ذاهبة ... ذاهبة ... الله لا اله الا هو الحى القيوم .

(تخرج جمالات الى المقهى ، ولا ترى اسماعيل ، تمضى الى خارج المسرح وتخرج قمر)

قمر : اسماعيل ... اسماعيل ... أين أنت ؟

الخادم : هل أجعلها تراك ؟

اسماعيل : هل أنت مخفينى ؟!

الخادم : نعـــم .

اسماعيل : لا يهم ... هل نبدأ الآن ؟

قمر : اسماعيل .

(تراه حيث تركته)

هذا أنت أين كنت .

اسماعيل : لا يهم ... هل نبدأ الآن ؟

قمر : اذا شئت ... أستطيع دائمـــا أن أجعل أمى تفعل ما أريد .. أما أبى .....

اسماعيل : هل هو بالداخل ؟

قمر : ان أبى لن ينسى .

اسماعيل : سيجعله الناس ينسى .

قمر : كم كنت أتمنى ألا أعرضه لهذه التجربة .

اسماعيل : لقد أردت لنا أن نذكر .

قمر : ولابد لنا أن نذكر .

اسماعيل : ألا تستطيعين ابعاد أبيك ؟

قمر : لو كنت أستطيع ما تأخرت .

اسماعيل : فلا حيلة لنا اذن .

قمر : لا حيلة لنا .

اسماعيل : اذن نبدأ .

الخادم : أنا تحت أمرك .

اسماعيل : هل ستبذل مجهودا كبيرا فى هذا العمل ؟

الخادم : لا شىء فى أرضكم يكلفنا نحن مجهودا كبيرا .

اسماعيل : اذن افعل ... ولا داعى لهذا الغرور ... فلا شك أن لكم متاعبكم .

الخادم : ليس العمل من متاعبنا على أية حال .

اسماعيل : فما متاعبكم ؟

الخادم : شرها جميعا العبودية .

اسماعيل : أى أنواع العبودية ؟

اسماعيل : أن أكون عبدا لشىء .

الخادم : هل أنت عبد لشىء ؟

اسماعيل : أنا عبد لهذا المصباح .

الخادم : فما الذى يطلقك من هذه العبودية ؟

اسماعيل : تستطيع أنت تطلقنى .

الخادم : أنا ... كيف ؟

اسماعيل : تعطينى حريتى .

اسماعيل : أنـا ؟!

الخادم : نعم .... أنت .

اسماعيل : أملك أنا حرية أحد ؟!

الخادم : حريتى .

اسماعيل : فهى لك .

الخادم : الآن ؟

اسماعيل : طبعا .. بعد أن تنتهى من هذه المأمورية الأخيرة .

الخادم : (يشير بحركة بيده ثم يلتفت اليه) لقد انتهت .

اسماعيل : فأنت حر .

الخادم : شكرا .

اسماعيل : انتظر ... وهذا ماذا أفعل به ؟

الخادم : المصباح ... لقد رجع مصباحا عاديا يضىء !

اسماعيل : لقد أصبح ذا فائدة حقيقية .

الخادم : وداعـــا .

اسماعيل : وداعـــا .

(يخرج الخادم ويغمر النور المسرح)

اسماعيل : طلع الصبح يا قمر .

قمر : يا ترى ماذا سيصنع الناس ؟
اسماعيل : سيعودون الى ما كانوا عليه .
قمر : ترى هل استطاع الخادم أن ينسيهم حقا ؟
اسماعيل : الذى استطاع أن يفعل كل هذا الذى فعل لا يعجزه شيء .
قمر : كان عليك أن تجعله ينتظر حتى تتأكد .
اسماعيل : هؤلاء لا يكذبون .
قمر : نعم صدقت .. هؤلاء لا يكذبون .
اسماعيل : أخاف أن يشقى الناس يا قمر الزمان .
قمر : ألم تتبين بعد أن الناس يسعدون بشقائهم ؟
اسماعيل : ان أحدا لا يسعد بشقائه .
قمر : ان التغلب على الشقاء سعادة .
اسماعيل : ومن لا يتغلب ؟
قمر : ليست طريقتك هى المثلى على كل حال .
اسماعيل : فما هى الطريقة
قمر : لست أدرى ولكن لابد أن يكون العمل فيها هو الأساس .
اسماعيل : اذن فماذا أفعل ؟
قمر : اعمل .
اسماعيل : ماذا
قمر : قم بعملك واتقنه ودع الخليفة يفكر فى شؤون الناس
اسماعيل : ان الخليفة لا يفكر الا فى خزانته وفى توسيع ملكه .
قمر : فدع الزمن يرعى شئون الناس .
اسماعيل : ان الزمن هو الذى يقسو على الناس .
قمر : فدع الناس يغيرون الزمن ويغيرون الخليفة .
اسماعيل : الناس
قمر : انها مشكلتهم . فهم وحدهم المسئولون عن اصلاحها .
اسماعيل : ولكنهم مساكين .
قمر : مساكين ، لأنهم لا يواجهون مشاكلهم ... انهم هم أكبر قوة فى بغداد لو أرادوا لسيروا الزمن والخليفة ولكنهم سكتوا للزمن وخضعوا للخليفة .
اسماعيل : انهم ازاء قوة لا قبل لأحد بها .
قمر : انهم أقوى .
اسماعيل : لقد عجزت القوى الخفية التى سخرتها لهم أن ترضيهم .
قمر : لأنهم يريدون أن يعملوا .
اسماعيل : فمالهم لا يعملون على تحسين حالهم .

قمر : لأن كل فرد فيهم يفكر فى نفسه ولا يفكر فى المجموع .
اسماعيل : أنا فكرت فى المجموع .

قمر : ولكنك لم تشرك المجموع فى العمل الذى قمت به .. لقد فرضت عليهم غذاءك وكساءك .

اسماعيل : نعم عليهم أن يختاروا ... عليهم هم أن يصنعوا حياتهم .
قمر : لهذا خلقت لهم الحياة ليصنعوها هم ... بتفكيرهم بعملهم .
اسماعيل : حاولت ..

(تدخل جمالات المسرح هالعة خائفة وتتقدم الى قمر)

جمالات : قمر ابنتى .. هل انا حقا فى بيتى ؟!
قمر : فى بيتك يا أم ... نعم فى بيتك .
جمالات : لماذا خرجت يا قمر ؟! أين ذهبت ؟!

قمر : (تنظر الى اسماعيل) خرجت ... خرجت ... لا أعرف يا أم ... ألا تعرفين أنت لماذا خرجت ؟

جمالات : خرجت ... لقد وجدت نفسى خارجة ...
قمر : (فى ضحك) ماذا ؟ ماذا تقولين يا أم ؟

جمالات : وجدت نفسى فى الطريق هكذا بلا مناسبة ... بهدومى هذه .. وقفت فى الطريق أسأل نفسى لماذا خرجت والى أين أنا ذاهبة فلم أستطع أن أجد الجواب .

اسماعيل : لا بأس عليك يا أم قمر .
جمالات : أنت هنا يا اسماعيل ... ألا تعرف يابنى لماذا خرجت ؟
قمر : لعلك يا أم قد خرجت لتحضرى العيش .
جمالات : العيش ... العيش يأتينا كل يوم دون أن أخرج له .
قمر : يأتينا ... ! (تنظر الى اسماعيل) .
جمالات : طبعا ... ماذا بك هل جننت ؟!
قمر : يأتينا يا أم ؟
جمالات : نعم يأتى به الخباز ويأخذ أجره كل أسبوع .
قمر : آه ... حسبت أنه يأتينا بلا ثمن .
جمالات : بلا ثمن ... أهناك شىء بلا ثمن ؟ هل جننت ؟
اسماعيل : اذن فلماذا خرجت يا أم قمر ؟
جمالات : هذا ما يحيرنى يا اسماعيل يابنى .
قمر : على كل حال يا أم سليمة والحمد لله .

جمالات : تقولين سليمة ... أأجن وتقولين سليمة ؟
قمر : لعلك يا أم أردت أن تتمشى قليلا قبل أن يزحم الناس الشوارع .
جمالات : لعلنى . ولكن لماذا نسيت سبب خروجى ؟!
قمر : على كل حال يا أم لا داعى للقلق فها قد عـدت وأنت بخير والحمد لله .
جمالات : أأخرج وحدى ولا .....
قمر : (تقاطعها) أم لا تعيدى هذا الحديث .
جمالات : أأجن وحدى ... لابد أن أقول .
قمر : خير لك ألا تعيدى هذا الحديث فما أظن أبى يسره أن يعرف أنك خرجت بهذه الملابس فى عرض الطريق ودون سبب مفهوم .
جمالات : (وكأنها أدركت الموقف) ماذا ... ماذا قلت ...
قمر : أى عذر ستقدمينه لأبى ؟
جمالات : (فى لجلجة وسرور وخفر) نعم ... نعم ... لك حق ... انه يغار على ... يغار بجنون ... أتصدق يا اسماعيل أنه يغار على غيرة عمياء ... لو نظرت من البـاب أو من الشباك ثار وزمجر وأوشك أن يقتلنى قتلا ... منذ بضعة شهور جاء الى ...
قمر : يا أم أهذا وقته ؟! ادخلى الآن الى البيت قبل أن يصحو أبى وقبل أن يأتى الزبائن الى القهوة .
جمالات : صدقت ... أحكيها لك فى يوم آخر يا اسماعيل .
اسماعيل : كم أنا مشتاق الى سماعها .

(تدخل جمالات)

اسماعيل : أرأيت لقد صدق الخادم وعده ؟
قمر : ولكن المصاعب ما زالت أمامنا .
اسماعيل : المصاعب .. أية مصاعب ؟
قمر : أبى .

(صوت ابى الحسن ينادى من الداخل)

ابو الحسن : جمالات ... جمالات .

(تدخل قمر الى بيتها ويجلس اسماعيل الى منضدة فى المقهى وتسمع للحديث)

جمالات : نعم يا أبا الحسن ... هأنذا قادمة .

(يظهر ابو الحسن فى قاعة بيته)

أبو الحسن : أين أنت ؟ وما الذى أيقظك من فجر الله ؟
جمالات : هكذا أصحو كل يوم .

أبو الحسن : كان هذا فى الزمن الماضى أما منذ أصبح الغذاء والكساء يجيئنا وحده دون سعى فنحن ....

جمالات : ماذا ؟! ماذا ؟!

أبو الحسن : ألم تسمعى ما قلت ؟

جمالات : سمعت ولكنى لم أفهم .

أبو الحسن : ألا يأتينا غذاؤنا وكساؤنا دون سعى ؟

جمالات : أشربت شيئا فى أمسك ؟!

أبو الحسن : ولا فى يومى .

جمالات : فما الذى تقول ؟!

أبو الحسن : أقول ما يحدث .

(يأتى عمارة الى المقهى ويبدأ فى ترتيب الكراسى)

عمارة : صباح الخير يا سيد اسماعيل ... يا أهلا .

اسماعيل : أهلا عمارة .

(يعود عمارة الى تنظيم الكراسى ويعود اسماعيل الى التسمع)

قمر : هل أنت واثق يا أبى مما تقول ؟

أبو الحسن : ماذا ؟ وأنت أيضا ...

قمر : ولكنه يا أبى شىء لا يعقل .

جمالات : (تبكى) يا بختى المائل ... يا فضيحتى أمام الناس ... جن الرجل ولا حول ولا قوة الا بالله .

قمر : انتظرى يا أم ... لعله يا أبى كان حلما .

أبو الحسن : يكون حلما لو كان مرة واحدة أو يوما واحدا ... ولكنه استمر لأيام وأيام .

جمالات : (باكية) يا مصيبتى ... مصيبة لم يعرفها عدو ولا حبيب .

قمر : يا أبى فكر فيما تقول .

أبو الحسن : أفكر ... كان الغذاء يأتينا كل يوم فى مواعيده وكان الكساء يأتينا أيضا وكان يأتى الناس جميعا وكانت المقهى مزدحمة بالرواد لا يخلو فيها كرسى طول اليوم حتى الليل المتأخر وغاب عمارة فاستأجرت صبيا آخر اسمه ميمون .

جمالات : يا خيبتى ... يا سواد أيامى ...

قمر : لعلك يا أبى كنت تحلم .

جمالات : لعلك كنت تحلم يا أبا الحسن ... لعلك ياحبيبى كنت تحلم .

أبو الحسن : أحلم ··· عظيم ··· كنت أحلم ··· فاذا كانت ثروتى فى هذه الأيام قد بلغت مائتى دينار أيكون هذا حلما ؟!

جمالات : لا ··· ان كانت زادت حقا ··· لا يكون حلما ··· هل زادت يا أبا الحسن ؟!

أبو الحسن : انتظرى حتى أحضرها ·

(تخرج شوى الى اسماعيل)

قمر : هل سمعت ؟

اسماعيل : ماذا سنفعل ؟

قمر : اسمع ··· عليك أن توافق على كل ما أقوله ·

اسماعيل : هل ستقولين شيئا ؟

قمر : سترى ·

اسماعيل : ماذا ستقولين ؟

قمر : سترى ··· عليك أن توافق ··· فقط عليك أن توافق

(تدخل)

جمالات : أرأيت ؟

قمر : انتظرى يا أم لا تتعجلى ·

(يدخل أبو الحسن)

أبو الحسن : ان كل ما رأيته حلما ··· فهل هذه الدنانير حلم أيضا ؟!

جمالات : (تنتفض) أرنى ·

أبو الحسن : انظرى ··· امسكى ··· المسى ··· شمى ··· ضعى هذه الدنانير بين أسنانك وامضغيها حتى تنكسر أسنانك ·

جمالات : قمر الزمان ··· أكان حلما أم حقيقة ؟!

قمر : طبعا يا أبى هذه الدنانير غير المائتى دينار التى أعطيتها لك ·

أبو الحسن : ماذا ؟! هل أعطيتنى أنت مائتى دينار ؟!

قمر : ماذا ؟! هــل نسيت يا أبى ؟! المهــر الذى أعطـاه لى اسـماعيل لأسلمه لك ·

جمالات : أخذت مهر البنت ولم تقل لى ؟

أبو الحسن : أنا يا قمر أخذت مهرك ·

قمر : وهل هــذا المبلغ ينسى يا أبى ؟! لقد جاء اسماعيل ولم يجــدك ولا وجد أمى وخاف أن يضيع منه المهر فتركه معى ·

أبو الحسن : هل جننت !

قمر : الفتاة لا تنسى أن مهرها دفع .

جمالات : وأنت تخلط بين الحلم والحقيقة .

أبو الحسن : ألا تصدقيني ؟!

جمالات : أصدق الرجل الذى يقول ان الغذاء والكساء كان يوزع على الناس جميعهم بلا ثمن ... أهذا كلام يصدق ؟! لقد اختلط عقلك وحسبنا الله ونعم الوكيل .

أبو الحسن : وهذا المال ؟!

جمالات : مهر البنت ... أخذته وتريد أن تأكله .

أبو الحسن : هل جننت ؟!

جمالات : أأنا التى جننت أم أنت الذى تريد أن تأكل مهر بنتك وتحاول أن تخدعنا بهذا الخرف الذى تقول ؟

أبو الحسن : أنا يا بنتى أخذت مهرك .

قمر : انتظر يا أبى .

(تخرج وتنادى اسماعيل)

قمر : اسماعيل تعال .

(يدخل اسماعيل الى البيت)

اسماعيل : صباح الخير ياعم أبا الحسن .

أبو الحسن : أنت يابنى ....

قمر : (مقاطعة) اسماعيل ألم تأت هنا يوم الاثنين الماضى ؟

اسماعيل : أنا أجىء كل يوم .

قمر : ولكنك يوم الاثنين أعطيتنى المائتى دينار ، وقلت انها مهرى وطلبت منى أن أعطيها لأبى ؟

اسماعيل : أنا ... أنا ... نعم ... نعم

أبو الحسن : ومن أين أتيت بهذه الدنانير ؟

اسماعيل : أتيت بها ... أتيت بها .

قمر : مالك لا تقول ، وما العيب فى هذا ... ما العيب فى أن تأخذ مائتى دينار من الخليفة .

أبو الحسن : الخليفة ؟!

قمر : سمع أنه يريد أن يتزوج ولا يملك مالا فأعطاه هذه الدنانير ·

أبو الحسن : من الخليفة يا اسماعيل ؟!

اسماعيل : (وقد استرد نفسه) اسمع ياعم أبا الحسن ·

أبو الحسن : نعم يا سيدى قل ·

اسماعيل : عندى اقتراح ·

أبو الحسن : ماذا ؟ أدفع لك فوقها مائتى دينار ؟!

اسماعيل : لا ··· أنا أريد قمر الزمان بلا جهاز ···· خذ المائتى دينار وزوجنى قمر الزمان ·

جمالات : ماذا تقصد ؟

اسماعيل : ألم تفهمى يا خالتى أم قمر ·

جمالات : فهمت الشوم واللوم ··· تريد ابنتى أن تتزوج بلا جهاز ·

قمر : وأنت ماذا يغضبك يا أم مادام اسماعيل يريد ذلك ؟

جمالات : والناس ماذا تقول الناس ؟

اسماعيل : وما للناس ولنا يا خالتى أم قمر ·

أبو الحسن : اذن فأنت دفعت مهر البنت ؟

اسماعيل : وطبعا حين نعقد العقد سأدفع لك المهر الرسمى ·

أبو الحسن : فهذه الدنانير هى مهر البنت ؟

اسماعيل : وأريدها بلا جهاز ·

أبو الحسن : اذن ····

اسماعيل : بارك الزواج ياعم أبا الحسن ··· توكل على الله ·

جمالات : وبلا جهاز ؟!

أبو الحسن : اذن فقد كان حلما ··· عمارة ··· عمارة ··· عمارة تغيب عن المقهى وأحضرت بدلا منه ميمون ·

قمر : عمارة فى الخارج يصف الكراسى ·

أبو الحسن : عمارة فى الخارج ·

(يخرج الى المقهى ويتبعه ثلاثتهم)

أبو الحسن : عمارة ·

عمارة : نعم ياعم أبا الحسن ·

أبو الحسن : أين كنت يا ولد ؟

عمارة : فى بيتنا ياعم أبا الحسن ·

أبو الحسن : كل هذه الأيام ·

عمارة : أى أيام ياعم أبا الحسن ؟ لقد كنت هنا أمس ٠

أبو الحسن : أمس ! أمس ياعم عمارة !

عمارة : ماذا جرى لك ياعم أبا الحسن ٠٠٠ ألم أسلمك ايراد المقهى أمس قبل أن ألم الكراسى ٠

أبو الحسن : وكم كان ايراد المقهى ؟

عمارة : دينار وعشرة دراهم ٠

أبو الحسن : كنت هنا أمس يا عمارة ؟!

عمارة : سلامتك ياعم أبا الحسن ٠

جمالات : اسمع ٠٠٠ نصف مهر البنت لك والنصف لى

أبو الحسن : اذن فقد كان حلما ٠

(يدخل الى بيته ويعبر القاعة ذاهلا ويخرج من المسرح وتتبعه جمالات)

جمالات : نعم ٠٠٠ أظن لم تسمعنى ٠٠٠ النصف لك والنصف لى ٠

(تخرج وراءه)

قمر : نفعت الحيلة ٠

اسماعيل : لولا أننى ألهمت أن أترك له المهر ما قبلت الزواج منك ٠

قمر : نعم كان هذا الهاما ٠٠٠ أنت رائع يا اسماعيل ٠٠٠

(يمر الناس بالمقهى مسرعين ـ كما كانوا فى الفصل الأول ـ ولا يجلس احد على المقهى ٠ ثم يدخل التاجر) ٠

اسماعيل : انما أنت الرائعة ٠٠٠ ان الفكرة كلها فكرتك ٠٠٠ ولكنى خجل ٠

قمر : لمـــاذا ؟

اسماعيل : سأتزوجك بلا مهر ٠

قمر : بل ان مهرى هو أغلى مهر تطمع فيه عروس ٠

اسماعيل : أنا لم أقدم المائتى دينار كما تعلمين ٠

قمر : ولكنك قدمت حبك ٠

اسماعيل : كلام شعراء ٠

قمر : ألا تحب كلام الشعراء ؟

اسماعيل : ترين أيعود نور الدين الى الشعرا ؟

عمارة : أنت جئت ٠٠٠ أهلا وسهلا ٠

التاجر : أهلا بك ٠٠ هات القهوة ٠

عمارة : أتريد القهوة حقا أم ندخل فى الموضوع مباشرة ؟

التاجر : كما تحب ٠

عمارة : طبعا أنت تريد القهوة لفتح الحديث معى وأنا مستعد للحديث دون مقدمات ٠

التاجر : مستعد !

عمارة : دون لف أو دوران ٠٠٠ قالت أقبله لو عرفت فيما يتاجر ٠

التاجر : اذن فلا فائدة ٠

عمارة : أنت حر ٠

التاجر : أمرى لله ٠٠٠ أنا تاجر جوار ٠

عمارة : جوار ؟!

التاجر : نعـــم ٠

عمارة : أنفس بشرية ؟!

التاجر : هى جوار على كل حال ٠

عمارة : اذن خذ ٠

التاجر : ماذا ؟

عمارة : كيس النقود الذى أخذته منك (يبحث عن الكيس) الكيس ٠٠ أين الكيس لقد كان معى ؟

التاجر : تقصد هذا الكيس ؟

عمارة : أهو معك ؟

التاجر : وجدته اليوم فى جيبى ٠

عمارة : فهو لك ٠

التاجر : والذى بيننا ٠٠٠

عمارة : ليس بيننا شىء ولن يكون بيننا شىء ٠

اسماعيل : قمر ألا ترين أن نخرج ، لنرى الناس ماذا يفعلون ؟

قمر : لقد عادوا الى حياتهم ٠

اسماعيل : لابد أن أتأكد ٠

قمر : اخرج اذا شئت ٠

اسماعيل : ماذا ستفعلين ؟

قمر : سأبقى مع أبى أقنعه ان عاد اليه الشك

اسماعيل : خيرا تفعلين ٠

(يتجه اسماعيل للخروج)

(تدخل قمر الى البيت)

التاجر : يابنى فكر ٠

عمارة : تعال يا سيد اسماعيل ٠

اسماعيل : ماذا تريد يا عمارة ؟

عمارة : لحظة اذا أذنت ٠

اسماعيل : (يتقدم اليه) ماذا ؟

عمارة : يا سيدى التاجر أقدم اليك السيد اسماعيل خطيب الست قمر الزمان ٠٠٠ رجل يحب الشعر والجمال والفن ولا يتاجر فى الأنفس البشرية ٠

التاجر : أتركك بخير يا عمارة (يخرج) ٠

اسماعيل : أكان يريد أن يخطب قمر الزمان ؟

عمارة : وانتهى الأمر يا سيد اسماعيل ٠٠٠ انتهى الأمر ٠

(يدخل نور الدين مهرولا)

نور الدين : اسماعيل ٠٠٠ لقد صح ما توقعته ٠٠٠ انك هنا ٠٠٠ لقد عدت أقول الشعر يا اسماعيل ٠

اسماعيل : أكملت الأبيات ؟

نور الدين : أكملتها ٠٠٠ أكملتها :

وقفت أجيل الطرف حولى فراعنى
مدامع من عينى لا تتحدر
أهيب بها تهمى فتابى ترفعا
وأزجرها تمضى فتعصى فاصبر
ومس فؤادى من نسيمك خطرة
فسالت دموعى فرحة تتفجر
حياة بلا دمع حياة بئيسة
وعيش بلا حس ممل مكدر
ولا خير فى الدنيا اذا هى أصبحت
هناء بريئا عن دموع تحدر
جمال حياتى فى دموعى وبسمتى
وأجمل أيامى قصيد ومزهر

سلام عليك

(ينصرف فورا)

اسماعيل : الى أين ؟

نور الدين : أقول القصيدة للناس فلا جمال لها اذا لم يسمعها الناس .
(يخرج) .

اسماعيل : (يذهب الى بيت قمر) يا قمر ... يا قمر .

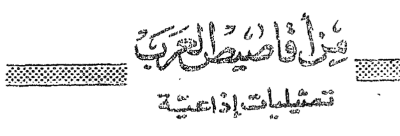
قمر : نعم يا اسماعيل (تأتى اليه) .

اسماعيل : لقد أكمل نور الدين القصيدة .

قمر : اذن عادت الحياة كما كانت يا اسماعيل .

اسماعيل : قد عادت الحياة الى الحياة يا قمر الزمان .

(ســــتار)


من أقاصيص العرب
تمثيليات إذاعية

● مقدمة

ان التقديم لكتاب أمر فى غاية التعقيد للكاتب ، وهو أكثر تعقيــدا اذا كان الكاتب يقدم لعمل له ، ويزداد الأمر سوءا اذا كان هذا العمل الذى يقدم له عملا فنيا • وقد ظللت عمرى أعتقد أن الكاتب الذى يقدم لعمل فنى له كأنه يعلن القراء بشىء من شيئين : اما أنه عجز عن قول ما يريد قوله بعمله الفني المجرد ، واما أنه يعلن القارىء بأنه لن يستطيع التغلغل الى أعماق فنه ، ليصل الى المعانى العميقة التى يحتويها هــذا العمل • ولست أدرى أى الاعلانين أكثر ســخافة من صاحبه !.

ولكننى مع ذلك أعتقد أن هذا العمل الذى بين يديك يحتاج الى تقديم • فهى المرة الأولى التى ألتقى فيها بك بعمل مثل هذا • فهذه تمثيليات اذاعية • كتبتها جميعــا لتذاع والتمثيلية الاذاعية ــ كما تعرف ــ تعتمد على الأذن • فشأنها شأن الأغنية ، النص فيها جزء من العمل وليس العمل كله • فالنص الروائى أو نص القصة القصيرة نص تكتمل جوانبه بمجرد انتهاء الكاتب منه • أما النص الغنائى والاذاعى فنص تبدأ مقدماته بانتهاء الكاتب منه ، ويظل ينتظره بعد ذلك المخرج أو الملحن والممثلون أو المغنى • ولكن أليس هذا شأن الأعمال الدراميــة جميعهــا ؟! وهــل هناك ما يمنعك أن تقرأ القصيدة الغنائية وتستمتع بها دون اللحن والأداء ؟! أو هــل هناك ما يمنعك من قراءة المسرحية والاستمتاع بها دون الاخــراج والتمثيل ؟!

بل ان جان بول سارتر يذهب الى أبعد من هذا ، فيقدم اليك فى كتاب مقروء سيناريو أعده للسينما وقد قرأته أنا واستمتعت به غاية الاستمتاع •

ألا ترى معى أن العمل الجيد حبيب الى النفس مهما يكن الشكل الذى يقدم اليك فيه · وأرجوك ألا تعتقد أننى أزكى عملى لديك فما أحسست بالخوف منك قدر خوفى وأنا أقدم اليك هذا الكتاب بين يديك · ومصادر الخشية كثيرة ·

فقد كنت أكتب هذه التمثيليات وأنا لا أفكر الا فى أذنك والأذن لا تمسك بالكلمة وانما تسمعها وتلقى بها فى سرعة خاطفة الى العقل الذى ما يلبث أن ينتظر الكلمة التالية · ثم هأنذا أقدمها الى عينيك الواعية ، لتنعم فيها النظر ، ثم تنعم وتعرضها بعد ذلك على عقلك فى هدوء واطمئنان ودعة ويروح عقلك يفكر فيها لا يشغله شىء ولا بأس عليه أن يقبل الوقوف ويطيله ، وماذا وراءه ؟ الكتاب فى يده ويستطيع الكتاب أن ينتظر الأجيال · فأنا هنا ألتقى بك فى موقف لم أعد نفسى له وكل ما أتمناه أن أنجو من سخطك،لأفوز ببعض من رضائك أو لأفوز — على الأقل — بالنجاة من السخط ·

وأنا أخشى أيضا من الجملة التى كنت أتوخى فيهـــا شيئا من الموسيقى اللفظية لعلها ترضيك عند السماع ولا أدرى كيف ستستقبلها عند القراءة ؟

وأخشى من الانتقالات السريعة التى تعتمد عليها التمثيلية الاذاعية ولم تألفها التمثيلية المقروءة ·

أشياء كثيرة أخشاها · ولـكن ألا تحف الخشية بكل تجربة جديدة ؟ وانى أجرب معــك هــذه التجربــة · وفى التجربة يجب أن يتكاتف مقدم التجربة مع مستقبليها فماذا عليك لو أنك أعنتنى بالصبر تكافىء به هــذه الخشية التى أحسها منك ؟

ولقد شجعنى على القيام بهذه التجربة اللغة التى كتبت بها هذه التمثيليات ، فاعتقادى أن النص اذا كان مكتوبا باللغة العامية يصبح من العسير تقديمه فى كتب · فان وجود لغتين فى أدبنا يضيع على هذا الأدب كثيرا مما هو جدير بالنشر · فمهما يدافع كتاب العامية عنها فانهم لم يستطيعوا حتى الآن أن يقنعوا القارىء أن يقرأ الأدب العامى · لا يستطيع القارىء أن يقرأ العامية · فهى مقروءة تصبح بالنسبة اليـه لغـة

جديدة • ولعل هذا هو السبب فى أن كتاب التمثيلية الاذاعية لم يقبلوا على نشرها •

وقد شجعنى على تقـديم هذا الكتاب اليك أننى كتبت التمثيليـات جميعها باللغـة العربيـة ولن تجـد تنافرا بين الشخصيات واللغة التى يتكلمون بها فهم جميعا يعيشون فى أزمان كان الكلام المنطوق فيه عربيا خالصا •

وشجعنى أيضا أننى قلت فى نفسى ان التمثيلية الاذاعية تعتمد على الأذن وحدها حين يستقبلها المستمع ، ثم هو يهيىء بعقله وخياله المنظر والحركة ، فماذا عليه لو أبدل الأذن بالعين، وأبقى على عقله وخياله فى انشـاء المنظر وتأليف الحركة ؟ فالقارىء للتمثيلية الاذاعية مؤلف مع المؤلف كما أن المستمع لها يؤلف مع المؤلف •

لعلك أحسست من هذه المقدمة اننى أحاول أن أشجع نفسى على تقديم هذا الكتاب اليك • لا تكذب احساسك فان هذا ما أحاول أن أقوم به ، فان رضيت ، فشكرا لله ، وان لم ، فما على بأس اننى حاولت ، وما التوفيق الا من عند الله •

ثروت أباظة

● رؤوس في السماء

المذيع : في قصر الخليفة « أبو جعفر المنصور » يجلس بين خاصته الاقربين انهم يزنون كل كلمـة ويتحسسون كل حرف ·· انه أبو جعفر المنصـور مؤسس الدولة العباسية ·· شديد كريم فى شدته ·· قاس رحيم فى قسوته ·· عادل جبـار فى عدله ·· احذروا ·· احذروا أن تغضبوه أيها القوم ·· انه المنصور ·· ان الباب ليفتح ·· انه عبد الخليفة ، ماذا يقول ؟

الخادم : رجل يقول انه من الشام يلتمس الاذن بالدخول فى خطير من الأمـــر ·

الخليفة : أو تعرفه ؟

الخادم : لا يا مولاى لم أره قبل اليوم ، ولكن وجهه ينبىء عن جليل ·· آذن له ؟

الخليفة : ائذن ···

أحد الجالسين : ألا يأذن مولاى لأحدنا يراه فيسأله عما يريد ؟

الخليفة : بل أراه أنا فما فى ذلك ضير ·

الخادم : (معلنا) ابراهيم بن على من الشام ·

ابراهيم : جئت يا مولاى فى أمر أراه جد خطير ·

الخليفة : نعم انى أرى دلائل خطورته فى عينيك ·· أدل به ·

ابراهيم : أدلى به على انفراد يا مولاى ·

الخليفة : ولـــم ؟

ابراهيم : هو السر وأخشى أن يذيع ·

الخليفة : ان من ترى هم حفظة سرى ·

ابراهيم : ولكنه سرى يا مولاى ، وأخشى عليه أن يذيع ·

الخليفة : حسنا اذن ·

أصوات : أتأذن لنا يا مولاى ·

الخليفة : لا بأس بكم انتظرونى فى الحجرة المجاورة (بعد فترة يسمع فيها أصوات خروج القوم واقفال الباب) .

الخليفة : هات ما عندك .

ابراهيم : أنت يا مولاى تؤسس الدلة العباسية ، فتوطد أركانها ، وقد سمعت أن مولاى فى حاجة الى المال ؟

الخليفة : نعم لقد أنفقت أموالا كثيرة .

ابراهيم : فى الشام رجل يدعى محمد بن القاسم ، لديه من المال ما تريد .

الخليفة : ويحك يا رجل .. أتريدنى أن أسلب الناس أموالهم ؟!

ابراهيم : حاشاك يا مولاى ، والعدل أساسك ، ولكن هذه الأموال ليست ملكا لابن القاسم هذا .

الخليفة : فلمن هى ؟

ابراهيم : هى أموال بنى أمية استأمنوا هذا الرجل عليها ، فهى فى بيته ، ان أمر بها مولاى حملت اليه .

الخليفة : وأنت ما نفعك ؟

ابراهيم : ان هذا الرجل يا مولاى قد أخذ يجمع الناس منذ أيام وقد ذهبت فيمن ذهب ، انه يدعوهم الى الثورة يا مولاى وان عنده من الأموال ما يقيم به ثورات لا ثورة وخشيت أن يشعلها فتنة لا تخمد فقصدت اليك تخمدها وهى بعد ما تزال هينة .

الخليفة : (يصفق) يا مرجان ادع حمدان رئيس الشرطة .

مرجان : أمر مولاى .

الخليفة : وأنت يا ابراهيم انزل ضيفا على قصرى .

مرجان : حمدان رئيس شرطة يا مولاى .

الخليفة : أريد نفرا من جندك الأقوياء ليذهبوا الى الشام . هناك رجل . موسيقى

أموال ليست ملكا لابن القاسم هذا ...

المذيع : يا لك من مسكين يابن القاسم ، ترى أتدرى الى أى دوامة ألقى بك القـدر ؟ انه أبو جعفر المنصور .. نعم معذور أنت حين تجلس الى زوجك هذه الجلسة الهادئة ترسل نفسك على سجيتها وشريكة حياتك الى جانبك تغمرك بفيض كريم من حنوها فاذا أنت فى هدوء

سابغ وسعادة وهناء .. معذور أنت فما تدرى بعد أى لقاء ينتظرك وأى رجل ؟

الزوجة : لقد أسرفت على نفسك يا أبا القاسم فانى لأراك مربد الوجه كعهدى بك اذا نال النصب من نفسك .

ابن القاسم : انه خازنى .

الزوجة : صديقك الذى جعلته خازنك المشرف على تجارتك ؟

ابن القاسم : ومن غيره لقد تهيأت لى فرصة فما أدرى ألعنها أم أحمدها ؟ لقد كشفت فيه عن سارق حقير ولو كان قد سألنى ما سرق ما منعته ؟

الزوجة : انها النفس الوضيعة يابن القاسم وما لك فيها من يد .. كم دينارا سرق منك ؟

ابن القاسم : ليس المال ما آلمنى ولكنها صداقة تخان وأمانة تهتك ونفس تنحط ؟

الزوجة : وماذا فعلت به أسلمته للشرطة ؟

ابن القاسم : أهكذا تعهديننى أسلم صديقى للشرطة ؟

الزوجة : بل تسلم خائن الأمانة .

ابن القاسم : أو لست أنا من ائتمنه ؟

الزوجة : أو تسكت اذا ؟

ابن القاسم : وماذا أفعل ؟

الزوجة : حقا ما تفعل .. انت ابن القاسم لا تفعل شيئا ولكن لو كان غيرك فى مكانك .

ابن القاسم : ولكن غيرى لم يكن فى مكانى .

الزوجة : نعم أنت على حق لقد كنت فى مكان نفسك .. لعلك أيضا لم تسأله لم سرق ؟ .. ولعلك أيضا أعطيته شيئا على سبيل المكافأة ؟!

ابن القاسم : بل سألته هل سرقته ؟ فقال مبلغا احتجت اليه ، قلت فخذ هذا عليه واترك خدمتى .

الزوجة : الله الله ما أضيعك لحق نفسك !!

ابن القاسم : بل ما أحفظنى لحق الصديق !

الزوجة : ما أبصرك في معاملة الخائن !

ابن القاسم : بل ما أقسانى فى معاملته ·· ما كان لى أن أفضح فعلته ·

الزوجة : وحق أولادك لا تزد كلمة ·· لقد كدت أجن ·· قم على بركة فأصب بعض النوم بعد أن أصابك هذا النصب من الضمير ·· قم فنم ·· أو انتظر حتى آتيك بشيء من الطعام أعددته لك ·

ابن القاسم : ما أخلصك على به ·

قرع شديد على الباب

صوت : باسم أمير المؤمنين أبى جعفر المنصور افتحوا الباب ·

مجونج

ابن القاسم : السلام على أمير المؤمنين ·

الخليفة : لا سلام عليك يابن القاسم ·

ابن القاسم : سبحانه وتعالى ·· لقد قال واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها ·

الخليفة : أو ردوها ·

ابن القاسم : أراك فهمت من الرد عدم السلام ؟

أمير المؤمنين : على الخائن نعم ·

ابن القاسم : رضى الله عن عمر ·· لقد قال « البينة على من ادعى » ·

الخليفة : واليمين على من أنكر ·

ابن القاسم : فأين البينة ؟

الخليفة : فهل تقسم ؟

ابن القاسم : وهل أنكرت ؟

الخليفة : فأنت مقر ؟

ابن القاسم : فهل ادعيت ؟

الخليفة : أتكذبنى ؟

ابن القاسم : فيم يا مولاى أنا لا أعرف جريمتى ؟

الخليفة : لا تعرفها ! ففيم كلامك ؟!

ابن القاسم : أنا لا أتكلم بل أجيب ·

الخليفة : ألا تعرف فيم جئت من بلادك الى هنا ؟

ابن القاسم : بل أعرف أن أمير المؤمنين أعزه الله أمر بى فجئت ،

الخليفة : ألا تعرف أنك جئت ، لأسألك عن أموال بنى أمية التى تخفيها عنـــدك ·

ابن القاسم : أو تهمة هذه يا مولاى ؟
الخليفة : ان شئت أن تسميها كذلك فسمها .
ابن القاسم : فان كان عندى مال ؟!
الخليفة : فأنا أريده .
ابن القاسم : أدامك الله .. أوارث أنت لبنى أمية ؟!
الخليفة : بل القيم على أموال المسلمين .
ابن القاسم : أدام الله الأمير فان بنى أمية تجار عادت عليهم التجارة بالربح الأوفر .
الخليفة : أعلم ذلك ولكن ما شأنه وما نحن فيه ؟! كانوا أغنياء نعم .
ابن القاسم : رعى الله الخليفة فكيف يعرف أن المال الذى عندى على خالص ملك المسلمين وليس ملكا خاصا لبنى أمية ؟!
الخليفة : الحرب تهدد المسلمين ونحن فى حاجة الى المال .
ابن القاسم : أخون الأمانة اذن ؟!
الخليفة : هذا شأنك .
ابن القاسم : بل شأنك فماذا أنت قاض ان حملت أمامك متهما بخيانة الأمانة ؟
الخليفة : خيانة الأمانة أكرم من خيانة الوطن
ابن القاسم : ليس للكرامة شأن بالخيانة على أى نوع لها .
الخليفة : احمل هذا المال الى لقد سئمت اللجاجة .
ابن القاسم : أهو أمر خليفة أم أمر قاض ؟
الخليفة : بل أمر مسلم يدافع عن دينه .
ابن القاسم : أتدافع عن دينك بالخروج عليه ؟!
الخليفة : ماذا تقول أيها الرجل ؟!
ابن القاسم : عفوا مولاى انه الحق .
الخليفة : وما أدراك أنه الحق ؟!
ابن القاسم : ان كنت مخطئا ، فسل قاضى القضاة وحكمه فيصل .
الخليفة : ماذا تقول أيها القاضى ؟
القاضى : أرى مولاى أن الرجل محق فيما يذهب اليه .. لا يخلص هذا المال اليك عن طريق عادل أبدا .
الخليفة : انه مال الخونة !
القاضى : لا يصادر الشرع مال الخونة !
الخليفة : لقد خرجوا على الشرع .

القاضى : بل خرجوا على بنى العباس وحتى لو كانوا خرجوا على الدين أرأيت النبى يأخذ من الكفرة غير الجزية .. لقد كان فى نطقهم بالشهادة الموحدة خلاص لهم من دفع الجزية .

الخليفة : أأترك القونة يعبثون بالأموال فى بلاد الله ؟!

القاضى : ان الله يأمر بالعدل والاحسان وليست مصادرة أموالهم من هذا فى شىء .

الخليفة : ولكننى أريد هذا المال .

القاضى : فمر به أمر من لا ينظر الى العدل .

الخليفة : وماذا يقول الشرع ؟

القاضى : الشرع .. يقول ما جاء عن طريق محرم فهو محرم وارتكابه اثم .

الخليفة : فالمال له ؟

القاضى : له ومن بعث محمدا بالحق .

ابن القاسم : ليس لى يا مولاى فلست فى حاجة اليه ولكنه لبنى أمية .

الخليفة : لك أو لهم ان الأمر لم يعد يهمنى ولكن أتظننى تاركك تعيث فى الأرض وتشعلها ثورات ؟!

ابن القاسم : فماذا أنت فاعل بى يا مولاى ؟

الخليفة : سأسجنك .

ابن القاسم : وتهمتى ؟

الخليفة : اشعال الثورات فى الشام وتأليب الناس على حكم العباسيين والتحيز لبنى أمية .

ابن القاسم : فهل عند مولاى دليل لأى تهمة من هاته التهم ؟

الخليفة : لقد أدلى لى بذلك من لا تكذب شهادته .

ابن القاسم : أتأخذ بشهادة واحدة من شخص لا أعرف حتى اسمه ؟!

الخليفة : ذلك شأنى .

ابن القاسم : ولكنك خليفة الله فى الأرض !

الخليفة : لقد أسمحت لك فى المال ، فاما أن أتركك فدون هذا الموت .

ابن القاسم : الأمر لك فى ذلك ولكن لى عيالا وزوجة ألا يسمح مولاى بمن يخبرهم .

الخليفة : ولا هذا فان سجنك لن يطول وسوف أتحرى أمرك ، حتى أتبين جلاءه ، فان كنت بريئا أطلقتك وان أدانتك الحجة قتلتك .

ابن القاسم : هيأ الله لك السبيل العادل وكشف لك من أمرى ما استتر ٠

الخليفة : يشرفك أن ينكشف ما استتر ؟

ابن القاسم : كل الشرف ٠

الخليفة : حسنا اذن ٠٠ على بحمدان رئيس الشرطة ٠

خادم : أمر مولاى ٠

الخليفة : سوف أبقيك عنده حتى يبين أمرك ٠

الخليفة : يا حمدان ان هذا الرجل أسيرك ، ان هرب فقدت حياتك ٠

حمدان : من (فى لهجة من عرف شخصا) أنت ؟!

الخليفة : أتعرفه ؟

حمدان : (متلجلجا) لا ٠٠ لا يا مولاى لا أعرفه ٠

الخليفة : حسنا اذن سر برجلك وحذار يا حمدان ٠٠ حذار أن يفلت ٠

حمدان : يفلت ٠٠ وعمرى يا مولاى (يقفل الباب) ٠

موسيقى

الخليفة : أين سجينك يا حمدان ؟

حمدان : أطلقته يا مولاى ٠

الخليفة : أطلقته ٠٠ ولم يهرب ؟

حمدان : أطلقته ولم يهرب ٠

حمدان : أطلقته يا مولاى ٠

الخليفة : حياتك دونه ٠

حمدان : وحياتى ملكك ٠

الخليفة : ويلك ! ٠ أبعد صادق خدمتك لى تخون أمرى ؟!

حمدان : بل فعلت ما أوجب عـلى كريم خلقك ٠٠ فعلت ما لو لم أفعله لقتلتنى ٠

الخليفة : ولكننى قاتلك بما فعلت ؟

حمدان : أحبب بها قتله ٠

الخليفة : ويحك ان لك لشأنا !

حمدان : وأى شأن ! ٠ خرجت من عند مولاى ومعى أسيرى ٠

موسيقى

حمدان : مرحبا ابن القاسم نزلت سهلا ٠

ابن القاسم : مرحى بك حمدان ٠٠ أى سهل ذلك الذى نزلت ؟! هل بعد هذا الوعر وعر ؟ شك ولا خيانة وسجن ولا تهمة ! ءخليفة قاس

يشيد ملكه فهو أخشى ما يكون عليه وصديق غادر يتجاهل صديقه وهو أحسن الناس معرفة به ·

حمدان : أنت محق فى كل ما تذهب اليه ولكن أين الصديق الذى تجاهل صديقه ؟

ابن القاسم : حقا ان أحدا من الناس لا يمكن أن يعرف نفسه ·· أتجاهل هذا يا حمدان أم جهل ؟!

حمدان : جهل ·

ابن القاسم : ألا تعرف الصديق الذى تجاهل صديقه ؟

حمدان : لعلك تعنينى ·

ابن القاسم : وهل هناك غيرك ، ألم تتجاهلنى الآن أمام الخليفة ؟!

حمدان : ألم تدر ما قصدت اليه بذلك ؟

ابن القاسم : أقسمت لم أدره ·

حمدان : انك أذكى من هذا ·

ابن القاسم : يجول بذهنى أمر ·

حمدان : هو ما يجول بذهنك قله ·

ابن القاسم : لك الخير أتطلقنى ·

حمدان : وما فى ذلك ؟ نعم فأنت طليق ·

ابن القاسم : أى والله انه السهل الذى نزلت به ·· ورأسك ·

حمدان : فداك ·

ابن القاسم : حمدان ·

حمدان : نعم يابن القاسم فداك رأسى ·

ابن القاسم : ولكن الأمر لا يستقيم ·

حمدان : بل يستقيم ولا تناقش ·· اذهب ·· اذهب فأنت طليق ··

ابن القاسم : لست فاعلا يا حمدان ·· لست فاعلا ·

حمدان : ان لم تفعل قتلت نفسى بين يديك ـ أأحمل جميلا ولا أرده اذهب يابن القاسم ·· اذهب أقسمت عليك ··· أقسمت ·

ابن القاسم : أقسمت أنا لا تقسم فأنا ذاهب ·· ذاهب يا حمدان ولن أنسى ··

حمدان : فى حفظ الله ·

ابن القاسم : وبقيت فى حفظه ·

(تنتهى الموسيقى)

حمدان : وهكذا يا مولاى أطلقت الأسير ·

الخليفة : أجننت يا حمدان ، أتقص على هذه القصة ولا أدرى سبب اطلاقك له ؟ ٠٠ الا أنه رفض أن تطلقه ٠

حمدان : ليس هذا يا مولاى ٠

الخليفة : ألأنك تعرفه ؟

حمدان : نعم مولاى هو ذاك ٠

الخليفة : الله الله فى الخلافة أصبحت معرفتك بشخص كافية للخروج على أمـــرى ٠

حمدان : معاذ الله يا مولاى ، مر بأولادى أقتلهم بين يديك ٠

الخليفة : تكلم اذن ، ما الذى حملك على ما فعلت ؟

حمدان : قصة طويلة يا مولاى ٠

الخليفة : قصها ٠٠ قل ٠

حمدان : تذكر يا مولاى يوم أرسلتنى الى الشام فى حملة تأديبية ٠٠ كان الجنود معى قلة ، وكنت قد أرسلت أطلب المدد ، وقبل أن يصل هجم الأعداء هجمة شديدة مزقت القلة الضعيفة التى معى ، وأزمع الأعداء قتلى فجريت فى الأزقة وهم خلفى ولا أعرف أين أختفى حتى صادفت بابا ٠٠ هو باب ابن القاسم هذا ٠٠ بابه يا مولاى دخلت اليه (جونج) ٠

ابن القاسم : ويحك على رسلك أيها الغريب ان للبيت حرمته ٠

حمدان : قائد جيش الخليفة أبى جعفر المنصـــور ٠٠ الجيش الذى هـــزم والقائد مطارد وحالتى على ما ترى ، غريب ليس له قوة ٠٠ ضعيف ولا عون ، قائد ولا جند ، لاجىء ببابك مستجير فهل من مجير ؟

ابن القاسم : عرفت المنزل يا أخا العرب ٠٠ ادخل هنا ٠

حمدان : يجدوننى ٠

ابن القاسم : ادخل سوف أمنعهم ٠

حمدان : ليس لك بهم طاقة ، انهم العدد الكثير ٠

ابن القاسم : حسنا ٠٠ حسنا ٠٠ ادخل فى هذه الحجرة مع زوجى وسوف ترى ٠

الزوجة : تعال أسرع ٠٠ أسرع حتى أقفل الباب بالمزلاج ٠

(صوت باب يقفل يتبعه لغط كثير)

أصوات : نعم رأيته يدخل هذا البيت ٠

صوت : أين الرجل يابن القاسم ؟

صوت : الذى دخل هنا .
ابن القاسم : لم أره .
صوت : لقد رأيناه .
ابن القاسم : كذبت رؤيتكم .
صوت : نفتش البيت حجرة حجرة .
ابن القاسم : أمن حقكم هذا ؟
صوت : بل هو واجبنا .. انه قائد الحملة التأديبية .
صوت : أسلمه لنا يابن القاسم لنؤدبه نحن .
ابن القاسم : كرما منى أترك البيت ... فتشوا فان وجدتموه فهو لكم .
صوت : ابحث فى هذه الغرفة .
صوت آخر : وأنت فنقب هذه الحجرة .
صوت : وأنت فاذهب الى أعلى المنزل .
أصوات : لم نجد أحدا .. انه ليس هنا .
صوت : بقيت هذه الحجرة افتحها .

(صوت محاولة لفتح باب)

ابن القاسم : اقصروا ان زوجتى هنا .
صوت : لابد أن ندخل الحجرة ولتحجب زوجتك .
الزوجة : (يظهر صوتها خارجا من خلف الباب) اخسأوا أيها الرجال كيف يذهب بكم الظن أن أدخل غريبا الى حجرتى وأبقى معه وزوجى بالمنزل وأنا من تعرفون جميعا نسبها ألا تخجلون ؟ تسبوننى فى منزلى ؟
صوت : لقد ألقمتنا ما لا طاقة لنا به ... انها على صواب .
آخر : لا شك فى ذلك لقد أخطأنا فى شأنها .
آخر : فماذا تنتظرون اذن ؟ هيا اتركوا منزل الرجل ان ابن القاسم لأعز علينا من أن نغضبه .
آخر : لابد أن الرجل قد ذهب الى منزل آخر .
آخر : فيم بقاؤنا اذن ؟ هلم بنا ..
أصوت : (خارجة) هلم .. هلم .
حمدان : أنقذتنى أنقذك الله .
الزوجة : لا تقل .. ان هذا بيت الغريب .

حمدان : نعم انه البيت .. ملجأ الملتجيء وحمى المحتمى أبقاك الله لزوجك وأبقى لك زوجك ومد عليكما في هذا البيت ظلال الخير المقيم وشعاع البركة الدائمة .. أبقاكم الله .

حمدان : وأنقذت ــ يا مولاى ــ وكان هذا الرجل الذى عهدت الى به هو من أنقذنى ولم أره قبلها .. أدخلنى الى حجرة زوجته وهو لا يعرفنى وأنقذنى من مــوت محقق وهــو لا يعلم منى شيئا غير ما قلته .. أفلا أطلقه ؟ .. ألا أرد المعروف بشيء منه ؟

الخليفة : وتخالف أمرى ؟

حمدان : بل أطيعه .

الخليفة : أتطلق الرجل وتطيعنى ؟!

حمدان : أطيع روح أوامرك وأخالف صريحها .

الخليفة : أو تأمر روح الأ بشيء يخالف صريحها ؟!

حمدان : يا مولاى انك لم تعرف ما فعله لى هــذا الرجل فاذا أنا أطلقته فمعتمد على خلق كريم فيك يأبى أن أبقى المعروف على كتفى لا أزيح بعضا منه .. كنت واثقا أنك حين تعلم ما فعله هذا الرجل لأجلى ستعفو عنه .

الخليفة : ولكنه أمر رئيس وأنت رجل حرب .

حمدان : ولكن الرئيس أبو جعفر وأنا انسان قبل أن أكون رجل حرب .

الخليفة : ما هكذا تقوم الدول .. سأسجنك حتى أرى فى أمرك .

حمدان : القتل أهون يا مولاى .. أيقوم بحراستى من كنت رئيسا له ؟!

الخليفة : أقتلك اذن ؟

حمدان : ذلك شأنك ، منذ متى كنت ملكا لنفسى ؟! لقد عشت سيفا لك ان شئت رميت بى أعداءك أو شئت أعدمتنى أو شئت حطمتنى .

صوت : بل تبقى فى يده يحطم بك أعداءك ويذود بك عن الدين ولا زلت السيف المشرع فى سبيل الله

حمدان : من .. ابن القاسم ماذا أتى بك ؟

ابن القاسم : رأسك .. أفصلها عن جسدك لأنعم أنا بالحرية ؟!

الخليفة : انك والله لرجل .. فمن أدراك انى لن أقتلك ؟!

ابن القاسم : وما أدراك يا مولاى أنى أطمع فى عفوك .

الخليفة : لا والله لا أقتلك أبدا

ابن القاسم : فاعلم اذن يا مولاى انه لا مال عندى لبنى أمية وانما أنا عباسى

معروف بنسبتى لك .

الخليفة : ويحك لما أخفيت هذا ؟!

ابن القاسم : أان كنت أخبرتك به تصـــدقنى ؟ أان كنت قلت لك أن لا مال عندى لبنى أمية كنت تصـــدقنى ؟

الخليفة : كنت أبحث .

ابن القاسم : واذا لم تجد ؟ انما كنت تعتقد أننى أخفيت المال فى مكان لا تصل اليه يمين .. لا يا مولاى انما جئت أدافع الحجة بالحجة والدليل بالدليل وأنت العدل العادل ...

الخليفة : انك والله لأكثر عقلا من أن تقيم ثورة .

ابن القاسم : لى رجـــاء .

الخليفة : قله .

ابن القاسم : من الواشى ؟

الخليفة : رجل من الشام يدعى ابراهيم بن يعلى .

ابن القاسم : لقد كان خازنا لى وصـــديقا .. اختلس منى بعض المال فأخرجته وأعطيته بعضا آخر .

الخليفة : اسمع أيها الرجل لقد جعلتك خازنا لأموال الدولة وجعلت هذا الواشى بيدك فافعل به ما تريد .

ابن القاسم : أما خازن الأموال يا مولاى فشكرا فانى تاجر لى كثـير من العملاء أخشى أن أغضبهم بتركى لهم وأما ابراهيم فأمره اليك ..

الخليفة : ان شئت يابن القاسم فانى أقتل هذا الواشى .

ابن القاسم : الا هذا يا مولاى فان له أولادا وزوجة .. ابقه يجر عليهم الرزق أجرى الله بالخير يمينك .

الخليفة : ما تشاء أيها الكريم واذا أردت أمرا فبحسبك أن تعرف أنك صديق الخليفة .

ابن القاسم : وحسبى شرفا .. أنا عبـد الخليفة ملك يمينه ناشر فضله ذاكر معروفه مهتد بهديه ملتمس رضاه .. سلام على أمير المؤمنين .

المذيع : هكذا .. أيها الرجل وهكذا أيها القائد وهكذا أيها الخليفة بكم وبأشباهكم ان كان لكم أشباه تقوم الدول ويعلو البناء ويشتد الأزر وترتفع الهامات .. انه الاباء .. انه الترفع انها الرجولة .. انها الكرامة .. انها .. انها رءوس فى السماء .

الروح والشيطان

سيف : (هامسا في حذر) بروحي أنت أمامه قصدت الى والليل منضور الجوانب بأشعة القمر والعيون خوالينا مفتحة تعد علينا الخلجات .

أمامة : لا تخشي العيــون يا سيف . فالعيــون لا ترى الا ما نبديه .. أما ما تنضم عليه قلوبنا فهيهات للعيون أن تراه .

سيف : وكيف خرجت ، ألم يرك أبوك ؟

أمامة : لا ... لم يرني ... وكيف تعتقد أني أتأخر عن مكان أنت فيه ... الله لي يا سيف أنت لا تحبني ؟

سيف : لا أحبك ويلي ؟ ويلي من نفسك ان كنت لا أحبك ، نهاري ظلام ما دمت بعيدا عنك ، وليلي شوك ما دمت لم أرك فيه ، وفؤادي ممزق ما دمت لم ألاقك ، والناس بأجمعهم مهما يشتد بهم الزحام فراغ في عيني ما دمت غير ناظر اليك ... كل حديث لا تقولينه ، وكل كلام لا يتحدث عنك هذر من الهذر وسخف وخرافة ... لا أحبك ويلي ويلي من نفسي ان كنت لا أحبك ... فماذا يا ترى يكون حالي لو كنت أحبك ؟! أمامة اني أحبك .

أمامة : كلام ... أحسنت الكلام .

سيف : اذن فليس هذا هو ما ينبض به قلبك ؟ اذن فأنت لا تحبينني ؟

أمامة : لا أحبك ... فمن أحب ... انك فتى الحي وفارسه ، وانك البطل المظفر ، وانك الشجاع الذي لا يثنيه هول أو يرده جليل ، وانك أعظم الفتيان جمالا ، ممشوق القوام فكأنما أنت تمثال من تماثيل الفرس، أو اله من آلهة الاغريق .

سيف : أحببت في زائلا يا أمامة ، فقد يزول الجمال ، وقد يغلظ القوام فيتحطم أمام عينيك تمثال الاغريق واله الفرس .

أمامة : ويلي بربك ، لا تقل هذا ... لا بربك ... لا أطيق .

سيف : أما تحبين في غير القوام الممشوق ، والوجه الحلو ... ؟

أمامة : وأنت ماذا تحب في ... هيه ... ماذا تحب ؟

سيف : أجادة أنت فى سؤالك ؟

أمامة : وما لى لا أجد ؟

سيف : لأنى أحبك جميعا .. أحبك أمامة .. بكل شيء فيك .. الظاهر منك وما تستره الضلوع .. أحب وجهك وقوامك ، وخلقك ورداءك .. وأناملك الدقيقة هذه ، وخفقة عينيك وأنت تستمعين الى وابتسامة ثغرك هذه وأنت فرحانة بكلامى ، وأحب هذه النونة التى تبدو وكأنها توقيع خالقك على وجهك بعد أن خلقك فأعجبه ما خلق فأراد أن يشرفه بهذا التوقيع الحلو الذى لا يبدو الا مع السرور والفرح والضحك نعم هذه النونة ... أحبها ... أحبك جميعا ... أحبك بلا استثناء ... أحبك كلا لا أستثنى منه جزءا ... أحبك هكذا وما أظن أن الحب الا هذا .

أمامة : (تضحك ضحكة صغيرة) وأما أنا فأحب ذراعيك المفتولتين وأحبك تمشى فى الحى ، فتشير صديقاتى اليك هامسات ثم ترد الواحدة منهن صديقتها عنك وتحذرها أن تقترب منك ، لأنك رجلى أنا ، فكلهن يعلمن أنك رجلى أنا ، وأحبك تذهب الى الحرب ثم تعود فيقول الناس ان سيفا كان فارسا ، وأحبك أن يتحدث الرجال ، فيقولون ليس بين فتياننا من هو مثل سيف ... أحبك سيف .

سيف : فلو أن عروة ابن عمك سبقنى فى الفروسية ، ولو أنك سمعت صديقاتك يتهامسن عنه بينهن ولو أنه ذهب الى الحرب ، ثم عاد فسمعت الرجال يتناقلون عنه الحديث ، ولو أننى مرضت يوما فلم أسر بين صديقاتك اذن لتركتنى الى عروة ان كان السابق أو الى أى فتى آخر ان كان هذا الآخر هو السابق ... أهكذا يا أمامة ؟

أمامة : سيف ، مالى أراك متشككا فى حبى لك ؟ أشك فى حبى وقد جئتك وقبلت اللقاء بك مرات ومرات والعيون حولنا من كل مكان ؟!

سيف : لا أدرى والله يا أمامة أجئت الى أم الى ذراعى المفتول وقوامى المشوق ، وحديث الناس عنى ، وتهامس النسوة حولى لا أدرى يا أمامة .

أمامة : وما أنت ؟! ألست أنت ، أنت القوام المشوق والذراع المفتول وحديث الناس ، وتهامس النسوة ؟ أى فرق بين الاثنين لماذا تفرق بين نفسك وصفاتك ؟

سيف : أخاف يا أمامة .

أمامة : أتخاف من نفسك .. أتغار من صفاتك ؟

سيف : ان كنت أحببت هذه الصفات وحدها فأنت تحبينها غدا ، فى أى فتى يتصف بها .. أما ان كنت أحببتها فى لأنها فى فأنت تحبيننى .

أمامة : تحيرنى يا سيف ، فوالله ما أدرى منذ متى ينفصل الانسان عن صفاته ويغار منها ؟ انى أحبك يا سيف .

سيف : ما أشد خوفى من حبك وما أعظم حيرتى فيه !! .. أهو حب لسيف أم لذراع سيف ؟ لا أدرى !!

أمامة : لا أفهمك سيف الليلة ، فهلم بنا ، فقد أوشك القمر أن يرتحل وقد أوغل المساء ... هلم بنا .

أمامة : على لقـــاء يا سيف .

(موسيقى تصاحب المشهد)

سيف : أمامة .

أمامة : سيف ، أنت لا تدرى ما حل بى .

سيف : ماذا ، ماذا حل بك ؟

أمامة : تركتك فى آخر لقاء وسعيت الى منزلى وقبل أن أصل اليه نبت لى من مكان خفى عروة ابن عمى .

(تنقطع الموسيقى)

عروة : من أين يا أمامة ؟

أمامة : وما شأنك يا عروة ؟

عروة : فشأن من اذن ان لم يكن شأنى ؟

أمامة : شأن أبى وأمى ... هل أنت أمى ؟

عروة : أمنى تسخرين يا أمامة ؟

أمامة : فما تعرضك لى فى الطريق وما سؤالك من أين والى أين ؟

عروة : فانى أعرف أين كنت وأنت ابنة عمى ، فان تناولك الناس بشر فقد أصابنى هذا الشر .

أمامة : فلا شأن لك بى .

عروة : بل هو شأنى وانى ذاهب اليوم الى أبيك لأخطبك .

أمامة : اكشف الستار اذن عن نواياك ... فذلك اذن ما تريد .

عروة : وأى عيب فى أن أطالب الزواج بابنة عمى .

أمامة : لا عيب فى ذلك ، ولكنك تهددنى بما تدعى أنك تعرفه .

عروة : انما أردت أن أستر عليك .
أمامة : لا شأن لك بأن تستر على .
عروة : فان كنت أحبك ؟
أمامة : أتحب من لا يحبك .
عروة : ألا تحبينني يا أمامة ؟
أمامة : أما تعرف هذا ؟
عروة : كنت أكذب نفسى .
أمامة : بل لا تكذب نفسك .
عروة : فماذا تكرهين فى ؟
أمامة : وماذا أحب فيك ؟!
عروة : ألست فارس القبيلة وفتاها ؟
أمامة : بل أنت من فرسانها وفتيانها .
عروة : فمن الفارس فيها والفتى ؟
أمامة : أما تعرفه ؟
عروة : أظنني أعرفه .
أمامة : بل انك تعرفه .
عروة : فى غد تسمعين عنى يا أمامة .
أمامة : فدع حديثك الى الغد حين أسمع بك .
عروة : فى غد تسمعين .

(تعود الموسيقى)

أمامه : أخاف أن يشى بنا الى أبى يا سيف .
سيف : ليس هذا ما أخشاه .
أمامة : فماذا تخشى ؟
سيف : (سارحا) ليس هذا ما أخشاه .
أمامة : لقد أوعدنى .
سيف : بل لقد وعدك .
أمامة : ماذا تعنى ؟
سيف : سيظل عروة ولا عمل له الا المران على السيف والفروسية حتى يصبح فتى القبيلة .
أمامة : ولكنك ستظل السابق عليه .
سيف : والله لا أدرى يا أمامة .. والله لا أدرى .

أمامة : وماذا أنت فاعل الآن ؟

(تنقطع الموسيقى)

سيف : يا أبا أمامة ··· جئت أخطب اليك أمامة .

أمامة : نعم الرجل أنت يا سيف ، وانى قبلت ؟

(أصوات فرح وطبول)

سيف : أحسنت الأيام الينا يا أمامة .

أمامة : أى زوجى الحبيب ··· لقد أحسنت .

سيف : سنجعل أيامنا كلها أفراح .

أمامة : أما أنا ففى فرح دائم ·· بحسبى أن يقال عنى انى زوج وبحسبى أن أراك فى جمالك الحلو هذا ···

سيف : أما أنا فبحسبى انى تزوجت من حبى ··· أحسنت الأيام يا أمامة ··· أحسنت الأيام .

(موسيقى تنتهى بصياح وضجيج)

صوت : الينا فتيان القبيلة ··· الحرب ··· الحرب .

(يخفت الضجيج)

أمامة : سيف ··· أنت ماض الى الحرب ؟

سيف : نعم يا أمامة ، انى ماض اليها .

أمامة : فعد سالما يا سيف ، وعد بطلا يا سيف .

سيف : اسألى ربك لنا الخير يا أمامة ···

أمامة : الخير رفيقك يا سيف .

(موسـيقى)

أم عروة : أنت ماض الى الحرب ؟

عروة : أجـل يا أم .

أم عروة : فكن رجلا يا عروة .

عروة : أعرفتنى غير ذلك يا أم ؟

أم عروة : لا وربك يابنى ··· الله جارك يا ولدى ··· الله جارك .

(موسيقى تنتهى بضجة حرب)

صوت : عليك بسيف ··· ان أنت قتلت سيفا انتصرنا .

آخر : وكيف لى بسيف ، وهأنتذا تراه كالاعصار الجارف يدور فى الميدان كالهول المبين ؟

الأول : نذهب اليه جماعة ونحيط به .

الثاني : نفعل ذلك ... هلم ... هلم أسعد ، هلم اسحق ، هلم أيمن ، هلم جميعا ، أحيطوا بسيف .

(تعلو ضجة الحرب لحظة ثم تخفت)

سيف : الله معى يا أعداء : الله ...

الأول : خذ هذه .

سيف : بل خذها أنت .

الثاني : فهذا الى قلبك .

ثالث : الموت لك .

سيف : بل لك أنت .

رابع : تقدموا جميعا واضربوا .

سيف : آه !!

عروة : لبيك سيف .. لبيك أخاه .. عروة الى جانبك .

(موسيقى حزينة هادئة)

عروة : كيف هو الآن يا أمامة ؟

أمامة : يصحو لحظة ويغيب ساعات .

عروة : ابذلى فى العناية به ، غاية الجهد يا أمامة .. لقد كان فارس الحرب وفتاها .

أمامة : بل سمعنا أنك أنت من كنت فارسها وفتاها ؟

عروة : والله ما أحس القوم بى الا بعد جرح سيف ، ولو لم يجتمع عليه الأعداء ما استطاعوا أن يصيبوه .

أمامة : ثم قيل انك كنت خيرا منه ؟

عروة : انما الناس ألسنة تنطق بغير تفكير ... لا والله كان سيف خير من حارب فى قبائلنا .

أمامة : ولكن الناس يمتدحون شجاعتك .

عروة : لأن سيفا جريح ... والناس أصدقاء القوى أعداء الضعيف يسيرون مع السائر ولا يرحمون من أعياه السير فى سبيلهم .

أمامة : تذم الناس وما ذموك ؟!

عروة : أقسم أنى لا أذمهم وانما أصفهم ، ضعاف يحبون القوى ويتملقونه ، فان ضعف نسوا قوته وانهالوا عليه بالوان من الأكاذيب .

أمامة : لك الله عروة ٠٠٠ ما أرى الا أنك تدافع عن صديقك سيف ٠

عروة : لم يكن سيف صديقي في يوم من الأيام وانما كان الأمل الذي أتطلع اليه والذي أرجو أن أصبح مثله ٠

أمامة : وهأنتذا قد أصبحت خيرا منه ٠

عروة : كذب والله من قال هذا ، أين أنا من سيف ٠٠ أين أنا منه ؟ ٠٠ ارعى سيفا فلم يبق منه الا أنت بعد أن ماتت أمه ٠

أمامة : حادثتني عن سيف وعن الناس وعن نفسك (مترددة) ولم تقل شيئا عن غير هذا ؟

عروة : (كمن فهم ويريد ألا يفهم) ماذا تقصدين يا أمامة ؟

أمامة : أذكرك بحديث بيننا وتأبى أن تذكره ٠

عروة : أى حديث ؟

امامة : أما تذكر منه شيئا ؟

عروة : أذكر أنني حادثتك منذ أنت فتاة لم تتزوجي ، عرضت عليك نفسي فأبيت ٠٠ ثم تزوجت يا أمامة فأى حديث بيننا ؟

أمامة : ألا تريد أن تذكره ؟

عروة : لا والله لن أذكره أبدا ٠٠٠ أأذكره وأنت زوجة لخير فتياننا ؟! أأذكره وزوجك هنا جريح ؟! جريح في سبيلنا جميعا ، لست الفتى العربي ان أنا ذكرته لك ٠٠ لا يا أمامة ، لا يا زوجة سيف ٠

أمامة : وأين سيف منى الآن ٠٠ انه مريض ، جريح ، غائب عن الحياة !!

عروة : بل انه يملأ الحياة بسيرته وماضيه ٠٠ لا يا أمامة ، لا حديث بيننا أبدا ٠٠٠ سلام عليك ٠٠

أمامة : (في لهفة) انتظر ٠

سيف : (صوت ضعيف) أمامة ٠

أمامة : لبيك سيف ٠

سيف : من ذا الذي تحادثين ؟

أمامة : انه عروة يا سيف ٠

سيف : مرحبا بالرجل ٠٠ أدخليه أمامة ٠

(جملة موسيقية)

عروة : أعانك الله يا سيف ٠

سيف : أنقذتني يا عروة ... لولاك لكنت الآن قتيلا .

عروة : لا تقل هذا يا سيف .. انما أنقذت سيف قبيلتنا وفتاها ، انما أنقذتك لنفسي يا سيف ..

سيف : الله وحده كفيل بشكرانك يا عروة ... الله وحده هو الكفيل .

(موسـيقى)

عروة : كيف حاله يا أمامة ؟

أمامة : كما هو يا عروة .

عروة : فسلام عليك يا أمامة

أمامة : أما تجلس قليلا ؟

عروة : أجلس اليك وأنت زوجة سيف ... لا يا أمامة ... سلام عليك .

أمامة : عليك السلام !

(موسـيقى)

صوت : (صدى) وأنت زوجة سيف ... لا ... وأنت زوجة سيف لا .

أمامة : سيف .

سيف : (فى صوت ضعيف) لبيك أمامة .

أمامة : طال بك المرض .

سيف : أجل يا أمامة .. طال بى المرض .

أمامة : وبعد يا سيف ؟

سيف : أدرك ما بنفسك يا أمامة .

أمامة : لقد كنت دائما الذكى اللبيب .

سيف : لو كنت ذكيا ما تزوجتك يا أمامة ، ولكنه الحب يعمى فعميت .. كنت أدرى أنك تحبين سيفى وذراعى ولا تحبيننى ... كان يجب ألا أتزوجك يا أمامة .

أمامة : قضاء الله يا سيف .

سيف : بل قضاء الشيطان الذى فى نفسك يا أمامة .. الله أرحم بعباده من الغدر بالمريض ، والتنكر للجريح ...

أمامة : سيف .

سيف : أنت طالق يا أمامة ... طلاقا بائنا لا رجعة فيه .. اذهبى يا أمامة واستغفرى الله كثيرا فما أظنه يغفر لك ...

(موسـيقى)

أمامة : (فى لهفة) عروة الى عروة .
عروة : ماذا يا أمامة ؟
أمامة : عودا الى حديثنا يا عروة .
عروة : بل لا عود والله .
أمامة : (فى فرح من تخفى أمرا جليلا) ولماذا يا عروة .
عروة : انك زوج سيف .
أمامة : فماذا تراك تقول ان هو طلقنى ؟
عروة : أوطلقك ؟
أمامة : ماذا تقول ان هو طلقنى ؟
عروة : أجيبينى ... أطلقك سيف ؟
أمامة : نعــــم .
عروة : فأنت من طلبت اليه ذلك ؟
أمامة : وما يهمك أنت ؟
عروة : ويلك من الأيام يا أمامة ... ويلك من الأيام .
أمامة : ألا تحبنى يا عروة ؟
عروة : والله لو كنت أحبك قدر حبى للحياة ... لكرهتك الآن قدر كرهى للموت ..
أمامة : عروة .
عروة : أتطلبين الطلاق من زوجك الجريح ، لأنه جريح ؟! ومن أين لى أننى لن أجرح غدا ، فتتركينى كما تركت زوجك ؟!
أمامة : فماذا أفعل يا عروة ؟
عروة : اذهبى الى كهف بعيد عن الناس وانقطعى عن كل من عرفك فانك تذكرين البشر بمقدار الشر الكامن فى نفوسهم ، والناس لا يحبون أن يذكروا الشر الكامن فى نفوسهم ... اذهبى بعيدا ... لا يراك أحد واستغفرى الله وأطيلى الصلاة له ... فقد يغفر الله فهو وحده الذى يغفر الذنوب .
أمامة : عروة .
عروة : لا تنطقى باسمى يا صورة الشيطان .. اذهبى الى لا لقاء .. ولا عودة .. لا كان يوم لقيتك فيه ولا كان يوم ولدت فيه ..
(موســـــيقى)

عروة : سيف !

سيف : مرحبا عروة .

عروة : لقد جئت وأمى اليك نقيم لديك حتى يزيل الله عنك اليأس .

سيف : بمثلك تجمل الدنيا يا عروة .. فلا حياة ان لم تعطر نواحيها أن الدنيا كلها أصبحت شيطانا واحدا كبيرا بلا رجعة ولا خير ولا حب .

عروة : فداؤك نحن يا سيف .

سيف : بمثلك تجمل الدنيا يا عروة .. فلا حياة ان لم تعطر نواحيها بهذه الروح الطيبة التى تسرى فى قلوب أمثالك .. مرحبا عروة ... مرحبا بالحياة فيك .

(موسيقى ـ ختـــام)

● عفو الملك

أبو القاسم : هو الحب يا سامية يترقرق فى دماء الكريم ، فتزداد كرما ، ويتسرب الى نفس الخبيث فتكرم ••• هو الحب ذلك الجمال تعتذر به الدنيا عن شرورها هو الحب بغيره لا حياة وبأجدابه لا مياه •• هو الحب •

سامية : حسبك أبا قاسم منذ متى اتخذت الشعر صناعة •• ان ما تهيىء نفسك له من ملك وجاه وما يتطلبه هذا المكان من قسوة وقوة لا يتفق وما تنساب به اليوم من شعر يكاد ينتظم •

أبو القاسم : انما السلطان عاطفة وعقل ، ان فقدت واحدة منهما فلست بالحكم خليقا •

سامية : غبت عنى اليوم كثيرا •• فى أى العنصرين شغلك : أهى العاطفة ، أم هو العقل ؟

أبو القاسم : والله لا أدرى كيف أجيب فقد كان كلاهما منذ اليوم شاغلى •

سامية : (غاضبة) ويلك أبا القاسم أعاطفة ولا أراك ، فلمن ؟

أبو القاسم : (فى ضحكة مسرورة) لرجل ورب الكعبة •• لرجل •

سامية : (مستمرة فى غضبها) أكذا فمن ؟

أبو القاسم : قصدنى اليوم ابن اسماعيل •

سامية : ابن القاضى المتوفى ؟

أبو القاسم : أجل هو •

سامية : ماذا يريد ؟

أبو القاسم : فهو يخشى أن يعين فى مكان أبيه وغيره ، فجاء يرجونى أن أقصد الى شريكى فى الامارة وأزكيه لديه •

سامية : فنعم السعاية ، فقد كان أبوه من خير الناس وهو على نسج أبيه ينسج •• يقال عنــه انه واسع الاطلاع رحب التفكير ولولا بعض الجشع فيه لامتنعت سيرته عن الثلب فما قال الأمير •

(موسيقى قطع) (فى قصر الخليفة)

خادم بالباب : أبو القاسم محمــد أمير الدولة الشرقية وابن اســماعيل ابن القاضى المتوفى ٠

الخليفة : مرحبا بالأمير زورة كريمة ٠

أبو القاسم : شفيعا جئت اليك ٠

الخليفة : فمرحبا بالشفيع ٠٠ أعقوبة فارفعها أم جائزة فأنيلها ؟

أبو القاسم : بل حق فتوطده ٠

الخليفة : بقيت للحق وأنار الله لنا سبيله ٠

أبو القاسم : ابن اسماعيل ٠

الخليفة : مكان أبيه يريد ؟

أبو القاسم : هو ما حزرت ٠

الخليفة : هو لك يا ابن اسماعيل ٠٠ فانك والله قد شفعت من لا تخيب له شفاعة ٠

ابن اسماعيل : أطال الله بقاء الأميرين ٠

الخليفة : فما ديدنك فى القضاء ؟

ابن اسماعيل : ديدنى ٠٠ ديدنى كتاب عمر بن الخطاب الى أبى موسى الأشعرى يقول آس بين الناس فى وجهك وعدلك ومجلسك ٠

الخليفة : ألا بينت لنا ما يقصده رضى الله عنه فى قوله آس بين الناس فى وجهك ومجلسك ؟

ابن اسماعيل : يريد من قاضيه ألا يبتسم لأحد ويعبس لآخر وألا يقرب شخصا ليبعد غـيره ٠٠٠ آس بين النـــاس فى وجهـك وعدلك ومجلسك ٠

الخليفة : وهل أنت مستطيع ما تأخذ به نفسك ؟

ابن اسماعيل : فأنا باذل غاية الجهد ٠

الخليفة : جوابك يدل على الصـــدق ٠٠ فى وجهك يابن اسماعيل وفى مجلسك آس بين الناس فى وجهك وعدلك ومجلسك حتى لا يطمع شريف فى حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك والحق الحق ٠

ابن اسماعيل : نعم أعرفه فهو قديم ٠

الخليفة : قديم قدم الزمن ٠

ابن اسماعيل : انى عليه حفيظ ٠

الخليفة : وأنت بحفظه خليق ٠٠ أعلنوا ابن اسماعيل قاضيا للقضاة ٠

(موســـيقى)

سامية : وفق الله كل ما تسعى له .

أبو القاسم : ان دعوة أنالها من شفتيك هى التوفيق .

سامية : أراك عدت للشعر .

أبو القاسم : وما تريدين من زوج يخلو الى زوجه التى يحب .

سامية : أريد أن يكلمها فى حقيقة ما يشغله .. ان الأعداء يتحرشون بك من كل جانب ، ويتنمرون بملكك من كل سبيل ، وأنت تكتم الما تنثنى عليه ، وتضمر غير ما تبدى فتثيرها فى نفسى نارين : احداهما خوفا عليك وخشية على ملكك وأخرى غيظا منك وحنقا عليك ألا تشركنى فيما تفعل كأنى أصغر عن فهمك وأتفه عما يشغلك أو ...

أبو القاسم : حسبك واحدى النارين كلتيهما فلست والله بمحتمل عليك من واحدة منهما بصيصا مهما يخفت .. (ساخرا من نفسه) أخشى عليك هموما فأثيرها فيا لى من غبى .. الحرب تومىء الى بعين وأتقيهما بعيون .. ولكنى أخاف الصديق أكثر من العدو .. ان بيننا قوما يأتمرون .

سامية : فقرب اليك أجدرهم بالثقة .

أبو القاسم : وبمن أثق ؟

سامية : بمن يبدى لك جفاء فى المظهر ووضوحا فى الرأى

أبو القاسم : فانا على القلق المبيد ... والجمع خاضع .

سامية : فالجمع فاحذر .

أبو القاسم : وتقتى ؟

سامية : بالله بنفسك .

أبو القاسم : وأنت ؟

سامية : ألم أقل لك بنفسك .... وهل نفسك الا أنا ؟

أبو القاسم : نعم أنت هى ونعمت نفسا .

سامية : وعشت لها .

أبو القاسم : معى يا سامية ؟

سامية : الى ما بعد الخلود .

أبو القاسم : اللهم شكرانك .

(موسيقى)

أبو على : هنيئا لك القضاء يابن اسماعيل ... كنت مسافرا هذا العام فلم أعجل بالتهنئة .

ابن اسماعيل : أحمد الله على نعمته وأشكرك يا أبا على ·

أبو على : مكان كبير ما نلته ··· لا يرأسك الا الأمير ·

ابن اسماعيل : ان المنصب ان كبر عظم الشاغل ·

أبو على : ولكن مكان الدولة ليس بالوطيد والأعداء يتنمرون من خارج البلاد وداخلها وأخشى أن تحتسب من رجل الأمير الحاكم فتغضب القادمين بعده والقضاء عدل وكرامة وأخشى أن يهزك الحرص فيحيد بك عن العدل ويميل بك عن الكرامة وليس كالحرص مذل لأعناق الرجال ·

ابن اسماعيل : فيمن هذا الكلام يا أبا على ما سمعنا أن قاضيا يميل به الى الحرص عن العدل أو الكرامة وأنا من تعلم ؟

أبو على : لا والله ما علمتك ظالما أبدا فلست أنت من أعلم عنه ظلما واذا أنا بينت لك ما أضمر ، فأنا من يشفق عليك فهون عليك ولا تأخذنك بنفسك العزة ·

ابن اسماعيل : حسبتك تعرف عنى خلقا قويما لا يميل وكرامة صلبة لا تنحنى ·

أبو على : يظل الخلق قديما لا يميل حتى يتولى صاحبه السلطان ، فاذا الخلق معدوم كالعدم ، واذا الجشع راكب النفس يطمح بها وتظل الكرامة صلبة حتى يشوبها الحكم فاذا هى هشة كالدقيق ، واذا الرأس منحنية حتى تبلغ أعماق الأرض · فاحذر الحكم يابنى ·· احذره واستعن بالله يعيذك من الشيطان واعلم أنه الشيطان لم يلبس فى كل ما يرتدى أجمل من الحكم ·· واعلم أنه ما استخفى فأوغل فى الاستخفاء الا حين عثر على السلطان فارتداه يغرى به ، فاذا النصر متهالك عليه من كل جانب ·

ابن اسماعيل : لم أرك كاليوم ناصحا يوغل فى النصح ··· ألا تعلم أبا على أن التضحية هى أثقل الطيبات على النفوس ؟

أبو على : أعلم ذلك ·

ابن اسماعيل : فما بالك اذن ؟

أبو على : حبى لك واشفاقى عليك يهونان ما تستقبل به نصيحتى واننى ····

(تسمع أصوات ويدخل قوم لا يزيدون عن ثلاثة)

الأصوات : سلام عليكم ·

ابن اسماعيل ـ وابو علي : عليكم ســـلام الله ·

ابن اسماعيل : ألا تعرف الصحاب ـ أبا علي ، هذا ابن ابراهيم السياسى البارع والمؤرخ الباحث وهذا صاحبه سعيد أطول لسان عرفته البلاد لا ينظر الا لينتقد ، أما هذا الكاتب المبدع عثمان وما أظنك الا سمعت عنـــه ·

أبو علي : فمرحبا بالصحاب وودت والله أن أقيم معكم فلا أنصرف ، ولكنها مهمة لابد لى من الذهاب اليها فعذرا ··· سلام عليكم ·

الجالسون : وعليك السلام ـ أبا علي ـ عليك السلام ·

أبو علي : احذره ـ ابن اسماعيل ـ احذره ·

(يسمع صوت باب يغلق)

سعيد : لم أر هذا الرجل ولكنى سمعت عنه أنه ثقيل الظل كثير الكلام قليل العمل ·

ابن اسماعيل : (كما لو كان أعجبه الكلام ولكنه لا يريد أن يمضى فيه) حسبك حسبك سعيدا أهكذا دون أن تعرفه تسل عليك لسانك ؟! فماذا فعل بك ؟

سعيد : ماذا كان يفعل ها هنا ؟

ابن اسماعيل : كان يهنىء ·

سعيد : يهنىء ···· بماذا ؟

ابن اسماعيل : بمنصب القضاء ·

أصوات : القضـــاء !

أحدهم : أبعد عام من توليك له ؟!

ابن اسماعيل : على رسلك ·· قد كان الرجل مسافرا ·

ابن ابراهيم : ومم يحذرك ؟

ابن اسماعيل : من المنصب ·

(يضحك الجميع وتبدو أصواتهم وكأنها تردد كلمتى من المنصب)

سعيد : ألم أقل لك ثقيل ··· ثقيل ··· ثقيل ورب الكعبة ·· ثقيل ·

عثمان : أرانا نطيل الحديث فيما لا يفيد .

سعيد : وما الذى يفيد ؟

عثمان : (فى سخرية) الذى يفيد ما نجىء من أجله كل يوم ·· الذى يفيد ما تعرفه يا سعيد ·

سعيد : حسبنا كلاما ...

ابن اسماعيل : ليس بعد ، أنا لم أوافق بعد ..

سعيد : لم توافق .. أتستطيع .. ملك هذه البلاد أجمع .. انت السيد المرموق .. مازلنا بالشعب ومازلت بالعدل حتى أحبك وتفانى فى حبك فما تريد .. ليس بعد ، فمتى اذن ؟!

ابن اسماعيل : تنسون جميعا حين يأخذكم الحديث أن أبا القاسم هو الذى منحنى هذا المنصب وهو الذى أتاح للشعب أن يحبنى فحقه أن أقف الى جانبه .

ابن ابراهيم : مالنا به ان ملكه قد هوى وبعد أيام قد يكون قد وقع فى الأسر وأنت لا عمل لك الا أن تتولى هذا الملك والشعب راض عنك والغزاه قبلوا أن يتركوه لك وينسحبوا من أرض الوطن .. فما تريد ؟ ..

ابن اسماعيل : اريد ألا أدفع الدية .

سعيد : هنا يجب أن نسكت حرصا على مصلحة البلاد .. فان أبا القاسم ان خرج سيشعلها نارا لا تخمد ، وخزانة الدولة يجب ألا تكون وقفا على أشخاص .

عثمان : وأنت بعد لم تفعل معه الا ما يرضى الكرامة .

ابن اسماعيل : دع الكرامة جانبا بربك ــ عثمان .

ابن ابراهيم : بل يتمسك بها .

سعيد : يابن ابراهيم دع النقاش فانها دولة .

ابن اسماعيل : اسمع سعيد .. أنا لا أقوم بهذا الأمر وحدى .

سعيد : اقبل المبدأ أولا .

ابن اسماعيل : تشتركون معى فى الحكم .

سعيد : منذ متى كان هذا ؟ متى سمعت عن حكم يشترك فيه أربعة ؟!

ابن اسماعيل : سمعت أو لم أسمع اذا قبلتم قبلت واذا أبيتم أبيت .

عثمان : فما تقول ابن ابراهيم ؟

ابن ابراهيم : فما تقول أنت عثمان ؟

سعيد : فهل أمامنا غير ما ترون ؟ نقبل ..

ابن ابراهيم : على شرط .

ابن اسماعيل : بغير شرط .

ابن ابراهيم : لابد منه ابن اسماعيل ٠٠ لابد أن تكون عميد الجماعة ؟

سعيد : ليكن ٠

عثمان : لابد أن يكون ٠

ابن اسماعيل : عميد الجماعة وأمرى الى الله ٠٠٠ اللهم اغفر ٠

(موســـــيقى)

سامية : مالك مطرقا هكذا ؟! لقد شاء الله فانفك أسرك ، ولقيت الراحة والهدوء بعد أن أزور الدهر عنك ، وقد عهدتك ثابتا كالجبل قويا كالقوة فانفض عن نفسك ما تريد أن تحملها اياه ، وقف كما كنت تقف ، فانه والله الخير الذى لا نعرفه ٠٠٠ اصح يا رجل ٠٠

أبو القاسم : ويحك ســامية مالك تكثرين الكلام ، ألا أوجــزت فسألت عما يشغلنى ؟

سامية : وفيم كان الكلام اذن ؟! حسبتك تفهم الاشارة٠٠حسنا مقا يشغلك؟

أبو القاسم : عرفت اليوم أخبارا ما حسبت أننى سأعرفها أبدا ٠٠ أتدرين من كان يتآمر مع أعدائى ومن الذى ألقى بى فى السجن ٠٠٠ انه ابن اسماعيل القاضى الذى جعلته أنا قاضيا ٠٠ أتدرين أنهم طلبوا اليه أن يدفع من الخزانة العامة ثمن خروجى من السجن فأبى ٠

سامية : لعله حديث كاذب ؟

أبو القاسم : لقد قصد الى اليوم واحد ممن تآمروا معه ، وهمس الى بهذا الحديث ، لأحميه ، فقد ثارت الدولة على ابن اسماعيل وخانه من تعاهدوا معه وهو اليوم فى حيرة أمره لا يدرى ماذا يفعل ٠

سامية : مالنا وله ؟

أبو القاسم : بروحى أنت يا سامية انه لولاك لما خرجت الى الدنيا ضحيت بكل أموالك لينفرج عنى باب السجن بحياتى أنت ٠٠ ألا ما أهون حياتى فى سبيلك ٠٠٠ غبى ذلك الذى يفتدى حبيبه بحياته انه كمن يفتدى حياته بحياته ، ولكن ما حيلتى ازاءك لا أملك غير هذه الأنفاس الملتهبة بالحب ان شئت أخمدها ان كان فى اخمادها نفع ٠٠ حدثينى يا سامية ماذا أفعل لأرضيك ٠٠ ماذا ؟

سامية : ماذا جرى لك أبا القاسم ؟ أتهيننى أم ترانى لست جديرة بما فعلت وما الذى فعلت أنفقت فى سبيلك كل ما أملك ٠٠ ألا ما أهون ما أملك فى سبيل نظرة اليك ٠٠ أتهيننى أبا القاسم ٠٠ عد الى رشد منك ولا تعد الى هذا الحديث ٠٠ ان تفعل ما يرضينى بل

ان شئت أن تثيرنى وتؤلمنى فعدنى ألا تعود لهـذا الحديث مـرة أخرى ·· ألا تعد ؟

أبو القاسم : وعد حر تعبدته فهو تبيعك لا يزور عن اشارة لك ولا يحيد عن أمر تأمرين ·

سامية : بل وعد حر هو سيدى ، وسيظل سيدى حتى اللقاء ·

(تسمع ضربات استئذان على الباب)

أبو القاسم : من بالباب ؟

صوت : عبدك مرجان ·

أبو القاسم : ادخل (يسمع صوت باب يفتح) خيرا مرجان ماذا ؟

مرجان : ابن اسماعيل القاضى ببابك حافى القدمين يلتمس المثـول بين يديك ·

أبو القاسم : من ؟ ابن اسماعيل ؟ عميد الجماعة ؟

مرجان : هو يا مولاى عميد الجماعة ·

(موســـيقى)

أبو القاسم : شرفت يا··· أى الألفاظ أحب اليك قاضى القضاة كما أعرفك أم عميد الجماعة كما تريد أن تكون ؟

ابن اسماعيل : بل عبدك ابن اسماعيل ·

أبو القاسم : (يضحك هادئا) عجبا ! ماذا أفقدت نعالك ؟!

ابن اسماعيل : بل هى معى خلعتها قبل أن أدخل بابك ألتمس الشفاعة ·

أبو القاسم : ثانية فيم الشفاعة اليـوم ؟ لقـد أصبحت أنت من ممن يتشفع له ···

ابن اسماعيل : شفاعة منك لدى نفسك ··· أرجو الصفح ·

أبو القاسم : ماذا تفعل به ؟ انه اليوم لا يغنى عنك شيئا ·

ابن اسماعيل : أريح به ضميرى ويهدأ ثائرى وأحتمى منك بخيانة الخائن وغدر القريب ·

(ابن اسماعيل يبكى)

أبو القاسم : ويحك ابن اسماعيل ماذا بك ؟

ابن اسماعيل : بى ضمير لا يريحنى على جنب ، وبى جرح فى أغوار القلب من قوم مهدوا لى طريق الشر فاذا خطوت به تخلوا عنى وانتفضوا على وألقونى بين أنياب العدو بلا صديق ·· انه الجرم الذى اقترفته فى حقك يلاحقنى فاعف ·

أبو القاسم : وجئت وحدك لا تخشى انتقامى ؟!

ابن اسماعيل : أنت تنتقم من ملتجىء اليك ·· لا يا مولاى أنا لا أخشى انتقامك ، فانك أكرم من تلغ الخشية ولكننى أخشى أن تأبى على الصفح فهل تأباه ؟

أبو القاسم : بل هو لك وأنت المشكور ·· ان التجاءك الى هو أعظم مديح أناله ·· لقد عرفت فى نفسى ما لم أعرف ·· ان اطمئنانك الى خلقى وهدوءك الى كرمى هو أعظم جزاء أناله منك ·· صفحت عنك يابن اسماعيل ، فبيتى بيتك ·

ابن اسماعيل : أنا ما أزال عميد الجماعة ·· لكن لى رجاء اليك ·

أبو القاسم : مر به ·

ابن اسماعيل : بل رجاء ·

(يسمع صوت جسم يلقى على الأرض)

أبو القاسم : أتقبل قدمى ·· ابن اسماعيل ؟ أستغفر الله ، انه لا يسجد لغير الله ·

ابن اسماعيل : فاقبل رجائى ·

أبو القاسم : لست فى حاجة الى ما فعلت مر بما تريد ·

ابن اسماعيل : اتخذ منى عبدا لك كمرجان هذا ·· لا أرجو من دنياى غير ما طلبت منك ·· أجبه بحق زوجك ·· بحق ربك ·· بحق كرامة لى أبذلها لدى قدميك وملك خلفى أتركه ، لأكون عبدك ·· عبدك لا أريد غيرها ·· هذه أوراق عبوديتى ·· فاقبل ترح نفسى ·· عبدك يا مولاى عبدك ·

أبو القاسم : قم أيها الرجل بل صديقى مدى الحياة ·· قم أيها الرجل واحفظ عليك كرامتك ·· قم أيها الرجل ان هذا البيت بيتك فأقم به ·· قم أيها الرجل ·

ابن اسماعيل : أقام الله أمرك وشد أزرك وهيأ لك من لدنه البركات اللهم اقبل ·

الجميع : اللهم اقبل ··

موسـيقى

● حلفات النصر

(موســـيقى)

صوت : الحمد لله هزم المرتدين ٠

آخر : سبحانه الحمد له أولا وأخيرا ٠٠٠

الأول : لقد نصرنا على القوم الظالمين ، وهيأ لنا ذلك السيف الصقيل ٠

الثاني : سيف الاسلام ، وقاهر الشرك ، وعدو الكفار ٠

الأول : انه خالد يا أخي ما سار على جيش الا كان النصر بعض جنده ٠

الثاني : عقل وحسام ، يدبر فهو الملهم لا تند عن فكرة بادرة ، ثم يخوضها فهو الاعصار المحيط بأعداء الله ٠

الأول : لقد ثاب المرتدون جميعهم الى الرشد ، ومن أصر منهم على كفره قتل ٠

الثاني : تلك حدود الله ، ولا زالت حدود الله قائمة على الزمان ٠

الأول : والآن ، أما آن لنا أن نستقبل جيوشنا وننعم بأولادنا ؟

الثاني : يا أبا زياد وما ضر لو ابتعد عنا البنون يرفعون لدين الله العمد ويشدون للاسلام الاطناب ٠

الأول : انه والله عز الدنيا والآخرة ، والله ما ضقت بالشيخوخة يا أبا حنظلة الا حينما رأيت جيوش الله تزحف ولا تقوم بى الساق لأواكبها ، ولا ينهض الجسم لألتمس احدى الحسنيين من نصر أو جنة ٠

الثاني : ليخيل الى أبا زياد أن الروح منى تتمرد على جسمى هذا الضاوى الهزيل تريد أن تفك عقالها وتنبعث الى جيوش النصر تستبق واحدة من اثنتين كلتاهما أحب الى من الشباب الذى ولى ، ومن كل أمل حققته لى أيام مواض أو ستحققه لى أيام قوادم ٠

الأول : لك الله أحس والله أن قلبي ينطق على لسانك ٠٠٠ لكن أتظن الجيوش اليوم فى طريقها الى العدو ؟

الثانى : بل ما أظنها عائدة وشيكا يا أبا زياد ·
الأول : ولـم ·
الثانى : سمعت أبا بكر بالأمس يبحث فى أمر جليل ·
الأول : وما هو ؟
الثانى : لقد دعا بالأمس مشيريه وأصحاب الرأى ·
الأول : وفيم دعاهم ؟

الثانى : لقد ترامت اليه الأنباء بأن المثنى بن حارثة الشيبانى قد استولى على القطيف وهجر وسار بجيش له حتى بلغ مصب دجلة والفرات هازما الفرس كلما التقى بهم ، وقد سأل أبو بكر عن المثنى فهـو لم يكن يعرفه فأجابه قيس بن عاصم المنقرى ·

صوت : هذا رجل غير خامل الذكر ولا مجهول النسب ولا ذليل العماد ·· هذا المثنى بن حارثة الشيبانى ، وهو من آل شيبان بن بنى بكر بن وائل وقد انضم الى جيوش المسلمين فى حرب المرتدين وتزعم من بقى على الاسلام فى بلاده ·

الثانى : فعرف أبو بكر أنه يستطيع الاعتماد عليه ·

الأول : الاعتماد عليه فيم ؟ مالك لا تبين الأمـر ولا تجلوه ؟ تقول ان أبا بكر دعا ذوى الرأى والمشورة ، ثم تقول انه سمع عن المثنى ! أتراها الشيخوخة··أبا حنظلة ألمت بك ، فأنت تهرف بما لا تعلمه؟!

الثانى : (ضاحكا) نحن شيوخ الجزيرة ، يزيدنا السن عقلا أبا حنظلة ·· ولكنه الأمر الجسيم ·

الأول : ما هو ؟
الثانى : ان أبا بكر يفكر فى (يصمت)
الأول : بربك يا أخى قل ··· فيم يفكر أبو بكر ؟
الثانى : فى فتح العراق ·

الأول : (جازعا) فيم ؟! أتعى ما تقول ؟! فى فتح العراق ؟! فى حرب كسرى ؟!

الثانى : فى حرب كسرى وفتح العراق ·
الأول : ولكن بربك ما الذى يدعوه الى هذا التفكير ؟

الثانى : أمور كثيرة ··· فهو يعلم أن هؤلاء المرتدين الذين هزمناهم لن يستنيموا على الهزيمة فلابد أن يشغلهم بالفتح عن الثأر ، ثم ان كثيرا من اخواننا العرب يقيمون فى الشام والعراق ولابد لهم أن

تبلغهم الدعوة الى الدين القيم ، ولعل هذه الفروع من العرب تذكر أصولها الضاربة فى جزيرتنا فيميل العرق الى العرق وتتجه الدماء الى الدماء يجتذبهم دين جديد ناصع ومذهب رفيع متحد هو أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ٠

الأول : الله فى عون الخليفة يا أبا حنظلة ٠٠٠ الله فى عون الخليفة ٠

(موسـيقى)

الراوية : وان الله فى عون الخليفة ٠٠٠ وقد أرسل أبو بكر يدعو اليه المثنى بن حارثة الشيبانى كما أرسل يدعو اليه خالد بن الوليد ، وما أسرع ما جاء الرجلان فقال المثنى :

المثنى : يا خليفة رسول الله أمرنى على من قبلى من قومى أقاتل من يلينى من أهل فارس وأكفيك ناحيتى ٠

الراوية : فأمره أبو بكر على قومه ورجع اليهم وحين سأل أبو بكر خالدا رأيه ٠ قال :

خالد : سيف الله فى يدك يا خليفة رسول الله ، أطلقنى حيث شئت أعد بالنصر المؤزر ان شاء الله ٠

الراوية : وأمر أبو بكر خالد على القيادة العامة لجيوش الفتح ٠

(موسيقى عنيفة وطبول حرب تلازم كلام الراوية)

وخرج خالد على عشرة آلاف من الجند ، وسار بهم حتى التقى بالمثنى ورهطه ٠

(تنقطع أصوات الطبول)

خالد : ان طريقنا الى الحفير ٠

المثنى : فكيف تريدنا أن نسير اليه ؟

خالد : فى فرق ثلاث ، وعليك أنت يا مثنى أن تسير فى باكر الصباح مع جيشك ، وبعد غد سيلحق بك عدى بن حاتم الطائى ثم أتبعكم أنا ٠٠

(موسيقى تعبر عن السير ويحسن أن تتخللها أصوات خيل وضجيج)

الراوية : وسارت الجيوش وأرسل خالد من قبله رسولا الى هرمز أمير الفرس فى هذه المنطقة وكان رسول خالد يحمل رسالة خطها خالد بسيفه ، فهى الرعب المفرق ، وبلغ الرسول هرمز ٠

صوت : أسلم تسلم ، وأعتقد لنفسك وقومك الذمة ، وأقرر بالجزية ، والا فلا تلومن الا نفسك ، فقد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون أنتم الحياة ٠

الراوية : ونزل خالد عند الحفير ونزل برجاله عند الماء وقال لهم :

خالد : ألا أنزلوا وحطوا أثقالكم ، ثم حاربوهم عن الماء فلعمرى ليصيرن الماء لأصبر الفريقين وأكرم الجندين .

الراوية : وجمع هرمز جيوشا ، ولكنه كان خالدا لا يهزم فهو يجمع رءوس قومه يشاورهم .

هرمز : انه خالد .

صوت : نعلم ذلك ... انه خالد .

هرمز : وماذا ترون ؟

صوت : اننا في الكثيف من الجند ، فلو كانوا ألف خالد ما استطاعوا اليوم لكثرتنا دفاعا .

هرمز : بل انه خالد واحد يا أخي ، ولا سبيل لنا اليه .

صوت : ونحن فى هذا العدد الضخم ، ونحن على هذه الخيول المطهمة ، ونحن بهذا الزاد الوافر وهذا الجيش العنيف ؟!

هرمز : ونحن كذلك ... لا سبيل لنا الى النصر ما دام خالد على رأس هذه الجيوش .

الصوت : نعود اذن أدراجنا نقول للملك أردشير انه خالد واننا لم نطق له دفعا .

هرمز : بل اصبر يا أخي انما نحن نتفاوض الأمر فنرى فيه .

الصوت : ان جيوش العرب أمامنا تزودنا عن المياه ، ولا ماء عندنا فنصبر ، ثم أنت أيها الأمير تقول تفاوض الأمر وترى فيه .

هرمز : انها الحرب يا أخي ... روية وتفكير .

الصوت : بل انها الحرب أيها الأمير ضراب وطعان .

هرمز : (ساخرا) غرتك نفسك أيها المسكين ... انها الحرب والطعان ان كان الجيشان متكافئين ... أما وخالد على رأس جيش فلعدوه الموت والهلاك .

الصوت : أنقعد اذن نندب حظنا ، أم نعود أدراجنا ، أم لديك أيها الأمير حيلة تخرج لنا بها الماء من هذه الصحراء فنشرب ؟

هرمز : (فى فرح) الحيلة ... لا يغلب خالد الا بالحيلة ... لا سبيل لنا اليه فى الحرب ولكننا قاتلوه بالحيلة ... اسمعوا انى أعرف

فى خالد حمية عربية تثور اذا أثيرت فانى أدعوه الى المنازلة حتى اذا خرج الى ۰۰۰۰

(موســـيقى)

هرمز : (صائحا) أين خالد ؟

خالد : (ساخرا فى صــوت خفيض) ساذجة حيلتك يا عبد الكفر ۰۰ اسمعوا أيها الاخوان انى سأخرج فتربصوا بالقوم فانهم حين يروننى منفردا واياه سيخرجون الى يبغون قتلى وأنا بمعزل عنكم فانفروا أنتم اليهم قبل أن يبلغوا مكانى ۰

صوت : أيريدون قتلك غيلة ؟ والله لنصليهم نارا حامية ؟

خالد : انتبهوا ۰

هرمز : (صائحا) فخالد اذن حـديث خرافة لا جـد فيه ، أين مدوخ الأبطال ، أين صاحب الأساطير ۰۰۰۰ أين ۰۰۰۰ ؟!

خالد : (مقاطعا) اليك ۰۰۰ اليك يا فتى الكفر ۰

(موسيقى فيها خطورة تنتهى بقعقعة سلاحين)

صوت : الله أكبر ۰۰۰ الى الكفرة أيها المسلمون ۰

الراوية : وصدق حدس خالد فقد كان هرمز قد أوصى قومه اذا رأوا خالدا يقارعه أن يخرجوا اليهما ويحيطوا بخالد فيقتلوه ، ولكن جيش خالد أحبط حيلتهم وسارع الى جيوش الكفار قد استل الروح الكافرة من جسم هرمز ، وصاح جنود الفرس ۰

صوت : لقد قتل هرمز ۰

أصوات : الفرار ۰۰۰۰ الفرار ۰۰۰ (أصوات سلاسل شديدة) ۰

أصوات : وكيف الفرار وهذه السلاسل تحيط بنا ؟

صوت : سلاسل ؟

آخر : يا لجبن الكفار لقد قيدوا أنفسهم بالســلاسل حتى لا يفروا من الحرب !

أصوات : حطمــوا الســلاسل والفرار ۰۰۰ الفرار (أصــوات تحطم السلاسل)

أصوات : الفرار ۰۰۰ الفرار ۰۰۰۰

الراوية : وكان الفرار ، وانهزمت جيوش الكفر وتبدد جمعهم هزيما ، وخالد يصيح بجنوده ۰

خالد : أدركوهم ... أريدهم أسرى .. أو أريدهم قتلى ، ان المواقع أمامنا كثيرة من ينجو منهم اليوم فهو عائد علينا فى الغد ... أدركهم أنت يا مثنى ... تابعهم فلا تتركهم .

الراوية : وكانت ذات السلاسل هى الغزوة الأولى فى فتح العراق ، وقد أفاء الله على المسلمين منها الفىء الوفير ، وأرسل خالد خمس الغنائم الى أبى بكر وكان من بينها فيل تعجب له سكان المدينة حتى قال بعضهم :

صوت : أيستطيع الفرس أن يصنعوا أفيالا كثيرة كهذا ؟

الراوية : ولكن الحرب لم تكن قد انتهت بعد ، فان أنباء الهزيمة كانت قد بلغت الملك أردشير ، فاذا هو يدعو اليه قارن بن قريقس .

أردشير : يا قارن انها الهزيمة المنكرة .

قارن : وانى لجالب لك النصر يا مولاى .

أردشير : فالجيوش الجيوش ... والسلاح السلاح .

قارن : فداؤك يا مولاى .

أردشير : أريد جيشا لم يسمع العالم به .. أيظن هؤلاء العرب أن شيئا لا يردهم ؟! هلم يا قارن .

قارن : لبيك يا مولاى .

الراوية : وتجمعت جيوش الفرس وسارت لتلتقى جيوش المسلمين ... وفى الطريق التقى جيش الفرس بالبقايا المتناثرة من جيوش هرمز وحين يسألهم قارن :

قارن : ماذا حل بكم ؟

صوت : لا ندرى .

قارن : لا تدرون ؟!

صوت : هى الهزيمة لا ندرى من أى مكان كانت تحيط بنا ... أهم جنة هؤلاء العرب .. احتلنا ، لنقتل قائدهم ففطنوا الى حيلتنا ، قيدنا أنفسنا بالسلاسل حتى لا نفر ، فاذا الرعب فينا أقوى من سلاسل الحديد ... حطمنا الحديد من الرعب ولم نستطع للعرب ولا لخالد دفعا ... تقف أرجلنا ان واجهنا جيوشهم ، وأرجلنا كهبوب الرياح الطائرة اذا ولينا الفرار ... الموت يا مولاى ... الموت فى سيوفهم

وأيديهم وخيولهم وعيونهم ··· بل الموت فى الهواء الخارج من أفواههم ··· الموت يا مولاى ·

قارن : بعض ما بكم أيها الاخوان بعض ما بكم ··· انظروا الى جيوشنا هذه ·· وحينئذ سترون الموت الذى يشيعونه بينكم سينقلب اليهم ·

الصوت : (فى يأس) هيهات ·

قارن : بل سننتصر ·

الصوت : (فى ضعف) نرجو ·

الراوية : دخل الجيش وكأنما أراد أن يقف فى مطاردته هذه ··· دون المدائن عاصمة الفرس ولكن الأنباء جاءت اليه ·

صوت : حنانيك يا مثنى ·

المثنى : ماذا ؟

الصوت : الآلاف تقف الآلاف ··· على رأسه بطل الفرس وقائدهم قارن بن قريقس وقد التفت بفلول الجيش التى تطاردها وانضمت الفلول الى الجيش فهم العدد العديد ·

المثنى : وأين ينزلون ؟

الصوت : بقرية المذار ·

المثنى : فمن لى بخالد ؟

الصوت : من لنا به ودوننا ودونه القفار والعبيد ···

المثنى : فهى الشهادة اذن وبغير فتح ·

الصوت : لا اله الا الله ·

المثنى : (فى يأس) لا اله الا الله ·

(موسيقى حزينة تنتهى بأصوات خيول وسيوف وجلبة)

أصوات : البشرى ···· البشرى يا مثنى ·

المثنى : هو خالد ·

الصوت الله أكبر ··· انه النصر ··· انه النصر ··

الراوية : وهل خالد الا النصر والتقى الجمعان ··· أما الفرس فكثير بعددهم قليل بخوفهم وأما العرب فقليل برجالهم وخيولهم كثير بايمانهم وعزيمتهم وخالدهم ، ومتى صعد الخوف للهزيمة ومتى ثبت الكفر للايمان ، ومتى لبث العدو لخالد ، لقد رأى الفرس قوادهم من قارن

الى غير قارن يقتلون على أعينهم كما تقتل النعاج والبطل البطل منهم من وجد طريقا الى الفرار فاتخذ سبيله الى الفرار عدوا ... وان كانت السلاسل قد عاقتهم هنيهة فى الغزوة الأولى فهم اليوم خفاف الى النجاة سراع الى التهرب .. فانه خالد وانهم المسلمون .

خالد : الحمد لله ...

المثنى : ما أظنهم يجتمعون بعدها أبدا يا خالد ؟

خالد : تحسن الظن يا مثنى بل سيجتمعون ، أتحسب أن أكاسرة الفرس يتنازلون عن كبرهم فى هـذا اليسر ؟! بل انهـا الحرب يا أخى فانتظرها فى كل يوم .

المثنى : وأين تراهم سيجتمعون ؟

خالد : ان كسرى أردشير لن يسكت أبدا ...

الراوية : وصدق حدس خالد ، فما كان ليسكت أردشير أبدا ، فقد بلغه ما كان من هزيمة جيوشه فهو يدعو القوم فيشيرهم .

أردشير : ما ترون ؟

الصوت : الذى ترى .

أردشير : أرى أن هؤلاء العرب قد طغى أمرهم ...

الصوت : (كمن وجد حلا) مولاى .

أردشير : ماذا ؟

الصوت : لا شىء .

أردشير : كأنك وجدت طريقا ، ثم حدت عنه .

الصوت : نعم فقد فكرت يا مولاى لو أننا استعنا ...

أردشير : (مقاطعا) بالعرب على العرب .. نعم فان القبائل العربية الموالية لى اذا حاربت هؤلاء هزمتهم ، فهى أدرى منا بقتالهم وبطرق قتالهم .

الصوت : ولكن اذا انتصروا يا مولاى فان النصر سيكون مـلازما للعرب ما يزال ، فيهون أمرنا ويتسامع الناس عنا ان لم نستطع أن نحارب العرب وحدنا ، فاستعنا عليهم باخوانهم .

أردشير : أنت محق ولكن .. هناك حل .. نعم ... نجعل على العرب الموالين لنا « بهمن » أقدر قوادنا فيكون النصر بيد العرب ويرجع الفضل فيه الينا .

الصوت : أصبت يا مولاى ... أحسنت يا مولاى ... وفقت يا مولاى ..

(موسـيقى)

الراوية : شهد الله ما أصاب مولاه ولا أحسن ولا وفق مولاه فقد اجتمع العرب الموالون للفرس وعلى رأسهم «بهمن» جاءوا به وهو من أقدر قواد الفرس وأخذوا طريقهم الى الولجه وبلغت هذه الأنباء خالدا .

خالد : فانى سائر الى الولجه .

صوت : وتترك بعضنا هنا .

خالد : سأترك بعض الجيش على هذه البـلاد ، ولكن حذار أن تخدعكم الهزيمة عن أعدائكم ... فكونوا على الحذر الدائم .

الراوية : وأخذ خالد سبيله الى الولجة ، فيلقى بها «بهمن» ومن يلوذ به وقبل أن يصل .

خالد : كتيبتك أنت يا زياد ، وكتيبتك أنت يا حنظلة .

صوت : ماذا بكتيبتنا ؟

خالد : ليبق كل منكما هنا بكتيبته ثم سيرا على مبعدة منا ، حتى اذا تلاحم جيشنا وجيش الكفار انبعثـوا أنتم : أنت يا زياد عن يمين وأنت يا حنظلة عن يسار .

(موســـيقى)

الراوية : وسمع الرجلان لأمـر خالد وتابع خـالد مسيره حتى تلاحم الجيشان ... ولكن المسـلمين قـد أصبحوا فى قلـة قليلـة ، والكفار ما يزالون فى العديد من جيوشهم ... لقد ترك خـالد بعض جيوشه فى المذار ، وترك كتيبتين من خلفه والمعركة سجال يترجح فيه النصر بين المسلمين والكفار ، ولأول مرة رأت جيوش الفرس أن النصر لا يلازم خالد طوال المعركة بل هو يميل حينـا اليهم ثم يعود طريقه الى خالد ، وبعث هذا التردد من النصر الأمل فى نفوسهم . وتأخرت الكتيبتان واستيأس المسلمون فى المدافعة وكادت الهزيمة ... كادت ...

أصوات : (غاية فى القوة) الله أكبر ... الله أكبر .

المذيع : هيهات ... هيهـات لكلمة الهزيمة أن تصـل بجيش يقـوده خالد ... انه النصر .. انه النصر المؤزر .. وهل كانت أيـام خالد الا حلقات من النصر متلاحقات متصلات لا يختل لها نظام ؟! لقد شاء ربك وانما مشيئته أن يقـول كن فيكون وكانت مشيئته سبحانه أن يكون خالد سيف الاسلام وبطل الحروب وجبار المعارك

فكان ، وكانت مشيئته سبحانه أن يظهر دينه على الدين كله فظهر وتعلو كلمته في الآفاق فعلت ، ويشرق نوره فى الابصار فأشرق وصدق سبحانه وتعالى هو القائل ٠

« الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه عندهم مكتوبا فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والأغلال التى كانت عليهم ، فالذين آمنوا وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون » ٠



● شاعر وملك

صوت : أشهد كان كتابك الأخير من أحسن ما ظهر فى ميدان الأدب .

آخر : هذا أول كتاب لك .. أليس كذلك ؟

آخر : انه لكذلك .

آخر : (فى وقار) ما أجدرك بقول البحترى :

هذى مخايل برق خلفه مطر
جود وورى زناد خلفه لهب

وأزرق الفجر يأتى قبل أبيضه
وأول الغيث طل ثم ينسكب

آخر : هذا والله هو الشعر ...

آخر : انك يا صديقى لن تقرأ البحترى حتى تجد السبك الرصين والعربية الجزلة والألفاظ المستقرة وكأنما هى خلقت ليقولها البحترى فى هذه المواضع .

آخر : (صاحب الكتاب) البحترى صانع الشعر وجوهره .. يختار من أوزان الشعر أنسبها لموضوع قصيدته ، ثم يختار من القافية أجملها وبين القافية والوزن ينزل الألفاظ منازلها ويجريها مجراها بغير جهد تلمسه وانما يخيل اليك أنه يرسل الشعر كما نرسل نحن جارى الحديث .

آخر : سمعت عن البحترى وما درست من أمره شيئا ، فمن هو أو أين ولد ؟ وماذا دعاه الى قول الشعر ؟ وكيف قاله ؟ وعلى من أخذه ؟ وفيمن قال ؟

آخر : على رسلك يا أخى فانه البحترى وما هو بمن يجمل الحديث عنه اجمالا .

آخر : فصله اذن بربك تفصيلا .

آخر : هو أبو عبيده البحترى ، ولد ببلدة منبج ، ثم خرج الى العراق .
(موسيقى عنيفة)

البحترى : ويلى من الشعر يا مبرد .

ابن شراعة : بل ويل للشعراء من شعرك يا بحترى .

البحترى : أخاف الشعراء يابن شراعة .

ابن شراعة : أتخافهم أنت ؟! فماذا يقولون هم ؟!

البحترى : لا وربك ما خوفى من شعر لهم أخشى أن يغض من شعرى أو ينال منه .. وانما أخاف الحقد فى نفوسهم ونحن أبناء صنعة واحدة .. تتزاحم على المال .

ابن شراعة : على المال وحده ؟ ألا تختار لمديحك يا بحترى ؟

البحترى : أختار الغنى واسع الغنى فأنا انما أمدح ماله ولا شأن لى به .

ابن شراعة : أتجعل من الغنى ذكرا خالدا من أجل المال ؟!

البحترى : يا صاحبى أرأيت هذا الدرهم لو أننى وضعت عليه الطين أيغير هذا من شأنه أمرا ؟ هو الدرهم فى أى مكان .

ابن شراعة : ولكن الشعر .. أليس للشعر كرامته ؟

البحترى : يا صديقى الطيب ، متمناى والله أن أقيم للشعر كرامته ولا أقول حين أقول الا عن صدق احساس ، ولكن ذلك أمر عسير المنال .

ابن شراعة : عسير المنال ؟

البحترى : أى ربك ، فانه لابد لى أن آكل ، لأعيش ، لأصبح ذا كرامة ... فانه لم يقل الشعر شاعر بغير تكسب الا كان القائل أميرا موفور الغنى واسع البحبوحة .

ابن شراعة : أعانك الله .

البحترى : لكم أحتاج الى هذا العون من الله يا صديقى الأوفى .. أنا أحتاج الى عونه ، لأتغلب على ضميرى ، ثم لأتغلب على بخل فى ذوى الغنى ، ثم لأوسع لنفسى مكانا بين الشعراء .

ابن شراعة : ان شعرك يوسع لك المكان يا بحترى .

البحترى : بل لابد لاسمى أن يوسع لى .

ابن شراعة : تقول اسمك ؟

البحترى : نعم ... ألا ترى الى هؤلاء الشعراء وقد وقفوا بأبواب الأمراء تسد أسماؤهم الكبيرة أقطار الأرض فما آنا بواجد بينهم فرجه .. وأين أضع نفسى وقد تزاحمت الأسماء وتكالبت على الرزق حتى لقد ضاقت بهم أبواب الأمراء ؟

ابن شراعة : فماذا أنت صانع ؟

البحترى : سمعت عن أبى تمام ؟

ابن شراعة : ومن ذاك الذى لم يسمع بالطائى ؟

البحترى : فانى قاصد اليه .

ابن شراعة : ألا تخشى حقده ؟

البحترى : حقد من ؟ أبو تمام ... يا ليته يحقد على أما والله لتكونن مثار عجبى ومبعث مفاخرى وأين أنا من الطائى وقد ملك أسباب الابداع وأعجز الشعراء حتى لم يبق الا من يعترف له بالسبق .

ابن شراعة : انك لن تخسر شيئا .

البحترى : فأنا ذاهب اليه ثم أعود فأروى لك ما كان .

ابن شراعة : فانى هنا لن أبرح مكانى .

(موسـيقى)

البحترى : ولقد وجدت عنده خلقا كثيرا وكل منهم يقول له الشعـر وهو يصغى صامتا حتى اذا انتهى منشده أرشده ان كان فى شعره صبابة من أمل ، حتى التفت الى فقلت :

رأى البرق مجتـازا فبـات بـلا لـب
واصباه من ذكـر البخيلـة مـا يصبى

وقد عاج فى أطلالهـا غـير ممسـك
لدمـع ولا مصـغ الى عـذل الـركب

وكنت جـديرا حين أعـرف منـزلا
لآل سـليمى أن يعنفنـى صـحبى

غـدتنا عوادى البعـد عنهـا وزادنا
بهـا كلفـا أن الـوداع على عتب

ولم أكتسب جرما فتجزينى به

ولم اجترم ذنبا فتعتب من ذنبى

وبى ظما لا يملك الماء دفعه

الى نهلة من ريقها الخصر العذب

أبو تمام : ذاك هو الشعر فمن أنت ؟

البحترى : البحترى ·· أنا أبو عبيده البحترى الطائى ·

أبو تمام : لأنت والله خليفتى ··· لقد نعيتنى الى نفسى يا أبا عبيدة · فما أحب أن أعيش بعد أن نبت فى قبيلتى من هذا شعره ·

البحترى : أبقاك الله أبا تمام ··· انما أنت موئلنا وامامنا ·

أبو تمام : وكيف حالك يابن الأخ ؟

البحترى : من شر حال أبا تمام · الشعراء يزحمون الطريق فما أجد لنفسى سبيلا ·

أبو تمام : لقد وقعت على سبيلك يا فتى ·· خذ هذا كتابى الى قوم يكرمون وفاء الشعر ·

البحترى : بقيت مقصد آمال أبا تمام ·

(موسيقى)

البحترى : وكان خطاب أبى تمام الى قوة معرة النعمان ، فذهبت اليهم ومدحتهم ·

المبرد : وكم أعطوك ؟

البحترى : أربعة آلاف درهم ·· هى أول ما كسبت من الشعر ·

المبرد : ولم يزيدوا ؟

البحترى : بل زادوا وما علموا أنهم زادوا ·

المبرد : كيف ؟

البحترى : ذاع اسمى من عندهم وتيسر لى الطريق بعد أن كان وعر المسالك عسير الدروب ·

المبرد : فان سألتك اليوم أن تقارن شعرك بشعر أبى تمام ·

البحترى : لك الله يا مبرد ·· أو تظن السنوات تمحو الحقائق ؟ رحم الله أبا تمام ·· فانه والله الأستاذ الرئيس وما نلت الخير الا به ·

المبرد : تأبى الا شرفا من جميع جوانبك أبا عبيد .

البحترى : هو الحق يا أخى .. وما اصطنعته .

المبرد : وأين ستقام بك الطريق ؟

البحترى : الى المتوكل .

المبرد : ان لك فيه القصائد الخالدات .

البحترى : انى لا أخفيك الحق يا مبرد .... لقد قلت الشعر تكسبا فما كان يعنينى أن يكون الممدوح مستحقا لما أقوله فيه من الشعر أو غير مستحق غير أنى كنت أجد فى ذاك .. غصة .. ما أحسب الا أنك تعرفها .. تخيل نفسك يا صاحبى تسكب الجواهر الفريدة على حمار لا يجد فيها الا الحصى .

المبرد : (يضحك) جزاك الله يا بحترى .

البحترى : حتى مدحت المتوكل .. وجدته يستجيب للمديح .. صادق النظرة فى الشعر .. طيب الرؤية فيه ، بارع النقد ، فاسترحت اليه ... وأصبحت أقول الشعر فيه وأنا مرتاح الضمير هادئ النفس طيب الخاطر .

المبرد : ما أحسن شعرك فيه ؟

البحترى : أقول حين قمع المتوكل الفتنة التى كادت تضطرم بين ربيعة :

نزور أمير المؤمنين ودونه ... سهوب البلاد رحبها وسعيها

اذا ما هبطنا بلدة كر اهلها ... أحاديث احسان نداه يذيعها

حمى حوزة الاسلام فارتدع العدى ... وقد علموا ان لن يرام معنيها

ولما رعى سرب الرعية ذادها ... عن الجدب مخضر التلاع مريعها

علمت يقينا مذ توكل جعفر ... على الله فيها انه لا يضيعها

اسيت لأخوالى ربيعة اذ عفت ... مصايفها منها واقوت ربوعها

بكرهى ان باتت خلاء ديارها ... ووحشا مغانيها وشتى جميعها

وفرسان هيجاء تجيش صدورها ... باحقادها حتى تضيق دروعها

تقتل من وتر اعز نفوسها ... عليها بأيد ما تكاد تطيعها

المبرد : (مكملا باعجاب)

اذا احتربت يومـا ففاضت دماؤها تذكرت القربى ففاضت دموعها
شـواجر أرماح تقطع دونهـا شـواجر أرحام ملوم قطوعهـا
فلولا أمـير المؤمنـين وطوله لعادت جيوب والدماء ردوعهـا
تألفهم من بعد ما شردت بهم حفائظ اخلاق بطيء رجوعهـا
فابصر غاويها الحجـة فاهتـدى وأقصر غاليها ودانى شسوعهـا

البحترى : انى والله لا أعلم أننى أحسنت ٠٠ فبالله ألا قلت لى أحسنت فلقد أحسنت ٠

(موسـيقى)

صوت : يا بحترى مولاى المتوكل يطلبك ٠

البحترى : انى اليه شاخص ٠

(موسـيقى)

البحترى : مولاى ٠

المتوكل : أين كنت ؟

البحترى : انى فى حمى مولاى أينما أذهب ٠

المتوكل : هل من شعر جديد ؟

صوت : (يقطع الحديث) مولاى ٠٠٠ انه الأمر الجليل ٠

المتوكل : فقله ٠

صوت : لو أمر مولاى فأخلى القاعة ٠

المتوكل : انها لخالية ٠

البحترى : أيأذن لى مولاى ؟

المتوكل : بل أقم ، فما عليك سرى أبا عبيد ٠

الصوت : انهـا المؤامرة حبكت خيوطها ٠٠٠ التأم شرها هنـا فى قصر مولاى ٠

المتوكل : مؤامرة ٠٠٠ ما أهدافها ؟

الصوت : قتل مولاى ٠

المتوكل : قتلى ٠٠٠

البحترى : قتل مولاى ٠٠ والعياذ بالله ٠

المتوكل : لمن حامل عبئها ؟

الصوت : أخاف يا مولاى أن أقول ٠

المتوكل : فماذا أنت قائل اذن ان لم تذكر المتآمرين ٠

الصوت : انه يا مولاى ٠٠ انه يا مولاى ٠

المتوكل : ألا قل .

الصوت : المنتصر .. ابنك يا مولاى .

المتوكل : ابنى المنتصر ما خطبه ؟ أأصابه المتآمرون ؟ ويل لهم منى
هل مسوا منه شعرة .. من هم المتآمرون ... من زعيمهم ؟

الصوت : ابنك يا مولاى .

المتوكل : الويل لك انطق .. ماذا به .. ماذا أصابه ؟

الصوت : يتآمر عليك .

المتوكل : (مذهولا غير مصدق) ماذا ... تقول من ... من يتآمر

الصوت : أعلم هول الوقع يا مولاى .. تمنيت والله لو مت قبلها .

المتوكل : ولدى ؟!

الصوت : عفوك يا مولاى ، ما على مثل هذا نسكت .. فانا اذن خونة .

المتوكل : ألقيت بالقول ولم تشفعه ببرهان ... والآن حياتك أو البرهان
على ما تقول .

الصوت : أعلم يا مولاى أنك سوف تسألنى على ما قلت دليلا .

المتوكل : الى به أسرع .

الصوت : فهم الساعة مجتمعون ... فلو تفضل مولاى .

المتوكل : انى ذاهب اليهم .. فقد الطريق .. هلم يا بحترى .
(موسيقى عنيفة)

صوت : يا ولى العهد ... ان حرس الخليفة ينامون عند الفجر .

ولى العهد : فعند زرقة الفجر اذن (فى سذاجة) .

آخر : لابد لكل منكم أن يعرف مكمنه .. وحذار أن يعلو منكم صوت .

ولى العهد : وبعد أن تنتهوا ؟

صوت : نخرج الى المدينة فنؤذن الفجر وفى الصلاة ندعو لك بالخلافة .

ولى العهد : هكذا ... هكذا (فى فرحة بدائية) .

الصوت : بل اننا سوف نترحم على الخليفة القتيل ، ونذكر مناقبه ونتعهد
أمام الناس بأن ندرك الثأر .

ولى العهد : (فى سذاجة) نعم الثأر ... الثأر .

صوت الخليفة : (فى شدة عنيفة قاسية) من ينال ثأرى اذن يا منتصر ..
ويلى منك وويلى عليك .

أصوات : (فى هرج وخوف) الخليفة ... المتوكل ..

المنتصر : (ولى العهد) أبى ..

المتوكل : ليتنى ما كنت يابن العقوق ... خلافة سوف تفضى فى غد اليك

فما بالك تتعجلها اليوم .. واحربا .. فبمن أثق ؟

المنتصر : أبى .

المتوكل : خذوه الى السجن .

(أصوات خشخشة حديد)

المنتصر : أبى ... أبى !

المتوكل : خذوه ... أما أنتم ... فان لى معكم شأنا .

(موســـيقى)

البحترى : وأرسل الخليفة المتآمرين الى الموت .. أما ابنه فاننا تشفعنا عنده حتى رضى ألا يقتله وأبقاه سجينا .

المبرد : ويحك يا بحترى انك لترى الكثير فى قصر المتوكل .

البحترى : ايه يا مبرد .. انك صديق الطفولة ... فحذار أن يعرف أحد عنى أنى نقلت الحديث .

المبرد : هيهات .. ان سرك فى مكانه يا أبا عبيد .. ألم أخبرك بما سمعته عنك اليوم ؟

البحترى : أخيرا سمعت أم شرا ؟

المبرد : الحق اننى سمعت الخير والشر .

البحترى : فبالله ألا أسمعتنى الخير .

المبرد : والشر ؟

البحترى : أحبسه عنى .

المبرد : أما الخير فقد سمعت اليوم أن أحد تلاميذ أبى العلاء سأله عنك وعن المتنبى وعن أبى تمام .

البحترى : أشيخ المعرة تقصد ؟

المبرد : هو أبو العلاء المعرى ومن غيره ؟

البحترى : أما والله فانما مثل هذا من يسأل .. ومثل هذا من أحب أن أسمع رأيه ... عجل بربك .. فماذا قال ؟

المبرد : قال المتنبى وأبو تمام حكيمان . والبحترى هو الشاعر .

البحترى : أما والله انها لمدحة يقصر دونها كل ما سمعت من مديح .

المبرد : ألم أقل لك انه الخير .

البحترى : والشر .. ما الشر الذى سمعته .

المبرد : ألم تقل أحبسه عنى ؟

البحترى : قله ٠٠ فانى ان لم أعلمه منك علمته من غيرك ٠

المبرد : سمعت فيك هجاء ٠

البحترى : ممن ؟

المبرد : وممن تنتظر ؟

البحترى : والله ان قربى من المتوكل أوغل على أحقادا كثيرة ٠

المبرد : وأى حاقد تنتظر شعره ؟

البحترى : اللهم اجعله من أى شاعر الا من ابن الرومى ٠

المبرد : بل هو والله من هجاك ٠

البحترى : (آسفا) فماذا قال ؟

المبرد : يقول :

البحترى ذنــوب الــوجه نعــرفه
ومن يكــون ذنوب الـوجه ذا أدب
أحــرى بمن عظمت فى الناس لحيته
من نحله الشــعر أن يدعى أبا العجب

البحترى : لقد غاظه شعرى ٠٠ فهو يعلم أنه الذهب المذاب ٠

المبرد : نعم لقد أغاظه شعرك ٠٠٠ وغاظه قربك الى المتوكل ٠

البحترى : فهو اذن يسخر من لحيتى ٠٠٠ والله لأجيبه اجابة لم يتوقعها ٠

المبرد : وما هى ؟

البحترى : أتراك تلقاه ؟

المبرد : لعلى ألقاه ٠٠٠ أو اننى أعرف من سيلاقيه ٠

البحترى : فربك الا أرسلت اليه هذه (يسمع صوت النقود) ٠

المبرد : ما هذا ؟

البحترى : كيس فيه مائة دينار ٠

المبرد : وهو من هجاك ؟!

البحترى : وما البأس ؟

المبرد : والناس يقولون عنك بخيل تخاف على دراهمك خوف الظامى على الماء ٠

البحترى : بل اننى والله لأكثر بخلا مما يقولون ٠

المبرد : فما هذه الدنانير ؟

البحترى : اننى أعلم حرقة الفقر فقد عانيته أكثر أيامى وأعرف الطريق المسدود الى أعتاب الأمراء وأعرف أن ابن الرومى شاعر على طبيعة الشعراء وهو لم يقل ما قال الا فقرا وحقدا وغيظا ٠

المبرد : والله ما كذب القائل :

ومهما تكن عنـــد امرىء من خليقة

وان خالها تخفى على النـاس تعلم

انما البخل فيك صناعة والطبع كرم ... جزاك الله خيرا أبا عبيد جزاك الله خيرا ...

(موســـيقى)

البحترى : ماذا قال ابن الرومى حين وافاه المال ؟

المبرد : ويحه قد قال أفحش القول ... !

البحترى : لقد غاظه احسانى اليه أكثر من غيظه لاحسانى فى الشعر .. ماذا قال ؟

المبرد : قال أيحاول البحترى أن يرشـونى بمال هـو مسـتجديه والله لا أسكت عنه أبد الدهر .

البحترى : مرحبا به .

المبرد : سمعت اليوم قوما يمدحونك يا بحترى ... ويقولون انك أحببت فتاة ، فماذا قلت فيها ؟

البحترى : ألا والله انما لنا نحن ـ مادحى الأمراء ـ مداخل الى الكلام تبدأ بالغزل وتنتهى الى المديح .

المبرد : ومن ذلك ؟

البحترى : من ذلك قولى :

ألا هـــل أتاهـا بالمغيب ســـلامى

وهـل خبرت وجـدى بهـا وغرامى

وهـــل علمت أنى ضنيت وأنهـــا

شـفائى من داء الضنى وســـقامى

ومهـزوزة هـــز القضيب اذا مشت

تثنت عـلى دل وحسن قـــــوام

أحلت دمى من غـير جـرم وحـرمت

بـلا سـبب يـوم اللقـــاء كـــلامى

فـــداؤك مـا أبقيت منى ، فانه

حشـاشة جسم فى نحـول عظـامى

صلى مغرما قد واتر الشوق دمعه
سجاما على الخدين بعد سجام
فليس الذى حللته بمحلل
وليس الذى حرمته بحرام
وانى لأباء على كل لائم
عليك وعصاء لكل ملام
هل العيش الا ماء كرم مصفق
يرقرقه فى الكأس ماء غمام

المبرد : ذاك والله الشعر ٠٠ فسلام عليك ٠

البحترى : الى أين ؟

المبرد : الى بيتى ، فلقد والله سكرت بخير خمر . فما أدرى هل أنا بالغ أم أننى أتوه عنها ٠

البحترى : (ضاحكا) فامكث حتى تفيق ، فانى لأنتظر شيخا شاعرا ٠
(طرق على الباب)

البحترى : هذا هو ٠٠٠ ادخل ٠

صوت : السلام عليكم ٠

البحترى : وعليك السلام ٠٠ يا غلام هات غدائى ٠

المبرد : ويحك ٠٠ أتأكل الآن غداءك ، وقد آذنت الشمس بمغيب ٠

البحترى : لعلى لا أجد أحدا يشاركنى فى طعامى ؟

المبرد : أما أنا فمحقق لك أمنيتك ٠

الصوت : وأما أنا فلا ٠

البحترى : (فى حزن) فأنت ستأكل معى ؟

الصوت : نعم ٠٠٠

البحترى : أتعرف يا مبرد من الشيخ ؟

المبرد : لا والله ٠

البحترى : فانه من بنى الهجين الذين يقول فيهم شاعر يعرفهم وبنو الهجيم قبيلة ملعونة شعث اللحى متشابهو الألوان لو يسمعون بأكله أو شربه بعمان أصبح جميعهم بعمان (ضحك شديد) ٠
(ضحك مستمر ــ طرق شديد على الباب)

صوت : (من الخارج) يا بحترى ٠٠ الخليفة يطلبك ٠

البحترى : لبيه أكمل أكلتك أيها الشيخ ، فلقد والله اديت ثمنها بما أضحكتنا الساعة ٠

(موسيقى)

البحترى : مولاى ٠

المتوكل : تشوقت والله أن أسمع منك شعرا ٠

البحترى : أنشد قصيدتى فى البركة يا مولاى ؟ لهفى على لغة العرب كلما قلت البركة أحسست بالحسرة ٠

المتوكل : وله ؟

البحترى : عرفنا البركة يا مولاى ماء راكدا اغبر الصفحة أخرس الوجه ولكنك يا مولاى صنعتها من الزئبق فكأنى بك مولاى أمرت النور أن يسكب فيها ثم أمرته لا يبرحها فأطاع يا مولاى منسكبا وماكثا. لقد والله أحسنت حين وصفتها بقولى :

ميلوا الى الدار من ليلى نحيها
نعم ونسألها عن بعض أهليها
يا دمنة جاذبتها الريح بهجتها
تبيت تنشرها طورا وتطويها
لا زلت فى حلل للخير ضافية
ينيرها البرق أحيانا ويسديها

مالكم لا تقولون أحسنت ٠ فلقد والله أحسنت وأحسنت ٠

(أصوات ضحك)

يا من رأى البركة الحسناء رؤيتها
والآنسان اذا لاحت مغانيها
يحسبها أنها فى فضل رتبتها
تعد واحدة والبحر ثانيها
كأن جن سليمان الذين ولوا
ابداعها فأدقوا فى معانيها
فلو تمر بها بلقيس عن عرض
قالت هى الصرح تمثيلا وتشبيها
تنصب فيها وفود الماء معجلة
كالخيل خارجة من حبل مجريها
أما والله لقد أحسنت وأحسنت

المتوكل : أما والله لقد صدقت .. فهكذا الاحسان يكون .. وان كان شعرك يحتاج الى منشد !

البحتري : ألا أحسن انشاد شعري يا مولاي ؟

المتوكل : بل انك والله تسيىء اليه أبلغ اساءة ... أو لعل غرورك هو المسيء .

البحتري : يا مولاي انني أنثر بين يديك نفسي في كل كلمة .. أكثير اذن ان هذا أحى الأجزاء من نفسي وهي تنفصل عني لتسركم .

المتوكل : لم تخبرني يا بحتري .. أيهما أشعر ؟

البحتري : أنا أم أبو تمام ؟

المتوكل : نعم ... هذا ما أردته أن أسألك فيه .

البحتري : أحمد الله انني ما قرنت بغيره ... ان أردت الحق يا مولاي بغير تواضع أو غرور فانني أرى جيد أبي تمام خيرا من جيدي ورديئي خير من رديئه .

المتوكل : لقد عدلت والله أبا عبيد .. أسمعنا اذن ما قلت في عرش كسرى .

البحتري : شكر الله لك يا مولاي ... ذلك والله هو الشعر ...

صنت نفسي عما يدنس نفسي	وترفعت عن جدا كل جبس
وتماسكت حين زعزعني الدهر	التماسا منه لتعسي ونكسي
حضرت رحلي الهموم فوجهت	الى أبيض المدائن عنسي
أتسلى من الحظوظ وآسى	لمحل من آل ساسان درس
ذكرتنيهم الخطوب التوالي	ولقد تذكر الخطوب وتنسي
لو تراه علمت أن الليالي	جعلت فيه مأتما بعد عرس
وهو ينبيك عن عجائب قوم	لا يشاب البيان فيهم بلبس
فاذا ما رأيت صورة أنطا	كية ارتعت بين روم وفرس
والمنايا مواثل وأنوشر	وان يزجي الصفوف تحت الدرفس
تصف العين أنهم جد أحيا	ء لهم بينهم اشارة خرس
يغتلي فيهم ارتيابي حتى	تتقراهم يداي بلمس

صوت : تأذن لنا يا مولاي ؟

المتوكل : على بركة الله (أصوات انصراف القوم) ٠

البحترى : أرأيت يا مولاى ٠٠ غاظهم أن تؤثرنى وحدى باهتمامك ٠

المتوكل : دع عنك أمرهم ٠٠ فلقد خلونا فليلنا شعر حتى الصباح ٠

البحترى : رضاك يا مولاى حسبى ٠

المتوكل : أكمل القصيدة ٠٠ آه ٠٠ قتلنى الكافر ٠٠ الى يا بحترى ٠٠ الى ٠٠ **ابنى قتلنى** ٠

البحترى : مولاى ٠

صوت : اياك أن تتقدم ٠

(موسيقى عنيفة)

البحترى : حرام على الراح بعدك أو أرى

دما بدم يجرى على الأرض مائره

وهل أرتجى أن يطلب الدم واتر

يد الدهر والموتور بالدم واتره

أكان ولى العهد أضمر غدرة

فمن عجب أن ولى العهد غادره

فلا ملى الباقى تراث الذى مضى

ولا حملت ذاك الدعاء منابره

★★★

مال وبنون

الراوية : أغنى ملوك التـــاريخ ما مضى منه ، وما هـو فى مطوى الغيب مستقبل . قارون . أول من سك النقود وما ذكر الغنى الا وقال قائل :

صوت : (صوت فى صدى) قارون .

الراوية : رب المال الذى لم يشمله عد .. قارون .

جـونج

سرور : المال عندك بحور ، والناس عند بابك خدم ، والزمان طوع أمرك فاسعد انما السعادة أن تحس بها وتلتذها .

قارون : انما السعادة أن أنال كل ما أريد ... ولم أناله .

سرور : فاذا ان لم يأت الولد ؟ .. ماذا أنت فاعل ؟

قارون : لابد أن يأتى ... انه السعادة .. لابد أن تكتمل لى السعادة .. فانى قارون .

سرور : مولاى .. الحياة لم تخلق للسعادة كاملة أبدا .. مولاى ، ان السعادة ومضات فى النفس تخبو وتشرق .. مولاى ، لم ير الناس فى الأزمان الماضية على طول الأزمان سـعادة لا تنغصها تعاسـة ، مولاى ، ان السعادة التى ترنو اليها صـورة لم يخلقها الا خيالك تأبى الحياة أن تحققها فاسعد بما أنت فيه .. فانك فى سـعادة لا تدرى بها ..

قارون : (فى سخرية) سرور ، أنت تهذى ... السعادة أمل يتحقق ، والسعادة هى ما أتخيله أنا ... ان فكرى أنا عن السعادة ليست فكرتك أنت وآمالك .. ما أتصوره أنا سعادة لى هو سعادتى أما آمالك أنت وما تتخيله أنت سعادة ، أما هذه فصورة غريبة عنى لا تعرفها نفسى ولا تسعد لها ولا ترضاها من المال .. الغنى .. الذهب ... الملك السلطة .. المجد .. وكل هذا فى نظرك أنت

ولعله في نظر كثير غيرك سعادة أما عندى ·· عندى أنا فعبء حينا ومادة مختلفة الألوان جامدة حينا آخر ·

سرور : مولاى · هو ما تقول ولكن لابد لنا أن نبين لك ما تمرح فيه من نعيم فانه قل بين البشر من يتمتع بمثله ·

قارون : لابد أن أحس أن هذا هو النعيم ، واذا أحسسته فلن أحتاج الى أحد ليبينه لى ·

سرور : سوف يأتى يوم يا مولاى تعرف فيه أى نعيم كنت فيه ، وأخشى والله يا مولاى أن تأسف يومذاك ولن يفيد يومذاك أسف ·

قارون : هراء ·· هراء ماتقول ·

صوت : مولاى ·

قارون : ماذا تريد ؟

الخادم : مولاتى تريد أن تلقاك ·

قارون : (ساخرا) أنبئها أنى سأذهب اليها حين أنتهى من المجلس ·

الخادم : مولاى عفوك ··· انها تريد أن تراك الآن ·

قارون : (ساخرا) الآن ؟

الخادم : ان أذنت يا مولاى ·

قارون : أنا قادم اليها ·

الخادم : أمرك يا مولاى ·

(يسمع صوت الباب يغلق)

قارون : عاقر وتشتد فى طلبى وكأنها أنجبت لى أولياء العهد ·

سرور : أهى يا مولاى العاقر ؟!

قارون : (غاضبا) يقينا ·

سرور : ومن أين يأتى اليقين يا مولاى ·· انها الزوجة الثالثة ، ولم تحمل واحدة قبلها حتى تقول عن هذه انها عاقر ·

قارون : بل حملت الأولى ·

سرور : ذلك الحمل الذى لم يتم ·· مولاى عفوك ·· فلماذا تركتهـا أن تكن ولودا ·

قارون : سرور ·· أنت كثير الكلام ·

سرور : مولاى ، عودتنى أن أقول الحق ·· وما أظنك ألا تغضب منى ان أنا أخفيت عنك ما أراه صوابا ·

قارون : أنت تغالى فى الحق .

سرور : الحق يا مولاى هو الحق وهو جامد لا يقبل مغالاة ولا تهوينا .. الحق لا يتغير يا مولاى .

قارون : هو ما ترى يا سرور هو ما ترى .. والآن لابد لى أن أرى العاقر .

سرور : سترى زوجتك يامولاى .. سترى الملكة .

(موســـيقى)

الملكة : مولاى .

قارون : (فى ضيق) خيرا ماذا تريدين ؟

الملكة : (فى فرح) مولاى انى ...

قارون : (مقاطعا) لا تقولى انك حامل .

الملكة : ومالى لا أقول وهو الحق .

قارون : حديث معاد ... أسمعه منك فى كل حين ، ثم مايلبث أن ينكشف عن وهم خالص .

الملكة : ولكنه فى هذه المرة حق خالص .. مولاى ان ولدك يركلنى .

قارون : (بين مصدق ومكذب) بلقيس .. أحقـا ما تقولين ؟ .. أحقـا ما تقولين ؟

الملكة : مولاى ان شئت ركل يدك أنت أيضا .

قارون : هو الحق اذن ! .. هو الحق ان لى ولدا .. ان لى .. (متراجعا) أهو ولد يا بلقيس ؟

الملكة : أرجو أن يكون يا مولاى .

قارون : انه ولد .. انى أعرف ذلك ، انه ..

(موســـيقى)

صوت امرأة : ولى عهدك يا مولاى .

(موســـيقى)

قارون : هيه يا سرور .. أرأيت اليوم .. انها السعادة الكاملة .

سرور : مولاى أدامها الله عليك ولكن .

قارون : بربك يا سرور بغير ولكن .

سرور : لابد منها يا مولاى .. ان الولد لم يكبر بعد .. أهو الذرية التى كنت تريدها ؟ أنجيب هو مثل أبيه ؟ أيستطيع أن يقوم على مالك

ملكك غير مسرف ولا شحيح ، غير ظالم ولا ضعيف ··· من يدرى مولاى ؟

قارون : (فى تفكير) سرور ·

سرور : مولاى ·

قارون : من الذى سماك سرور ؟

سرور : أبى يا مولاى ·

قارون : أخطأ أبوك ·

سرور : بل أصاب ··· ان السرور أن تعرف الحق بلا وهم ولا تمويه ·

قارون : انك قادر على أن تقلب السرور تعاسة ··

سرور : فاذكر يا مولاى يوم كنت أحاول أن أقلب التعاسة سرورا ·

قارون : لم تفلح فى ادخال السرور الى نفسى ، ولكنك فى ادخال التعاسة موفق كل التوفيق ·

سرور : هو الحق يا مولاى ·

قارون : أخشى والله أن أكره هذا الحق ·

سرور : لن يخسر الحق يا مولاى ·· وستخسر أنت ·

قارون : اننى اليوم سعيد ·· فاسعد معى يا سرور ·· ودع الغد الى الغد· اننى اليوم سعيد ···

سرور : مولاى جعل الله غدك أسعد من يومك ، ويومك أسعد من أمسك فليس أحب لى يا مولاى من أن تكون سعيدا ·· وأن تدوم هذه السعادة ·· أدامها الله يا مولاى ·· أدامها الله يا مولاى ·

(موسـيقى)

قارون : (فى حزن) بلقيس أشيرى على ·· ماذا أفعل ؟

بلقيس : مولاى انك الملك ·· الأطباء فى أنحاء الأرض يتمنون أن يطيعوا لك أمرا ·

قارون : وهل رأيت الطب أجدى فى مثل هذه الحال ؟

قارون : (باكية) بربك يا مولاى ، بحياتى ، بعض الأمل يا مولاى · بعض الأمل ·· فمن يدرى ما يريد به الزمان ؟

قارون : ان الزمان قد أجمع أمره على السخرية منى ·

بلقيس : نحاول يا مولاى ·

قارون : سنوات خمس نحاول ونحاول ٠٠٠ فما نفعت المحاولة شيئا ٠٠ أى خير يعود علينا الا احياء أمل ما يلبث اليأس أن يميته ٠٠ وليس أبشع من اليأس الا الأمل يحيا ثم يموت ٠

بلقيس : بعض الصبر يا مولاى ٠

قارون : (فى سخرية) عجيب هذا الزمان ٠٠ أنا ٠٠ قارون ٠٠ أغنى ملك عرفه العـــالم ٠٠ أريد بعض الصبر فلا أجد ٠٠ ومع ذلك لا أجد الا الصبر ملجأ ٠٠ فيالى من غنى فقير ويالى من ملك ذليل ٠٠ ألا من يبيعنى ولدا صحيحا بمالى ، وملكى ولكن كيف للبنين أن يباعوا ، انهم قطعة منا ٠٠ منا نحن ٠

بلقيس : مولاى ان من أنجب مرة قد ينجب أخرى ٠

قارون : فاذا جاء الولد أصم أبكم مثل الأول ؟

الملكة : مولاى بربك لا تزد الجرح ألما ٠

قارون : (صـــارخا) ماذا ٠٠ أتخشين الحق ؟ ٠٠ انه أصم أبكم ٠٠ انه الحق ٠

الملكة : (فى ضراعة) مولاى ٠

قارون : معـــذرة أنت لم يعودك أحـــد سماع الحق كما عودنى سرور أن أسمعه ٠

الملكة : بعض الشفقة يا مولاى ٠٠ بعض الشفقة ٠

قارون : (فى تلطف) نعم ٠ معذورة أنت ٠ أقسو عليك ومصيبتى فى ابننا هى مصيبتك ٠ بل لعلها عليك أشد ٠٠ ولـــكن اغفرلى ٠٠ فأنت تدركين ٠

الملكة : غافرة يا مولاى ٠

قارون : أتمنى اليوم أن ٠٠٠

الملكة : حذار يا مولاى ٠

قارون : ومم الحذر ؟ ان حياته كارثة عليه وعلى وعليك وعلى الملك ٠

الملكة : مولاى أذكر كم كنت تتوق اليه ٠

قارون : كنت أتوق الى ابن لى لا الى مسخ أصم أبكم لا يبين ولا يعى ٠

الملكة : مولاى انها مشيئة السماء ٠

قارون : السماء رحيمة غير قاسية ٠

الملكة : لعل فى ذلك رحمة وأنت لا تدرى ٠

قارون : أين الرحمة ؟ ‥ أين الرحمة فى والد يتمنى أن يموت ابنه الذى كان يتوق اليه ؟ ‥ أين الرحمة فى ملك ماله لا يعد ولا يحصى ولا يستطيع أن ينال ابنا مثل أحقر مخلوق فى مملكته ؟ ‥ أين الرحمة فى أمل كنت أهفو اليه وأتمناه فاذا هو حلم يتحقق حين يتحقق نقمة قاتلة ؟ ‥ أين الرحمة فى ألم عاصف كلما رأيته أو سمعت خطوات أقدامه ، فما أسمع منه غير خطوات أقدامه ‥ لا أن السماء رحيمة ، أرحم من أن تصيبنا بهذا البؤس والألم والشقاء ٠

الملكة : لعل غيره يعزيك يا مولاى ٠

قارون : غيره تقولين ٠

الملكة : اننى منذ أشهر يخيل الى ٠

قارون : لا تزيدى الجروح يا بلقيس ‥ لا تزيدى الجروح ٠

الملكة : أزيدها يا مولاى ٠

قارون : فكيف ان جاء الثانى مثل الأول ‥٠ أصم أبكم ؟

الملكة : السماء أرحم من هذا يا مولاى ‥ السماء أرحم من هذا ٠

قارون : فلتكن مشيئة السماء اذن ‥ لتكن مشيئة السماء ٠

موسيقى (تصاحب كلام الراوية)

الراوية : وكانت مشيئة السماء وجاء الولد ‥ ولم يكن أصم ‥ لا ولم يكن أبكم بل كان صحيحا قويا فارسا شجاعا ٠

تنقطع الموسيقى

قارون : نحمد الله يا سرور لقد جاء اليوم الذى تتم فيه سعادتى ٠

سرور : أدامه الله يا مولاى ٠

قارون : غير انى أخاف على ابنى ٠

سرور : أيهما يا مولاى ؟

قارون : ابنى ‥ ألى غير ابن واحد ؟

سرور : بل لك اثنان يا مولاى ٠

قارون : ويحك يا سرور ما ترانى سعيد الا وذكرتنى بما ينغصنى ٠

سرور : ابنك يا مولاى ‥

قارون : انه تعاستى الوحيدة فى الحياة ٠

سرور : مولاى ان السعادة لا تكتمل ٠

قارون : أعرف يا سرور ‥ انه الحق ‥ انه الحق دائما ٠

سرور : دائما يا مولاى ٠

قارون : ولكنى أخشى على ابنى السليم ٠٠ على رائد ٠

سرور : وما خشيتك عليه ؟

(صوت فتح الباب)

رائد : أبى هل أمرت أن أمثل بين يديك ؟

قارون : ما هذا الذى سمعت عنك يا رائد ؟!

رائد : ماذا يا أبى ؟

قارون : سمعت انك تخاطر بنفسك ، ولا تخاف الليل ولا ترتد عن الصيد الا وتصيبه ٠

رائد : انما هى رياضة يا مولاى ٠

قارون : يابنى انك أمل بلادك وأمل أبويك فحذار أن تجرك الرياضة الى مصرع هذه الآمال التى تحيط به ، فقد أصبحنا شيوخا لا نطيق لهذه المصيبة احتمالا ٠

رائد : مولاى أمرك ٠

قارون : حذار يا رائد ٠٠٠ حذار يابنى ٠

(موســـيقى)

صوت : (من بعيد) وامصيبتاه ٠٠ قتل رائد ٠٠ مولاى يا ملك الملوك ٠٠ قتل رائد ٠٠ مولاى ٠

(موســـيقى)

(تصاحب كلام الراوية)

الراوية : قتل الأمل البكر ٠٠ صرع الفتى اليـافع ٠٠ اليـأس والحزن والقنوط ٠٠ لم يجد مال قارون بل لعل المال زاد النار لهيبا فقد أصبح بلا وارث له الا هذا الفتى الأبكم الأصم ٠

(تنقطع الموسيقى)

قارون : صادق أنت يا سرور ٠٠ صادق أنت ٠٠ تعاسة هى الحياة تعاسة كامنة ٠

سرور : مولاى أنا لم أقل هذا أبدا ٠

قارون : فقله اذن يا سرور فهذا هو الحق ٠

سرور : بل انه بعيد عن الحق كل البعد ٠

قارون : أما ترى حالى يا سرور ؟ أما ترى ؟ لشيخ قضى حياته تتعلق آماله بفتـــاة أن يرث ماله وملكه ٠٠ ويبقى المال والملك ولا يبقى الفتى ٠

سرور : مولاى لا تستسلم للحزن ، فان عليك أعباء لابد لك أن تقوم بها ٠

قارون : دعنى وما بى يا سرور لا أريد أعباء ولا ملكا ٠

سرور : مولاى أنت لا تملك لهذا العبء دفعا ٠٠ فمن يقوم به ان لم تقم أنت ؟

قارون : ليكن ما يكون أما أنا فما أطيق يا سرور ٠٠ لا ٠٠ لا أطيق ٠٠

سرور : مولاى ان الأعداء يتربصون بنا شرا ولابد لنا أن نجهز لهم قبل أن يدهمونا ٠

قارون : جهز لهم أنت ما تريد ٠

سرور : مولاى لم أكن يوما من الذين يقحمـون أنفسهم فيما لا يحسنون أداءه ٠٠٠ الجيش جيشك وأنت أدرى الناس به ولابد يا مولاى أن تقوم أنت بشأنه ٠

قارون : سرور بربك دعنى وحزنى ٠

سرور : انك يا مولاى ان أعملت ذهنك فى شئون الدولة نفضت عنك هذا الحزن القاتم واستطعت أن تخلص منه ٠

قارون : ولمن الملك بعدى ؟

سرور : للأجيال والقرون ٠٠٠ للأزمان القادمة ٠٠٠ للتاريخ يا مولاى ٠٠ فانى أخشى أن يقول عنك التاريخ تسلم بلاده حرة وأسلمها ذليلة محتلة ٠

قارون : ألا يمهد لى التاريخ عذرا فى آمال شبابى التى قتلت ؟

سرور : مولاى اننا نحن ـ ونحن نحيا معك ـ لا نمهد لك العذر فكيف بالتاريخ وهو أصداء الوقائع ؟

قارون : ألا تلتمسون لى العذر ؟

سرور : الملك يا مولاى فوق العواطف والأحزان ٠

قارون : سرور دعنى بربك يا سرور ٠٠ لا أطيق ٠٠ لا أطيق ٠

(موســـيقى)

سرور : مولاى الأعداء يجهزون الجيش ·
قارون : دعنى بربك يا سرور ·

(موســـيقى)

سرور : الأعداء يا مولاى ·
قارون : سرور انى لا أطيق ·

(موسيقى تنتهى بطبول حرب وجلبة وضجيج)

سرور : أدركنا يا مولاى ·

قارون : وهل أطيق أن أدرك أحدا ؟

سرور : الأعداء يا مولاى يحيطون بنـــا من كل جانب فبربك يا مولاى الا نجوت ·

قارون : أنجو ؟ ·· ولمن أنجو ؟ ·· وكيف أنجو ؟

سرور : مولاى لقد أتيت لك بملابس الرعاة ·· فتنكر فيهـــا يا مولاى واخرج من المدينة ·· اخرج يا مولاى ·

قارون : أين زوجتى ·· وأين ابنى ؟

سرور : هنا يا مولاى ·· انى مناديهم الآن ·· البس أنت هـــذه الملابس حتى أناديهم ·

موسيقى (قصيرة)

قارون : هلمى يابلقيس ·
الملكة : الى أين ؟
قارون : نهرب ·
الملكة : أما أنا فلا ؟
قارون : كيف ؟!

الملكة : شيخة أنا أنتظر الموت وكأنه أمل لا سبيل لى اليه ··· فاهرب أنت وابننا ، أما أنا فمقيمة هنا مع قبر ابنى لا أتركه ·

قارون : لا أتركك أبدا ·

الملكة : بل وتتركنى ·· فانك ان أسرت أو قتلت بأيدى أعدائك فعار الأبد وهزيمة لشعب يتمثل فيك أملا ضخما ·· أما أنا ·· ما أنا ··· ما أنا ؟؟ زوجة عقيم بل شر من زوجة عقيم ، مات السليم من أبنائى وبقى المريض ·· دعنى أحقق أملى بالموت يا مولاى ·· بربك ·

سرور : بربك الا أطعت زوجك .. آه .. أصابني السهم .. النجـــاة يا مولاى ..لقد بلغ أعداؤك القصر .

قارون : هلمى يابلقيس .

الملكة : (فى نزعات الموت) لاتحين أيها الملك فقد نفذالسهم الى قلبى ... لقد شاءت السماء أن أموت الىجانب ولدى وداعا يا مولاى .

(موســـيقى)

الراوية : وخرج قارون من قصره ومعه ابنـــه الأصم الأبكم ... رفيق ولا رفيق ... ولد ولا ولد ... ويحيك قارون لـكم دارت بك الأيام ... فى ثياب الرعاة تخرج فارا وأنت من ملك أموال الأرض أجمعين .

قارون : فانت اذن كل ما بقى لى أيها الابن ... بقية ملك ومال وولد .. أنت بأذن لا تسمع ولسان لا ينطق ... أنت من بقى لى ... ليس لى غيرك ... غضبت منى الدنيا وأنا فى مجدى ومالى وسلطانى وازداد غضبى عليهما حين جئت أنت عاجزا عجزك هذا ، فاذا هى تسخر من غضبى وتسلبنىكل شىء الا الشىء الوحيد الذى يزيدنى تعاسة وألما... كم أحس بالجرم نحوك كلما رأيتك ... لماذا جئت بك الى هذه الدنيا ؟ ولماذا بقيت فيها بعد أن جئت ؟ ألا تشهد ظلم الزمان لأبيك ؟ مسكين أنت يابنى لا تحس شيئا مما هو حولك .. ولكن أمسكين أنت حقا ؟ .. أتعرف انك عاجــز ؟ ... أم لعلك لا تعرف ؟ .. ويلى أخدع نفسى ... لكم رأيت الدموع جامدة فى عينيك ومنهمرة لا تطيق لها كتمانا ... الى أين بنا الطريق .. يابنى .. الى أين بنا الطريق .

الراوية : وفى عرض الصحراء مشى الملكومعه هذهالنفاية التى تخلفت من ملك عريض ومال عديد وولد قوى وبعد لأى وجهد لقى الملك خيمة .

قارون : سلاما يا صاحب الدار .

صوت : سلاما أيها الغريب .

قارون : انقطع بنا الطريق فهل لمبيت لنا مكان ؟

الصوت : ان الأعداء تحيط بنا من كل جانب فكيف نعــرف انك لست منهم ؟

قارون : انني لا أملك سلاحا ... والأعداء منتصرون . والنصر لا يتأتى لشريد فى الصحراء .

الصوت : ومن هذا الذي معك ؟

قارون : انه ابني .

الصوت : قوى هو شديد ؟

قارون : ولكنه أصم أبكم ... لا يسمع ولا ينطق .

الصوت : فادخلا .

قارون : أوحيد أنت ؟

الصوت : معى أخى ... ادخلا .

(موســــيقى)

الصوت : ان هذا العربى يحمل مالا كثيرا فيما يخيل الى .

الأخ : وكيف عرفت ؟

الأول : سمعت صليل الذهب تحت ملابسه وهو سائر .

الثاني : الذهب ؟

الأول : الذهب .

الثاني : فماذا تنتظر ؟ هلم نقتله .. أنائم هو ؟

الأول : انه نائم .

الثاني : هلم بنا .

الأول : احذر أن يسمع أقدامك .

الثاني : ومم الحذر ؟ الأب ؟ نائم والابن أصم..أبكم..لو رأى ما استطاع أن ينطق .

الأول : فهات الحبل .

صوت : (يحاول أن ينطق فهو ضعيف) أبى .

الأول : أسرع .

الثاني : هل معك الخنجر ؟

الأول : ها هو ذا .

الثاني : هاته ... هاته .

الابن : حذار أيها اللصوص ... حذار ... انه قارون ... انه الملك ..

قارون : من ؟ أنت ! ..

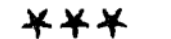
الابن : لقد حاولا أن يقتلاك .

قارون : (باكيا) أتنطق ؟ أتنطق يابنى ؟

الأول : عفوك يا مولاى .

الثاني : عفوك يا مولاى .

قارون : عفوى وشكرى وحمدى ··· لقد نطق ولدى ··· لقد نطقت فى اللحظة التى أريدك فيها أن تنطق لقد جعلت لحياتى معنى يا ولدى العزيز ··· لقد جعلت يأسى أملا وتعاستى سعادة ··· هلما بنا يا ابنى الى الحياة ··· لقد منحتنى السماء خير ما سلبه منى الزمان ···منحتنى ولدى ··· منحتنى الحياة الأمل ··· المستقبل··· الى المستقبل يابنى ··· الى المستقبل لقد أشرق لى الطريق الآن ··· اليه ··· يا أمل الشباب ··



● النصر المبين

الراوية : من الأمجاد ، من الأشعة الأولى لنور الاسلام ، من هذه الشواهق تعلو فلا يلحق بها نظر ، وتسمو فلا يهفو اليها فكر ، وانما هى تهدى فنهدى ، وتبين فنسير ، وتضىء فنرشد ، من القمم الباسقات للآباء والأجداد وقف عندهم التـاريخ العربى خاشعا فى اجلال ، ووقف دونهم التاريخ الغربى صاغرا فى ذلة ، من العرب الأولين ، خلص الينا تاريخهم نقيا نقاء ايمانهم بالله ، رفيعا رفعة اعتناقهم للمبدأ ، حاول المؤرخون أن ينـالوا من تاريخهم ولكن الأدلة تكاثرت عليهم وانثالت اليهم الحجج ارسالا ، ولم يملكوا الا الذهول والحيرة ، ولم يملكوا الا الاعتراف أنه الحق .

(موســـيقى)

صوت : نراكم أيها العرب قد انسقتم وراء محن لا تعلمون فكرة ولا تنظرون الى تاريخ الأنبياء لتعرفوا ان كان دينكم هذا على حق أم هو يسوق القول بغير حجة ولا برهان .

آخر : بل نراكم أنتم أيها اليهود منذ حل محمد بالمدينة لا تسكتون عن الايقاع بيننا ، واثار الشكوك فى نفوسنا ، وقد كان أولى بكم وأنتم أصحاب كتاب يدعـــو الى التوحيـد أن تنضموا الى دعوة محمـد وتأيدوها .

الأول : لقد كنا والله خليقين بما تقول ، ولكننا نرى أمورا تجعل الشك فى نفوسنا يغلب اليقين .

الثانى : وماذا ترون ؟

الأول : نرى محمدا .

(موســـيقى)

الثانى : يقول اليهود يا رسول الله أنك هاجرت الى المدينة ولم تتركها ، وان الأنبياء جميعهم ذهبوا الى بيت المقدس ، ويقولون انه جدير بك

أن تذهب الى المسجد الأقصى لتكون من الأنبياء . فقال رسول الله : قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء الى صراط مستقيم . وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ، وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله « صدق الله العظيم » صدق الله العظيم أيها اليهودى .

الراوية : ومضت سنوات يزيد مضيها شوق المسلمين الى قبلتهم ، ومشرق الوحى على نبيهم ، وقد أصبح الحنين فى نفوس المهاجرين لاعجا متوثبا الى ملاعب صباهم ، ومعاهد شبابهم ومدارج الآمال الباكرة لحياتهم وأحس النبى بلواعج أصحابه فاذا هو يدخل عليهم وقد اجتمعت كثرتهم فى المسجد ، فيلقى اليهم سلاما فرحا مستبشرا .

أصوات : وعليكم السلام يا رسول الله ورحمة الله وبركاته .

الراوية : ويقول النبى : « لقد أذن الله لكم أن تدخلوا المسجد الحرام انشاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون » .

صوت : سبحان الله .

آخر : الله أكبر .

آخر : الحمد لله .

آخر : محاربين ندخل المسجد الحرام يا رسول الله .

الراوية : ويقول النبى : « أذنوا فى الناس بالحج » .

آخر : متى يا رسول الله ؟

الراوية : ويقول النبى : « فى ذى القعدة انشاء الله » .

صوت : فى ذى القعدة يا رسول الله ؟ فى الشهر الحرام اذن .

آخر : فلا حرب اذن ولا سلاح .

آخر : سلاما ندخلها باذن الله ...

الراوية : وخرج المسلمون حول النبى ، وقد علموا أنه ما يريد الا سلاما انما هى زيارة لبيت الله الحرام ، وما أن بلغوا الخليفة حتى أحرم محمد فأحرموا معه وأصبح واضحا أن محمدا انما ينشر السلام ، فان المحرم لا يبغى عدوانا .. ولكن من المشركين فرسانا أبو أن يفهموا الوضوح ، وما بعجيب عليهم الزيغ فهم أنفسهم من عموا عن الإســلام .. يجتمــع جمعهم ــ هان جمعهم ــ ويقــول قائلهم : ذل قائلهم .

صوت : ها قد أقبل محمد يغزوكم فى دياركم بعد أن دحركم حول الخندق.

صوت : وهل محمد بحاجة الى أن يتشبه بالأنبياء فى هذه التوافه ؟

الثانى : يقولون أنه مادام المسلمون يجعلون المسجد الأقصى قبلتهم ، فلابد لمحمد أن يهاجر الى المسجد الأقصى ، فيجعل من المدينة وسطا فى هجرته بين مكة والمسجد الأقصى .

الراوية : وسأل النبى ذلك المتحدث : ألم تفهم ما يرمى اليه هذا اليهودى ؟

اليهودى : فهمته يا رسول الله ، انه يريد أن يشعلها فتنة بيننا .

الراوية : وكان ذلك هو ما أراده اليهود ، ولكن هيهات أنهم يمكرون ويمكر الله وان ربك لأشد مكرا .

(موســــيقى)

الثانى : اسمع أيها اليهودى لقد دحض الله فتنتك .

اليهودى الأول : وكيف أيها المسلم ؟

الثانى : لقد أنزل آياته عز شأنه فجعل الكعبة هى قبلتنا ، اسمع ما يقول « بسم الله الرحمن الرحيم » « قد نرى تقلب وجهك فى السماء ، فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره » .

اليهودى : فقبلتكم الكعبة اذن ؟

الثانى : انها قبلتنا .

اليهودى : وهكذا يميل ...

(موســــيقى)

الثانى : ويقول : يا رسول الله وهكذا يميل بكم محمد من قبلة الى قبلة وأنتم وراءه ، لا تدرون لمــاذا كان المسجد الأقصى قبلتكم ؟ ولمــاذا أصبحت الكعبة قبلتكم ؟ .. ألا تسألون ... ألا تفهمون ؟!

الراوية : وقال النبى لمن يحادثه : « وفهمت ما يرمى اليه » ؟

الثانى : فهمته يا رسول الله وهل يريد الا الوقيعة والفتنة .

الراوية : وكان ذلك هو ما أراده اليهود ولكن هيهات ، انهم يمكرون ويمكر الله وان ربك لأشد مكرا .

(موســــيقى)

الثانى : لقد جاءك الجواب أيها اليهودى ... قد جاءك الجواب ·
اليهودى : وأين هو ؟
الثانى : « اسمع : « بسم الله الرحمن الرحيم » ، « سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم » ·
(موسـيقى)
آخر : والله لئن دخل مكة اليوم فهيهات ، هيهات لكم أن يخرج بعدها أبـدا ·
آخر : واللات لا يدخلها أبدا ·
آخر : يقولون أنهم يريدون أن يدخلها مسالما فلا عدوان ولا وقائع ·
آخر : أفننتظر اذن أن يدخل مكة ، ثم ننظر ان كان يريد سلاما أم حربا ؟
آخر : اذن فهو عار الأبد وخزى الدهور ·
آخر : بل اننا نخشى أن يكون محمد يضمر بنا المكر والخديعة ·
آخر : والله يخيل الى أنه يضمر السلم حقا ، فقد علمت أنه دعا العرب من غير المسلمين الى الزيارة معه ·
آخر : وأين السلام فى هذا ؟
الأول : ان من ينوى الحرب لا يدعو اليها الا الذين يثق فى اخلاصهم ·
آخر : انه قد أحرم ·
الأول : لأخشى أن يكون السلاح فى ثياب احرامه ·
آخر : أخالك واهما ؟
الأول : اننا لن نسمح لمحمد أن يطأ مكة ·
آخر : فنجهز جيشا ونلتقى بمحمد ·
الأول : ان الجيش معد فها أنت ذا ترى شباب قريش مجتمع اليك منذ علم أن محمد فى طريقه الينا ·
آخر : فمن نولى عليه ؟
الأول : جبار الحروب وعمادها ·
آخر : أخالد ابن الوليد تريد ؟
الأول : اياه أردت ·
آخر : أرى خالدا يتسمع أنباء محمد فى تشوق وكأنى به يكاد يؤمن بالدين الجـديد ·
الأول : أراك محقا فيما تقول ؟ فلو أننا عقدنا لعكرمة بن أبى جهل معه حمدنا العقبة ووثقنا اننا سنواجه محمدا بقوة شديدة ·

آخر : الرأى رأيك ... هو ما قلت .

الأول : فليكن خالد اذن وعكرمة ابن أبى جهل هما قائدا الجيش .

(موســـيقى)

الراوية : وسار جيش الكفار حتى بلغ ذا طوى وأقام عسكره هناك ، أما محمد فقد سار بجيشه حتى بلغ عسفان ، وهناك لقيه رجل من بنى كعب .

(موســـيقى)

الراوية : فسأله رسول الله عن أخبار مكة .

صوت : قد سمعت بمســيرك فخرجوا وقد لبســوا جلود النمور ونزلوا بذى طوى يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبدا وهذا خالد بن الوليد فى خيلهم قدموها الى كراع الغميم .

الراوية : فقال رسول الله : « يا ويح قريش لقد أهلكتهم الحرب ، ماذا عليهم لو خلوا بينى وبين سائر العرب ؟ فان هم أصابونى كان ذلك الذى أرادوا ، وان أظهرنى الله عليهم دخلوا فى الاسلام وافرين ، وان لم يفعلوا قاتلوا ، وبهم قوو فما تظن قريش ؟ فوالله لا أزال أجاهد على الذى بعثنى الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة » .

صوت : أعناقنا فداك يا رسول الله .

آخر : مرنا فنحن نفاذ أمرك ، وتحقيق كلمتك .

آخر : أنحارب يا رسول الله ؟

آخر : ان شئت يا رسول الله حاربنا ، الا أن لى رأيا أتأذن لى أن أقوله .

الراوية : قال النبى : « قله » .

آخر : أنهم يعلمون أننا لم نخرج لحرب ، فنحن على غير عدة وسلاح ، وأنهم ـ يا فداك أبى ـ يبذلون غاية الجهد ليشتبكوا معنا فى حرب ، فلو أننا هيأنا لهم هذه الفرصة ...

آخر : نعم انك محق لو تهيأت لهم الفرصة وانتصروا فى حربهم الظالمة هذه لراحوا يتشدقون بنصرهم بين العرب .

الآخر : انهم لم يرسلوا خالدا وعكرمة الا ليبدوا سبيلا الى حــرب هم لا يعلمون أننا لم نعد لها .

آخر : اننــا لنحمل سيوفنا ، وايمــاننا فهلم بنــا هلم ولن نتعب خالدا ولا عكرمة فى بدء الحرب سنكون البادئين فانهم هم المعتدون .

آخر : فداك يا رسول الله فداك ، وما الاعداد للحرب غير السيف وهو بيدنا وغير الايمان وهو أرسخ فى قلوبنا من شم الجبال .

آخر : لقد أردنا سلاما وأرادوا هم حربا فهلم اليها ، فانما النصر من عند الله ، واننا نحن ... نحن أتباع الله .

الراوية : ولكن رسول الله رأى أنه لو خرج عن سياسة السلم التى أعدلها الى سياسة الحرب التى يجهد الكفار على أن يريدوه عليها ، لو فعل لأتاح لكفار قريش فرصة يشيعون بها بين العرب أن محمد حارب فى الأشهر الحرم ، وأنه حارب عند البيت الحرام وهو بعد لا يضمن النصر فان يكن المسلمون حوله يفيض بهم الايمان ، الا أن أبناء قريش أيضا اذا حاربوا اليوم فانما هم يحاربون عن شرفهم أجمع ، تعتلج فى نفوسهم أحقاد الأمس يوم هزموا عند الخندق ، وذلة اليوم فى مهاجمة محمد لهم وهم فى أحضان مكة ، وخشية الغد ، اذا دخل محمد مكة عليهم عنوة فهم اذن فى هوان مقيم ، قدر عليه الصلاة والسلام هذا جميعه ، فأزمع على أن يظل على سلمه الذى أراده لنفسه فلا يميل الى الحرب التى يريده عليها الكفار فهو يقول : « من رجل يخرج بنا عن طريق غير طريقهم التى هم بها » .

صوت : انى يا رسول الله أعرف طريقا .

آخر : انها طريق شاقة تلك التى تقصد اليها .

آخر : أى شاق يا أخا العرب ، اننا أبناء صحراء ، لا يشق علينا طريق .

(موســـيقى)

الراوية : وسار المسلمون فى طريق يتلوى بين الشعاب وقد جهد المسلمون حتى بلغوا عند منقطع الوادى ، ثم مالوا منه الى أيمنه فبلغوا ثنية المراد مهبط الحديبية ، من أسفل مكة وما رأى جيش الكفار هذا حتى رجعوا الى مكة ليدافعوا عنها اذا أراد المسلمون دخولها وكان النبى على ناقته القصواء فما أن بلغت الحديبية حتى بركت .

صوت : لقد جهدت يا رسول الله ، أجهدها طول الطريق ووعورته .

الراوية : فقال النبى : « انما حبسها حابس الفيل عن مكة » .

آخر : حابس الفيل ؟!

آخر : نعم يا أخى حابس الفيل الذى منع أبرهة أن يهدم الكعبة ، ألا تعرف أن الفيلة يومذاك لم تستطع أن تمس الكعبة بسوء على الرغم من تحريض راكبيها لها .

آخر : فذاك اذن حابس الفيل .

آخر : أنه هو ، وقاء مكة ، وحصن الكعبة .

الراوية : وقال النبى : » معلنا السلم » لا تدعونى قريش الى خطة يسألونى فيها صلة الرحمة الا أعطيتهم اياها » ... انزلوا هذا المكان .

صوت : ولكننا يا رسول الله فى مكان لا ماء ولا رى ولا هو يصلح لمقام .

الراوية : فأخرج عليه الصلاة والسلام سهما من كنانته وقال لأحد مرافقيه انزل فى بئر من هذه الآبار التى حولنا وأضرب فيها بسهمى هذا .

صوت : ولكنها آبار جفت يا رسول الله .

الراوية : فقال النبى فانزل .

الصوت : أمرك يا رسول الله .

الراوية : ونزل الرجل وضرب السهم .

أصوات : الماء ... الماء ... الرى ... الرى ... الله أكبر .. صلى الله على محمد .

(موســـيقى)

الراوية : واجتمع كفار قريش يتفاوضون الأمر بينهم حتى وافاهم بديل بن ورقاء وكان يلم بجيوش المسلمين فابتدروه سائلين :

صوت : هيه بديل .

الصوت : فما مجيئهم ؟

بديل : زيارة البيت وتعظيم حرمته .

الصوت : ويتسامع عنا العرب أن محمدا قد دخل علينا مكة عنوة .

بديل : أشهد أنا لا أرى أثر العنوة فى دخوله ، بل أنهم قوم يقفون من الكعبة موقف التكريم ، لا يدخلونها محاربين .

الصوت : أكنت هناك حين أرسلنا حليس ليفاوض محمدا .

بديل : كنت هناك ، ولقد رأى محمد حليس قادما فأمر بالجمال فأطلقت ليرى الخيس انها جائعة وانها لا تنتهك حرمات مكة ، وقد رأى رسولكم حليس الجمال فعاد سبيله اليكم .

حليس : أما أخبرتكم أنه السلم ما يريد محمد ولن يحيد عنه أبدا ؟

صوت : انما أنت يا حليس سيد قومك ولست من قريش ولا من خالصة العرب فأنت لا تعلم من الأمر شيئا .

حليس : لقد حالفتكم لأزود عن البيت الحرام ، وما حالفتكم لأرد عنه من جاءه معظما فمنذ اليوم لا حلف بيننا .

صوت : أغضبت يا حليس ؟

حليس : وكيف لا أغضب للكعبة تذودون عنها مكرموها ، وتردون القاصدين اليها ؟!

صوت : انه يا حليس ان دخل الكعبة اليوم زالت عن قريش السدانة والسقاية وتساقطت عنها أمجادها كالأوراق الجافة يساقطها الريح العاصف .

حليس : فلا حلف بيننا .

صوت : بل أصبر علينا يا حليس فندبر أمرنا وننظر فيه .

بديل : لقد طال بكم التدبير والنظر ، والله لتطالعكم العرب غدا بقالة لن تثبتوا لها ، انهم قائلون : « قريش ترد عن الكعبة الحجيج » .

الصوت : نرسل رسولا آخر يفاوض محمدا .. نرسل اليه عروة بن مسعود الثقفى .

عروة : لا والله لست بذاهب .

الصوت : ولم يا عروة ؟

عروة : أراكم تلقون رسولكم بشر بما يلقى به رسولكم اذا هو جاءكم بالأخبار لا ترضيكم .

الصوت : انك عندنا غير ظنين يا عروة ولن تجد فى لقائنا الا الخير فاذهب اليه وسله ماذا يريد ؟

(موسيقى)

الصوت : هيه عروة ماذا رأيت ؟

عروة : يا معشر قريش ، انى جئت كسرى فى ملكه ، وقيصر فى ملكه ، والنجاشى فى ملكه ، وانى والله ما رأيت ملكا فى قوم قط مثل محمد فى أصحابه لا يتوضأ الا ابتدروا وضوءه ، ولا يسقط من شعره شىء الا أخذوه ، وانهم لن يسلموه لشىء أبدا ، فانظروا رأيكم .

الصوت : ماذا لقيت ؟

عروة : ذهبت الى محمد .

(موسيقى)

عروة : يا محمد ان مكة أهلك ومكانك أن تنصفها وأهلها المقيمين بها على من جمعت من أوشاب الناس .

الراوية : فقال أبو بكر : بل هم سادة الناس يا عروة وان رغمت أنوف .

عروة : فاذا انصرف هؤلاء عنك يا محمد ؟

الراوية : فقال أبو بكر : هيهات أن ننصرف عنه يا عروة انما نحن ومضة من اشراقته ، ولمحة من رضى ربه لا منصرف لنا عنه .

عروة : فوالله ما أرى شيئا يبقى على الزمان الا العـار لاحقا بقومك من قريش ان أنت اقتحمت عليهم الكعبة اليوم .

صوت : يدك عروة (صوت صفعة هينة) .

عروة : فهل تركتنا محمد فى عامك هذا ؟

صوت : يدك عروة (صوت صفعة هينة) .

الراوية : وقال رسول الله : انه لم يأت الا لسلم يريد زيارة الكعبة ولمس أركانها .

(موسـيقى)

عروة : فجئت اليكم ، أتعلمون من كان يقف الى جوار محمد ؟

صوت : مـن ؟

عروة : المغيرة بن شعبة ، وكنت اذا أمسكت بلحية محمـد وأنا أحادثه ضربنى المغيرة على يدى وهو يقول يدك عروة فاترك لحية محمد .

صوت : المغيرة بن شعبة ، يضرب يدك أنت ؟ يدك التى دفعت عنه ثلاثة عشر دية عن قتلى قتلهم .

عروة : هو المغيرة ... لا واللات لا كسرى ولا قيصر ولا النجاشى بملاق ما يلاقيه محمد من قومه ... أنظروا أمركم .

صوت : يا رسول الله ... يا رسول الله ... لقد طالما شكونا اليك من سفهاء مكة يخرجون فى بهيم الليل ، ويرمون خيامنا بالحجارة ، فالليلة قد خرج علينا منهم نفر كبير ، فأسرنا منهم أسرا وبيلا .

الراوية : وسأل النبى ، وأين الأسرى ؟

(موسـيقى)

صوت : الآن قد أسفر الشك عن اليقين .

آخر : ماذا ؟

الصوت : أما ترى محمدا قد أطلق أسرى مكة بعد أن وقعوا في يده فمالنا نجادل الآن ؟

آخر : أنه السلم ما يريد .

آخر : ماذا تريد ؟

آخر : فلنخل له السبيل فيزور .

آخر : فواضعيتا لنا لنا بين العرب .

آخر : بل لا والله ، فاننا أصبنا محمدا بسوء بعد أن أطلق أسرانا كنا بين العرب غادرين لا وفاء لنا .

آخر : بل نمنعه .

آخر : بل نتركه .

آخر : بل نمنعه .

موسيقى (تصاحب المشهد)

الراوية : واجتمع المسلمون حول محمد يتفاوضون الأمر حتى انتهى بهم الرأى أن يرسلوا عثمان بن عفان الى رجال مكة رسولا ، يحمل اليهم رغبة محمد وصحابته في الحج ، وذهب عثمان الى أبى سفيان .

أبو سفيان : فيم قدومك عثمان ؟

الراوية : فقال عثمان : انما جئنا لنزور البيت العتيق ، ولنعظم حرمته ولنؤدى فرض العبادة عنـده ، وقد جئنا بالعير معنا فاذا نحرناها رجعنا بسلام .

أبو سفيان : يا عثمان اذا شئت أن تطوف بالكعبة فطف .

الراوية : فقال عثمان : ما كنت لأفعل حتى يطوف رسول الله .

أبو سفيان : فانا أقسمنا ألا يدخل محمد مكة في عامنا هذا عنوة .

الراوية : فقال عثمان : ولكنه لا يدخل عنوة .

أبو سفيان : فانا أقسمنا وما دمنا . . . .

(موســـيقى)

صوت : لقد قتلوا عثمان .

آخر : قتـــلوه ؟

آخر : لقد قتلوا رسولنا اليهم بعد أن أطلقنا نحن أسراهم .

آخر : قتلوا زوج بنت رسول الله .

آخر : لا نسكت بعدها أبدا .

آخر : فى ظلال الكعبة .

آخر : لقد لوثوا أمنها ، وهتكوا حرمتها .

آخر : هيهات نسكت هيهات . . . لا نبرح حتى نناجز القوم .

آخر : الى السيوف ·
آخر : قتلوه فى الشهر الحرام ·
أصوات : الى السيوف ·

الراوية : ودعا النبى أصحابه ، فاذا هم حوله جواب دعوته ، وكلمته اذا قال وأرادته ان أراد ، دعاهم الى البيعة فأنفسهم لدعوته تلبية ··· لبيك رسول الله لبيك ، من قلوب آمنت بك وهل بعد الايمان رضى يا رسول الله ؟ لقد أقررت منها ثائرا من الكفر ، فهى فى هداة الايمان لبيك ، لبيك يمدون أيديهم الى يديك عزت يدك وأيديهم ، وتمد أنت يدك الثانية يا رسول الله لتكون يدك الثانية هذه بديلا عن عثمان بن عفان الغائب عنك ··· دعوت فهم جميعا لبيك ودعوت تحت الشجرة ··· وهم فى كل مكان لبيك ··· لبيك يا رسول الله وتمت البيعة تحت الشجرة لا يغمد واحد منهم السيف أو يقتل ··· وانهم الرابحون يا رسول الله تبدلهم دنيا بعليا وفانية بخالدة ··· هم الرابحون يا رسول الله ، فلبيك ··· لبيك فى بيعة الرضوان ، ونظر ربك من عليين فرأى الأيدى مجتمعة على يد النبى قلوبهم هى أيديهم ، أرواحهم هى بيعتهم فينزل قوله عز قوله : « بسم الله الرحمن الرحيم : لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا · صدق الله العظيم » ·

(أصوات فرح)

صوت : قد جاء عثمان ··· قد جاء عثمان ·

الراوية : جاء عثمان ولم تعد ثمة حاجة لحرب ، ولكن هذه البيعة ظلت ذكرى كريمة تلوح للنبى عليه صلوات الله فح اح اليها ، كرمها القرآن فخلدها الزمان وسأل محمد عثمان عما يقوله القوم فقال لا يقبلون ولكنهم سيفاوضونه على خطة يرضاها

(موســـيقى)

أبو سفيان : نرسل اليه سهيل بن عمر فيوثق بيننا صلحا ·
صوت : الرأى ما تقول
آخر : أنؤمن تجارتنا القادمة عن طريق المدينة ؟ و ···

(موســـيقى)

سهيل : صلحا بيننا يا محمد ·

الراوية : ويسأل النبى وعلام الصلح ؟

سهيل : ترحل عنا فى عامك هذا وتحج فى العام القادم و ...

(موســـيقى)

الراوية : وقبل محمد ما يريدون فهو يدعو اليه على بن أبى طالب وسهيل بمشهد : « ويملى النبى على على : بسم الله الرحمن الرحيم » .

سهيل : امسك ، لا أعرف الرحمن الرحيم ، بل أكتب باسمك اللهم .

الراوية : ومن أين لهم أن يعرفوا الرحمن الرحيم ؟ ولكن هو الله جلت أسماؤه وتعددت ويملى محمد « باسمك اللهم هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو .

سهيل : امسك لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ولكن أكتب اسمك واسم أبيك .

الراوية : ان النصر على النفس هو أروع غايات النصر ، لم يثر النبى عليه ولم يعارضه ، وانما كظم غيظه وينفذ ما يوحى اليه ، فهو يقول ، أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعنى ، وأملى لرسول الله الرسول صلح الحديبية يهادن فيه قريشا عشر سنين على أن يرد الرسول من يجيئه من قريش مســلما بغير اذن من وليه ولا ترد قريش من يجيئها من المسلمين ، وأنه لا جناح على من يريد مخالفة الرسول من العرب ولا جناح على حليف قريش ، وأن يرجع محمد فى عامه هذا ويعود بعد فى العام الذى يليه فيدخل ومن معه الى مكة ويقيم بها ثلاثة يحملون من الســـــلاح السيوف فى اغمادها وما أن تم الصلح حتى

صوت : لبيك يا رسول الله انى أشهدك أنى مسلم .

سهيل : من ولدى أبو جندل ... ماذا تريد ؟

أبو جندل : أشهد ألا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، اليك محمد اليك .

سهيل : بل أقصر اليها الأحمق وارجع .

أبو جندل : (صائحا) يامعشر المسلمين أتردوننى الى المشركين يفتنوننى فى دينى ؟!

سهيل : أقصر لعنتك الاله .

أبو جندل : لعنت آلهتكم ٠٠ أتضربنى وتزجرنى ان أقــول ربى الله ؟ الى محمد الى ٠

الراوية : ويرى محمد هذا المسلم الجديد ولكنه كان قد ارتضى عهدا فهو لا ينقضه ويقول : « يا أبا جندل أصبر واحتسب فان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين مخرجا ، وانا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله ، وانا لا نغدر بهم ٠

أبو جندل : الى محمد الى ٠٠٠ (يضعف الصوت) الى محمد الى ٠٠٠ (ويزداد ضعف الصوت) الى محمد الى ٠٠٠

(موســــيقى)

الراوية : وقام الرسول مع أصحابه ، ثم صلى ، فاطمأن قلبه الى آن الصواب هو ما فعل وهل يصدر عن الهدى ٠٠ ثم قام الى بعيره فنحره ، ثم جلس فحلق رأسه ايذانا بالعمرة ، وحلق النــــاس معه وأتموا العمرة وقاموا يتهيأون للمسير ٠

صوت : غير راض أنا شهد الله عن هذا الصلح ٠

آخر : يا أخى أصبر فالسنون قادمات ، والخير معقود بها ، ومهما تكن الأمور حازمة فلابد لها يوما من فرج ٠

الأول : أشهد الله أنى غير راض ٠

الثانى : بل ارض يا أخى ، فلقد ربحنا والله أن نحج كل عام فلا يتعرض أحــد لنــا بشر وربحنــا أن نحالف من العرب من نشاء ، ولا تتعرض قريش لحلفائها ، والأيام مخفيات عنك من الخير مالا تعلم ٠

الأول : أنظر لقد نزل الوحى على النبى ٠

(موســــيقى)

الراوية : وأوحى الله الى رسوله سورة الفتح «بسم الله الرحمن الرحيم» : انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما » صدق الله العظيم ٠

الأول : الله أكبر ٠٠٠ انه النصر ٠٠٠ انه الفتح ٠

الثانى : أى وربك انه الفتح المبين ٠

• عودة وغفران

تخفت الموسيقى وتظل ملازمة للمشهد

ناعسة : حياك الله يا حارث فأنت نعم الزوج .

حارث : بل حياك أنت يا ناعسة ... فلقد والله جعلت حياتى متعة .

ناعسة : لقد مهد الحب للزواج .

حارث : وامتد الحب بعد الزواج يا ناعسة ...

ناعسة : طالما خشيت والله أن يكون الزواج بيننا هو نهاية حبنا ... ولكن حياك الله حارث فقد بقيت على حبك الذى كان .

حارث : وبقيت أنت على حبك ناعسة .

ناعسة : فظللنا وكأننا مانزال هناك نلهو بضياء القمر ، وهو يلقى الينا بخيوطه ، فاذا هى حولنا مضناءة نمد اليها أيدينا نحاول أن نمسكها فتنضم أصابعنا على النور ، فاذا هى فضاء ، كنا نرى ضوء القمر ولا نطيق أن نمسكه ، كنا نرى فيه حبنا الذى تجسم يكاد يتجسد أمام أعيننا ، ثم نحن لا نعرف من أين ينبث .

حارث : هناك على الرملات الحبيبة ، على سفوح الكثبان ، كنا حبا ... لم تكن أجسامنا وأنفاسنا ولعبنا وجدنا الا حبا . كنا الحب . أحسه الناس معنى وتجسد فينا كلينا حبا .

ناعسة : فاذا أجسامنا تكاد تشف فتذوب فى ضياء القمر ، فتصبح ضياء مع الضياء ، أو نسيما مع النسيم .

حارث : ما أحلى الأمسيات !

ناعسة : وما أحلى الذكريات !

حارث : رعاك الله ناعسة ذكرت الخير عنى ، ولم تذكرى فقرا شقيت به فى حياتك الى جوارى .

ناعسة : حذار يا حارث أن تعود الى هذا الحديث · انما الفقر هو الحاجة · أما ونحن نستتر بقليل مالنا حياء وجوهنا ، أما ونحن نطلب من أحد شيئا فنحن والحمد لله فى وافر من الغنى ·

حارث : لك الله يا ناعسة ، وأين منك هذا الغنى ؟ أحسبتنى غبيا ؟

ناعسة : الغنى يا حارث فى اننا نجد قوت يومنا ، ونجد الملبس الذى يسترنا ·

حارث : أى قوت وأى ملبس ؟ وأنت الفتاة فى ربيع الحياة وأنا الشاب فى نضرة الشباب ، انما نريد الأكل الوفير · ولا نصيب الا القليل ونريد الملبس الفاخر فلا ننال الا الحقير ، انه البؤس يا ناعسة ·

ناعسة : بل هو النعيم ، وما أخشى والله الا قلقك هذا وعدم رضـــاك وتبرمك بحياتنا ، وهى أهنأ ما تكون ·

حارث : انما الهناءة فى الغنى يا ناعسة ·

ناعسة : بل فى الحب يا حارث ·

حارث : لا يفارق ضوء القمر خيالك ·

ناعسة : ولا يفارق ضوء الدينار خيالك ·

حارث : الدينار حقيقة ·

ناعسة : والقمر حقيقة ·

حارث : الدينار حقيقة فى الأرض ونحن فى الأرض ·

ناعسة : والقمر حقيقة فى السماء ونحن الى السماء ·

حارث : خيال ·

ناعسة : لأنى أخشى عليك الحقيقة ·

حارث : تهربين منها ·

ناعسة : بل أتجاهلها مادام علمى بها لا يفيد ·

حارث : أما أنا فأعرفها ، وأحسها وألمسها وأثور عليها وأسعى الى تغييرها · لابد من الغنى ·

ناعسة : أما يكفيك الستر مع الحب ؟

حارث : بل لابد من الغنى ·

(موسيقى تنتهى بطرق على الباب)

نائلة : من يطرق الباب ؟

حارث : أنا ·

نائلة : (وهى تفتح الباب) ومن أنت ؟

حارث : حارث .

نائلة : وما تريد يا حارث ؟

حارث : أحسن كل عمل ولا أجد عملا ، وقيل انكم تطلبون رجلا يقوم على أعمالكم فى الزراعة .

نائلة : ومن أنبأك ؟

حارث : صديقى هشام الحضرمى .

نائلة : فانتظر حتى أدعو أخى .

حارث : انى منتظر .

(جملة موسيقية)

أسامة : ادخل يا حارث .

حارث : السلام عليك يا سيدى ورحمة الله .

أسامة : أبلغتنى أختى أنك تريد أن تعمل لنا ؟

حارث : أى والله .

أسامة : وهل عملت قبل اليوم فى مثل هذا ؟

(موســــيقى)

حارث : شكرا يا هشام .

هشام : خيرا ياحارث .

حارث : لقد قبل سيدى أسامة أن أعمل له ، وسيجزل لى المكافأة ، وقد طلب الى أن أذهب الساعة الى ضياعه .

هشام : هنيئا ياحارث ... هنيئا لك .

حارث : فبربك هلا قصدت الى زوجتى ناعسة وأنبأتها أنى قد عملت ؟

هشام : أفعل يا حارث .

حارث : وقل لها ...

(موســــيقى)

هشام : فهنيئا لك يا ناعسة .

ناعسة : (فى صوت لا يبين فيه الفرح) شكرا لله لك يا هشام .

هشام : ولقد أنبأنى انه سيتأخر عنك يومين أو ثلاثة أيام .

ناعسة : وأين يعمل ؟

هشام : عند أسامة بن يعقوب .

ناعسة : ذلك الغنى الواسع الغنى ؟

هشام : نعم ٠

ناعسة : ولكن لأسامة ضياع كثيرة ، وأموال ضخمة ٠ أيستطيع الحارث أن يقوم بهذا العمل جميعه ؟

هشام : يستطيع لا شك ٠

ناعسة : وأين بيت أسامة ؟

هشام : بجانب دكانى ٠

ناعسة : ولكن ألم يستطع الحارث أن يأتى الى لينبأنى هو ؟

هشام : لقد طلب الى أن أفعل هذا عنه لأن أسامة صحبه الى الضياع من فوره ٠

ناعسة : شكرا هشام ٠

هشا : لا شكر بيننا يا ناعسة ٠ انت تعرفين مكانك منى ٠

ناعسة : (فى جد) شكرا هشام ٠

(موسيقى تنتهى بطرق على الباب)

أسامة : من يطرق الباب ؟

ناعسة : أنا ٠

أسامة : (وهو يفتح الباب فى دهشة واعجاب وترحيب) مرحبا ٠٠ أيا تكونين ومهما تكونى ٠

ناعسة : (فى جد) أننى زوجة الحارث ٠

أسامة : زوجة من ؟

ناعسة : زوجة الحارث ٠

أسامة : أى حارث سعيد هذا الذى أنت زوجته ؟

ناعسة : الحارث بن زياد الذى يعمل لكم ٠

أسامة : هذا الحارث ٠٠٠ أنت بكل جمالك هذا زوجة الحارث الذى يعمل عندنا ٠

ناعسة : (فى صرامة) ويشرفنى ياسيدى أن أكون زوجته ؟

أسامة : (فى سخرية) ويشرفك أن تكونى ؟

ناعسة : (فى صرامة) سمعت ياسيدى انك غنى ، وحسبت أن المال يهذب النفوس ٠

أسامة : (فى جد) سيدتى أنه مهما تكون النفوس مهذبة ، فانها لا تطيق أن ترى هذا الجمال الآسر ، ولا تعرب عن اعجابها .

ناعسة : انك فارغ أيها السيد ، تحسب أن تسخر من الناس ، ولست بمن تقبل أن يسخر منها أو من زوجها أحد مهما يكن هذا الأحد أنت .

أسامة : (فى جد) أنا لم أسخر منك أو من زوجك أيتها السيدة ، ولكننى أعجب أن يتزوج هذا الجمال كله (في سخرية) حارث مجرد حارث .

ناعسة : ان الحارث يا سيدى رجل لا يعرض لنساء الآخرين .. ولا يسخر من فقر الرجال ، ولا يزهى بماله كما تزهى أنت .. لقد وهب الله لك المال ليمتحنك به ، فويل لك يا سيدى ، فما رأيت رجلا أساء استعمال ماله كما تفعل .

أسامة : وماذا فعلت ؟

ناعسة : جعلت منه زهوا ، وكان عليك أن تجعل منه أخلاقا ومروءة ، وجعلت من الفقر سخرية ، وكان عليك أن تجعل الفقر مجالا لاظهار كرمك .

أسامة : لو شئت والله وهبت لك من المال فوق ما تطيقين حمله .

ناعسة : خسئت لست بذاك .

أسامة : الى هذا الكلام ؟

ناعسة : فلمن ان لم يكن لك ؟

نائلة : خيرا من تلك التى تحادثها فتطيل الحديث .

ناعسة : انه أنا يا سيدتى .

نائلة : ومن أنت يا أخت ؟

ناعسة : أنا زوجة الحارث الذى يعمل لكم ، جئت أسأل عنه ، فقد أنبأنى أنه سيغيب يومين فغاب أسبوعا .. قصدت الى صديقه هشام أسأله عنه فلم أجده ، فجئت اليكم فلقينى هذا الرجل .

نائلة : أما تعرفين هذا الرجل ؟

ناعسة : يقول انه أسامة وما أظنه أسامة .

نائلة : ولم ؟

ناعسة : فيه من خلق العبيد ، وما فيه من خلق الأحرار .

ثاثلة : لك الله أسامة ، لقد أسأت الى ضيفه ٠٠ فعذرا يا أخت ٠٠٠ اذهبى أنت الى منزلك وسأرسل أنا الى الحارث ٠٠٠ لا عليك يا أخت ٠٠ لا عليك !

ناعسة : شكرا ، الله لك يا سيدتى ٠٠ شكر الله لك ٠

(موســـــيقى)

الحارث : بشراك ناعسة ٠٠ أصبت الغنى الوافر والحظ السعيد ، هاك ، هاك بعض مالى ٠٠٠ بشراك ناعسة ٠

ناعسة : بل لا بشرى ، فانك تتركنى الأيام الطوال ، والبيت وحيـد ، وأخشى أن يدخل لص يسرق المال ، أو يسرق ٠٠٠

الحارث : أو يسرق ماذا ؟

ناعسة : أثاث المنزل ٠

الحارث : لا عليك ، فنحن فى موسم المحصول ، فاذا انتهى الموسم فسأكون الى جوارك ليل نهار ٠

ناعسة : أخشى أن يطول موسم المحصول الى آخر العمر يا حارث ٠

الحارث : ما هذا القول يا ناعسة ؟

ناعسة : أخاف يا حارث ٠

الحارث : لا عليك ناعسة ٠٠٠ لا عليك ٠٠ أتركك بخير ٠

موسيقى (فيها شيء من الحزن تنتهى بطرق على الباب ويفتح الباب)

صوت : السلام عليكم (يبين على الصوت كأنه يحمل حملا كبيرا) ٠

ناعسة : وعليك السلام ، ماذا تريد ؟

الصوت : (وهو لا يزال مجهدا بحمله) أليس هذا بيت الحارث بن يزيد ؟

ناعسة : انه بيته ٠٠ فماذا تريد ؟

الصوت : أما ترين أنفاسى المتلاحقة ؟ هلا تركتنى أنزل حملى ، ثم سألت ما أردت أن تسألى ؟

ناعسة : بل والله لن تنزل شيئا حتى أعرف من أنت وماذا تحمل ؟

الصوت : أما أنا فخادم لن يفيدك اسمى فى شيء ، وان أردت أن تعرفى فهو رفيق ، وأنا خادم سيدى أسامة بن يعقوب ٠

ناعسة : فوالله لن تنزل حملك هذا ، ووالله لن تدخل هذا البيت أنت حمال ··· امض أيها الحمال ·· امض ·

رفيق : بل انتظرى ألتقط أنفاسى وأحادثك ، أنت لا تعرفين ما أحمل ··· انه الحرير والدمقس ، والشفائف واللفائف ، والمخرمات و ···

ناعسة : امض يا حامل الاثم ·· امض ·· لا أرانى الله وجهك ·· امض ·

(صوت باب يصفق ويعقبه بكاء من ناعسة يتخلله طرق على الباب مستمر مدة ، ثم ينقطع الطرق ويستمر بكاء ناعسة الذى ينتهى ببكاء من أسامة) ·

أسامة : أحبها ··· أحبها ·

رفيق : لا عليك يا سيدى ··· هون عليك ·

أسامة : أحبها يا رفيق ··· أحبها ···

رفيق : أشهد يا سيدى ، وقد خدمتك السنين الطوال ، أن واحدة ممن عرفت لم تكن على مثل هذه العفة أبدا ·

أسامة : ولكنى يا رفيق أحبها أكثر ممن عرفتهن جميعا ·· ماذا أفعل يا رفيق أما من فكرة ؟

رفيق : لا يا سيدى ·· ليس الى المرأة الشريفة طريق غير الزواج يا سيدى ·

أسامة : (فرحا) الزواج ·· هو الزواج ·· أريد الزواج بها ·

رفيق : (فى سخرية) ان المرأة لا تتزوج من رجلين ·

أسامة : أعرف ذلك أيها المتذاكى ·

رفيق : تعرفه طبعا ، ولكنك تقول أنت تريد الزواج بها ·

أسامة : نعم ··· (هامسا) نريد أن نجعل زوجها يطلقها ·

أسامة : (مرددا فى همس) زوجها يطلقها ؟!

أسامة : أجل ·· ألا تعرف وسيلة ؟

رفيق : والله يا مولاى ··· والله يا مولاى ··· هناك وسيلة ··

(موسـيقى)

الحارث : هيه رفيق ··· أما تدرى لماذا أرسل الى سيدى أسامة ؟

رفيق : اخفض صوتك ·

الحارث : (هامسا) ماذا ؟

رفيق : ان أسامة لا يعرف انك عدت ·

الحارث : ماذا ؟

رفيق : اتبعنى نذهب الى مكان أمين ٠

(جملة موسيقية)

الحارث : ماذا بك رفيق ؟

رفيق : ان الأمر خطير يا حارث ٠٠٠ لقد كشفت أمرا عجيبا ٠

الحارث : ماذا كشفت ؟ ألا قل يا أخى ، فقد أضجرتنى همسا ٠

رفيق : سيدتى نائلة ٠

الحارث : مالها ؟ أهى مريضة ٠٠٠ مالها ؟

رفيق : مريضة بداء عجيب ٠٠٠ مريضة بحبك ٠

الحارث : أجننت ٠٠٠ أتحبنى ؟

رفيق : حب يقيمها الليل الطويل شاردة الذهن ، والنهار الطويل ، ذاهلة الخاطر ٠

الحارث : أجننت ؟!

رفيق : بل الأدهى من ذلك أن أخاها قد عرف الأمر جميعه ٠

الحارث : عرف ماذا ٠٠٠ ؟

رفيق : عرف حبها لك ، وأوشك أن يقتلها ، ولكنى هدأت مضطربة ٠

الحارث : **ويلى ، فهل آن لى اذن أن أترك العمل الآن ؟**

رفيق : **يا لك من أبله ، لقد ظللت به أناقشه حتى قبل أن تخطب اليه أخته فيزوجك لها ٠**

الحارث : **من ٠٠ ؟ أنا ٠٠٠ أجننت ؟ أنا أتزوج هذا الغنى الواسع ؟! أنا ٠٠٠ أنا الفقير أنا ؟!**

رفيق : نعم أنت ٠٠٠ والعجيبة أن أخاها قبل ذلك ، فقد هددته ان لم تتزوج منك أن تقتل نفسها ويكون أمرها فضيحة بين الناس ٠

الحارث : هل جننت يا رفيق ؟

رفيق : وقد أرسلت اليك دون أن يعرف سيدى أسامة ، ولم يبق الآن الا أن تتقدم من سيدى أسامة تطلب اليه أن يزوجك أخته ، وحذار أن تخبره بما قلته لك الآن ٠٠ حذار أن تخبره ٠٠

(موســـيقى)

الحارث : (مترددا) سيدى ٠٠٠

أسامة : ماذا يا حارث ؟

الحارث : أمنية يا سيدى طالما داعبت خيالى ، وطالما رددتها عن تفكيرى ، ولكنها تستبد بى كل يوم ، فلا أطيق منها فرارا ٠

أسامة : ما هى يا حارث ؟ .. قل ... فلقد والله عرفت فيك الفتى المخلص فى عمله الأمين فى واجبه .

الحارث : يا سيدى أنا أعرف مكانك منى ، ومكانى منك ... وأعرف يا سيدى أنك أغنيتنى بعد فقر ، وأكرمتنى بعد هوان ، فان أقدم اليك أطلب منك أمرا ، فما هو الا أمل يدعونى الى التعلق به فضل سبق ، ومكرمة سلفت ، ويد أسبغت .

أسامة : لقد أطلت حارث ، وما أحسب مطلبك الا جليلا .

الحارث : وانه الجليل ، سيدى أطلب اليك أن تزوجنى أختك سيدتى نائلة ..

أسامة : يا أخى انما أنت خاطب ، والخاطب لا يحتاج الى هذه المقدمة الطويلة ، فانك بخطبتك تعلن حسن رأيك فى وفى أختى .

الحارث : خشيت يا سيدى أن تحسب انما أخطبها لغناها ، وأننى أتعلق بالغنى وحده .

أسامة : وهب انك كذلك ؟ .. اسمع يا حارث .. اننى لا أعارض فى هذا الزواج ولكننى لابد لى أن أسأل أختى .

الحارث : ألا تعارض أنت يا سيدى ... ألا تعارض ؟

أسامة : اذا رضيت هى بك ، فلماذا أعارض أنا ؟

الحارث : (وفى دهشة) اذن فقد صدق ...

أسامة : (مقاطعا فى سرعة) من ذلك الذى صدق ؟

الحارث : ظنى ... صدق ظنى يا مولاى .

أسامة : اذا كان الغد ... فتعال تعرف الجواب .

(موسيقى)

الحارث : سيدى .

أسامة : هنيئا يا حارث .

الحارث : أحقا يا سيد ... يا صهرى !

أسامة : الا ان لها شرطا واحدا .

الحارث : فلتقله يا سيدى .

أسامة : ألم تحدسه يا حارث ... ألم تعرف ما هو ؟

الحارث : (مترددا) لا ... لا لم أحدسه .

أسامة : ان أختى نائلة فتاة فى ربيع العمر ولا تحب أن تتزوج من رجل له زوجة فى بيته .

الحارث : (فى تردد) وماذا تريد أختك يا سيدى ؟ ٠٠ هه ٠٠ ماذا تريد ؟

أسامة : طلق زوجتك تقبلك نائلة زوجا ٠

الحارث : أطلق زوجتى ؟!

أسامة : تتزوج من نائلة ٠

الحارث : (مندفعا) فزوجتى ٠٠٠ (يسكت)

أسامة : اذن فأنت لا تحب نائلة ٠

الحارث : (فى ألم وحزن) فزوجتى ناعسة منذ اليوم طالق ٠

أسامة : فأكتب الطلاق ٠٠٠ ولا يشغلك مؤخر الصـداق ، فهى هدية عرسك ٠٠ (ضاحكا ضحكة) هديتى فى زواجك من أختى نائلة ٠

(ضحكة كبيرة)

(موســـيقى)

أسامة : اننى أخطبك الى نفسى يا ناعسة ٠

ناعسة : مالى الى الزواج رغبة يا سيدى ٠

أسامة : أى عيب ترينه فى يا ناعسة ؟

ناعسة : أنا لا أراك يا سيدى ٠٠٠ أنت دائما مختبىء وراء أموالك ، انك شىء تجعل أموالك أهم شىء فيك ، ولو جعلت انسانيتك أهم شىء فيك لكنت خيرا من ذلك ٠

أسامة : أنا لا أفهم عنك شيئا ٠

ناعسة : ذلك أن الذهب معدن صلب جامد بارد ، وهو يا سيدى يغلف قلبك وعقلك ، ولو أنك يا سيدى أزحته عن فهمك وشعورك وعشت حياتك ومالك فى يمينك سلاح للفقير لا سلاح عليه ، وقوة للضعيف لا قوة للشر ، لو أنك فعلت لأحسست متعة الحياة ، بل أحسست متعة الغنى الذى تتمتع به ٠

أسامة : اننى أحس متعة الغنى يا ناعسة ٠

ناعسة : هيهات ٠٠٠ ليست متعة الغنى فى المرأة المشتراة ، ولا الكأس الناعمة ، لا ولا فى القصور والحرير وهذا الفراغ ، ان متعة المال تحسها ــ ان كنت تحس ــ فى دمعة المسكين الذى تدفع عنه الذلة ، وفى شكر المحتاج الذى رفعت عنه حاجته ، وفى اعزاز كريم ذل ، أو غنى افتقر ، أو خير آثم ٠

أسامة : انى أخطبك الى نفسك يا ناعسة ، فما هذا الحديث ؟

ناعسة : سيدى أنا لا أتزوج جمادا وأنت جماد ٠

أسامة : أنا جماد ؟

ناعسة : وهل الذهب الا جماد ؟

هشام : (من الخارج ويصاحب صوته طرق على الباب) افتحى يا ناعسة ٠

ناعسة : (وهى تفتح الباب) مرحبا هشام ٠

هشام : من ٠٠٠ سيدى أسامة ٠٠٠ أأنت هنا ؟

أسامة : مرحبا هشام ٠

هشام : ناعسة جئت أخطبك لنفسى ٠

ناعسة : وانى قبلت يا هشام ٠

هشام : فمتى الزواج ؟

ناعسة : متى تريد ؟

هشام : غــدا ٠

ناعسة : غــدا ٠

(موســيقى)

الحارث : أنجز حر ما وعد يا سيدى أسامة ٠٠٠ لقد ماطلتنى الشهور الطوال ، وفرضت على أن أنتظر حتى توفى امرأتى عدتها ، وفرضت على ألا أعود من الضياع أبدا وألزمتنى مكانى القاصى هنــاك ثلاثة أشهر ٠٠٠ فأنجز حر ما وعد يا سيدى ٠

أسامة : أى حر ، وأى وعد ؟

الحارث : أن أتزوج من أختك نائلة ٠

أسامة : من أختى ؟ أختى أنا ٠٠٠ هل جننت ؟

الحارث : ســيدى !

أسامة : انت منذ اليوم مفصول عن عملك ٠٠٠ لا مكان لك هنا أيهــا المجنــون ٠

(موســيقى)

الحارث : سلام يا هشام ٠

هشام : مرحبا حارث ٠٠٠ مرت شهور طويلة لم أرك ؟

الحارث : أو تحب أن ترانى يا هشام ؟

هشام : ولم لا ؟

الحارث : نعم ٠٠ ولم لا ؟ اننى يا هشام قد صرت الى ضيق من المال وكنت قد تركت عند زوجتى (ويستدرك بعدها ويميل صوته الى البكاء) زوجتك ناعسة بعض المال ٠٠٠ فهلا طلبته لى منها ؟

هشام : بل اذهب أنت اليها واطلبه ٠

الحارث : أتقصد أن أذهب أنا حقا يا هشام ؟

هشام : ولم لا ؟ ٠٠ انك أخى منذ الطفولة الأولى ، ولا تزال أخى ٠٠٠ اذهب حارث اليها واطلب مالك بارك الله لك فيه اذهب أخى ٠
(موسيقى تصاحب المشهد)

الحارث : سلاما يا ناعسة ٠

ناعسة : (فى بعض جفاء) سلاما يا حارث ٠

الحارث : تركت عندك بعض المال ٠

ناعسة : (فى سخرية ناعمة) لا تزال تجرى وراء المال يا حارث ؟

الحارث : بل زهدته يشهد الله ٠

ناعسة : بل هانئذ تغيب الشهور ولا تعود حين تعود الا لتطالب بمالك ٠

الحارث : كان لابد لى أن أخلق للمجىء عذرا ناعسة ٠٠٠ ناعسة رفقا ٠

ناعسة : فهل رفقت بى أنت وأنت تطلقنى ؟

الحارث : ان أكن أخطأت ففى هواك فسحة من العفو ٠

ناعسة : انما الهوى خيال ٠

الحارث : بل حقيقة ٠

ناعسة : انما الهوى خيال ٠

الحارث : بل حقيقة ٠

ناعسة : بل الدينار هو الحقيقة ٠

الحارث : انه الهوى يا ناعسة فرفقا ٠٠٠ انه الهوى (يبكى)

ناعسة : (فى صوت باك) أتبكى شيئا أنت من فعلته ؟ ٠٠ لن يفيدنا البكاء شيئا يا حارث ٠٠٠ لن يفيدنا فى شىء ٠

الحارث : (باكيا) حسبى الله ونعم الوكيل ٠٠٠

هشام : ابك يا حارث ٠٠٠ وابك أيضا ولا تنقطع عن البكاء ، لعلك تغسل عن نفسك ألمها ٠

الحارث : هشام ٠

هشام : ابك فقد تجنيت ٠٠٠ وما أصدق دمعة الجانى ٠

الحارث : رحماك هشام ٠

هشام : فوالله ما رحمك الا هشام ٠

الحارث : أحقا هشام ؟

هشام : أنت طالق يا ناعسة ٠٠٠ أنت طالق طلاقا بائنا ٠٠٠ تزوجتها من أجل أخى وأحسست حبها لك ، فجعلت من زواجى بها أخوة طاهرة ، فأنت منذ اليوم طالق ، فاصفحى عن حارث ٠

ناعسة : رعاك الله يا هشام ٠٠٠ وأنا صافحة ٠٠٠ عفوت يا حارث ٠٠٠ فما طريقك منذ اليوم ؟ ٠٠ أهو القمر أم الدينار ؟

الحارث : (فى فرح) الى القمر يا ناعسة ٠٠ طريقا الى القمر ٠

ناعسة : الى السماء يا حارث ٠٠٠ طريقا الى السماء ٠

***

● نبل وخيانة

(موســـيقى)

المذيع : ابراهيم بن المهدى أخو الرشيد .. شاعر رقيق ولكن شــهرته بالعزف والغناء كانت أبعد مدى ... لما تولى الخلافة ابن أخيــه المأمون وخرج عليه ولم يعترف له بها وادعى هو الخلافة لنفسه ... وأقام بالرى يسكب على نفسه صفات الخلافة مدة سنة وتزيد ، لم يشأ المأمون خلالها أن يأخذه بأسباب الشدة . فلما رأى أنه لا ينتهى قصد اليه فى جيش ، لم يصبر عليه ابراهيم وترك كرسى الخلافة وخرج يبتغى من قصاص المأمون هربا .... ان ابن المهدى لفى حيرة من أمره ليس يدرى أين يولى وجهه ؟ .. ها هو ذا يقطع طرق الرى مستخفيا لا يتبعه من خاصته غير سميره الأمين هشام .... لقد أعيتهما المطاردة واشتدت بهم الظلمة .

(موســـيقى)

ابن المهدى : مر اليوم يا هشام .. لا يستطيع أن نصل الى المأمن .. ان الساعة لطويلة على الخليفة الهارب .. فما خطبك وقد مرت هــذه الساعات ؟

هشام : الله فى عون مولاى .. الى أين يا ترى يقودنا الخوف ؟

ابن المهدى : الى أين ؟ اليها بلا ريب .. الى عاتكة .. انها نعم الملجأ .

هشام : أتظن ذلك يا مولاى ؟

ابن المهدى : أظن ؟! .. بل هو الوثوق بعينه .. انها آمن على من نفسى .

هشام : أمـــرك .

ابن المهدى : ولكن أتظن الطريق اليها أمينا ؟

هشام : والله يا مولاى لا أدرى .. ان الجائزة التى وعد بها المأمون لمن يعثر عليك جائزة مغرية .

ابن المهدى : نعم ‥ مائة ألف درهم ··· وانى لأعرف كثيرا من أغنياء هـذه المدينة يتمنون لو حصلوا عليهـا ، فما ظنك بالجند وكلهم فقـير ؟

هشام : أخاف يا مولاى ·

(تسمع حوافر الخيل من بعيد تقترب رويدا رويدا)

ابن المهدى : ما هذا ؟ ‥ ادخل فى هذا الطريق يا هشام ‥ ان جماعة من الجند قاصدة الينا ·

هشام : وى ان الطريق مقفل يا مولاى ·

ابن المهدى : وما نفعل ؟ ‥ أنسلم ؟ ‥ اقتحم ·

هشام : انه حائط ·

ابن المهدى : انفذ دونه ·

هشام : انه سد منيع يا مولاى ·

ابن المهدى : حسبى الله ونعم الوكيل ··· رحماك يابن الأخ ··· رحماك يا مأمون ··· الله للزوجة والأولاد ··· حسبنا الله ·

هشام : بعض الأمل يا مولاى ‥ ان الجند لن تفطن الينا الا بعد برهة نكون فيها قد دبرنا أمرنا ·

(موسـيقى)

المذيع : فى بيتها ‥ عاتكة تجلس الى صاحبتها ، فيما يدور الحديث ··· ومن ذلك المسكين الذى ألقى به بين لسانيهما يتناولنه ؟ ‥ من ذلك الذى ألقى على وجهيهما كل هذا الجد وتلك الصرامة وذلك التنمر ؟ ‥ لنلق بآذاننا ‥ وحذار حذار أن تصل الينا العيون ·

عاتكة : لهفى على سيدى ابراهيـم ‥ نرى أين استقر به المكان الآن ؟ انى لأعلمه رقيق العاطفة حاد المزاج ، يحب أن يرى كل شيء مهيئا لراحته ··· ويحب أن يرى كل انسان مقبلا على رحابه ··· لهفى عليه الساعة لا شيء مهيىء له ولا رحاب له يقبل عليه ·

رائقة : دائما دائما لفظين لاسم واحد ··· ابراهيم وابن المهدى ···· أصدق ذلك أم تهويش ؟

عاتكة : بل هو الصدق ··· الجائزة كبيرة يا رائقة وليس فى النـاس أمين ألا أخاف ؟

رائقة : ما زال بالناس بعض الخلق ٠

عاتكة : أى خلق ؟ لقد أصبح الشرف من كلمات التاريخ ٠

رائقة : الفضل فى ذلك لك يا عاتكة ٠٠٠ ان لك على العبث بالشرف قدرة تعز على الشيطان ٠

عاتكة : أمزاحا والأمير شارد الخطب محدق والحال على ما ترين ٠

رائقة : مزاح ٠٠ أى مزاح تقصدين ؟ فوالله ما قلت غير الجد ٠

عاتكة : أليس مولاى من أخاف عليه ؟

رائقة : بل هو فوق ذلك ٠٠ هو من مد لك أسباب الحياة ٠

عاتكة : ألا أغضب اذن ؟

رائقة : تغضبين نعم ٠٠ ولكن حين تعلمين أنه سمح لغيرك أن يشى به ان كان قد وشى به ٠

عاتكة : أمقت ذلك يا رائقة ؟

رائقة : بل ولاء ٠

عاتكة : لى ٠

رائقة : للأمير ٠

عاتكة : فهى الغيرة اذن ٠

رائقة : منـــك ؟

عاتكة : ولم لا ٠٠ ألست امرأة ؟

رائقة : أما أنا فامرأة نعم ٠٠ وأما أنت ٠

عاتكة : فماذا (فى غضب) ؟

رائقة : فالشيطان ٠

عاتكة : نعـــم هو ما حرزت ٠٠٠ انه المقت والغـــيرة ٠٠ والله ما جئت الا متشفية لا تحمل غير الشر ٠

رائقة : انه يا أخت لا يتشفى فى ميت ٠٠٠ لقد عدمت الخير ٠

عاتكة : شكرا ٠٠ شكرا ٠٠ ألف شكر ٠

رائقة : عفوا ٠٠٠ ألف عفو ٠٠ وفرى عليك الحيلة فى طردى ٠٠٠ وفريها عليك تنفعك حين توقعين الأمير بالطيب ٠

عاتكة : كاد الحلم أن يخرج من يدى ٠٠٠ اخرجى رائقة أنا لا أطيق أن أرى الكره مجسما أمامى فى منزلى ٠٠٠ اخرجى بغير عودة ٠

رائقة : عودة ولم العودة ؟ ٠٠ ولكن بربك اذا ظفرت به ، فما أظنه الا آتيا اليك ، فاذكرى ثورتك بى واتقى الله فى نفسك مرة ٠٠ اذكرى أن

في العالم شيئا يسمى الشرف ··· قلته الآن على غير معرفة فاعرفيه مرة ·· مرة واحدة ·

عاتكة : الى الخارج رائقة واسرعى ·

رائقة : لا عليك عاتكة فأنا خارجة ·· سلاما ولا تنسى ···

(ضحكة تكملها موسيقى)

عاتكة : مولاى ·· لقد أمضتنى الفرقة وأباتنى الانتظار على فراش لا يهدأ ··· انه النار الآخذة يا مولاى ·

ابن المهدى : أراح الله مضجعك يا عاتكة ·

عاتكة : بيتك مولاى ··· لم كل هذا الغياب يا مولاى ؟ ·· ان لم تذكر جاريتك اليوم فمتى ؟

ابن المهدى : اليـوم وكل يوم ·· لست بالجارية عاتكة ولكنك الأخت والملجأ ··

عاتكة : أهلا بالأمين هشام أهلا ··· ما أظنكما الا لاقيتما من يومكما هذا تعبا ؟ ·· فهلم الى الراحة والهدوء ·

ابن المهدى : نعم هلم الى الراحة والهدوء ·· ألا يأتى أحد لزيارتك ؟

عاتكة : لا تخش شيئا يا مولاى ولا أحدا ··· فقد أذعت انى ذاهبة فى سفر فلن يخل بهدوئك مزعج ··· أهلا مولاى أهلا ·

ابن المهدى : أجل عاتكة ·· لقد كنت أنتظر منك هذا وفوق هذا ··· وكنت أخشى على رأسك الجميل أن ··· ولكن هذا أوان الشد ·· فاشتدى معى والله من فوقنا المعين ·

عاتكة : غبت عنى فأنا فى خشية دائمة وقلق مبيد ·· خبرنى يا مولاى ماذا فعلت فى يومك وليلك ؟ ·· ان الرجال لا تتخذ ملبسنا الا عند الشدائد ·· وها قد لبست وصاحبك هشام ثياب النساء ·· لا ضير عليكم فأنتم لباس لهن وهن لباس لكم ·· فداك نفسى يا مولاى ·· لقد لاقيتما نصبا ·

ابن المهدى : وأى نصيب يا عاتكة ·· لعلك تريدين أن تعلمى · لماذا لبست وصاحبى ملابس النساء ؟

عاتكة : أى والله يا مولاى ·

ابن المهدى : اليك ما كان ... دهمتنا الشرطة وكادوا يلحقوا بنا ، وكلهم يعرفنى والجائزة مغرية ، فرأينا بابا (صوت حوافر الخيل فى الظلام) ..

هشام : مولاى انى أرى بابا ... ما زال ينفذ من خلاله النور ... نطرقه والله معنا (يطرق الباب) ..

الصوت : (من الداخل) من يطرق الباب ؟

(صوت وقع حوافر الخيل أثناء هذا الحديث)

هشام : غريبان فى ضيق .. هل للضيف مكان ؟

الصوت : (وهو يفتح الباب) مكان رحيب .. مرحبا بالأضياف..أهلا.. (يقفل الباب)

(وقع الحوافر يعلو ثم يخفت ممتدا)

هشام : مكان رحيب حقا .. رحيب بكرمك يا أخا العرب .

الرجل : أنا وحدى فى البيت لا أنيس ولا سمير .

هشام : غريبان ... نحن من الكوفة نزلنا المدينة الساعة وضربنا فى طرقها نطلب خانا يضمنا ليلتنا .. فاشتبهت علينا المسالك وضللنا السبل .. وصلنا دارك وقد أخذ منا التعب مأخذه جميعا .. فقلنا نطرق الباب ولن يخلو البيت من كريم .. فلم يخل .

الرجل : أهلا بكما .. ليس والله كرما ما لاقيتماه ، ولكنه الأنانية وحب الذات ... فأنا وحيد ولا أنام من الليل الا أقله فهو عبء ثقيل ، لا أعرف كيف أقطعه ؟

هشام : نعاونك على قطعه ان شاء الله يا أخا العرب .

الرجل : ولكن ترى أتأذن لى أن أغيب عنكما بعض الساعة ؟ .. أقصد السوق وأعود فلا أعوق الا قليلا .

ابن المهدى : تقصد السوق ! أهو بعيد ؟

الرجل : أنا وحدى فى البيت لا يساكننى فيه أحد فلا حرج عليكما من غرفاته جميعا والسوق قريب .

ابن المهدى : (فى خوف وتردد) ما ترى .. ما ترى يا أخا العرب ؟

(صوت باب يقفل)

(موسـيقى)

ابن المهدى : طالت غيبة الرجل .

هشام : أتخشاه يا مولاى ؟

ابن المهدى : الجائزة تعمى البصر .. هشام ما قولك ؟ لقد أصبنا من الراحة الكفاية وما أظن الجند الا قد انصرفوا .

هشام : أنخرج مولاى والليل أسود والبرد قارس والمأوى بعيد والطريق مخوف ... فماذا نفعل ؟

ابن المهدى : أى شىء ... لن أبقى .

هشام : أمرك يا مولاى (لحظة صمت) الباب مقفل بالمفتاح يا مولاى .. ما أظن الرجل الا عرفنا .

ابن المهدى : كذا .. لا عجب أن تطول الغيبة اذن .. لابد أنه قصد المأمون ذاته .. ان موكب الخليفة يستغرق اعداده وقتا طويلا يا هشام .. ولعله الآن فى طريقه الينا يمشى فى بطء مشية الوقار والعظمة وما يعجله ؟ .. الصيد فى قفص مقفل وهو يسعى اليه ليلتذ النصر جميعا .. على مهله .. على مهله ولنمت نحن من الخوف قبل أن يميتنا السيف .. ولكن لا ... لا أنتظر انتظار النساء .. حطم البـاب يا هشام وليكن بعد ذلك ما يكون .. حطم البـاب قلت لك .

هشام : أمرك يا مولاى .

(يحاول كسر الباب . ثم يسمع طرق)

ابن المهدى : ما هـذا ؟

الرجل : (يفتح الباب) السلام عليكم .. ألهذا الحد تأخرت .. لقد أقفلت البـاب حتى لا يزعجكما مزعج .. أقبلا عـذرى فى التأخير فالسوق بعيد وما شريته كثير .

ابن المهدى : أكنت تشترى حقيقة ؟

الرجل : وما تظننى كنت أفعل ؟ .. اننى حجام صناعى اخراج الدماء الفاسدة من الأجسام .. صناعة ليست بالنظيفة على ما أعتقد .. خفت أن تتقرفا مما أستعمله .. فذهبت أشترى أوانى جديدة .

ابن المهدى : نعم أنت ونعمت صناعتك .... ان من يزيل ألم الانسان ملاك بعثه الله الى الأرض يخفف به من شرورها .

الرجل : على أية حال قد شربت الجديد وكم اريد ان أطهو لكما شيئا ٠٠ ولكن طهوى بدائى وأنا حجام ٠٠ فدونكما الاوانى فاطبخا شيئا تأكلانه ٠٠٠ ها هو الأكل ذا ٠٠٠ هذا لحم عبيط وعدا ٠

(موســـــيقى)

ابن المهدى : ما شعرت لذة لاكلة مثل هــذه ٠٠ مـا أجمـل أن يتذوق الانسان ما يصنعه ٠

الرجل : باركّكما الله لقــد آنستما وحشتى وأمتعتمانى ليلتى ٠ ووالله لابد أن يكمل هــذا السرور ٠٠ أملك هنا عودا ألجأ اليه فى أحد من حالين ٠٠ اذا أخذ على الضيق كل مأخذ فهو نجاتى منه ٠ واذا ألم بى السرور من كل صوب فهو قمة السرور ٠

هشام : نعم الملجأ والقمة ما اخترت ٠

الرجل : اضرب لكما عليــه ، أم تكون جـرأة كبيرة منى أن أعزف على مسمع من مولاى ٠

ابن المهدى : ويحك رجل ٠٠ أتعرفنى ؟

الرجل : منــذ الوهلة الأولى يا مولاى ٠ ابن المهدى ٠ أخــو الرشيد وعم المأمون وخليفتنا أدامه الله ٠

ابن المهدى : تقصد خليفتكم السابق لا شك ٠٠٠ ولكن ٠

الرجل : ولكن ماذا يا مولاى ؟ ٠٠ تقصد الجائزة ٠٠٠ أعلمها ، مائة ألف درهم ، قــدر كبير حقــا ٠ أعــلم ذلك ٠٠ ان طــرقك بابى يا مولاى ، مجرد طرقك ٠٠ لا يكافئه مال فى العالم ٠

ابن المهدى : نفس كبيرة تملكها ٠ ان نفسك تلك هى التى لا يكافئهــا مال أيها الحجام ٠٠ هات العود فوالله لأسمعنك أنا لحنــا تقاصرت عنه الفنون جميعا ٠

(يدق على العود)

الرجل : فنك مولاى فنك ٠٠ هو ملاذك وملجأك ٠٠ هو تلك النسمة التى يهبها الله لفــرد من عباده فيجدها عنــد الضيق فرجا وعنــد الفرج لسانا ٠ فنك يا مولاى فنك ألجأ اليه فانك فى عالم تتحطم دونه كل قوة وتنكسر على سياجه كل شوكة ٠٠ فنك يا مولاى فلتعزف مولاى ٠٠ ولنفسك تعزف والجمال والهدوء والسعادة كلها

فى هذه الأصابع الدقيقة تجريها وفى هاته الحنجرة الذهبية تطلقها الى غير سكوت ان شاء الله ‥ فنك مولاى فنك ٠

(يرتفع صوت العود)

(موســـيقى)

ابن المهدى : هاقد أقبل الصبح يا هشام وان فيه لعيونا كاشفة أخشى أن تفضح من أمرنا ما نستر ٠٠٠ فهلم نبغ مأمنا ٠٠٠

هشام : أمرك يا مولاى ٠٠٠ ولكن ألا تنتظر الرجل حتى يعود نشكـر كرمه وطيب ضيافته ؟

ابن المهدى : ما أظننى محتاجا لهذه الاشارة يا هشام ‥ انك تخاطب ابن المهدى ٠ لئن زالت الخلافة فان فى أعراقا عربية كريمة ، أنت أدرى الناس بها ٠

هشام : عفوا مولاى فوالله ما قصدت الا ٠٠٠

الرجل : (يدخل) سعيد صباح مولاى ٠

ابن المهدى : سعيد صباحك أيها الكريم ٠ لقد نوينا الرحلة ان شاء الله ٠

الرجل : على عينى ما انتويته ٠

ابن المهدى : كرم عريض لاقيته عندك ولا أملك لجميلك الآن ردا ٠٠٠ فهذ زت كرمك كرما ؟ ‥ وقبلت منى هذه الدنانير على ســبيل التذكار ٠

الرجل : والله يا مولاى ما دار بخلدى أن تهيننى هذه الاهانة ‥ لقـد ربحت من الدنيا فوق ما كنت آمل منها ‥ ابن المهدى ضيف على دارى الحقيرة ، وابن المهدى يغنى وأنا أسمع ، وابن المهدى يكرمنى ، فيعتبر تفضله بالنزول عندى أمرا يستحق منه الشكر ان آمـالى يا مولاى لتقصر أن تصل الى ما وصلت اليه اليوم ٠ وانه ان لم ترد هذا المـال الى جيبك قتلت نفسى وأنت عن دمى مسئول ٠

ابن المهدى : وبعد لك أيها الرجل ‥ تأبى الا أن تترك جميلك كاملا على كتفى ‥ عبء كبير ‥ أسأل الله العون ٠

الرجل : مولاى انى لا آمن عليكما أن تنزلا فى وضح الصباح والجائزة مغرية وما كل بمأمون الضمير ٠

ابن المهدى : أشر على اذن ٠٠ فما أطيق أن أبقى لديك لا أريم فيعـرف مكانى ويسعى الى ٠٠ أو أنا فى الحق لا أطيق أن أنتظر البـلاء وأنا فى مكان النساء لا أطيق ٠٠ أشر على فاخرجنى ٠

هشام : النساء ٠ أذكرتنى مولاى ٠٠ النساء ٠

ابن المهدى : ويحك أيها الرجل ٠ هل بك مس ٠ مالنا والنساء الآن ٠

هشام : نلبس لباسهن ونخرج ، فما أحسب أحدا ٠٠٠

ابن المهدى : اخسأ يا رجل ٠٠ لبس نساء ٠٠ أنا ألبس لبس النساء ؟!

هشام : وما يضيرك مولاى ؟ ٠٠ ألست الرجل مشهورة رجولتك ؟ ألست ابن المهدى لا ضير عليك من أجل السياسة أن تلبس لباس النساء ٠٠ ان لباس النساء يا مولاى هو أشرف ما يتنكر به الساسة من ملابس ٠٠ فتوكل على الله مولاى ٠٠ لبس النساء أيها الصديق ٠٠ لبس النساء ٠

الرجل : أحسبه صادقا فيما يذهب اليه يا مولاى فانهـا وسيلة تكـاد تنفرد ٠٠ سأحضر أنا هذه الملابس ٠

ابن المهدى : بئس يوم خطرت لى فيه فـكرة الخلافـة ٠٠ خنت القرابة وأضعت الأمانة وها أنا ذا مشتت الكرامة مسلوب مظاهر الرجولة ٠

هشام : أدام الله عليك الجوهر يا مولاى ٠

ابن المهدى : الجوهر ٠٠ الجوهر ٠٠ من يعلم الجوهر ؟ ٠٠الجوهر هو ذلك الدفين فى أعماق النفس ٠٠ لا يعلم أحد عنه شيئا ٠٠ الدنيـا كلها مظهر ٠٠٠ أنت امرأة اذا لبست لباسها والمـرأة رجـل اذا لبست لباسه ٠٠ انت امرأة حين تبدو لرائيك بملابس النساء ٠٠ أما ما أنت عليه حقيقة فان قلة يعرفونه ٠

هشام : أحسبنى يا مولاى لا أستطيع ردا ٠٠ كما أعتقد أننا محتاجون للوقت ٠٠٠ فغل يدك فيه بعض الشىء ٠ وخير لنا أن نفكر أين سنولى الوجوه ؟

ابن المهدى : أين نولى الوجوه ؟ كأنك قد نسيت ٠٠ الى جاريتى عاتكة ٠٠ نعم الملجأ هى ٠

هشام : أدامك الله مولاى ٠٠٠ ان ما سكبت عليها من الفضل ليلقى على قلوبنا الهدوء الأمين ٠

ابن المهدى : انك تقول هذا لما تعرفه ... أما ما تجهله فهو أكثر بكثير ... لقد عرفت هذه الجارية من أمرى ما لم تعرفه عنى جارية أخرى فى أى مكان وأى وقت .

هشام : ان قولك هذا يا سيدى وصف لما رأيناه نحن ... فان كان ثمة أكثر فاننى أخشى أن أقول لمولاى انه أسرف .

ابن المهدى : لقد قلتها فعلا ... على أية حال أسرفت أو وفرت . فات الوقت فهلم الى عاتكة .

هشام : هات أيها الرجل .. هات هذه الملابس .

الرجل : وأين عاتكة هذه يا سيدى هشام ؟

ابن المهدى : شكرا لك أيها الرجل النبيل .. لا تكلف نفسك مشقة المجىء الينا .. سوف نوافيك بأخبارنا على أنك فى غير حاجة الى أخبار . فهى خير ما دامت مقطوعة .. ولن يصلك منها الا ما لا تحب .. فعلى هذا انتظر .

الرجل : يرعاكما الله .. لقد شرفتنى يا مولاى وما أظن الله الا راعيك بفيض كرمه ووسيع فضله . يرعاك الله . يرعاك الله يا مولاى .

ابن المهدى : امسك فقد زدت الفضل افضالا بكلامك . فالى لقاء آخر . لقاء قريب .

هشام : أسرع يا مولاى . أسرع . الى عاتكة . الى عاتكة .. انها نعم الملجأ .

ابن المهدى : وهاندا عندك الآن يا عاتكة .. لا خوف ولا اشفاق .

عاتكة : عند نفسك يا مولاى .. بيتك .. بيتك .. لعلك تأذن لى مولاى . لو طلبت اليك أن أخرج الى السوق وأشترى ما أريد وأتسمع الأخبار .. تأذن يا مولاى ؟

ابن المهدى : نأذن يا عاتكة فأنا فى بيتى وفى مأمنى .. هيا هيا . وتصيدى أخبارا .. هيا اسرعى .

عاتكة : اذن فدونكما يا مولاى نردا .. اقطعا به الوقت حتى أعود (صوت أحجار النرد) .

(موسـيقى)

ابن المهدى : أيبعد السوق عن هنا يا هشام ؟

هشام : بل هو قريب يا مولاى .

ابن المهدى : فما هذه الغيبة اذن ؟ (صوت النرد)

هشام : ماذا ... أخوف مولاى ؟

ابن المهدى : (فى دهشة) من عاتكة .. أتخرف يا هشام .

هشام : لا خرف ولكنه مزاح .. عاتكة .. هل يخشى من عاتكة ؟ انها نعم الملجأ .

(جلبة شديدة تظهر من بعيد وتقترب ثم يقرع الباب بشدة) .

صوت : (من الخارج) باسم أمير المؤمنين المأمون بن الرشيد افتحوا الباب .

هشام : (يكرر فى سخرية مريرة) عاتكة . هل يخشى من عاتكة . انها نعم الملجأ .

(موسيقى)

(مجلس المأمون)

المذيع : المأمون بن الرشيد فى مجلسه .. تحيط به الأبهة من كل جانب . وقد التف حول عرشه النابغون من العلماء . وهو يأمر للمقرب فيجلس ولغيره فيقف والناس على وجوهها الوجمة وفى نفوسهم الرهبة ، والمأمون أثبت من الطرد تترقرق فى قلبه عواطف المحبة لعمه فلا يبديها . وتثور فى نفسه عوامل الانتقام والثورة فلا تجرؤ واحدة من هذه الخوالج أن تصل الى نأمه من وجهه . ها هو ذا ابراهيم بن المهدى يدخل متعثرا .

ابن المهدى : السلام على أمير المؤمنين المأمون بن أخى الرشيد .

المأمون : أو ذكرت أخاك فى قبره وابنه يؤوده العبء فيكاد ينوء به . أذكرتهما تدعى الخلافة وتخرج عليه . لا أنزل الله عليك السلام أبدا .. لقد كان خيرا لك تنسى العمومة والقرابة فلا توغل بهما فى جراح هى فى ذاتها عميقة كل العمق .. أيعترف الكل لابن أخيك بالخلافة وتنكرها أنت عليه وتدعيها لنفسك ؟ .. ولم تكن لك فى يوم (فى ثورة) أخلافه .

ابن المهدى : يا أمير المؤمنين .. ان ولى الثأر محكم فى القصاص والعفو أقرب للتقوى . وقد جعلك الله فوق كل عفو .. كما جعل ذنبى فوق كل ذنب .. فان أخذت فبحقك .. وأن تعف فبفضلك .

ذنبى اليــك عظيـم

وانت أعظــم منــه

فخــذ بحقــك أولا

فاصفح بحلمك عنـه

ان لم أكن فى فعـالى

من الــكرام فكنــه

المأمون : موقف لا أرضاه لك والله . ما كان أغناك عنه :

ابن المهدى :

أتيت ذنبـا عظيمـا

وانت للعفــو أهــل

فـان عفــوت فمـن

وان جــزيت فعــدل

المأمون : نسأل فيك الجالسين .

أصوات : نقتله شنقا .

أصوات : بل نذبحه .

أصوات : نمثل بـه .

(فترة صمت)

المأمون : ما لاحمد بن أبى خالد لا يقول رأيا .. ألق الدلو فى الدلاء .

احمد : يا أمير المؤمنين .. أن تقتله ، وجدنا مثلك قتل مثله .. وان عفوت عنه لم نجد مثلك عفا عن مثله .

المأمون : ايـه ؟

قـومى هموا قتـلوا أميم أخى

فاذا رميت أصــابنى سهمى

ابن المهدى : الله أكبر .. الله أكبر .. عفا والله أمير المؤمنين .

ما ان عصيتك والغواه تمدنم

أسبابهــا الا بنيــة طــائع

ملئت قلوب الناس منك مهابة

وتظــل تكلأهــم بقلب خاشع

فعفوت عمن لم يكن عن مثله

عفو ولم يشفع لديك بشافع

المأمون : أعوذ بالله أن أحوجك الى شافع عماه .. ولكن ما ترى فيمن رأى قتلك أن أبا اسحق أشار بذلك ؟

ابن المهدى : والله يا مولاى لو كنت مكانهما ما قلت بغير هذا .. لقد أحسنا النصح يا مولاى . وأحسنت أنت العفو وأنت له أهل .. فدفعت خشية منى بأمل فى صلاحى .. فلست والله ابن المهدى ان سمحت لامل لك أن يخيب .

المأمون : ان اعتذارك النابض بالحياة يؤكد صدقه يا عماه .. عماه لاقيت من المطاردة عنتا فهلا تصصت ما لاقيت .

(موســـيقى)

المأمون : ايذنوا للحجام بالدخول .

الحجام : السلام على أمير المؤمنين .

المأمون : وعليك السلام يا أخا العرب . انك والله لأكرم من أن تكون حجاما ... أبلغوا أمير الجند أن يضمه الى الجيش ويخلع عليه ويعطيه بيتا يسكن فيه .

الحجام : مولاى .. اننى أقبل ما تأمر به لأنه أمر منك لا أملك من دونه ردا .. أما أنا .. فوالله ما كنت أرجو بعد الشرف الذى نلته الا أن أعيش فى ذكراه .. وسأعيش ان شاء الله فى غمرة فضلك وفى ذكرى هذه الليلة التى شرفنى فيها عمك . أدامكما الله .

المأمون : ايذنوا للمرأة بالدخول .

عاتكة : السلام على أمير المؤمنين .

المأمون : خبرينى يا امرأة ؟ ما الذى حملك على ما فعلت .. أتخوننىّ من ائتمنك ؟ .. أيتقرب الى بالخيانة ؟

عاتكة : لا والله يا مولاى .. انما أنا فقيرة أريد مالا .

المأمون : ألك زوج أو ولد ؟

عاتكة : لا .

المأمون : أو لم يسكب عليك مولاك الخير كله ؟

عاتكة : بلى يا مولاى ، لقد كان خيرا معى .

المأمون : فاعطوها الجائزة اذن .. وادخلوها السجن تعيش فيه ما بقى من حياتها .. لا يدفع الشر الا بالشر .. كما لا يزدهى الخير الا بالخير .

(موســـيقى)

● كتيبة الأهوال

(موسيقى عنيفة)

صوت : كان نصرا مؤزرا يا سعد ٠

سعد : انما هو من عند الله يؤتيه من يشاء من عباده المخلصين ٠

الصوت : لقد كنت فى المدينة ورأيت أمير المؤمنين وهو يستقبل أنباءك ٠٠ لو رأيت فرحته يا سعد لعرفت ما لفتح الفارسية من أهمية ٠

سعد : فهل بلغ عمر فرار الفرس بعد هزيمتهم وقد تشتت كل جمع لهم بمدينة ؟

الصوت : قد بلغه ذاك ٠٠٠٠ وقر به عينا ٠

سعد : فبماذا جئت اذن من المدينة ؟

الصوت : جئت اليك بأمر من عمر ٠

سعد : أعـــرفه ٠

الصوت : فما هو ؟

سعد : أن تكف عن الغزو ٠

الصوت : جهلته والله يابن أبى وقاص ٠

سعد : فهى البشرى اذن ٠

الصوت : لقد فرح عمر بالنصر حتى لقد أمر بفتح المدائن ٠

سعد : الله أكبر ٠٠ انه والله الفتح ٠

الصوت : انه دين الله يشرق على الأعاجم ٠

سعد : اللهم انك أنت العزيز القوى ٠٠ اللهم انه دينك ٠٠ دين الحق ٠٠ اللهم قد رأيك ملائكتك فى المعركة ، فرأيت هزيمة المسلمين تصبح نصرا ورأيت روحك القدس تهب النصر لعبادك المسلمين ، ويعود العدو مخذولا ٠٠ رأى قلبى ملائكتك وروحك وأكاد وحقك أن أقول ان عينى شاركتا القلب الرؤية ٠

الصوت : هنيئا سعد ٠٠٠

سعد : كنت فى القادسية مريضا ، أما اليوم فهلم .. هلم .. الى النصر أو الى ما هو خير من النصر ، الى الجنة .. لبيك اللهم لبيك .

أصوات : لبيك اللهم لبيك .

(موســـيقى)

الراوية : واندفع المسلمون يرددون وراء قائدهم .. لبيك اللهم لبيك .. انهم فى طريقهم الى واحد من الأمرين كلاهما أعذب من الأمل وأحلى من الأمنيات وأبهى من الرجاء المحقق ، انهم فى طريقهم الى النصر أو الجنة .

(موســـيقى)

الصوت : الى أين طريقك يا سعد ؟

سعد : الى بهرسير .. أفتحها وأخلص منها المدائن .

الصوت : ولكن بهرسير حصون منيعة ، وقلاع شاهقة فكيف تفتحها ؟

سعد : وهل أنا من أفتحها ؟ .. انه الله يابنى ، ومتى رأيت الحصـــون والقلاع تعوق طريقا لارادة الله أن تنفذ ولمشيئته أن تتم ؟!

الصوت : ولكن أخشى أن يتمكن منك الأعداء وهم خلف حصونهم بمنجى منك وأنت على مرمى النبل منهم .

سعد : يا أخى قد تعجلت الأمور وتخوفت المستقبل ونحن بعد لم نطالع الحصون ولم نشهد القلاع .. فاكتم حديثك لا تخوف به الجند حتى نرى فى أمرنا وأمر الحصون ، ثم ندبر لكل أمر أمرا من فوقنا سبحانه يهدى وانه لهدى .

(موســـيقى)

الراوية : وبلغ الجند بهرسير وكان يزدجرد كبير الفرس قد احتمى بها ، راجيا أن تقف دونه القلاع والحصون .. وأقام سعد بعسكره أمام بهرسير وقد أمن الطريق من خلفه فقد أصبح كل ما وراءه عربيا خالصا يدين بالاسلام لله وبالطاعة لعمر .. ورأى سعد أن يستشير أصحابه .

سعد : أشيروا على الأمر .. أنهاجم أم ننتظر ؟

صوت : الرأى اليك .

سعد : وأنا أداوله بينكم .

صوت : أرى أن نقيم حتى يرتاح الجنود .

آخر : وأرى أن الحصون قوية ولابد لنا أن نختبرها .

سعد : ولكن نفوس الجند ... الى الحرب فلو أننا توكلنا على الله وهجمنا وهم فى نشوة النصر وفى زهرة الفرح أدركنا العدو .

آخر : ولكن العدو منيع .

سعد : انه منيع بحصونه ، ولكنه ضعيف منهار فى داخله .. ان نفوس العدو هزيمة كسيرة لا تطيق أن تقاوم اذا نحن شددنا عليهم .

آخر : ان زهوة النصر يا سعد سلاح ذو حدين .. أخشى أن ينبعث الجند الى الحرب فلا يلقون الى الحرص بالا .

آخر : فاذا هزموا فقدوا ايمانهم ، وهو سلاحهم .

سعد : أرى العقل فى قولكم .

آخر : ونحن هنا آمنون .

سعد : ولكننى أخشى أن يطول بنا المقام ، فان بهرسير لن تكون محاصرة اذا نحن أقمنا هنا ، فانهم سيمدونها من وراء نهر الدجلة بالزاد من العراق وفارس ، ولن ينتهى هذا الزاد أبدا .

الصوت : اذن ننتظر ولا تخف على جنودنا فهم ان بقوا هنا على مرأى من القلاع والحصون ازداد شوقهم كل يوم أن يروا ما وراءها .

سعد : اجمعوا الجند اذن .

(موســـــيقى)

سعد : نحن مقيمون هنا ، وقد ترك لكم الأعاجم أرضهم فازرعوها ، وهنيئا لكم خراجها غير باغين ولا ظالمين .

أصوات : القلاع ، القلاع .

سعد : لقد استشرت فأشرت . نقيم هنا ماكثين ، يحيط بنا الأمن والرخاء حتى أرى رأيى وآمر أمرى وانى واياكم مع النصر والجنة على موعد لا نخلفه .

(موســـــيقى)

الراوية : كان هذا يزدجرد فى بهرسير ... أسد محطم البراثن واهن القوى حبيس ذلة وهزيمة وانكسار يستشير فلا يجد من يشير ، ويسأل فلا يهفو اليه مجيب ، فهو بين الحيرة والخذلان .

يزدجرد : فهم اذن مقيمون اقامة غير نازح .

صوت : وما يخيفهم يا مولاى والبلاد من خلفهم بلادهم ٠

يزدجرد : ولكننا نحن من أمامهم ، ألا نثير فيهم نبضة من خوف أو خاجة من خشية ؟

صوت : أتحسب هذه السهام الفرادى التى نرسلها تخيف منهم آمنا ، أو تحرك ساكنا ؟!

يزدجرد : ومالها لا تفعل ؟

صوت : لقد نصبوا لنا المنجنيق،فكل سهم منا تقابله رمية من المنجنيق وجنودنا فى خوف ذاعر وجنودهم فى فرح غامر ، وجنودنا يذكرون هزيمة القادسية وجنودهم يذكر النصر ٠

يزدجرد : فهى النهاية ٠

الصوت : أو بداية النهاية ٠

يزدجرد : بل لن يكون هذا والنار المقدسة لأرسلن اليهم الجند الكثيف تطالعهم بالهول والعذاب أم حسبوا اننا نضعف عنهم أو نهون ٠٠ الى الحرب ٠

(موسيقى عنيفة)

الراوية : وأمر يزدجرد بالجنود أن تكتب وبالجيش أن يستعد وبذل جهد اليائس وما هو بالقليل ، وسعد وصحبه يعدون لهم ، فهم مقيمون يستقبلون السهام باسمين ، فان عن لهم أن يردوها قذائف لاعبة حتى كان اليوم ٠

صوت : يا سعد أرى عسكر الفرس يخرجون عند الظهيرة من قلاعهم ، فيرمون السهام ، ثم يدلفون الى عسكرهم آمنين ٠

سعد : وما تريد منهم ؟

الصوت : نقتلهم ٠

سعد : سبحانه يجعل من يشاء قائدا ويجعل من يشاء جنديا وهيهات أن يصعد المرء الا بعقله ٠

الصوت : أراك تسخر منى ؟

سعد : ومالى لا أفعل ، والا فبربك قل لى أى فائدة تجنيها من قتل خمسة أو عشرة من الجنود ما يلبث غيرهم أن يخرج الينا ؟!

الصوت : وماذا تريد أن تفعل ؟

سعد : لو أنك استدرجت هؤلاء الرماه فجعلتهم ٠٠ لا ٠٠ أنت لا تستطيع ٠٠ على بأبى محجن الثقفى ٠

الصوت : يا أبا محجن ٠

أبو محجن : لبيك ٠

سعد : تعال يا أبا محجن ٠٠ فلقد والله صرت قريبا الى نفسى منذ رأيتك على البلقاء ومنذ رأيتك تتوب الى الله فلا تشرب الخمر ٠

أبو محجن : يابن أبى وقاص لقد اقتلعت من نفسى حب الخمر لما رأيتها تقيدنى فلا أقاتل واخوانى فوق خيولهم يجاهدون فى سبيل الله ، فأقسمت لا أذوقها ، ورضى الله عن زوجك فقد فكت عنى قيودى التى وضعتها وهيأت لى أن أخوض المعركة ٠

سعد : اذن فاسمع ٠٠ اذا خرج بعض الأعاجم فاستدرجهم حتى يحسبوا أنهم سيفوزون بك أسيرا ٠٠٠ اجعل صحبك يختفون فى مكان تعينه لهم واستدرج الأعاجم اليه ، ثم أحط به أنت ومن معك وهاتهم لى أسرى ٠٠٠ ولا تقتلهم ٠٠ انى أريدهم أسرى ٠

الراوية : وعند الظهيرة خرج بعض الأعاجم يلقون السهام،فبدا لهم أبو محجن منفردا وقد وضع على نفسه أنفس الثياب فطمعوا فيه ، وحين رآهم تصنع الخوف وصار يلتفت يمنة ويسرة كمن يريد أن يرى مخرجا ، ثم خرج وأظهر لهم أنه يعرج فى عدوه ، فازداد طمعهم فيه فلحقوا به ٠٠٠ حتى اذا بلغوا المكان الذى اختفى فيه أصحاب الثقفى صاح أبو محجن ٠

أبو محجن : الله أكبر ٠

الراوية : فاذا الأعاجم ٠٠٠

صوت : أسرى جئناك يا أمير الجيش فارفق بنا ٠

سعد : انى رفيق بكم ولكن أخبرونى ماذا يفعل ملككم ؟

الصوت : حائر فى أمره مذهول لا يدرى كيف يساوركم ٠

سعد : (فى حدة) أصدق أيها الرجل ٠٠٠ أصدق أو قتلتك ٠

الصوت : (فى خوف) انه يا سيدى قابع فى داره ٠

سعد : بل أنت كاذب ٠

الصوت : بل صادق يا سيدى ٠

سعد : أصدقنى والا قتلتك ٠

الصوت : انه لا يفعل شيئا .

سعد : وهل يمكن أن أعقل هذا ... ماذا ينتظر ؟ .. لابد أنه يجهز الآن جيشا وقد أمر بكم أن تخرجوا كل يوم ، حتى نلهى بكم فلا نفكر فى التهيؤ له ان هو نفر الينا .

الصوت : (فى دهشة) كيف يدخل الانسان دينكم ؟!

سعد : قل أشهد ألا اله الا الله وأن محمدا رسول الله .

الصوت : فأنا أشهد ألا اله الا الله وأن محمدا رسول الله .. فما يدرك ما أدركت الا الملهمون .. أنت صادق أيها الأمير ، الأمير انه يجهز لكم جيشا .

سعد : باركك الله أيها الرجل اذن فاسمع سأرى بلاءك فى الحرب ، فان رأيت حسن اسلامك جعلتك عينا لى على الفرس تأتينى بأخبارهم .

أصوت : أشهد أنى أسلمت غير مرغم ولا مضطر ... وأشهد أنى صادق .

(موسيقى عنيفة)

الراوية : وخرج جيش يزدجرد وقد خيل لقواده أنهم سيجدون المسلمين لاهين عنهم فى شغل بالنعيم الذى هيأه الله لهم ، ولكن راعهم أن جند العرب واقفون لهم بكل مرصاد يدفعون عن ايمانهم بالروح رخيصة فى سبيل الله (قعقعة سيوف) وما هو الا ارتداد البصر حتى ارتد جنود الأعاجم يحملون الهزيمة المنكرة وثاب جنود الاسلام يحيط بهم جلال النصر .. وكانت أنباء القتال تصل الى يزدجرد لحظة بلحظة وقتيلا بقتيل ، حتى اذا تمت له الهزيمة عاد الى شيريه .

يزدجرد : ماذا أفعل ؟

صوت : أصبحنا لا ندرى .

يزدجرد : وهل كنت تدرى ؟! .. ما هؤلاء العرب ؟! .. ما سيوفهم ؟! .. ما خيولهم ... انهم هزال يركبون العجاف ... ضعاف فى نعالهم ... عفاة فى مظهرهم ، ثم يوقعون بنا الهزائم التوالى فلا نفيق من هزيمة حتى نلقى الى أخرى .

الصوت : لقد وصفت يا مولاى فصدقت .. ولكن لم تصف الا ما ترى العين منهم وما أراك تعمقت الى ما فى أعمالهم من عظمة الروح ... ان أجسامهم الهزيلة تحمل ايمان الدنيا أجمع ... انهم يؤمنون يا مولاى أن لا اله الا الله ونؤمن نحن ألا اله الا النار ، ويؤمنون

يا مولاى أن محمدا رسول الله ونؤمن نحن أنه لا ملك الا أنت ٠٠٠ انه الايمان يا مولاى ما نحاربه ٠

يزدجرد : أراك صادقا ٠٠٠ بقى سهم أخير لا أملك غيره ٠٠٠ انى مرسل لهم رسولا ٠

(موســـيقى)

صوت : رسول من يزدجرد ملك الفرس يطلب لقاءك يا سعد ٠

سعد : دعه يدخل ٠٠٠ لعله جاء يعرض خيرا ٠

الرسول : السلام عليكم قائد العرب ٠

سعد : السلام على رسول الأعاجم ٠

الرسول : يعرض مولاى الصلح ٠

سعد : وكيف يتم ؟

الرسول : أن يترك لك ما فتحته من أرض فارس ، فهى خالصة لكم ونترك له ما لم تفتحه ٠

سعد : ان البلاد التى فتحناها لم تعد له حتى يملك أن يتركها أو لا يتركها ٠٠٠ أما البلاد التى لم نغزوها ، فنحن لا نريد بها شرا وما ضرها ــ يا أخا الفرس ــ لو أنهـا قالت أشهد ألا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فنتركها وشأنها ٠

الرسول : أرى فى قولك رفضا لما يعرض مولاى ٠

سعد : انى انما جئت ، لأعرض عليكم الاسلام ، فان قبلتموه فأنتم مثلنا لكم ما لنا وعليكم ما علينا ، فان أبيتم فادفعوا الجزية حتى يشرح الله قلوبكم للاسلام ٠٠٠

الرسول : فان أبينـا ؟

سعد : ويل لكم من الثالثة يا أخا الفرس ٠٠٠ انها ما علمتم من الحرب المندلعة تأكلكم كهشيم سرت به النار ٠٠٠ لا تختاروا الثالثة يا أخا الفرس ، فانها الدمار والوبال ٠

الرسول : سأبلغ رفضك الى مولاى ٠

سعد : أبلغه ٠٠٠ وانى هنا ٠٠٠ لن أريم ٠

صوت : (الفارس الذى أسلم) لم ينتظر عودة رسوله يا أمير الجيش ٠

سعد : ماذا ،

صوت : ألم يرسل لك رسولا ؟

سعد : بلى ... لقد تركتنى الساعة .

الصوت : ولكن يزدجرد لم ينتظر أن يعود الرسول بل جمع من ماله ما خف حملا وغلا ثمنا ، ونهج طريقه الى حلوان هاربا .

سعد : وجنـــوده ؟

الصوت : حيـارى ذاهلين ... حطم هرب الملك نفوسهم فهم لا يدرون ما هم فاعلون أيحـاربون ؟ .. وفى سـبيل من حـربهم ؟ .. أم يخضعون ؟ .. فما شأن أولادهم وذويهم ؟ ..

سعد : (فى فرح) الله أكبر ... الله أكبر ... لقد فتحت لكم بهرسير ... لقد فتح لكم طريق المدائن ... الى الحصون أيها المسلمون ... الى الحصون ... الله أكبر .

أصوات : (فى قوة) الله أكبر .

الراوية : الله أكبر ما طلع الفجر وما غاب النهار .. لقد فتحت لكم بهرسير ومنها الطريق الى المدائن عاصمة الفرس وفلك الحضارة ... وقد كانت بهرسير واقعـة على ضفة الدجلة يفصلها النهر الصاخب عن المدائن وكان هناك جسر يصل بين المدينتين ولم يعبأ جنود الاسلام بالليل الزاحف ولم يعبئوا بالجهد الذى بذلوه ، ليدخلوا الى بهرسير وانما أخذوا طريقهم الى الفرات (صوت هدير أمواج يظل ملازما للمشهد) ولكن .

صوت : لقد حطم الفرس الجسر .

آخر : وأخذوا السفن الى الضفة الأخرى .

آخر : وها هم جنودهم أولاء يقفون على الضفة الأخرى وبيدهم سـلاحهم يلمح فى سواد الليل .

آخر : ولكن انظـر .

آخر : ماذا ؟

آخر : ان القمر يبدو .

سعد : ويل لكم من الثالثة يا أخا الفرس ... انها ما علمتم .

آخر : وما فى ذلك ؟

آخر : القمر يطلع ، فانظر أمامك ... أترى ؟

آخر : (فى دهشة) الله أكبر .

آخر : قصر الجلال ··· هذه الأسطورة التى تحققت ··· هذا الحلم الذى أصبح واقعا ··· الله أكبر الله أكبر ·· انه أبيض كسرى ·· أعظم قصر عرفته الحضارة ، شاهق الى أبراج السماء ··· عريض يسد الأرض ··· اليه أيها المسلمون اليه ·

آخر : اليه ··· اليه (فى تخاذل) ولكن كيف السبيل اليه والنهر عميق متباعد الشطآن هادر الأمواج صخابه لا يهدأ له مجرى ··· يجرف فلا يبقى ، يندفع فهو لا يراعى ولا يضعف ·

سعد : أجل فانه الساعة فى ذروة تدفقه ، فهو ينبع من أذربيجان ونحن فى فصل ذوبان الثلوج فالماء موار بها ، والدفاع عنيف الانطلاق ·

صوت : انتهى بنا الفتح الى هنا ·

سعد : لا كان ذلك اليوم ··· والله لو كان ألف نهر وألف بحر ليبلغن الاسلام الى الفرس وعلى أيديكم أيها الجنود ·

(موســـيقى)

الراوية : وفرح جنود يزدجرد أن وقف المسلمون حيارى أمام نهرهم متدافع اللجج جارف الدفاع ··· وخيل اليهم – خاب فألهم – أنه قد آن لهم أن يرتاحوا بعض يوم ، فيقول قائلهم :

صوت : لقد آن لهؤلاء العرب أن يجدوا شيئا يمنعهم ·

آخر : (فى سخرية) فلنر اذن ماذا تفعل خيولهم العجفاء ، أو سيوفهم تلك الوامضة فى نهرنا الثائر ·

آخر : رعاك الله يا دجلة ··· كنت لنا خصبا وريا ، وأنت لنا اليوم حصن وأمـن ·

آخر : لقد وقفوا صاغرين ·

آخر : وسيظلون واقفين ·

(قهقهة عالية تنتهى بصوت سعد)

سعد : أيها الجند ، ان عدوكم قد اعتصم منكم بهذا البحر ، فلا تخلصون اليه منه وقد أبديت من الرأى أن تبادروا جهاد العدو بنياتكم قبل أن تحصركم الدنيا ، الا أنى قد عزمت على قطع هذا البحر اليهم ·

الراوية : ماذا ؟! ·· ماذا يقول سعد أيقطع البحر الى الفرس ؟! ·· بغير جسر ، وبغير سفن !! ·· والبحر موار العباب ، الدجلة فى القمة من

تدفعه ··· لعلنا أخطأنا ··· لعله لا يعنى ما يقول ··· لك الله يا سعد ··· وكيف يمكن أن تعبر الدجلة ؟

سعد : على الخيـــل ···

الراوية : (فى دهشة) على الخيل ؟!

سعد : على الخيل ··· أريد منكم كتيبة تخوض هذا النهر على الخيل ··· من يفعلها ؟

صوت : أنــا ·

سعد : عاصم بن عمر ··· انتدب معك ستمائة ممن تعرف بأسهم ·

صوت : أنــا ·

آخر : أنــا ·

آخر : أنــا ·

الراوية : وانتدب عاصم الستمائة ثم اختار منهم ستين فارسا تقدمهم الى حافة النهر وهو يقول ··

عاصم : من هذه المياه تخاف ؟ ·· بسم الله الرحمن الرحيم « وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا » الله أكبر ·

الراوية : وعلى الضفة الأخرى وقف الفرس لا يصدقون عيونهم حتى اذا رأوا أمواج النهر قد صارت خيلا ··· ورأوا الأمر حقيقة واقعة لا وهم ولا هو خيال تصايحوا ··

أحدهم : انهم من الجن ·

آخر : ليسوا من البشر ·

آخر : انهم مجانين ·

آخر : نلقاهم فى النهر ·

آخر : القاهم انت ·

الروية : وفر أكثر جنود الفرس طريقهم الى أبيض كسرى ، ليستقبلوا فيه الفــاتحين فما أصبحوا يأملون فى شىء أن يقف دون العرب ولكن بعضا منهم ينزل الى النهر ، ليقاتلوا عاصما وصحابه ولكن عاصما يقول لمن معه :

عاصم : الرماح ··· الرماح ··· وتوخوا عيون خيولهم ·

الراوية : فيعود الفرس أدراجهم يحيط بهم الهول والفزع ويعبر عاصم النهر فى كتيبة الأهوال التى انتدبها ويتبعه من بعد الستمائة ، ثم

تنزل جيوش المسلمين جميعها الى النهر الثائر والذى كان يظنه أصحابه ثائرا لهم فاذا هو ثائر عليهم فانما هو يجرى بأمر الله وما كان له أن يقف دون جنود الله ، فهو لهم مجراه ·· وينتقل الجيش العربى جميعه الى الضفة الأخرى لا يفقد الجيش منهم أحدا ، بل ولا يفقد أحد منهم شيئا ·

صوت : بل فقدت أنا ··· نعم فقدت وعاء من الخشب ·

آخر : ها هو لقد وجدته سابحا بجانبى فى النهر ·

الراوية : ألم أقل ان أحدا لم يفقد شيئا ··· ودخل المسلمون المدائن ، ثم دخلوا الى أبيض كسرى ·· لا ·· لا أحد يستطيع أن يصف ما رأوه ·· ولم يجد سعد شيئا يفعله الا أن يصلى لله شكرا صلاة الفتح ثمانى ركعات بتسليمة واحدة ، ولم يجد سعد شيئا يقوله الا قوله عز وجل : « كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم، وجنات كانوا فيها فاكهين ، كذلك أورثناها قوما آخرين فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين » ، صدق الله العظيم » ·



● الفتح الأول

الراوية : من الأمجاد من الأشعة الأولى لنور الاسلام من هذه الشواهق تعلو فلا يلحق بها نظر ، وتسمو فلا يهفو اليها فكر ، وانما هى تهدى فنهدى وتبين فنسير وتضىء فنرشد ، من القمم الباسقات للآباء والأجداد وقف عندهم التاريخ العربى خاشعا فى اجلال ، وقف دونهم التاريخ الغربى صاغرا فى ذلة من العرب الأولين ، خلص الينا تاريخهم نقيا نقاء ايمانهم بالله ، رفيعا رفعة اعتناقهم للمبدأ ، حاول المؤرخون أن ينالوا من تاريخهم ولكن الأدلة تكاثرت عليهم وانثالت اليهم الحجج ارسالا ، فلم يملكوا الا الذهول والحيرة ، ولم يملكوا الا الاعتراف أنه الحق ... وأنه الحق ..

(موسـيقى)

صوت : متى تقرأ خطاب النبى الذى معك يا عبد الله بن جحش ؟

عبد الله : وما يهمك من قراءته ؟

الصوت : أعلم الى أى مكان نحن قاصدون .

عبد الله : لقد أمرنى عليه الصلاة والسلام ألا أفتح الخطاب الا بعد مسيرة يومين من المدينة .

الصوت : فموعدنا غدا .

عبد الله : موعدنا غدا .

(موسـيقى)

الصوت : هلا قرأت لنا الكتاب يا عبد الله ؟

عبد الله : نعم لقد مر اليومان .. نقرأ الكتاب « بسم الله الرحمن الرحيم . اذا نظرت فى كتابى هذا ، فامض حتى تنزل نخلة فترصد بها قريشا ، وتعلم لنا من أخبارهم » .

الصوت : أيقصد عليه السلام ذلك المكان الواقع بين مكة والطائف .

عبد الله : اياه يقصد ، فهل أنتم سائرون معى ؟

الصوت : على بركة الله ٠

عبد الله : ان النبى أمرنى ألا أكره أحدا منكم على متابعة السير ، فهل بينكم من يريد الرجوع الى المدينة ؟

أصوات : امض بنا على بركة الله ٠

عبد الله : ان سعد بن أبى وقاص وعتبة بن غزوان قد خرجا وراء بعير لهما تخلف عن السرية ٠٠ أننتظرهما حتى يعودا أم نمضى فى سبيلنا ؟

الصوت : ما نظن الا أن النبى يتعجل أخبارنا ، فلنمض نحن على بركة الله ، فقد طالت بهما الغيبة ٠

عبد الله : على بركة الله ٠

أصوات : على بركة الله ٠

(موسيقى)

الراوية : وأخذت سرية عبد الله بن جحش طريقها الى نخلة ، وحطت رحالها ترقب الطريق ، ولم يطل بها الترقب فقد مرت بهم قافلة تحمل تجار لقريش فقال قائلهم :

الصوت : أنترك الكفار يمرون بنا لا نمسهم باذى ، وهم من أحاطونا بالويل والعذاب ، فتركنا ديارنا نحمل ديننا وايماننا ولا نقى جسومنا بغير البرد اللافح والهجير اللاهب ، فنحن فى دار غربة وهم فى ديارهم مقيمون يرعاهم الخفض من العيش ، ويقيهم الظل من الهجير ، والله لا أسكت أبدا ٠

آخر : وماذا تريد أن تفعل ؟

الصوت : أقتلهم ، فاما أقتلهم أو يقتلوننى ، أما أن يمروا على مرمى السهم منى وأنا هاجع خامد ، فلا والله ، لا ومحمد ٠

الآخر : هون عليك الاقسام يا أخى ، فان محمدا لم يأمر بقتالهم ، ونحن فى الشهر الحرام ٠

الأول : ان محمدا لم يكن يعرف أن تجارة لهم ستمر بنا ، ولا يعرف أحد ماذا كان قائلا لو عرف بهذه التجارة ٠

الآخر : انه لا يمكن أن نقاتل فى الشهر الحرام ٠

الأول : أيهما أشد ايلاما للعدل ولعرف العرب : أن نخرج من ديارنا وقد أشعلت الفتنة ما بيننا ، أم أن نقاتل فى الأشهر الحرام انى محارب .

الآخر : ويحك ! لقد جاوزت حدك ، ونسيت أن عبد الله بن جحش على رأس السرية واليه وحده يرجع الأمر بالقتال .

الأول : ولكنى أراه صامتا لا يأخذ من الحديث طرفا .

عبد الله : لقد والله اعتمل فى نفسى الرأيان معا ، فأنا بين مقدم يدفعنى الى الحرب .. ما ذاق قومنا من أهوال جسام ، وبين محجم يدعونى الى الاحجام الشهر الحرام الذى نحن فيه ، ويدعونى اليه أن النبى لم يأمر بالقتال .

الأول : انه لابد لك أن تحزم أمرك فوالله لئن تركتم القوم هذه الليلة ليدخلن الحرم فيمتنعوا عليك .

الثانى : وان قتلتموهم سفكتم الدماء فى الشهر الحرام .

عبد الله : والله ان ما صنعوه بنا لأكثر حرمة عند الله من الشهر الحرام دونكم واياهم .. البدار البدار .

أصوات : الله أكبر ، الله أكبر ..

الراوية : وانبعثت السرية تهاجم تجارة عمرو بن الحضرمى ، ورمى أحدهم عمرا بسهم فأصابه وقتل ، وأسرت السرية رجلين من رجاله واقتسموا الفىء وأخرجوا خمسه للنبى ، وأخذوا سبيلهم الى المدينة وهناك .

(موسيقى)

عبد الله : لقد غضب النبى من قتالنا .

الأول : أما لارضائه من سبيل ؟

عبد الله : لقد أبى أن يأخذ الفىء ، وأراد أن يرد الأسيرين .

الأول : ولكن قريشا أسرت منا سعد بن أبى وقاص وعتبة بن غزوان .

عبد الله : ولكن هذا لم يشفع لنا ، حتى لقد عنف على الأصحاب والاخوان وما أدرى ما أنا فاعل .

الأول : أصبر يا أخى ، فوالله ما أردنا الا وجه الله .

الآخر : لقد جلوت لكم الرأى فأبيتم أن تأخذوا به ، ولترون غدا قريشا تهب اليكم برجالها ونسائها فلا يدفعها الا الله .

عبد الله : والله ان غضب محمد لأشد من هبة قريش ومن معها .

الآخر : لقد أثرتها شعواء يا عبد الله .

صوت : (مناديا من بعيد) يا عبد الله بن جحش.. يا عبد الله بن جحش !!

عبد الله : لبيك .

الصوت : بشراك .. بشراك .. لقد أنزل الله آيات ترفع عنك غضب النبى والصحاب .. آيات من عند الله يا عبد الله .. بشراك عبد الله بشراك .

عبد الله : الحمد لله .. هو وحده يعلم ، فله كان جهادى وما ابتغيت الا وجهه .. قل الآيات يا أخى .. قلها بربك .

الصوت : بسم الله الرحمن الرحيم : « يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ، قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله ، وكفر به والمسجد الحرام واخراج أهله منه أكبر عند الله ، والفتنة أكبر من القتل ، ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا » .

عبد الله : الحمد لله ، الحمد لله .

الصوت : ولقد فرح رسول الله ، وقبل أن يأخذ الفىء .

عبد الله : وهل جاء أحد من قريش يطلب الأسيرين ؟

الصوت : نعم ولكن النبى قال : « حتى يقدم القوم صاحبينا » يعنى سعدا وعقبة وقد ذهب رسول قريش ، ليرد الأسيرين .

(موسـيقى)

الراوية : وعاد الأسيران ، وأذن النبى للقرشيين أن يعودا الى مكة ، ولكن أحدهما وهو الحكم بن كسبان قال :

الحكم : أشهد أن لا اله الا الله وأنك يا محمد رسول الله ، انى هنا مقيم .. الاسلام مرتعى وايمانى وولدى ووطنى .. لقد أسلمت لله ، ولن أعود الى الشرك أبدا .

الراوية : وأقام . وهكذا كانت سرية عبد الله بن جحش هى بداية الجهاد فى سبيل الله ، وكان السهم الذى أطلقه المسلمون فأصابوا به عمر بن الخضرمى هو أول سهم أطلق فى سبيل الله ، وحين أنزل الله آياته عرف المسلمون أن الله قد أذن لهم أن يقاتلوا فى سبيله . أما قريش فقد اضطرب منها الأمن وتوفر فيها الغضب فيقول قائلهم :

صوت : ها قد بدأ محمد ينال ثأره .

آخر : انها والله لمخجلة الدهور عار الأبد .. أيتعرض محمد وأصحابه لقوافلنا ؟!

آخر : بل انه يأبى أن يسلم لنا أسراه أو نسلم له أسرانا ، لقد أصبحت شرذمة محمد تناوشنا ونحن صاغرون .

آخر : نسيتم أننا عنفنا على محمد وهو بين ربوعنا حتى أرغمناه أن يترك الديار هو وصحبه ويخرج عن مكة مهد صباه ، ومراح شبابه ، ومأوى الأهل لأصحابه ، وكهف الأمن لذويهم .

صوت : لقد سفه آلهتنا ، وسب عقولنا ، بل انه لقد امتد بسبابه الى آبائنا وأجدادنا ورماهم بالغفلة والبله .

آخر : نسيت يا أخى أن آباءه هم آباؤك ، وأجداده هم أجدادك ، ووالله ما أرى الا أنه يقول رأيا فما استمعنا منه لرأى ، وانما حزمنا أمرنا على شدة وجميع قواتنا على جهل .

الصوت : أراك اليوم تكاد تسلم يا أخى ، وما بعد العهد بهجوم محمد مع قافلتنا .

الأول : لا تخش ، فان أبا سفيان لن يسكت اذا عرف أن محمدا يتربص به .

الصوت : ان أموال قريش جميعها فى هذه القافلة ، لعلنا لم نسهم فى قافلة مثلما أسهمنا فى هذه .

الأول : لا تخف فان أبا سفيان سوف يعلم .

(موسيقى)

صوت : البدار أبا سفيان البدار .

أبو سفيان : ماذا ؟ مم البدار والى أين ؟

الصوت : البدار من محمد وأصحابه ، الى مكة .

أبو سفيان : وماذا يريد محمد ؟

الصوت : لقد عرف أن قافلتك فى الطريق ، فهيأ لك من رجاله جيشا جعل له قافلتك غنيمة .

أبو سفيان : أنصبح نحن غنيمة لمحمد ؟!

الصوت : لا تستهن أبا سفيان ، انها نفوس أبية مسها منكم الأذى الشديد فاحذر النفس الأبية ان رامت انتقاما .

أبو سفيان : فالبدار أنت البدار ..

الصوت : الى أين ؟

أبو سيفيان : الى مكة .. الى مكة .. اندب رجالها .. أبلغ قرشا .

(موسـيقى)

الصوت : اللطيمة ، اللطيمة !

صوت : (لمن كانوا يتحدثون) هذا ضمضم بن عمرو الغفارى ، وقد شق قميصه من قبل .

ضمضم : يا آل قريش ... الغوث الغوث .

أصوات : ماذا بك يا ضمضم ؟

ضمضم : أموالكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد فى أصحابه فأدركوها أدركوها ... الغوث ، الغوث .

أبو جهل : أحق ما تقول ؟

ضمضم : يا أبا جهل أفى مثل هذا يكذب الناس ؟

أبو جهل : فهلم يا معشر قريش ... والله لنؤدبن محمدا وأصحابه أدبا يتسامع به العرب جميعا .

صوت : على رسلك أبا جهل ، فانها الأمور الكبر !!

أبو جهل : وأنا لها .

الصوت : لقد والله ظلمنا محمدا وأصحابه ، فانقض قرارهم ، فهم لاجئون الى الأحباش حينا ، أو الى أهل المدينة حينا آخر .

أبو جهل : أنترك تجارتنا اذن يعدو عليها محمـد ، ويسمع العرب أن قريشـا هان العزيز من أمرها ، ومال الرفيع من ركنها ، تخاذلت يا أخا العرب ، وما نحن بمتخاذلين ؟!

الصوت : انها أحدوثة يرمى بها فرد من الناس لا نعرف مقدار صدقه .

ضمضم : انه الصدق ما أقول .

الصوت : فهل رأيت رجال محمد رأى العين ، أم هى الأنباء يرمى بها نفر منكم الى آخر ؟

ضمضم : (مترددا) انها أنباء ولكنها صادقة .

أبو جهل : لبيك اذن لبيك ٠٠ انا لسائرون ٠

الصوت : نسيت شيئا يا أبا جهل ٠

أبو جهل : انى ماش ومن شاء فليتبعنى ٠

الصوت : ان بنى كنانة يترقبون بنا الفرصة ، فان نحن نفرنا الى محمد خلا الطريق لهم ، فأصابوا ثأرهم ٠

أبو جهل : (فى شيء من التخاذل) لعلك على حق يا أخى ٠٠ لعلك فى هذا محق ٠

صوت : بل سبيلك فامض يا أبا جهل ٠

أبو جهل : من ؟ ٠٠٠ مالك بن جعشم المدلجى ٠

مالك : انه أنا ٠٠٠ سبيلك فامض ، فما كنا لننال الثأر من قوم ينفرون عن ديارهم ، ما كنا لننال الثأر والربوع منكم خالية ٠

أبو جهل : انك من أشراف كنانة ، وانا لنقبل منك الوعد ، واثقين انه الحق ٠

مالك : وانه الحق ٠٠ فقد سفه محمد آلهتنا ، وانا لنخشى أن يصيبنا منه شر بعد أن يصيبكم ، فلا تخشوا ثأر كنانة ، وامضوا أنتم الى ثأر أنفسكم ٠

أبو جهل : فالى معشر قريش ٠٠ الى ٠٠ الى ٠

الراوية : ونفرت قريش بحقدها وزهوها لم يبق منها رجل أو فتى ، بل بقى منها واحد ٠٠ هو أمية بن خلف ، لم يقم الى الحرب فقد كان ثقل جسمه يمنعه عن القيام فقعد ، فأثاره نفر من قريش فى مجلسه وأخذوا يقولون له :

صوت : هاك أمية ، هاك مجمرة وبخور ، تصلح للنساء ، فهى لك ، وهل أنت الا من النساء يا أمية ٠

آخر : بل هاك أمية مكحلة فاكتحل فانما أنت امرأة ٠

الراوية : ولم يجد أمية بدا من القيام فقام ٠٠ وذهبت قريش للقاء محمد ، وقد خيل لأفرادها أن النصر عالق بحوافر خيلهم ، وسقيهم خيلائهم ، يغشى الحقد على عيونهم فهى العمى ، وعلى أفئدتهم فهى الظلام ، وعلى نفوسهم فهى السخيمة وكان محمد ــ عليه الصلاة والسلام ــ قد خرج فى أصحابه من المدينة فى اليوم الثامن من شهر رمضان ٠

عدته ايمـان يعمر قلوب أصحابه وغضب يملأ نفوسهم من أولئك العتاة الذين أجلوهم عن ديارهم ٠٠ وكان عدد رجاله خمسة وثلاثمائة رجل ٠٠ وفى الطريق جاءت أنباء قريش الى النبى ٠

صوت : يا رسـول الله لقـد خرجت قريش بقضها وقضيضها لتدافع عن قافلة أبى سفيان ٠

الراوية : اذن فهى قريش جميعها ٠٠ فكيف يلقاها النبى بهذه القلة من الناس العدة ويفكر النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى العودة ويشير أصحابه فيقولون :

آخر : والله يا رسول الله لئن عدت لتطمعن فينا قريش ولنصبحن أحدوثة بين العرب ٠

آخر : يا نبى الله انها الحرب وانا لها لصامدون ٠٠ هلم ٠

آخر : يا رسول الله امض بنا أراك الله الهدى فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قال بنو اسرائيل لموسى ، اذهب أنت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ٠

الراوية : كان هؤلاء الذين أبانوا عن رأيهم من المهاجرين ، وكان النبى يريد رأى الأنصـــار ٠٠ فالمهـاجرون يدفعهم الى القتـال ايمانهم وما أصابتهم به قريش من أذى ٠٠ أما الأنصار فايمانهم وحده ٠٠ فالنبى يسأل القوم مرة أخرى قائلا أشيروا على أيها الناس ٠٠ فأحس سعد بن معاذ عميد الأنصار أن النبى يقصد رأيهم ٠٠٠ فهو يقول :

سعد : لكأنك تريدنا يا رسول الله لقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض لما أردت فنحن معك ، فوالذى بعثك لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، وما تخلف منا رجل واحد ٠٠ وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا ٠٠ انا لصبر فى الحرب ٠٠ صدق فى اللقاء ٠٠ لعل الله يريك منـا ما تقر به عينـاك ، فسر بنا على بركة الله ٠

الراوية : وأشرق وجه النبى ، وهو يرى الاخلاص حوله سياجا ، والايمان يحيط به حائطا منيعا ، فقال عليه الصلاة والسلام : « سيروا وأبشروا فان الله وعدنى احدى الطائفتين » وسار الاسلام ٠

(موســـيقى)

صوت : لقد سمعت أن قافلة قريش مضت فى طريقها ٠

آخر : فتلك اذن احدى الطائفتين ، وبقيت الطائفة الأخرى ، طائفة البغى والظلم والجور ·

الأول : ولكنها أيضا طائفة جرداء لا مال لديها ولا مطمع فيها ·

الثانى : أو نحارب من أجل المال يا أخى ··· انه الاسلام ما نحارب له . وانه الدين ما ندافع عنه ، وانه النبى ما نبذل حوله الأرواح ·

الأول : انها همهمة تدور بين بعض الناس ·

الثانى : لا والله ما كانت هذه الهمهمة لتنبع من نفوس المسلمين . انها همسات اليهود والمنافقين ، فحذار حذار أن تعيدها ·

صوت : بسم الله الرحمن الرحيم : « واذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم ، وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ، ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ، ويقطع دابر الكافرين » ·

(موســـيقى)

الراوية : وعرفت قريش أن قافلة تجارتهم قد نجت من محمـد ، وأن أبا سفيان قد أخذ طريقه الى مكة فأراد بعضهم العودة ·

صوت : فما أصبح لنا فى القتال أرب ولا فائدة ، وقد نجـا أبو سفيان بتجارته ·

أبو جهل : لا والله لا نرجع حتى نرد بدرا ، فنقيم عليه ثلاثة أيام ننحر الجزر ونطعم الطعام ونسقى الخمر وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وبمجمعنا فلا يزالون يهابوننا أبدا بعدها ·

(صوت حوافر حصان)

أبو جهل : من القادم ؟

صوت : انه قابل من قبل مكة (يقترب صوت الحوافر جدا ثم ينقطع)

صوت : انى رسول أبى سفيان اليك ·

أبو جهل : وماذا يريد ؟

الصوت : انه يقول انكم خرجتم ، لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم ، وقد نجت فارجعوا ·

أبو جهل : لا والله لا نرجع حتى نرد بدرا فنقيم ·

(موســـيقى)

الراوية : وكالفراشة الحمقاء تلوب حول موتها ، اندفع أبو جهل الى بدر وكان النبى قد نزل عند بئر بدر ، وقد أراد عليه الصلاة والسلام أن ينزل عند أول ماء بدر ، وكان الحباب بن المنذر على خبرة بالمكان والحرب فهو يسأل النبى :

الحباب : يا رسول الله ، أرأيت هذا منزلا أنزلكه الله ، فليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟

الراوية : فقال عليه الصلاة والسلام : « بل هو الرأى والحرب المكيدة » .

الحباب : يا رسول الله ، فان هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى نأتى أقرب ماء من قريش ، فننزل ، ثم نكبسه بالتراب فينضب ماؤه ، ثم نبنى عليه حوضا فنملؤه ماء ، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون .

الراوية : وما محمد الا بشر من البشر ، يشير فيشار ، فيقبل المشورة ، وقد قبلها عليه الصلاة والسلام .

أبو جهل : أرسلوا الى أصحاب محمد يتقصى أنباءهم ويخبرنا عنهم .

صوت : انى ذاهب .

(موســـيقى)

الراوية : وأرسل النبى من يعرف كم بعيرا تنحر قريش فى اليوم . فقال قائل :

صوت : انى ذاهب .

(موســـيقى)

الصوت : (القرشى) انهم ثلاثمائة يزيدون قليلا أو ينقصون قليلا .

أبو جهل : فهو النصر المؤزر .

عتبة : يا معشر قريش : انكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمدا وأصحابه شيئا ، والله لئن أصبتموه لا يزال الرجل منكم ينظر فى وجه رجل قتل ابن عمه أو ابن خاله أو رجلا من عشيرته ، فارجعوا ، وخلوا بين محمد وسائر العرب ، فان أصابوه فذلك الذى أردتم ، وان كان غير ذلك لم تتعرضوا منه لما تكرهون .

أبو جهل : جبنت واللات وأردت الحكمة .. أنترك دم عمرو مراقا لا نثار له ، هيه يا عامر بن الخضرمى ألا تطلب ثأر أخيك ؟

صوت : وا عمراه !

(موســـيقى)

الراوية : وقال سعد بن معاذ للنبى :

سعد : يا نبى الله .. نبنى لك عريشا تكون فيه ، ونعد عندك ركائبك ، ثم نلقى عدونا ، فان أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا ، وان كانت الأخرى جلست على ركائبك ، فلحقت بمن وراءنا من قومنا ، فقد تخلف عنك أقوام يا نبى الله ، ما نحن بأشد لك حبا منهم .. ولو ظنوا أنك تلقى حربا ما تخلفوا عنك .. يمنعك الله بهم يناصحونك ويجاهدون معك .

(موسيقى عنيفة)

الراوية : واندلعت الحرب بين ايمان وزهو ، بين دين وكبر ، بين نبى وظالمين ، بين الله والشيطان ، وراح النبى يدعو فى عريشه قائلا : « اللهم هذه قريش قد أتت بخيلائها تحاول أن تكذب رسولك ، اللهم فنصرك الذى وعدتنى .. اللهم أن تهلك هذه العصابة فان تعبد بعد اليوم » فيقول له أبو بكر وهو يعيد رداءه الى كتفه : « يا نبى الله بعض مناشدتك ربك فان الله منجز لك ما وعدك » فيقول النبى : « والذى نفس بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر الا أدخله الله الجنة » .

(ثم تخفت قليلا وتظل مصاحبة للمشهد)

(موسيقى عنيفة)

الراوية : واندفع المسلمون الى القتال يذودون عن دينهم ، ويردون العذاب الذى لاقوه ويرسون الأساس الأول لفتح الله ، انه الفتح الأول ، وانه دين الله .. ونزلت الآيتان : « يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال ، ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يتفقهون .. الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا ، فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ، وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله ، والله مع الصابرين » واطمأن النبى الى النصر ، واطمأن المسلمون .. وأخذ النبى يسير بين خياله الكفر يمسك بالحصى ، ويرمى به فى وجوههم : « شاهت الوجوه » وشاهت الوجوه ، وانخذل الكفار ، وعاد زهوهم ضيعة وكبرهم انكسارا ، وكيف لا ينهزمون والله يقول : « فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ، وما رميت ولكن الله رمى » ؟ وكيف لا ينهزمون وسبحانه يقول : « اذ يوحى ربك الى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا ، سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق أعناق واضربوا منهم كل بنان » « صدق الله العظيم » .

● أصحاب الفيل

(موسيقى عنيفة)

الراوية : أرسل المثنى الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يقول له :

صوت : الينا أمير المؤمنين ، لقد اجتمع الفرس وأمروا عليهم يزدجرد ابن شهريار بن كسرى وأخذوا يكتبون الجيوش لحرب العرب ، وثار أهل العراق بنا نحن المسلمين فاضطررنا الى الانسحاب حتى شارفنا التخوم من الجزيرة ··· الينا أمير المؤمنين ·

الراوية : (الراوية) وخرج هذا الرجل من عند عمر وبيده كتاب الى عمال الأمير فى بلاد العرب جميعها يقول فيه :

الصوت : لا تدعوا أحدا له سلاح أو فرس أو نجدة أو رأى الا انتخبتموه ، ثم وجهتموه الى والعجل والعجل ·

الراوية : انه عمر يأمر ، وانهم عماله من يتلقون الأمر فما هو الا الطريق يقطعه الذاهب حتى ينفر القوم يلبون عمر ·

أصوات : لبيك أمير المؤمنين ··· لبيك ·

الراوية : ويقول عمر ··· والله لأضربن ملوك العجم لملوك العرب ·

أصوات : لبيك ··· لبيك ·

الراوية : وخرج عمر بالناس حتى بلغ ماء صرار فعسكر به والناس لا يدرون ان كان عمر هو من سيقود الجيش أم أنه سيولى عليها من يراه ··· وعمر نفسه لا يقطع أمرا بغير مشورة فهو يسأل عامة الناس فيقول قائلهم :

صوت : سر ·· وسر بنا معك ·

الراوية : ولكن عمر يرجع الى خاصة مشورته ، فيقول عبد الرحمن ابن عوف :

عبد الرحمن : أقم وابعث جندا فقد رأيت قضاء الله لك فى جنودك قبل وبعد ، فانه أن يهزم جيشك ليس كهزيمتك ٠٠ وانك ان تقتل أو تهـزم فى أول الأمر خشيت ألا يكبر المسلمون ، وألا يشـهدوا ألا اله الا الله أبدا ٠

الراوية : فجمع عمر المسلمين وخطبهم وكان مما قال : « يحق على المسلمين أن يكونوا وأمرهم شورى بينهم ، وانى انما كنت كرجل منكم حتى صرفنى ذوو الرأى منكم عن الخروج ، فقد رأيت أن أقيم وأن أبعث رجلا » ثم أخذ عمر يستشير القوم فيمن يرسله ، وبينما هم يتداولون الأسماء جاء خطاب الى أمير المؤمنين من سعد بن أبى وقاص فاذا أحد الجالسين يقول :

صوت : قد وجدت الرجل يا أمير المؤمنين ٠٠٠ انه الأسد فى برائنه ، أول من رمى بسهم فى سبيل الله ٠٠٠ فداه النبى بأبيه وأمه فقال : « ارم سعد فداك أبى وأمى » ٠٠ رجل يقول ان يوما أتى عليه فكان ثلث الاســـلام فهو ثالث ثلاثة أسلموا ٠٠٠ انه الرجل يا أمير المؤمنين ٠٠ سعد بنى وهيب ، سعد بن أبى وقاص ٠

الراوية : وأجمع الناس أمرهم على سعد بن أبى وقاص ، وأرســل اليه عمر بن الخطاب يستقدمه فقدم فقال له : « يا ســعد ، سـعد ابن وهيب ، لا يغرنك من الله أن قيل خال الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه ، فان الله عز وجل لا يمحو السيىء بالسيىء ، ولكنه يمحو السيىء بالحسن وليس بين الله وبين أحد نسب الا بطاعته ، فالنـاس شريفهم وضعيفهم فى دين الله ســواء يتفاضلون بالعافية ويدركون ما عنده بالطاعة ، فانظر الأمر الذى رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يلزمه فالزمه ، وعليك بالصبر » ثم عقد له لواء الجيش وانبعث سـعد الى العراق أميرا على جيش من أكبر الجيـوش التى عرفتها العرب ٠

(موسيقى عنيفة)

صوت : أرى رجـلا يبدو على مبعدة ثم تحجبه عنا الهضــاب ٠٠ أتراه يا أبا محجن ؟

أبو محجن : نعم انى أراه ٠

الأول : ما أظنه الا عينا من الأعداء جاءت ترقبنا ٠٠

أبو محجن : أنتركه ؟

الأول : بل لابد لنا من ادراكه ٠

أبو محجن : يا أمير الجيش ··· أرى رجلا يرقبنا ويحرص على ألا نراه ·

سعد : انى أراه منذ أمد بعيد ·

الأول : أنسكت عنه ؟

سعد : لا بل أتركوه حتى تنتهى هذه البروج ·

الأول : وما شأن هذه البروج يابن أبى وقاص ؟

سعد : انها بروج العجم بنوها ليلقوا منها أعداءهم ، ولكننى أراها خاوية لا أحد فيها ·

الأول : ومن أين عرفت أنها خاوية ؟

سعد : لو كان فيها أحد ما أرسلوا الينا هذا الرجل ليرقبنا ·

أبو محجن : وماذا تراه يريد ؟

سعد : يريد أن يعرف عددنا وعدتنا ·

أبو محجن : أتتركه اذن ؟

سعد : لعله من المفيد لنا أن يعرف العجم عددنا ··· فنحن ما نزال فى انتظار المدد وسوف يتضاعف عددنا ، فلنترك العدو يعتقد أننا قلة حتى اذا باغتناه مجتمعين بأضعاف ما انتظر من الجيوش انهارت منه القوة وسارع الى الهزيمة ·

الأول : فداك أبى وأمى يا سعد ·

سعد : بعض هذا يا أخا العرب ·

أبو محجن : ولكن أنترك هذا الرجل وشأنه حتى يبلغ مأمنه ··· ما ضرنا لو أتينا به ، ليدلنا هو على عدد جيشه وعدته ·

سعد : لقد أرسلت من يرقبهم يا أبا محجن ولكن يجب ألا نترك هذا الرجل دون أن نعرض له والا أدرك أننا نخدعه ·

أبو محجن : فأنا له أيها الأمير ·

سعد : أنت يا أبا محجن ··· أخشى أن يخدعك بدن من الخمر ، فتفضى له بسر الجيش جميعا ·

أبو محجن : (ضاحكا) أنا لا أشربها أيها الأمير ·

سعد : أتقسم ؟

أبو محجن : لا أشربها الا فى المساء ·

سعد : أقسمت يا أبا محجن لو حملت الى مخمورا فى هذه الحرب لأقمت عليك الحد وقيدتك فلا تحارب ·

أبو محجن : لن أحمل اليك أيها الأمير ، أأطارد هذا الرقيب ؟

سعد : طارده ولا تمسـك به ·· اجعله يعتقد أنك تريد أن تأسره ولكن لا تفعل ··· هلم ·

(صوت حوافر خيل)

أبو محجن : لقد ذهب الى معسكره أيها الأمير ··· ولكن ····

سعد : ولكن ماذا ؟

أبو محجن : فى طريقى اليك رأيت كوكبة من الخيل قادمة الينا ·

سعد : فأعدوا لها ··· أعرفت فيم قدومهم ؟

أبو محجن : لا ولكنى لم أر عليهم هيئة المحاربين ·

سعد : هل انضم اليهم الرقيب الذى كنت تطارده ؟

أبو محجن : لا ··· انه لم يرهم ··· فقد طاردته من طريق وعدت من طريق آخر فرأيتهم ·

سعد : فأكمنوا لهم حتى اذا ظهروا ···

(موسيقى عنيفة وقعقعة سيوف)

سعد : من أين أنتم ؟

صوت : من الحيرة ·

سعد : ومن هذه التى تحملونها ؟

الصوت : انها ابنة أمير من أمراء فارس فى طريقها الى صاحب الحيرة -

سعد : أتعرف من نحن ؟

الصوت : أعرف ولكنى لم أتوقع أن تعسكروا هنا ·

سعد : ولم ؟

الصوت : ان الأنباء التى بلغتنا لم تقل انكم ستمرون من هذا الطريق ·

سعد : وكيف رأيت أنباءكم ؟

الصوت : رأيت جنودنا صرعى ، ورأيت أبطالنا أسرى ، ورأيت الهول الآخذ والبلاء المقيم ···

(صوت قهقهة تنتهى بصوت الراوية)

الراوية : وتسامع الفرس بما كان من أسر الأميرة ومن معها ومن فرار القوة التى كانت تحف بها فألقى الذعر الى نفوسهم وأرسل أميرهم يزدجرد يدعو اليه رستم أكبر قائد عرفته الفرس حتى اذا مثل بين يديه ..

يزدجرد : أرى العرب قد أرسلت الينا جيشا لا قبل لنا به وما أرى بين قوادى من يطيق حربهم الا أنت .

رستم : بقيت يا مولاى انما الحرب تدبير وخديعة ، وقد تجد من يجيل السيف مثلما أجيل ولكنك لن تجد من يرسم الخطة كما أرسمها .

يزدجرد : ولكنهم أسروا ابنة مرزبان الحيرة وهم مقيمون بأبوابنا ، لا نطيق حربهم فان لم تخرج اليهم أنت هزمنا .... وفى هزيمتنا فناء للدولة الفارسية ، وانهيار لصروح المجد التى أقامها الآباء والأجداد .

رستم : ولكنى ان هزمت أنا فقد الفارسيون ثقتهم بى وأنت فى حاجة الى هذه الثقة ، وما يفيدك يا مولاى أن أخرج اليهم ، فأهزم فيكون فى هذه الهزيمة الفناء والدمار .

يزدجرد : ومتى تخرج ان لم تخرج اليوم والدولة مشرفة على الهلاك ؟!

رستم : ان العرب سوف ترسل اليك الجيوش يتلو بعضها بعضا ، فلو أقمت هنا وهزم جيشنا فسأظل هنا ، لأدبر للحرب التى تليها ، أما لو خرجت اليوم وهزمت فهيهات لى أن أقود جيشا بعدها أبدا ، فان أنت أرسلتنى يا مولاى فكأنى بك تلقى بقوتنا جميعها دفعة واحدة وانك لتلقيها غير مضطر الى ذلك ...

يزدجرد : فماذا تريد أن تفعل ؟

رستم : أريد أن أرسل الجيوش بأمرة غيرى حتى اذا هزموا كنت أنا من ورائهم أهيىء لهم المدد وأرسم الخطط وأنتظر العرب وأماكرهم حتى أهزمهم .

يزدجرد : لا يا رستم أنا لا أرى رأيك .

رستم : فمرنى يا مولاى .

يزدجرد : أخرج يا رستم ولكن أريدك أن تخرج مليئا بالثقة ، متحفزا للنصر .

رستم : مولاى ان رستم فى ميدان القتال يحارب عن تاريخه جميعا وعن دولته وعن ملكه وان رجلا هذا شأنه لا يمكن أن يضعف .

يزدجرد : وحق النار المقدسة انك الرجل يا رستم ... الى الحرب أيها القائد ... فى رعاية النار المقدسة .

(صـــوت جونج)

سعد : فى رعاية الله أيها الوفد الكريم .

الرسول : وبقيت فى رعايته يا سيدى الأمير .

سعد : أعرفت الى من توجه حديثك ؟

الرسول : الى يزدجرد .

سعد : وتجاهل قائد جيشه رستم كأنك لا تسمع عنه ... ليكن حديثك الى أميرهم ... وأنتم أيها الاخوان دعوا الحديث لنعمان بن المقرن والمغيرة بن شعبة والمعنى بن حارثة .

(جونج)

الرسول : أين أميركم ؟

صوت : وماذا تريدون منه ؟

الرسول : نريد أن نلقاه .

الصوت : ومن تكونون ؟

الرسول : وفد من قبل سعد . ى وقاص أمير جيوش العرب .

الصوت : فأنتم تريدون القائم رستم ؟

الرسول : (ساخرا) القائد من ؟!

الصوت : القائد رستم .

الرسول : انا لا نعرف القائد ... أنا أريد الأمير .

الصوت : ولكننا لا نسمح لكم بلقائه .

الرسول : اذن أعود طريقنا الى جيشنا وموعدنا غدا .

الصوت : فانتظروا حتى أنظر فى أمركم .

الرسول : بسم الله الرحمن الرحيم : « وتكيدون كيدا وأكيدا كيدا فمهل الكافرين أمهلهم رويدا » .

الصوت : تعال أيها الرسول .

(أصوات خطوات)

يزدجرد : أي حظ تعس رمى بكم الى هذه البلاد ؟

الرسول : ان الحظ التعس أيها الأمير محيط بكم ان أنتم لاقيتم العرب في طريقهم الى المجد والخلود والنصر .

يزدجرد : أجب أيها الرجل ... ما الذى جاء بكم ؟ .. لعلكم قد غرتكم نفوسكم حين رأيتم تشاغلنا عنكم .

الرسول : ان الله قد بعث فينا رسولا يحمل الينا نوره وهداه ، وكنا مثلكم نعبد ما نصنع بأيدينا حتى أتاح الله لنا الهدى بعد الضلالة ، والنور بعد الظلمات فكفرنا بالأصنام وعبدنا الله مخلصين له الدين ، وأنتم ما تزالون على ضلالتكم .

يزدجرد : وما شأنكم بنا ؟

الرسول : ان رسالة الحق لابد لها أن تبلغ العالم أجمع .. ان الله من أرسلها ونحن دعاة الحق ... نبصركم الرشــد من أمركم ... ولا نفرض عليكم الاسلام وانما نفرض عليكم أن تصغوا الى دعوته ، ثم شأنكم بعد هذا .

يزدجرد : وماذا تبغون منا ؟

الرسول : ان أجبتم الى ديننا ودخلتم فيه خلفنا فيكم كتاب الله وأقمناكم عليه على أن تحكموا بأحكامه ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم ، وان أبيتم فالجزية ، فان أبيتم فالحرب .

يزدجرد : أنا لا أعلم أمة كانت أشقى ولا أقل عددا ولا أسوأ ذات بين منكم ، وقد كنا نعتمد على القرى والضواحى ، لتحاربكم وتردكم على أعقابكم ، وما كنا لنغزوكم وما كنا نظن بكم الخبل الى درجة أن تقوموا أنتم على غزونا ، فان كان عددكم كثر فلا يغرنكم كثرته وان كنتم جياعا فرضنا لكم قوتا حتى تخصــب أرضــكم ، وكســوناكم وملكنا عليكم ملكا يرفق بكم .

الرسول : اننا أيها الملك جياعا ، ولا نملك الا سيوفنا وخيولنا ، وخير ملبسنا ما تراه ، ولكننا هنا في ملكك وأنت بين جندك وفوق ايوانك ندعوك فاختر لنفسك طريقا : الاسلام أو الجزية أو الحرب .

يزدجرد : لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكم ، ولا شيء لكم عندى .. بل عندى لكم شيء .. أنت أيها الحارس .. ضع التراب على كتف أشرفهم .. من أشرفكم ؟

صوت : (غير صوت الرسول) أنا أشرفهم .

يزدجرد : ضعوا التراب على كتفه واحمله الى أميرك ٠

الصوت : والله لأحملنه اليه ٠٠ اطمئن أيها التراب انك عائد الى مقرك وقريبا ما تعود ٠

(موسيقى عنيفة)

سعد : لقد حملك مقاليد ملكه ٠٠٠ هى الحرب اذن فالجهاد ٠٠٠ الجهاد أيها العرب ٠٠٠ الله يناديكم ٠

أصوات : لبيه ٠

سعد : ان الله هو الحق لا شريك له فى الملك وليس لقوله خلف وقد قال عز ثناؤه : « ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون » ان هذا ميراثكم وموعد ربكم ، وقد جاءكم هذا الجمع وأنتم وجوه العرب وخيار كل قبيلة وعز من وراءكم فان تزهدوا فى الدنيا وترغبوا فى الآخرة جمع الله لكم الدنيا والآخرة ٠

(موســـيقى)

الراوية : الا أن سعدا أصابه مرض عنيف فهو قعيد فراشه لا يطيق الركوب ولكن هيهات فان سعدا لا يقبل هذا القعود وانما هو يشرف على الجند من شرفته ويأمر ، فيبلغ أمره الى الجيوش ، وقبل أن تبدأ المعركة حمل بعض الجنود أبا محجن الثقفى الى سعد بن أبى وقاص، وكان أبو محجن مخمورا لا يستقيم ٠

سعد : فعلتها أبا محجن ٠

أبو محجن : ماذا فعلت يا مولاى ؟

سعد : شربت الخمر ٠٠٠ وآن لى أن أقيم عليك الحـد ٠٠ بل فاعل بك أكثر من هذا ٠٠ انى لمحتجزك فلا تحارب ٠٠ سأقيدك فلا تدخل المعركة ٠

أبو محجن : بربك يا سيدى ٠٠٠ افعل بى ما تريد ٠٠ ضاعف الحد ، افعل بى ما شئت ولكن لا تمنعنى عن الحرب ٠٠ حياتى هباء ان لم أحارب بربك يا سعد ٠٠ بربك أيها

سعد : لقد أقسمت وهيهات أن أحنث ٠

أبو محجن : بحق سابقتى فى الجهاد ٠٠ بحق جيوش سرنا فيها معا الى النصر ٠٠ بحق الأيام الخوالى ٠٠ الحرب حياتى ٠٠ انها أملى فى الغفران ٠٠ انها رجائى فى التوبة ٠

سعد : أقيموا عليه الحد ... وقيدوه .

أبو محجن : واسعداه .

سعد : (فى حزم) قيـــدوه .

الراوية : وبدأت الحرب وكانت الوطأة على العرب شديدة ، فقد أطلق الفرس الفيلة تتقدم جيوشهم والعرب حائرون فهم قد عودوا الحرب مع الرجال ولم يمارسوها مع الفيلة ، الفيلة تسير فتفتك وتدوس لا ترى السيف فتخشاه ولا تحس الحراب فتتقيها ، انما هى فيلة تسير فتقتل حيث تسير .. وانتهى اليوم الأول والعرب لم تنهزم ولكنها أيضا لم تنتصر حتى اذا كان الصباح جاء المدد ، واختفت الفيلة فقد تحطمت توابيتها وعكف عليها بعض القوم يصلحونها . ودارت المعركة بين رجال ورجال ، أو هى بين ايمان والحاد . بين دعاة الله والحق وبين عباد النــار ووقودها ... ولكن أبا محجن لا يحارب ... فهو يرسل الى زوجة سعد أحد عبدانها ..

صوت : يسألك أبو محجن أن تفكى قيده ، لينبعث الى المعركة حتى اذا انتهت عـاد الى قيــده .. ويسألك أن تعيريه البلقاء فرس سيدى ســـعد .

(موســـيقى)

نفس الصوت : انها ترفض ذلك يا أبا محجن .

أبو محجن :

كفى حزنا أن ترتدى الخيل بالقنا
وأترك مشـــدودا على وثاقيـــا
اذا قمت عنانى الحديد واغلقت
مصاريع دونى قد تصم المناديا
وقد كنت ذا مال كثير واخوة
فقد تركونى واحـــدا لا أخاليا
ولله عهــد لا أخيس بعهــده
لئن فــرجت ألا أزور الحوانيــا

الراوية : فلما سمعت زوج سعد شعره أرسلت اليه عبدها يقول :

الصوت : لقد استخارت سيدتى الله ورضيت بعهدك ... على أن تعود الى القيد بعد المعركة .

الراوية : وانطلق أبو محجن الى المعركة فى يومها الثانى وظلت المعركة دائرة حتى أوغل الليل والعرب تذيق الفرس الأهوال وترد اليهم ترابهم الذى حملوه موتا آخذا ، ولكن النصر لا يتم ، وانما ما تزال بالفرس قوة عنيفة أبقتها عليهم كثرتهم ووجود رستم وعلى رأسهم وينتهى اليوم الثانى ويعود أبو محجن الى قيده وفيا بعهد أخذه على نفسه لزوجة سعد وهو يسألها أن تفعل به فى الغد مثلما فعلت اليوم ، فتقبل · وفى اليوم الثالث للمعركة تعود الفيلة وترجع الى ما كانت تفعله بالعرب ولكن سعدا يجد وسيلة ·

(جونج)

سعد : أريد بعض أسرانا من الفارسيين ·

صوت : أمرك يا سيدى (صوت أقدام تنصرف) ·

سعد : أما ترى الى هذه الفرس ؟ ··

صوت : نعـــم ·

سعد : انها البلقاء ·· وهذا الذى عليها ·· لولا أننى حبست أبا محجن لقلت انه هو ·· راكبا البلقاء ·

الصوت : أراك محقا يا مولاى ·

سعد : بربك ألا رقبت هذا الفارس فهو يجول بين الفرس وكأنه الاعصار اللاهب فاذا انطلق الى خضم المعركة فهو الريح ·

صوت : (الذى ذهب لاحضار الأسرى) الأسرى يا سيدى ·

سعد : أخبرنى أنت ·· كيف تقتلون الفيلة ؟

الفارس : من مشافرها وعيونها ·

سعد : (صائحا) مر بهم أن يضربوا الفيلة فى عيونها ، وفى مشافرها ·

الراوية : وقتلت الفيلة ، فقد استهدف العرب مقاتلها فقتلوا بعضها ، وحلا لأحد الفيلة أن يلقى بنفسه فى النهر فتبعته الفيلة الأخرى ، وخلص العرب الى الفرس لا تمنعهم الحيــوانات ورأى العرب فى تخليصهم من الفيلة نصرا من الله مؤزرا ·· وكان النصر ·· واستولى العرب على القادسية وما هو بجديد نصرهم فقد شاء ربك أن يهزم أصحاب الفيل دائما سبحانه ·

• وامعتصماه

(موســـيقى)

صوت : (فى فزع) أين مولاى المعتصم ؟

آخر : وفيم تريده ؟

الصوت : لا تكثر السؤال أين هو ؟

آخر : فى الديوان ٠

الصوت : تعال معى ٠

(موســـيقى)

الصوت : مولاى ٠

المعتصم : ماذا ؟

الصوت : لقد هاجمنا الروم ٠

المعتصم : ماذا تقول ؟

الصوت : تركتهم على حدود الدولة الاسلامية فقدمت اليك ٠

المعتصم : لقد غافلوا عيوننا عليهم ٠٠٠ ادع النفير ٠

(موســـيقى)

ملك الفرنج : (ضحك عال) ها قد بلغنا المقصد والمعتصم ما يزال معتصما بدياره ٠

الوزير : : والله يا مولاى لو لم تكن غافلتهم لتعذرت هزيمتهم فانهم لم يعرفوا الهزيمة أبدا ٠

ملك الفرنج : اليوم يعرفونها ادع الجيش الى الهجوم ٠

الوزير : وفيم الهجوم يا مولاى ولا جيش أمامنا ؟ انما هى مدينة لن تجد بها الا الشاب قد ألقى سلاحه والمرأة تنتظر زوجهـا والرجل العجوز لزوم كسرى بيته يروى عن الشباب الذاهب وينتظر الغذاء القادم ٠

الملك : (ضاحكا) ستكون للشاب ألقى سلاحا وللمرأة تنتظر زوجها العائد وللعجوز يلتمس غداءه السم الزعاف ٠

الوزير : ألا ننذرهم يا مولاى ٠

الملك : أجننت ؟

الوزير : فلا والله لست بهذا ٠٠ وانما أخشى أن يكون انتقامهم بقدر الشر الذى نلقيه عليهم ٠

الملك : مر الناس بالهجوم ودع الغد للغد ٠٠ هلم ٠

(صوت نفير شديد وحوافر خيل)

صوت : أترى الى الجموع الزاحفة ؟

آخر : انها الموت الآخذ ٠

آخر : ما رأيت كاليوم جبانا ٠

آخر : أجبان من يقول الحق ؟!

آخر : جبان من يذكر الموت ٠٠ اننا نحارب فى سبيل حريتنا ولا يجوز الموت أن يصبو الى من يدافع عن حريته ٠

آخر : أرأيت لو أن السيف قد اخترم قلوبنا وتركت أرواحنا الأجساد أليس هذا هو الموت ؟

آخر : ذاك هو الحياة ٠٠٠ انها الحرية ٠٠٠ من مات فى سبيلها وهبت له الحياة الخالدة ٠٠٠ (يرفع صوته) حى على الجهاد ٠

(موسيقى قليلة)

ملك الفرنج : أترى الى المدينة ، ليخيل الى أن جيشنا يلاقينا ٠

الوزير : لقد عرفوا بالهجوم ٠٠٠

ملك الفرنج : ويل للخائن ٠

الوزير : ما أحسبه الا واحدا منهم وقد رآنا ، فأخبر أهله ٠

الملك : الويل له منهم كان أو منا ٠

الوزير : أتعاقب الرجل أن يخبر قومه عن جيش يغير على غرة ؟ ٠٠

الملك : هيهات أن يجدى دفاعهم فتيلا فما أحسب المعتصم قد علم عن قدومنا وما أحسبهم الا قلة ضئيلة لن تثبت الا ريثما تنهزم ٠

الوزير : ما أحسب الأمر كذلك ، يا مولاى فانهم يحاربون عن حريتهم ودينهم وما حارب عن هذين أحد الا انتصر ٠

الملك : أقدم فانما النصر لمن أقدم .

الوزير : انما النصر لمن دافع عن الحق .

الملك : أيهزمنا هؤلاء ؟

الوزير : ان قلتهم ضئيلة وما أخالهم ينتصرون ولكننا سوف نخسر الكثير قبل أن ننتصر .. وسيكون نصرنا يومذاك لكثرتنا الكثيرة ولقلتهم القليلة .

الملك : انه النصر وما يهم من بعد لماذا يتم .. الى القتال .

(موسيقى عنيفة يتخللها صليل السيوف وصهيل الخيل تشتد شيئا فشيئا ثم تهدأ) .

الملك : النصر لنا .

صوت : لقد خسرنا من الرجال كثيرا .

الملك : ولقد أسرنا منهم الكثير وقتلنا .. أعرضوا الأسرى .

صوت : من بين الأسرى يا مولاى سيدة دافع عنها قومها دفاعا عنيفا وما أحسبها الا من السادة .

الملك : هاتها .

صوت : أمر مولاى .

الوزير : ماذا أنت فاعل بها يا مولاى ؟

الملك : سوف ترى .

الوزير : ها قد جاءت .

الملك : تقدمى يا امرأة .. من أنت ؟

السيدة : هاجمت والليل أسود واتخذت الخداع وسيلة الى الآمنين ولو قد أنذرتنا لرأيت الهزيمة كيف تكون ، ولكنت أنت الا أسيرا يشار بك فتضرع ، ويومىء اليك فتخضع .

الملك : ان لك لسانا يضمن لك الهلاك .

السيدة : ويحك هل ثمة هلاك بعد هزيمة انصبت علينا وحرية فقدناها؟!

الملك : هناك الموت .

السيدة : ان مثلك من يخشاه .. أما نحن فحريتنا حياتنا وليس بعد فقدانها حياة .

الملك : فأخبرينا يا امرأة من أنبأكم أنا قادمون ... وهل عرف المعتصم ؟

السيدة : أخيانة تريدنى عليها ؟

الملك : لقد صبرت على قول منك عنيف ، لتخبرينا فوالله ان لم تخبرى لأجعلنك أمثولة بين قومك .

السيدة : ان من يتخذ الليل ستارا يروع الآمنين من ورائه ليس غريبا عليه أن يهدد امرأة .

الملك : اننى أعرف ما تهدفين اليه ، انك تريدين أن تطيلى الحديث حتى تسنحى الفرصة لجيش المعتصم أن يأتى ولن يكون هذا .. أيها الوزير .

الوزير : مولاى .

الملك : مر القوم بالرحيل واصحب هذه المرأة معنا .. واقتل الأسرى الآخرين .

الوزير : (فى جزع) أقتل الأسرى ؟!

الملك : نفذ ما أمرت به .

الوزير : (فى إستسلام) أمر مولاى .

(موسـيقى)

الملك : انك الآن فى القسطنطينية وان بينها وبين المعتصم ما تعلمين من صحراء واسعة وأيام طوال .. فقولى من وشى بنا عندكم ... أهو منا أم هو منكم ؟

السيدة : نحمد الله تعالى أن ولى أمرنا من جعلك تهرب هروب اللصوص .

الملك : (فى غضب) اجلدوا المرأة حتى تخبرنا عن الواشى .

(صوت وقع السياط)

(موسـيقى)

السيدة : وامعتصماه ... وامعتصماه .

الملك : (ساخرا ضاحكا بشدة) سيوافيك على الخيل البلق ... (ضاحكا) أجل على الخيل البلق .

صوت : وما الخيل البلق يا مولاى ؟

الملك : هى الخيل السوداء خالطها البياض .. يزعم هؤلاء المسلمون أنهم سيدخلون الجنة عليها ... (ضحك شديد) وهكذا سيأتى المعتصم الى هذه المرأة على الخيل البلق (ضحك) الخيل البلق .

(موسـيقى)

صوت : وهكذا يا مولاى أخذ يسخر منها ، ثم ضحك ضحكا شديدا حين قال ان المعتصم سيوافيها على الخيل البلق ٠

المعتصم : أمن هذا يسخر ٠٠ والله لأردن سخريته الى صدره ٠٠٠ أذنوا فى الناس كل من يملك فرسا أبلق فان الخليفة يريده ليدفع عن الدين وعن الحرية وعن الكرامة ٠

الصوت : ألا تريد الا الفرس الأبلق ؟

المعتصم : نعم والله لا أريد غير الفرس الأبلق والأبلق فقط ٠

(موســـــيقى)

المعتصم : كم تجمع لدينا من الخيل البلق ؟

صوت : تسعون ألفا يا مولاى عليها الرجال أمامهم الموت فى سبيل الله ٠٠ هم طوع يمينك ٠٠

المعتصم : حى على الجهاد ٠

أصوات : (كثيرة) حى على الجهاد ٠

(موســـــيقى)

الراوية : وعلى الخيل البلق انبثق المعتصم يلبى الصرخة التى انبعثت اليه من بلاد الروم ٠٠٠ انها وامعتصماه أطلقتها المرأة من عند الفرنجة فهب لها خليفة الاسلام ٠٠٠ وانها سخرية من ملك فاجر ردها خليفة الاسلام انتصافا للحق واهتزازا للمروءة ٠٠٠ وعلى الخيل البلق انتصر المعتصم وبالخيل البلق انهزم ملك الروم وعلى الخيل البلق عادت السيدة العربية ٠٠٠ لقد كانت هذه الخيل رجع ندائها ٠٠ خلق عربى فى الشواهق العليا من الخلق ٠٠٠ امرأة ضعيفة تأبى على الملك المنتصر أن يستل منها سرا ٠٠٠ وخليفة عربى يأبى أن يستصرخ فلا يجيب فما هو الا رجع صدى الصرخة حتى يعود معها خليفة وجيش وخيل بلق ٠٠٠ فما لنا اذن غلف القلوب سراع الى الزلل وقافون عن الخير ومالنا ٠٠٠ مالنا لا نلقى الى تلك القمم الساطعة نظرة تهدينا السبيل ٠٠٠ ومالنا لا نقتبس ضـوءا من شرفات التاريخ ٠

● ضيف وأبناء

صوت : مبارك والله حجنا هذا العام يا أسامة .

أسامة : مبارك ان شاء الله فوالله ما تمنيت من حياتى حجة خيرا من هذه نحمدك اللهم ... لقد هيأت لنا أن نهفو الى بيتك الكريم على رأسنا ابن عم نبيك .

الصوت : وأى عم من أعمام نبيه ... انه العباس فتى العرب وسيفهم .. وانه من وقف النبى على جثته يوم مات يبكيه فيوغل فى البكاء .. ثم هو عليه الصلاة والسلام يذكر الخير الذى هيأ له فى الحياة الأخرى .. فتمس قلبه خفقة من راحة .

أسامة : ثم هو يذكر بكاءه الذى كان فيعزوه الى شوق سليم به أن فارقه عمه .. فهو انما يبكى من الشوق ولا حزن .. نعم والله .. لقد كان العباس درع النبى وسيفه صاحبه حين أشرق الحق على النبى فأمر بالدعوة .

الصوت : لم يكن العباس قد أسلم بعد ، ولكنه كان حربا على أعداء النبى سيفا عليهم لا يلين .

أسامة : ثم أذن الله فأشرق نور الاسلام فى نفس العباس فكان مجدا للاسلام وعزا ، ذكرنا العباس — أخى — وفضله وسابقته فى الاسلام ونسينا والله فضل هذا الذى يحج بنا فى عامنا هذا .

الصوت : أو مثل هذا ينسى ؟! أنه عبد الله بن العباس الأصيل بن الأصيل .

أسامة : بل قل أعلم من عرفه العرب وأفقه المسلمين بشئون دينهم .. لقد والله رأيت الناس يضربون أكباد الابل من أقاصى الأرض يسألونه فى أمر من أمور دينهم ، فاذا هو يتدفق كالجدول العذب ، واذا القوم يعودون ... ارتاحت نفوسهم الى فتيناه هادئة قلوبهم الى علمه .

أسامة : مبارك والله حجنا هذا العام يا أخى ٠
آخر : أرى عبد الله يأمرنا بالوقوف ٠
أسامة : فهلم اليه نسرع الخطى عساه يريد أمرا ٠

(فترة صمت)

أسامة : أوقفنا لشيء يا عبد الله ٠

عبد الله : بل رأيت الليل يهم بقدوم وأخشى أن يدركنا فى مكان وعر ، وأرى هنا سهلا ينبسط فكأنما هو أهلا يقولها كريم ٠

أسامة : اننا فى طريقنا الى بيت الله يا عبد الله ، وما أحسب الوعر الا منبسطا لنا ٠

عبد الله : اننى والله أحب الحديث الفرحان ٠٠٠ هكذا والله يكون المقبل على بيت الله ٠

أسامة : أنتابع سيرنا اذن ؟

عبد الله : لكم أحب يا أخا العرب أن نصل ليل طريقنا بنهاره سراعا الى بيت رفعة الله ، لتهدى اليه قلوبنا ، ولكننى أحمل عبء من معى ٠

أسامة : أنت على الحق دائما ٠٠٠ يابن العباس ٠٠٠ انما ولاك القوم عليهم ، فأنت ترى لهم الخير وتثق به ٠

عبد الله : هو ما قلت يا أخى ٠٠ والآن أريدك أن تصحب بعض الرفاق وتبحث لنا عن مأكل فى هذا المكان أو مشرب ٠

أسامة : هلم يا رفاق ٠٠٠ هلم يا زيد هلم يا جابر هلم يا ٠٠٠

(موسيقى قصيرة)

أسامة : بحثنا حوالينا فما وجدنا مأكلا ، وان كنا وجدنا عينا جارية ٠
عبد الله : أتجدون عين الماء ولا تجدون حولها مأكلا ؟!
أسامة : انما هى ساعة غروب روح فيها رعيان ونام سامرون ٠

عبد الله : فهلا ذهبتم الى هذا المرعى القريب ، لعلكم تجدون به راعيا أو خيمة ؟

أسامة : نفعل يا سيدى ٠

(موسيقى قصيرة)

أسامة : ها قد بدت لنا خيمة ٠

آخر : وان بها لنورا .

آخر : يا صاحب الخيمة .

صوت : (سيدة عجوز) لبيك يا من ناديت .

أسامة : السلام عليك يا أم .

السيدة : وعليك السلام يابنى ورحمة الله .

أسامة : أعندك طعام نشتريه ؟

السيدة : أما للبيع فلا .. ولكن عندى ما يكفينى أنا وأبنائى .

أسامة : وأين بنوك ؟

السيدة : يرعون قطيعهم ... وها قد حان موعد أوبتهم .

السيد/ أسامة : وما أعددت لهم ؟

السيدة : خبزا .

أسامة : أو ليس عندك شيء آخر ؟

السيدة : لا .

اسامة : فنحن ضيف نزلنا على العين ، فان جدت لنا ببعض الخبز حمدنا وان كنا نكلفك من أمرك عنتا .

السيدة : أما أن أجود ببعض فلا ، وأما الكل فخذوه ... ها كم الخبز جميعه .

أسامة : تمنعين البعض وتجودين بالكل ؟!

السيدة : أنا أمنع ما ينال من كرامتى وأمنح ما يرفعنى .

(موســــيقى)

صوت : السلام عليك يا أماه .

الأم : مرحبا بالأبناء .. أين تركتم القطيع ؟

الصوت : قريبا ها هنا .. نحن جياع يا أماه ، فهلم خبزك هلم .

الأم : لا خبز عندى لكم .

الصوت : أغاضبة علينا ؟

الأم : بل انى أكرمتكم غاية الاكرام .

الصوت : فأنت اذن قد صنعت لنا خبيصا من اللبن والتمر ؟

الأم : عجبت لك .. ألا تفكر فى غير المآكل ؟

الصوت : جوعان يا أمى والله جوعان وأخواى جوعانان ألسنا كذلك ؟

(موســــيقى)

صوتين : جياع ... جياع .

الأم : كلوا الرمال اذن ، فليس عندى خبز .

الصوت : هو الخبيص اذن .

الأم : يا لك من شاعر !

الصوت : أقلت شاعر ؟

الأم : شاعر .. لا شك .. فان خيال ذلك الذى يهيئه لك جوعك أتأكل أنت الخبيص وأنت فى عرض الصحراء لا تملك موقدا بل إنك لتعلم أننى أصنع لك العيش على الرمال الملتهبة .

الصوت : فماذا صنعت لنا اذن ؟

(موســـيقى)

أسامة : هكذا والله يابن العباس .. لقد أبت المرأة الا أن تهب لنا كل ما صنعته من خبز بنيها .. أعطته لنا جميعه ، ثم هى لم تسأله من أنتم .. فما عرفت عنا الا أننا قوم طلبنا فأعطت .

عبد الله : ولقد أعطت الكثير ... انه قوتها وقوت أبنائها .

أسامة : ألا نزورها يا عبد الله ؟

عبد الله : لكم أتوق الى هذا ولكننى أخشى أن أزورها ، فلا تجد عندها ما تكرم به ضيفها ، فيصيب خجل لا أحب أن يصيبها ولكن ...

أسامة : (مقاطعا) ندعوها اليك .

عبد الله : هكذا والله أحب أن تفعلوا .. قولولها .

(موســـيقى)

الأم : بهذا أيها الأولاد أكرمتكم ... لم يكن الخبيص صنعته لكم ، وانما صنعت لكم أكرومة ترضى منكم نفوسا ، وان أغضبت فيكم بطونا .

الأبن : لقد والله أرضيت يا أماه .. هكذا نحن العرب نجود .. فنجود بأنفسنا وليس بخيلا من يجود بنفسه .

الأم : هكذا أحب أن أسمعك يابنى

الابن : لعلك لم تسألى القوم من هم ومن أين والى أين .

الأم : ما كنت لأفعل هذا يابنى ..

الابن : وما الضير يا أماه .

الأم : لعلهم كرام مشاهير فى العرب ، فيظنون أننى انما أجيب ما يطلبون طمعا فى خير منهم أو تقربا لأسمائهم ·

الابن : فان كانوا فقراء مهازيل ؟

الأم : فقد وجبت الصدقة اذن ·

صوت : (أسامة يأتى من الخارج) يا صاحبة المعروف ·

الأم : اياى نقصد يا صاحب الصوت ·

أسامة : السلام عليك ورحمة الله ·

الأم : مرحبا بالضيف ·· هؤلاء أولادى وقد عادوا من المرعى ·

أسامة : أهلا بأولاد الكريمة ·· ما أرى الا أننا حرمناكم طعامكم منذ الليلة ·

الابن : هنيئا لكم أيها الضيوف ·

أسامة : قدمنا ورجاؤنا أن تجيبوا لنا رجاء ·

الأم : ان كان فى الطوق ·

أسامة : اننا قوم من المدينة خرجنا نريد الحج وعلى رأسنا علم من أعلام الاسلام قصصت عليه ما كان من برك بنا ، فأراد أن يراك ويرى أولادك ·

الأم : ومن صاحبكم ؟

أسامة : عبد الله بن العباس ·

الأم : وربك هذا الشرف الأعلى ·· هلم بنا ·

(موسيقى)

عبد الله : مرحبا بالكرام ·

الأم : مرحى بك ·· ابن العباس ·

عبد الله : ممن أنت يا خالة ؟

الأم : من بنى كلب ·

عبد الله : وكيف حالك ؟

الأم : آكل الخبز ، وقد صنعته على الحجر بغير موقد ، ثم أنا لا أكثر وأشرب الماء من عين صافية فاذا نفسى فى الصفاء كالماء ·· واذا بى أنام والهموم لا تعرف الى سبيلا ·

عبد الله : الحمد لله ·· أعرفت فيما طلبت أن أراك ؟

الأم : لا والله ·· انما قيل لى عبد الله بن العباس فحثثت اليك الخطى ويسبقنى الشوق الى رؤية ابن عم رسول الله وأعلم العرب وأفقه الناس بالدين الحق .

عبد الله : انما أردت أن أكرم اكرامك وأكافئك عليه .

الأم : والله لو كان ما فعلته معروفا فما كنت لآخذ عنه بدلا ·· فكيف وهو شيء يجب أن يشارك الناس بعضهم بعضا فيه .

عبد الله : وماذا فعلت لبنيك حين عادوا جياعا ؟

الأم : يابن العبـــاس ·· لقـد عظمت عندك خبزتى حتى أكثرت فيها الكلام ··· أشغل فكرك عن هذا فانه يفسد المروءة .

عبد الله : وأنتم أيها البنون .

الابن : لبيك .

عبد الله : أحب أن أساعدك بالمال ؟

الابن : نحن نعيش على الكفاف ، فوجه مالك الى من لا عيش له .

الأم : بوركت يا فتى .

عبد الله : بوركتم جميعا .

المذيع : وأبى الابن ، وعزفت المرأة أن يصيبهم خير لقاء واجب يؤدونه ··· خلق عربى أشـــم يعلو فيصعد الى السماء ·· وهناك يلقى المكافأة والجزاء ·· قوم يبتكرون المكرمات وأعينهم لا ترنو لغير الله ··· فمالنا لا ننظر لغير الأرض ، ومالنا نبتغى النفع العاجل على غير عمل نقدمه ، ومالنا بخل حتى لنكاد نختنق أنفسنا بأيدينا ·· لو أننا نظرنا التاريخ ···

(موســـيقى)

• ستار الخير

الزوجة : لقد أبعدت فى الغيبة يا مولاى ، ولم ترسل الينا لدنك رسولا ، فأهلا بك فى منزلك وطاب يوم عدت فيه ٠

الأمير : (حزينا) ها قد عدت يا سامية ، فقد شغلتنى عنك الحرب ٠

الزوجة : يا مولاى انها الحرب ، فان تكن اليوم قد أدبرت فانها فى غد ٠

مقبلة وما أقرب الغد من اليوم ٠٠ وانك لفارسها وفتاها ٠٠٠ وانك لسيفها و ٠٠ !!

الأمير : (مقاطعا) ماذا بك يا سامية ٠٠ أتظنين بى الهزيمة ؟

الزوجة : فماذا تريدنى أن أظن بهذا الوجه المقطب وذلك الجبين المغضن وهاتين العينين الكابيتين ؟ ٠٠٠

الأمير : لم تكن هزيمة ما أحاقت بنا ٠

الزوجة : فهى الخيانة اذن أدت بكم الى الهزيمة ٠

الأمير : بربك يا سامية ٠٠ لقد انتصرنا ٠

الزوجة : ماذا تقول ؟

الأمير : لقد انتصرنا نصرا حاسما ٠

الزوجة : انتصرتم !! فمالك اذن وقد اربد وجهك وعلا الحزن نفسك ٠٠٠ بل مالك تلقى الى بخبر النصر وكأنما كنت ترجو الهزيمة ٠٠ سعيد ٠٠ أخاف ٠٠ ولكن لا ٠٠ لست أنت ما يفعلها ٠٠

الأمير : ماذا تخافين ؟

الزوجة : أخاف أن يكون النصر ثمنا لكرامة مهدرة أو خديعة شائنة ويحك٠

الأمير : ويحك يا سامية لقد أبعدت بك الظنون ٠٠ انظرى بربك أى رجل ذاك الذى تلقين اليه الحديث ٠

الزوجة : رجل هو الرجولة .. انه الأمير سعيد ..

الأمير : فمالك تسيئين الظن ؟

الزوجة : وماذا تريدنى أن أظن وأنت على حالك هذا من الحزن والألم ؟ ..

الأمير : لقد فجعت والله وأنا أتلقى أنباء النصر .

الزوجة : فداك نفسى أيها الزوج ــ بماذا فجعت ؟

الأمير : انهزم الأعداء وولوا الأدبار وتلفت يا سامية أبحث عن صديقى تمام القضاعى فقيل لى انه مات ..

الزوجة : ان الذاهب الى الحرب ــ أيها الأمير ــ انما يضعها حياة على سن سيف . فاما نصرة وحياة ، واما ميتة فى سبيل النصر .

الأمير : فوربك ما حزنت لموته وانما هو ذو عائلة وأولاده صغار وقد كان لرجل عفيفا لم يترك لزوجه ما يقيم أود الحياة .

الزوجة : هون عليك أيها الأمير ... ألا فلتقم أنت أود الحياة لعائلته ؟

الأمير : وددت والله لو كان ذاك ولكننى لم أستطع .

الزوجة : كيف ؟

الأمير : لم أطق أن أعود اليك قبل أن أذهب الى دار صديقى فذهبت ..

الراوية : وكان الأمير قد ذهب فعلا الى دار صديقه الشهيد وطرق الباب فعاجلت اليه الزوجة التى أصبحت أرملة .

صوت سيدة : مرحبا تمام ... على الطائر الميمون عدت الى زو (تفتح الباب) من .. مولاى .. أين تمام ؟

الأمير : على رسلك يا عفراء .. انه ..

عفراء : الى جنة الخلد يا تمام .

الأمير : هونى عليك يا عفراء .

عفراء : ان كان الى تهوين من سبيل يا مولاى فهو ثقتى أنه لاقى ربه راضيا مرضيا ... بذل حياته فى سبيل ربه ، فله أجر الشهداء والصديقين .

الأمير : ألا من دمعة تريح بعض ما بك ؟

عفراء : لكم أتوق الى تلك الدمعة يا مولاى ولكن هيهات .. فانى لأخشى ان أنا ذرفتها أن تغضب تماما وما عودت أن أغضبه .

الأمير : فالله لنا فى فقده يا أخت .

عفراء : انه لنا دائما يا مولاى ... لن يرضى الله الا الخير لقوم اختار عبادهم الى جواره ، واصطفاه الى سمائه وارتضاه فى جنات نعيمه مجاهدا فى سبيله فى الدنيا طامحا الى رضاه فى الآخرة .

الأمير : نعمت الزوجة أنت يا عفراء ونعمت المرأة .

عفراء : ما أنا يا مولاى الا قبسة من تمام ، وقد كان والله رجلا عميق الايمان ، صادق المروءة ، كريم الطريق ، نبيل المقصد .

الأمير : أجل والله لقد كان كذلك .. عفراء .. لقد استودعنى تمام أمانة وقد حان موعد ردها .

عفراء : أية أمانة يا مولاى ؟

الأمير : قد كان يملك قطعة صغيرة من أرض باعها ، ثم هو قد طلب الى أن أبقى ثمنها عندى ، حتى يشترى قطعة أخرى لكم .

عفراء : الله جارك يا مولاى .. أتخادعنى عن نفسى .. فلا وربك لم يكن لتمام قطعة من بستان صغيرة أو كبيرة ، ولا وربك لم يبع تمام شيئا ، ولا وربك ما كنت لأقبل ثمن زوجى ، فانك لاتطيق وان كنت الأمير أن تؤدى الثمن .

الأمير : بربك يا عفراء ألا أتحت لى هـذا الخير ، فانى لأدرى أن تماما لا يملك شيئا وانى لأخشى عليكم عاديات الزمان ، فما ضر لو استعنتم على الزمن بى .

عفراء : اننا نحن المدينـون يا مولاى ، لقد أتحت لرجلنا أن يلاقى ربه مستشهدا .. وهيهات هيهات أن نقبـل ثمن الخير الذى أصـاب صاحبنا .. لقد استشهد فى سبيل الله ، ولن أفسد استشهاده بمال أقبله منك .

الأمير ، ولكن للزمن غدرة ولا يقيل منها الا المال .

عفراء : ان للزمن غدرة ولا يقيل منها الا الله .. وانه معنا .

الأمير : بربك يا عفراء ألا قبلت ؟

عفراء : بربك يا مولاى ألا أقلت ؟

الأمير : لقد حملتنى من أمرى عبئا .

عفراء : حتى لا أحمل من أمرى عنتا .

الأمير : فوداعا يا عفراء .

عفراء : **وداعا يا مولاى .**

الراوى : وسمعت زوج الأمير حديث زوجها .. **فهى تقول له :**

الزوجة : لقد والله باركت روح زوجها فكأنما استشهد مرتين :

عفراء : لقد استشهد فى كل مرة عف فيها عن المال ، وفى كل مرة رفضت فيها الزوجة أن تقبل .

الزوجة : الى رحمة الله يا تمام .. وأصبرك الله يا عفراء .

الأمير : وهكذا يا سامية لست أدرى ما أنا فاعل .

الزوجة : خبرنى يا مولاى .. ألم تقل ان له أولادا .

الأمير : بلا انه ذو عيال .

الزوجة : أليس له بنيات ؟

الأمير : بل ان له لبنية .

الزوجة : فكم تبلغ من العمر ؟

الأمير : أظنها فى الخامسة عشرة .

الزوجة : لقد وجدت الطريق يا مولاى .

الأمير : فقولى بربك .

الزوجة : انتظر بعض الحين ، ثم اذهب الى عفراء مرة أخرى ..
(موســـيقى)

الراوية : وألقت الزوجة الى زوجها برأى وجد فيه خيرا فهو يذهب الى عفراء يقول به .

الأمير : عفراء .

عفراء : مولاى .

الأمير : قدمت فى أمر وودت لو أجبتنى فيه .

عفراء : ان كان فى الطوق يا مولاى .

الأمير : هو رجاء .

عفراء : بل أمر مولاى ... ان استطعت .

الأمير : اننى أخطب اليك ابنتى .

عفراء : ابنتى ؟

الأمير : أجل ابنتك سعاد .

عفراء : ولمن الخطبة يا مولاى ؟

الأمير : لابن أخى الأمير شهاب ٠

عفراء : أما هذا فنعم يا مولاى ٠٠٠ أما هذا الرجاء يا مولاى فانى أجيبه على شرط ٠

الأمير : وما هو ؟

عفراء : أن يكون الأمير شهاب قد طلب هذا الزواج ، لأنه يريد ابنتى ، لا لأنك أرغمته عليه ٠

الأمير : وأقسم ما أرغمته ٠

عفراء : وانى قبلته يامولاى ٠

الأمير : لقد قبلت يا سامية ٠

سامية : وهكذا يا مولاى أتاح الله لك أن تمد يد العون الى عائلة صديقك من غير أن تظهر هذه اليد ، فهى ملفوفة فى غشاء كريم من الكتمان ستعطى المال لابن أخيك وابن أخيك يقوم بشأن الأسرة فى ستار الخـــير ٠

(موســـيقى)

الراوية : كم هى رائعة تلك المثل التى يضربها الأولون ٠٠ فانهم ليجزعون اليوم عن الجهاد الى الهدوء ٠٠ وانهم ليجزعون من الموت الى الحياة ، وانهم ليجدون اكرام الميت فى النواح الكاذب حتى اذا استعصت الدمعة وأراد الجرح أن يندمل استأجروا أو استأجرن النائحات ، لتمزقن الجراح وليهتكن على الميت حرمته ٠٠ وانهم ليجحدون الصداقة وينكرون الود ٠٠ وانهم ليمنعون الخير ، فان بذلوه استردوه بالمن الكاذب وبالتظاهر المتكبر ٠٠ لو أنهم ألقوا ناظرهم الى أمجاد آبائهم ٠٠ لهدأت نفس لهم تثور الى الشر ولأقامت أخلاقهم على الطريق القويم ٠٠ نظرة الى الماضى ٠٠

((انتهى))

فهرس



مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩١/٢٦٧٧

ISBN — 977 — 01 — 2716 — 7

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٢٧٥ قرشــا